



٣٥/

الطبيعة في شعر ابن خضاعة الأندلسي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير



٨٢١

١٠٠٢٨١٩

إعداد
بومدين كروم

بإشراف
د. عمر موسى باشا

الأمم المتحدة

=====

الى كل محب لهذه الأمة وساع باخلاص في خدمة
تراثها وحضارتها أهدى هذا العمل المتواضع

بسم الله الرحمن الرحيم

=====

مقدمة

الطبيعة هي هذا الكون الفسيح ، بما فيه من ليل ونهار ، سما* وأرض ، بما في الليل من ظلام ، وقمر ونجوم ، وما في النهار من شمس مشرقة ، وضياء* ساطع ، وما في الأرض من جبال وسهول ، ورياح ومروج ومقاربات ، وأنهار ومحار ، وما فضائهم الواسع من غيوم ورياح ونسائم وأمطار ، وحرق وبرد ، وما بث الله فيه من حياة وأحيا* وحركة وسكون وتوازن وتناسق ، وجمال ، وما يعتريه من تغير وتبدل ، وانبعاث وفناء* . هي هذا كله ، بما ينطوي عليه هذا الكل من شمول واتساع ، ومعان وأسرار . ثم ان الفنان ، وهو الانسان المتمرد على الألف والمادة ، بما وهب من احساس مرهف وشعور رقيق ، وذوق سليم ، مؤهل أهلية كافية لأن يحس بهذا الكون ، بكل مظاهره ومباليه ، وأن ينفذ الى ما وراء هذه المظاهر والحالي ليدرك ادراكا واعيا ما تنطوي عليه من أسرار ، وما تخفيه في أعماقها من معان والغاز ، ثم يفرز تلك التجربة المشعورية في عمل فني ، فيه من الطبيعة كواقع ، بقدر ما فيه من الذاتية كإحاسيس ومشاعر وروى

وسرائر ونفارات وأتعار . والطبيعة بهذه الصفة هي أم الفنون ، قل أن نجد عملا فنيا مبدعا يخلو من عناصرها ومعطياتها ، وآثارها ، فقد كانت ولا تزال ، ملهمة الفنانين من شعراء* ورسامين . وموسيقيين ، ينشدون في أحضانها وسائل فنهم ، ويبدون في ظواهرها وأسرارها منبعا ثرا لإحاسيسهم وأفكارهم وتصوراتهم ، وإن اختلفت تلك الأفكار والتصورات عمقا وضحاة ، تبعا لاختلاف مستويات التجربة الفنية عند كل منهم . وانطلاقا من هذه القيمة التي تحظى بها الطبيعة في بناء العمل الفني ، أولا ، ومن الحب لها - بحكم النشأة في ربوعها الفاتنة ، ثانيا - ، كانت رغبتني في دراسة الطبيعة في الشعر العربي ، والطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي على الخصوص ، لاعتماده الطبيعة أساسا في الاعراب عن مشاعره ، وإحاسيسه ، ونظاراته وأفكاره ، واشتغاله بذلك قديما وحديثا ، وكان لابد من التقديم لهذه الدراسة بمقدمات ضرورية بدأتها بمدخل أضأت به عصر الشاعر من حيث حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ،

ثم أتممته بالباب الأول ، وهو مخصص ، بفصله الثلاثة لدراسة حياة الشاعر ، من حيث نشأته وثقافته ، وشخصيته ، وعلاقاته وأسفاره ، ويليه الباب الثاني ؛ وهو مخصص أنيقة فصول ، وقد خصص لدراسة الطبيعة وتنميتها ، بكيفية سريعة ومكثفة ، فسي الشعر العربي منذ الجاهلية وإلى عصر ابن خفاجة ، ثم يأتي الباب الثالث ، وهو يهتم القصيد من هذا البحث ، لدراسة الطبيعة في شعر ابن خفاجة ، وقد وزعته على عشرة فصول ؛ درست في الفصل الأول طبيعة شرق الأندلس وعلاقة الشاعر بها ، وفي الفصل الثاني ؛ الروضات ، وفي الثالث ؛ الشجريات والنباتات والزهرات ، وفي الرابع ؛ الربا واليهام والجبال ، وفي الخامس ؛ المائيات ، وفي السادس ؛ الظواهر الكونية ، وفي الفصل السابع ؛ الطبيعة الحية ، وفي الثامن ؛ الطبيعة المصنوعة ، وفي الفصل التاسع ؛ الماهية والأمراض الشعرية المتنوعة ، ولخصت الفصل العاشر على الدراسة الفنية ، ثم أنهيت البحث بخاتمة ، أجملت فيها ما توصل إليه البحث من نتائج .

وما تجدر الإشارة إليه بهذا الصدد ، أنني اعتدت الأصول أساساً في بحثي ، ثم استعملت بعد ذلك بكل ما عثرت عليه من مراجع ، مؤيداً أو مناقشاً ، وقد أكثر الرجوع إلى بعضها لأهميته ، كما أنني لم أتح مذهباً واحداً بيمينه ، أفترض عليه دون غيره من مظاهر الدراسة الأدبية ، وإنما استعملت بأكثر من منهج ، بالمنهج الفني ، والمنهج التاريخي ، والمنهج النفسي ، وتوصلت بها مجتمعة في إبراز قيم عمل ابن خفاجة الفنية والشعرية .

والحقيقة أن هذا البحث لم يكن ليمر بهذا الشكل ، ولم يكن ليبلغ نهايته على النحو المطلوب لولا إرشاد كل من أستاذي الكريمين ؛ الدكتور محمد رضوان الداية ، وأستاذ الآداب الأندلسي في جامعة دمشق ، الذي لم يدخر جهداً في مساعدتي وتوجيهي في معظم أقسام هذا البحث ، والدكتور عمر موسى باشا رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة دمشق ، والذي تفضل شكره ، وقيل الإشراف على هذا البحث بعد أن حالت أمور دون استمرار الإشراف الأول ، فإليهما أقدم خالص شكري وتقديري ومن الله تعالى أتمس السون والرشاد .

مدخل

الى

عصر ابن خفاجة

انتظمت بلاد الاندلس في سلك دولة واحدة ، قرّقرارها ، وبلغت من القوة
والعظمة مبلغا ارتفعت عنها غيرها ، الاتباع ، وصبغات لها أسباب الرقي والتقدم ،
فاضحت قرطبة مركز اشعاع حضاري أثر بفعالية في طلاب العلم الوافدين من الشرق
والغرب ، حدث هذا كله في القرن الرابع ، في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٥٠ هـ)^(١)
وابنه الحكم المستنصر (٣٦٦ هـ)^(٢) ، والمنصور بن أبي عامر ، الذي استشهد
بالحكم من دون هشام بن الحكم لصغر سنه^(٣) . ولكن لم يكد هذا القرن يقترب
من نهايته ، حتى انتثر سبيلك الخلافة ، وانعدم الأمن ، واستشرت الفتن ،
واحتدم الصراع على السيادة ، وجرت خطوب وأهوال فتت في عضد الدولة ومزقتها
هزعا واشتتات ، وقد وصف ابن حبان الحرفا من هذه الأحداث : « حين أرتخ لمدة
حكم أبي أيوب سليمان بن الحكم لقرطبة ، فقال :
" وكانت كلها ، (أي سنوات حكمه) ، شدادا نكدات ، صعابا مشغولات ،
كربها السدا والقاتعة ، شبيمة المنتهى والخاتمة ؛ لم يعدم فيها حيف ، ولا غورق
فيها خوف ؛ ولا تم سرور ، ولا فقد محذور ، مع تغير السيرة ، وخرق الهيبة ،
واشمال الفتنة ، واعتلاء المعصية ، وظعن الأمن ، وعلول المخافة ؛ دولة كفاها
دما أن أنشأها شائبة ، فقشعها أرقند ، وثبتها الجلالة ، ومزقتها الافرنجة ،
ودبرها فاجر شقي ، ووزد لها خبّ دني ، فتمغضت عن الفاقة الكسور ،
والت بمن أتى بعدها الى ما كان أفضل وأدهى . ما طوى بساط الدنيا ، وعقّى

(١) - جذوة المقتبس : ١٢

(٢) - نفسه : ١٣

(٣) - نفسه : ١٧ : طبقات الامم : ١٠٢

رسمها ، وأهلك أهلها .^(١) ولم يمد رسم الخلافة بعدئذ - إلا شمارا
 المحسوس مرطيا - وتلاشى في سنة (١٤٢٢ هـ) بثورة الجند على آخرها ، فانه
 هو هشام بن محمد (الممتد بالله) ، وقيام حكم الجماعة بقيادة الوزير أبي الحزم
 جهور بن محمد بن جهور^(٢) ، وطويت صفحة الحكم الأموي في الأندلس منذ
 ذلك الدمين ، وما رجع شعار الخلافة في أشبهلية باسم هشام بن الحكم إلا اغلوقة
 اختلقها صاحبها ابن مهاد ، ليستأثر بالحكم ، ويرد أطماع الحموديين المضيقين
 عليه ، والطالبيين به أيضا .^(٣)

٢

واستغل ضعف الخلافة في قرطبة رؤساء الطوائف ، وكبار الجند ، وأصحاب
 العسرة ، والقناة ، وقبرهم ، فاستغل كل بما تحت يده ، وأعلنوا انفصالهم
 عن دار الخلافة ، ونوا الحصون ، واتخذوا المساكن ، وتنافسوا في أسباب الطك
 ولمع كل منهم بما في يده ، فحبا غير التوسع والسيطرة^(٤) ، فتشتت بينهم حروب
 أهلك الحرث والنسل ، وعت أهل الأندلس ترويعا شديدا ، وعرف هبة ...
 في تاريخ الأندلس - الطوائف ، وذلك لأن الأندلس قد انقسمت
 بينهم إلى دويلات كـ ساسوها أسوأ سياسة ، وحكوا فيها أهواؤهم

- (١) - الذخيرة لابن بسام ١/١ : ٣٦ ، جذوة المقتبس : ١٧ وما بعدها .
- (٢) - نفسه ٣/١ : ٢٥ ، ما بعدها ، جذوة المقتبس : ٢٨ - ٢٩
- (٣) - نفسه ٢/١ : ١٧ - ٣٨-٣٧ ، جذوة المقتبس : ٢٩ - ٣٠
- (٤) - التبيين (مذكرات الأمير عبد الله) : ١٨ ، أعمال الاعلام : ١٤٤ .

وأشملوا الفتن في جنباتها ، وقد اشتهرت منها دولة بني جهم وفي قرطبة وهم من موالي
 الأمويين : حكموا الى سنة (٤٦٢ هـ) ، حيث ضمت قرطبة الى حاضرة اشبيلية ،
 دولة المباديين ؛ وهي - قرطبة - أول دولة تسقط من دول الطوائف منذ قيامها
 مدة أربعين عاماً^(١) . ودولة بني عباد اللخمين أصحاب اشبيلية ، وهي أخطر
 دول الطوائف وأقواها وأوسعها رقعة ، وأعلاها شأنًا ، حكموا اشبيلية سنسنة
 (٤١٤ هـ) . بعد خروج بني حمود منها ، وظلوا في حكمهم لها الى سنة
 (٤٨٤ هـ) ، وجرت لهم وقائع مع جيرانهم من بني الافطس ، والحموديين وعلى
 رأسهم يحيى بن حمود (الممتلي^(٢)) . وبنو الافطس أبناؤ بني سلعة ملكوا
 بطليوس بأعمالها الكثيرة ووقعتها الواسعة من سنة (٤١٣) الى سنة (٤٨٨ هـ)^(٣) .
 وسوذي النون وهم من الموالي العامرية من أصل بربري ، واستقروا في عاصمة الثغر
 الاوسط طليطلة ، التي توسعت رقعتها في عهد المأمون بن ذي النون ، واتحدت
 شرقا حتى بلنسية ، فتخومت بذلك - مواردها ، وكثرت أرزاقها ،
 ونسب الناس فيها بحدود ورخاء الى حين . وحدثت في عهد يحيى بن ذي النون
 الحفيد " القادر " - ثورة أهلية عارمة ، اضطرابها الى الفرار بأهله^(٤) والتحصن
 بحصن " ويدة " ، واستدعى الاهالي " المتوكل بن الافطس " لحكم المدينة
 فدخلها وحكمها خمسة عشر شهرا خرج أثرها فارا الى بطليوس ، ودخلها
 القادر مدعيا بالغونسلوك قشتالة ؛ وكان قد وعد بتولية المدينة له اذا بلغه

(١) - دول الطوائف : ٢٧

(٢) - الذخيرة ٢/١ : ١٢ وما بعدها . دول الطوائف : ٣٦-٣٣ .

(٣) - نفسه ٢/٢ : ٦٤١ ، نفسه : ٨٠ وما بعدها .

(٤) - المضرب ٢ : ١٣

أنه في دخولها ، بعد أن فتكوا فتكا شديداً من الأهالي للدفاع عن
المدينة ، ولم يكف ألفونسو عن المطالبة بها ، ضيقاً وشدة ، حتى أياس
أهلها ، واضطروهم إلى التسليم ، بعد حصار أجدهم ، واستنفذ أقاتهم ،
وبعد أن أسلمهم ملوك الطوائف ، الذين انكشفت نواياهم في التواطؤ مع العدو
ومساعدته ، فدخل الفرنسيو المدينة قبي سنة (١٧٨٠ هـ) وسام أهلها
الخنسيف ، والذل ، واستقر - ابن ذي النون - بمحلة "ألفونس" منفرد
الذمة ، فزال الحرمة ، لم يردونه باب ولا دين حره مترولاً حجاب . وخرجت
المدينة - منذ ذلك - من يد المسلمين إلى الأعداء .^(١)

وأما بنو حود فقد استقروا بسرقسطة عاصمة الشمر الأعلى - منذ وقت مبكر ،
واستمروا في حكمها إلى سنة (١٥٠٣ هـ) . واستولى بنو زيري الصنهاجيين^(٢)
- كغيرهم - على غرناطة ثم على مالقة ، ولجئوا فسي حكمهم إلى سنة (١٤٨٣ هـ) . كما
ظهرت على الساحة - دويلات أخرى منها من لم تدمر ، كبنو حمود أصحاب مالقة
و " الجزيرة الخضراء " ، وبنو برزال أصحاب قربونة ، وبنو مزين فسي
" شلب " ، ومنها من عمرت بعض الوقت لبعدها عن صراعات الدول القوية
وأطاعها ، كبنو رزين أصحاب السبلة الذين حكموا إلى سنة (١٤٩٢ هـ) وبنو
القاسم الفهري في " البوفا " ، وحكموا إلى سنة (١٤٩٥ هـ)^(٣)

-
- (١) - الذخيرة : ٤/١ : ١٤٩ : وما بعدها ، أعمال الاعلام : ١٨٠-١٨١ .
دول اللوائف : ٤٤ : وما بعدها .
 - (٢) - دول الطوائف : ٢٥٤ : وما بعدها .
 - (٣) - الذخيرة : ٣/١ : ١٠٩ : وما بعدها - أعمال الاعلام : ٢٠٥ : وما بعدها .

وأما شريق الاندلس ، فقد كان يحواضره المتعددة ، بلنسية ، مرسية ، شاطبة ،
دانية ، الحرية ، والجزائر الشرقية ، ميورة وضوارة ، وبابسة ... من أضعف
مخالف الطوائف وأكثرها عثرة لهجمات الانصارى المتتالية^(١) ، وقد استقر في هذا الجانب
من الاندلس موالي السام من الفارين من فطرية بعد سقوط الدولة الدارمية ، فحكم
مجاهد منهم دانية والجزائر الشرقية زهاء ثلاثين عاما ، وخلفه أئمة على اتبال لدولة
ومكت الى سنة (٤٦٨ هـ) ، حيث انتدع منه القنطرة بن هود ملكة دانية وضمها الى
سرقسطة . وطلب لبيب منهم ، وبعده مقاتل على بلووشة^(٢) ، ومبارك ومظفر على
بلنسية ، ونبيل على شاطبة ، وخيران على الحرية ومرسية وأويولة^(٣) ، وبعد موت
خيران العامري ومقتل زهير نائبه في معركة له مع أمير غرناطة جهوس بن ماكسن ،
أصبحت ألمرية تحت إمرة بني صراح التجهييين الذين ثاروا على عبد العزيز بن أبي
تار صاحب بلنسية وملكوها الى سنة (٤٨٤ هـ) ، كما ثار بنو طاهر عليه بمرسية
واستخلصوها لانفسهم حتى سنة (٤٧١ هـ) ؛ وقد أنهى سلالتهم محمد بن عمار ،
وزهر المعتد بن عباد ، الذي لم يلبث أن افتكها منه عبد الرحمن بن رشيق الثالث ،
ونزل عنها بدوره للمرابطين في سنة (٤٨١ هـ)^(٤) .

(١) - Histoire des Musulmans d'Espagne . t.3 : 131 - 132 .

(٢) - البيان المغرب ، ٣ : ٢٢٤ .

(٣) - أعمال الاعلام : ١٧١ ، تاريخ ابن خلدون : ٤ : ١٦٢ .

(٤) - الذخيرة . ٣/١ : ٢٥-٢٦ دول الطوائف : ١٥٦ وما بعدها .

وكان انقسام الاندلس الى هذه الدول المتعددة ، المتفاوتة الاماع والمشارب
سيء الأثر على حياة المسلمين كلهم في شبه الجزيرة ، ان لم يلبث أمراء تلك الدول أن
أتمروا حروباً أهلية شاملة والمحنة ، استنزفت الطاقات ، وأوهنت المعزائم ، وجعلت
الاندلس الإسلامية ضعفاً سائفاً لمعركة الاسترداد أو الاستغلاب (Reconquist) ،
النصرانية التي رفع لواؤها حينئذ ؛ فاشبهية تحارب بالموس ، وطينيسوس تحارب
بالميلانة ، والميلانة تحارب سرقسطة ، والنهرية تعلن الحرب على غرناطة واشبهلية
تستزده الاستيلاء على غرناطة ، هذا فضلاً عن الصراع الداخلي بين الأخوة في الدار والدولة
الواحدة ، كما حدثت في سرقسطة بني هود^(١) وغرناطة بني زيري ، والموس بنى الأفلس ،
وأيهم وقفوا عند هذا الحد ، بل استعان بعضهم على بعض بالنصارى ، كما فعل كل
من المؤمن بن ذي النون وابن هود ، أن انتقم كل من الآخر ، التحالف مع طوك النصارى ،
طوك "قشتالة" و"نافار"^(٢) . واستعان القادر بن ذي النون بالفونسو السادس
للاستيلاء على بلنسية ، كما اشترك كل من المستمين بن هوو "السيد الكمبيطور" في
في الاستيلاء على بلنسية أيضاً ، وكان "السيد" بطبيعة الحال هو الفائز في النهاية .
واستعان المحتشد بن عباد كذلك بالفونسو السادس في السيطرة على مرسية ، ثم على
غرناطة ، فكشفوا بذلك على ضعفهم للمدو ، وألجئوا على شراحتهم ، فكان أن اجتاحتهم

(١) - المصدر السابق ٣ / ١ : ٤٢٢

(٢) - دول النواكف . ٩٧ - ٩٨ .

(١) قواته جميعا ، وارغمتهم على دفع جزى ثقيلة - كخيلة أولى لعملية الاسترداد -
أرهمقوا بها كاهل الرعية وأفقروها . وأحسن الواعون من أهل الاندلس بخلوة الموقف
فاستصرخوا - عامة وخاصة - يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابدين الفتية ، ودافع
لواء الجهاد في المغرب ، واشتد نهمهم على أمراءهم بعد أخذ طلميطلة ، فانظر
هؤلاء إلى الاستنجاد ، وأرسلوا رسلهم إلى العدو ، يعرضون الأمر على يوسف بن
تاشفين (٢) ، فأجاب الأمير يوسف صريح هؤلاء ، لا تسبق ذلك مع دعوتك إلى
الجهاد ، وجاز الجواز الأول سنة (٤٧٩ هـ) وخاض معركة الزلاقة (٣)
غرب بالميسوس - بالاشتراك مع جيوش الدول الاندلسية متحدة ، وكان النصر
فيها ساحقا على جيوش النصارى بقيادة النونسو السادس ، لم ينسج منها إلا
القليل ، ورجع بمدد أمير المسلمين إلى المغرب لسماعه بخبر وفاة ابنه أبي بكر
سير (٤) . ثم جاز الجواز الثاني برسم الجهاد في سنة (٤٨١ هـ) وقصد
شرق الاندلس ، وانضمت إليه جيوش أمراء الطوائف ، فحاصرت القوات مجتمعة
مدائن لاس (A l e d o) وشنوا الغارات عليه بالتداول . ولكن
دون جدوى لحصانته وضعته ، واستصرخ النصارى المحتصين بالحصن سلاطينهم
فهب لنجدتهم ، وأغلق الحصن وأحرقه ، وكانت جيوش المسلمين قد تنهت عنه
فأمنت المنطقة بعد ذلك شرسه ، واستراحت من غاراته ، وقبل انصراف أمير
المسلمين إلى العدو

(٥) وجه جيشا بقيادة محمد بن تاشفين إلى بلنسية لمواصلة الجهاد ، عرف أمير
المسلمين في جوازيه قوة هؤلاء الأمراء ، وانكشف له منهم أثناء حصن لبيد من تنافسهم
وحققهم على يديهم ، وسألهم لعدو الاسلام (٦) ما جسه يجوز جوازه الثالث في سنة

(١) - Histoire des Musulmans d'Espagne t.3 : 118

(٢) - مذكرات الأمير عبد الله : ١٠٣ الحلل الموشية : ٣٨ ، دول الطوائف : ٤٠

(٣) - السروني المصنف : ٢٨٨ - الحلل الموشية : ٥٣ - ٢٦ .

(٤) - الحلل الموشية : ٦٦ - ٧٠

(٥) - المصدر نفسه : ٦٦

(٦) - مذكرات الأمير : ١٤١

(٤٨٣ هـ) لحربهم والنشأ عليهم ، وكان استغنى نقباء الاندلس في ذلك فرأى
منهم ومن عامة الاندلس كل تأييد ، فاتجه - بعد الرجوع من الميطة - وكان حاصرا
ومات في أطرافها - الى غرناطة ، فاستنزل صاحبها عبد الله بن بلقين ، ثم انسى
مالقة ، وكان بها تميم بن بلقين أخو عبد الله ، ورجع الى مراكش . وفي سنة (٤٨٤ هـ)
وجه جيوشه الي الاندلس لاستنزال ملوك الطوائف ، فأخضعهم الواحد تلو الآخر ،
ولم يبق منهم غير المستمين احمد بن هود صاحب سرقسطة ليمده وأظهره الخضوع
والاعتراف بالدولة الجديدة من جهة ، ولكونه من جهة ثانية أدى بجهته ، وبالمالك
الذصرانية المحيلة به ، فثرب حاجزا بينهم وبين بقية بلاد الاندلس ، ولكن أهل سرقسطة
ثقموا على ابنه عبد الملك .. لضعفه وداخلته التصارى .. وأخرجوه ، واستدعوا
عامل علي بن يوسف ، فدخلها في سنة (٥٠٣ هـ)^(١) وصارت الاندلس - اثر ذلك -
ولاية موحدة ، تاهمة لا عارة مراكش : دار الملك يحثها أمراء يمينهم أمير المسلمين
كلهم من لحتونة . وتوفي أمير المسلمين يوسف في سنة (٥٠٠ هـ) وخلفه
ابنه علي بن يوسف ، وكان قد أخذ له البيعة في سنة (٤٩٦ هـ) في جوازه
الرابع الى الاندلس برسم التجول والنظر في مصالح المسلمين^(٢) ، فحكم الى سنة
(٥٢٧ هـ) حيث توفي وخلفه ابنه تاشفين الذي ملك في حربه مع الموحدين
في سنة (٥٣٩ هـ)^(٣) ، وانتهى ولايته ، وبدأ عهد جديد بالاندلس

(١) - الحلل الموشية : ٧١ = ٧٦ المغرب في حلس المغرب ٤٣٧

أعمال الاعلام : ١٧٥

(٢) - الحلل الموشية : ٧٧ - ٧٨ .

(٣) - المصدر السابق : ١٣٤

واستقلت بلنسية رسميا عن قرطبة - مقر الخلافة - منذ بدء الصراع على الخلافة في بداية القرن الخامس ، وإن كانت مستقلة - حقيقية - منذ وقت مبكر ، إذ لم يكن لها شأن يذكر في تاريخ سياسة بني أمية في الأندلس^(١) ، استولى عليها مادمسك الماس في بداية الامر ، ثم انفرد بحكمها اثنان من الفتيان الماسية ، هما " مبارك " و " مطهر " ، ساساها معا الى أن مات مبارك وثار أهل بلنسية " بمطهر " وولوا عليهم فتى يدعى " لمبيب الدستلي " ولكن لم يلبث هذا أن أخير في الحكم مدة ليلة ، فقد اضطر الى الفرار ، والاعتماد على " بن يندة " ملك برشلونة النصراني . خوفا من تقصية العامة عليه ، لانصرافه ومداخلته المدو ، ولنفس السبب نقم عليه أهل بلرلوشة ، بعد أن ولوه أسرى لادهم ، فقتلوه ، واستقدموا ابن هود ليعمل المدينة ، ولكنهم اضطردم بمجاهد الماسي الدالاح فيها ، ونشبت بينهما حرب موجاء ، ثم آل الامر في تلك النواحي - بعدئذ الى مفيد المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي عامر^(٢) ، فحكم الى أن توفي في حدود سنة (٤٥٢ هـ) وخلفه ابنه عبد الطك (المطهر) ، وكان ضعيفا ، مغلوبا على أمره ، وحكم الى سنة (٤٥٧ هـ) حيث أنزله سهره المأمون ابن ذي النون عن بلنسية ، وأصاب عليها أبا بكر بن عبد العزيز الكاتب ، ونشبت ولاية تابعة للمملكة مدة حياة المأمون ، وبعد موته مباشرة ، ان في سنة (٤٦٢ هـ) أعلن أبو بكر استقلاله ، وحكم الى سنة (٤٧٨ هـ) . وقد ساد فترته الأمن ، لمدله وحسن تدبيره^(٣) ، وتولى الحكم بعده ابنه أبو عمرو عثمان ابن ابي بكر ، لكن القادر بن ذي النون ، انتفى عليه - مدعوما بقوات الفونسو

(١) - دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ٤ : ١١٩

(٢) - الذخيرة ٣/١ : ٢٠-٢١ ٢٤٩٠ وما بعدها .

(٣) - البيان المغرب ٣ : ٣٠٣-٣٠٤ - الحلة السيرة : ٢ : ١٢٩

السادس - وأخذ منه . بلنسية كبدل موعود به ، مقابل المديلة التي تنازل له عنها سنة (٢٨٨ هـ) ، ولم يدلل حكم القادر بلنسية ، فقد عرف أهلها سيرته ، وكرهوا حياة النذل في ظل ماله النصرانية ، فثاروا عليه في سنة (٢٨٥ هـ) بقيادة الفاضل أحمد بن جحاف ، وقتل القادر ، وانتهت أمواله ، وفي هذه الفترة وجه ابن هود - أحمد بن يوسف المستعين - صاحب سرقسطة أنظار " رزريق " الفارس النصراني المخامر المصروف بـ " السيد " - إلى بلنسية ، وأمدّه بالأموال والعتاد ، ليهوى في نفسه ، فحمل " السيد " على المدينة حملات عنيفة وشدد الخناق عليها بناراته المتكررة ، ففسد زرعها ، وضيق أرزاقها ، وتمكن - بعد أعمال الحيلة - من دخولها ، وعاشت جيوشه فيها فسادا ؛ وكانت نهاية ابن جحاف مأساة تزلزلت لها الجزيرة ، وذلك بأن أحرقه حيا مع جطة من الأعيان . على مرأى من أهل الذين نجوا من نفس المصير بصعوبة . وتصبح بلنسية - بدءاً من سنة (٢٨٨ هـ) (٢) ولاية نصرانية تستمر إلى سنة (٢٩٥ هـ) حيث افتكها الجيوش المرابطية من أيدي النصارى ، وحررتها من سيطرة جبروتهم . . . وذلك أن المسلمين بشرقي الأندلس قد استخرجوا - كسرهم - يوسف بن تاشفين ، وأنفذوا إليه الرسل في ذلك ، لاشتداد ولادة النصارى على ذلك الاقليم لضممه ، فكان أن وجه - استجابة للأمر - إلى بلنسية جيشاً بقيادة داود بن عائشة ، وأراده بجيش آخر بقيادة محمد بن تاشفين ، حميد الانتها من فتح حصن ليبل مباشرة ، وكان ابن جحاف قد استعان بهم - بالمرايطين - في ثورته على القادر بن ذي النون والحامية النصرانية ، ولكن السيد شرط عليه إهماد المرايطين مقابل الكف عن المطالبة

(١) - الذخيرة ٣/١ : ٩٣

(٢) - نفسه : ٣/١ : ٩٧ وما بعدها . البيان المغرب ٣ : ٣٠٥

- أعمال الاعلام : ٢٠٣-٢٠٤ - دول اللوائف :

٢٢٢ وما بعدها .

بلنسية ، فأحمد هم ابن جحاف ، إلا أن السيد غدر به . واستولى على المدينة
 وأمر مرسية فنقل دخلت تحت إمرة المرابطين منذ سنة (٤٨١ هـ) أي منذ الفاء
 النيز على صاحبها ، والثائر بها عبد الرحمن بن يثرب أثناء مداعرة حصن ليهل ،
 ودانت سلطنة لحكم المرابطين في سنة (٤٨٥ هـ) ، وتبعها شقورة ودانية
 في نفس العام . واشتد حصار المرابطين لبلنسية ولاحقوا قوات السيد بها ،
 وألحوا في طلبها ، فأنحطرت خمينا * - زوجة السيد - أن تفادى المدينة
 عنرجت منها ، بعد تنفيذ أمر ألفونسو بتخريبها ، واضرام النار فيها^(١) . وأما
 السيد فكان قد توفي قبيل ذلك أي في سنة (٤٩٢ هـ)^(٢)
 ودخل المرابلون بلنسية في سنة (٤٩٥ هـ) بقيادة محمد مزدي فجدوا
 بناءها ، وعاد إليها أهلها ، فرجعت إليها الروح الإسلامية من جديد . ثم تداول
 الأمر فيها - بعدئذ - بين عمال المرابطين ، وهو عبد الله بن عائشة (القائد)
 وأبو بكر إبراهيم بن تيفلويت ، وأبو الدائم تميم بن يوسف ، وعبد الله بن فاطمة ،
 وأحمد عبد الله مسند بن الحاج ، وإبراهيم بن يوسف المبروف بن تاعيش^(٣) ، وشهرام ،
 خاضعوا لسياسة المرابطين الولائية ، وانسجما مع حركة الجهاد المستمرة .

(١) - الذخيرة ٣/١ : ١٠٠-١٠١ - البيان المغرب ٣: ٣٠٦ -
 الروض المعمار: ٩٧ - دول الطوائف : ٣٥٨

(٢) - أشباغ : ١/ ١١٥

(٣) - قيام دولة المرابطين : ٣٥٠ .

الحياة الاقتصادية

تميزت الاندلس منذ القديم - وإلى الآن - بكثرة وديانها وأنهارها ، وصلاحيه قسم كبير من أراضيها للزراعة بأنواعها ، وقد أسهم المسلمون بدور كبير في توسيع هذه الأراضي وتنميتها . وتصريف المياه إليها ، ولم يكتفوا بهذا المصدر الطبيعي المهم ، بل تنهبوا - أيضا - لثروات طبيعية أخرى ، سواء منها الحيوانية أو المردنية ، فاعتنوا بتربية الحيوانات ، ونقبوا عن المعادن ، وأفادوا منها في بناء نهضة حضارية رائدة في القرنين الوسطين ، وكان لموقع الاندلس المهم ، بين أوروبا وأفريقيا أثره الفعال في تعميق هذه النشاطات الحضارية وتنويعها : ولكي يتضح ذلك ، ينبغي أن نلقي نظرات اجمالية على قطاعات الاقتصاد الحيوية من زراعة ، وصناعة ، وتجارة معتمدين في ذلك على ما جاء في كتب الجغرافية والتاريخ من أخبار عن هذه الفترة .

• ١ •

الزراعة :

اشتهر الاندلسيون بحبهم لبلادهم ، وحياتهم بها حياما شديدا ، استمر معهم حتى بعد خروجهم منها ، وما ذلك الا لانهم بذلوا جهدهم في اصلاحها واعمارها ، فخذت جنة في أعينهم لم يفارقوها الا مرغمين . استغلخوا الأراضي ، فحولوها الى بساتين وحدائق . وشقوا إليها سواقي تمدها بماء الأنهار ، وغطوا المرتفعات بأنواع الأشجار والكروم ، وذلك بطرق فنية علمية لم تزل تشهد على براعتهم حتى الآن ، وتؤكد نبوغ علماء الزراعة الاندلسيين وتقدمهم في هذا المجال ، والذين برز منهم في القرن الخامس الهجري عبد الله بن بصال الطليطلسي صاحب كتاب " الفلاحة " وأبو عبد الله محمد بن مالك الطنجي الفرنجلي في أواخر هذا القرن ، وله كتاب سماه " زهر البستان ونزهة الانهار " ، وابن الصوام الاشبيلي في القرن السادس ، وله كتاب في الفلاحة أيضا - وكلا الكتابين " الفلاحة لابن بصال ، والفلاحة لابن الصوام يمتازان بمتانة علمية قوية ، وباستيعابه لمختلف

المسائل والتنبؤ الزراعي خير بهيد عن مستوى الزراعة الحديثة ، وهو أثر من آثار
 الدافع المادي الواضح الذي اتخذته الفنون الزراعية على يد علماء الزراعة الاندلسيين .^(١)
 وقد طهر أثر هذا النبوغ واضحا من خلال الكمية الكبيرة من الأوصاف التي تناقلتها كتب
 الجغرافيا والتاريخ لهذه الفترة ، فكونه بلنسية ذات سافة بعيدة ، وضافها لأهلها
 عظيمة ، جمعت البر والبحر ، والزرع والنسرع ، ولها السهل والجبل . . . وجميع
 أحاليها وحبالها منترسة بالكروم وأشجار التين والزيتون^(٢) وهي على نهر جبار ينتفع
 به ويسقي المزارع ولها عليهم سياتين وجنات وعمارات متصلة^(٣) . وجزيرة شقر . . . حسنة
 البقاع كثيرة الأشجار والثمار والأنهار^(٤) . وأما جيان^(٥) فقد جمعت تنامي
 الحبيب الأرض ، وكثرة الثمر والطراد الميرون^(٦) ، وأرض كورة البهرة^(٧) ، سقيا ،
 فزيرة الأنهار ، كثرة الثمار ، ملتفة الأشجار ، يحسن فيها شجر الجوز وقصب^(٨)
 السكر^(٩) . وجزيرة^(١٠) ماسية ، جزيرة حسنة كثيرة الكروم والاعناب^(١١) ، وجزيرة
 منورقة^(١٢) من أغصاب بلاد الله تعالى أرجاء ، وأكثرها زردا ورزقا وماشية ، وهي على
 انشلاعها من البلاد مستغنية عنها ، يصل فاضل خيرها الى غيرها ، ان فيها من
 الحنارة والتسكن والتمتع وعظيم الهادية ما يفنيها ، وفيها من الفوائد ما فيها^(١٣) ،
 وبلدية سرسطة الحبيب البلدان بقمة ، وأكثرها ثمر ، لكثرة الفواكه في مساتينهم
 حتى لا يقوم ثمنها بمؤونة نقلها لرخصها^(١٤) ، واشتهرت اشبهلية كذلك بالحبيب

(١) - مجلة العربي ع : ١٤٤ / ١٩٧٠ : ٨٤٨٨ - المغرب ٩ : ٢

(٢) - فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ، قطعة منه : ١٦

(٣) - جملة المنابر وأرض السودان ومصر والاندلس : ١٩١

(٤) - نفسه : ١٩٢

(٥) - فرحة الانفس : ١٥ الروض المعطار : ١٨٣

(٦) - نفسه : ١٤

(٧) - الادريسي : ٢١٤

(٨) - رسالة الشقندي : ٥٩

(٩) - الادريسي : ١٩٠ - الروض المعطار : ٣١٧

ترتبتها وكثرة مياهها ، وجبلها المعروف بجبل الشرف ذي البقعة الشريفة ،
والترية الكريمة ، والمقبرة الدائمة ، لا تكاد تشمس منه بقعة لا لتضيق
زيتونه . واشتغال غصونه ^(١) .

وعد ساعد على هذا النماء الزراعي سياسة المراهبين في الفناء الطوس غير المشروعة
وتوفير الأمن ، وإقلاع المخلصين من الجند أراضي لاستثمارها ، فكان أن أقبل
الفلاحون على الأراضي ، ونمحوها من وقتهم وجهدهم ، وصيروها جنات خضراء ،
بأنسة الثمار ، غزيرة المذاق ^(٢) .

٢

الصناعة والتجارة :

ازدهرت صناعة السفن في مناطق متعددة من شرق الأندلس ، في طرطوشة
ودانية ، ولقنت ، وبجاية والعمرة ، وكان لهذا ازدهار دور إيجابي في ترويج
الصناعات المختلفة وتطورها ، فلمت العمرة بصناعاتها الكثيرة ، " كان بها من
طراز الحرير ثمانية المراز ، يعمل بها الحلل والديماج ، والسفلاطون ، والاصهباني
والجرجاني ، والستور المكلفة ، والثياب المصينة ، والخمر ، والعتابي ،
والمعاجر ، وصنوف أنواع الحرير . . . ويصنع بها من صنوف آلات النحاس والحديد
الى سائر الصناعات ما لا يحصى ولا يحصى . . . وادبها تقصد مراكب البحر من الاسكندرية
والشام كله ، ولم يكن بالأندلس كلها أسير من أهلها مالا ولا أتجر منهم في
الصناعات وأصناف التجارات تصرفا وادخارا ، وعدت - لأهميتها - في أيام
المراهبين مدينة الاسلام .

واشتهرت بنفسية بأسواقها وتجاراتها ، ونسجها الذي يسفر لاقطار المغرب ،
وبرخاوة الاسمار وكثرة الخيرات ^(٣) ، وشاطبة بصناعة الورق الذي لا يوجد له نظير
بمعمور الأرض . وبهم المشايخ والمغارب ^(٤) ، و " جيان " بالحرير ، لتربية

(١) - الروض المعمار : ٥٩ - ٣٣٩

(٢) - الاستقصا . في اخبار دول المغرب الأقصى : ٣ : ٧٣-٧٤ ، قيام دولة المراهبين :
٤٠٤ - ٤٠٥

(٣) - الادريسي : ١٠٩ - ١١٦ - فرحة النفس : ١٤

(٤) - الادريسي : ١١٦ - نفسه : ١٤ ، الروض المعمار : ٥٣٨ - قيام دولة المراهبين (٤٠٠ -
٤٠١)

(٥) - الادريسي : ٩١ - فضائل الأندلس وأهلها : ٥ - الروض المعمار : ٩٧ .

(٦) - Encyclopedie de l'Islam , t.4 : ١٠٧٤

(١)

دوده بكثرة في براديهها وجوانسردا ، ومالقة بالنسج ، فنيها ، " تنسج
الحلل الموشية التي تجاوز أثمانها الآلاف ، ذات الصور العجيبة المنقحة برسم
الخلفاء فمن دونهم ، وساحلها محط تجارة لمراكب المسلمين والنصارى .^(٢)

كما عرفت " مرسية " بصناعة البساط التنظيمة التي تسفر لبلاد المشرق ، وبالبحر
التي تغلف بها المحيطان المبهجة للبصر^(٣) ، وعرفت أشبهية بكثرة وليمب زيتها ،
الذي يتجهز به إلى الآفاق براً وبحراً ، وقطنها الذي يعم بلاد الاندلس ،
ويتجهز به التجار إلى افرقية وسجلماصة وما والاها ، وقرطبة بأسواقها
الدامرة وصناعاتها الكثيرة ، ودلت رسالة ابن عبدون الاصلاحية على المدن الذي
وصلت اليه ضروب النشاط الاقتصادي الاخرى ، من صناعات مختلفة ، وحركة
أسواق^(٤) ، وكانت سرقسنة تمثل الدور الكبير في " ترويج التبادل التجاري

والمهني ، بين الشرق والغرب ، - ان كانت - تستقبل شطراً كبيراً من تجارة
المسلمين وتجارة الاندلس والمغرب ، وتعمل على تصريفها إلى الأم الأوربية
عن طريق شتور فرنسا الجنوبية وشتور إيطاليا^(٥) .

هذا في الاندلس وأما في المغرب دار الامارة ، فقد كان النشاط الاقتصادي
في أوج قوته ، خاصة ، وأن أكثر العلماء ، وكبار الصناع ، قد التحقوا بأبواب
المسلمين ، وعرضوا عليه مواهبهم ، ونواحي ابداعهم ، فاشتهرت " مراكش " في
ذلك الحين ، بصناعة الصابون والمفازل ، وفاس بصناعة الدباغة وتسهيل الحديد
والنداس والمزجاج والكافد ، كما فدت سجلماصة أهم مركز تجاري في أطراف

(١) - الادريسي : ٢٠٢ - فضائل الاندلس وأهلها : ٥٥

(٢) - فضائل الاندلس وأهلها : ٥٨

(٣) - نفسه : ٥٤

(٤) - الروض الممار : ٢١ ، ١٥٣ - (رسالة ابن عبدون : ٣٤ وما بعدها)

(٥) - دول اللواتف : ٢٨٥ .

المحراء^(١) ، وكان لموقع الاندلس والمغرب الجغرافي ، دوره في تلوهر عطية التسويق على نطاق واسع ، ان كانت موانئها تشهد حركة تجارية دولية نشطة .

وبازدياد هذه الحركة التجارية الدولية ، ازدادت الثقة بالدينار المرابلي فقويت قيمته ، وراج في الاسواق ، حتى كاد يصبح عملة دولية ؛ وقد انعكس هذا النشاط الاقتصادي على المجتمع الأندلسي في مدنه المختلفة ، وفي غالب الاموال ، وخاصة في ظل الاستقرار والامن الذي وفرتة الدولة المرابلية - في صدر حكمها وعز سبلانها ، بالرفاهية والرخا^(٢) .

(١) - نيام دولة المرابليين : ٤٠٠ - ٤٠٦ .

(٢) - بنفسه : ٤٠٣ - السري (مجلة) ٢٧٦٠٤ / ١٩٨١ : ١٠٨ - (١١٢ - ١١٣) .

(٣) - الاستقما : ٣ : ٧٣ - ٧٤ .

الحياة الاجتماعية

بلغت الأندلس في القرنين الخامس والسادس ستون حضارياً راقياً في كافة مجالات الحياة ، من علوم وسناعات وفنون ؛ الأمر الذي كان من شأنه أن يفضي مطالب المجتمع الأندلسي كله ؛ إلا أن انقسام الأندلس إلى دويلات متناقضة ومتصارعة قد هزم غالبية الرعية نعيم ذلك التطور ، وجعلها مصدر جبهة تفنن ملوكها في استبدادات أساليبها ، وذلك لفرضين :

الأول : لدفع غرامات سنوية ثقيلة فرضها عليهم ظهرو المد والنصراني في ذلك الحين مستغلاً فقرتهم ونزاعهم وانصرافهم عن وسيلة بقائهم واستمرار وجودهم ، عن الجهاد الذي انعكس مفهومه في عهدهم ، وتحول إلى محروب أهلية ، تعلن لأتفه الأسباب بدلاً من أن يكون سداً بين بلاد الإسلام وأطماع النصارى الوثنيين .

الثاني : لتفدية النفقات التي اقتضتها عملية التنافس المستمرة بين أولئك الطوائف في قضايا هامشية ، استدعتها شهوة الملك ، والظهور بمظهر العظمة والتسلط فقد أقبلوا على تشييد القصور ، وإنشاء الحدائق والمتنزهات ، والاسراف في الحفلات وإقامة المجالس اللاحمة ، كما سارعوا إلى اقتناء كل غال ونفيس من وسائل التزيين والترفيه ؛ فروى أن الممتد بن عباد (- ٤٦١) صاحب أشبيلية ، أنه " كان يحتفظ بسرب من الحظايا مصم سبعة أوثاناً امرأة ، وأنه كان ينفق أموالاً عظيمة على الإهنية الشامخة ولا سيما القصور والقلاع ، مهملًا

(١) - (في حابل ذلك) - السجادة أصلاً شديداً . يوسف أساميل بن ذي النون المنتزب على الليلة " بالهزل بالمال ، والكلف بالأملاك ، والتتخير في الانفاق (٢) ، كما وصف ابنه المأمون بالاسراف في تشييد القصور السنادرة ، والبدخ في إقامة الحفلات والأفراح (٣) . ومن عجيب ما يروى عنه أنه دخل عليه - بعد هجوم البلاغة

(١) - الذخيرة ٢٦ : ٢ / ١ - أشباح ٤٣ : ١

(٢) - نفسه ٤ / ١ : ١٤٣ .

(٣) - نفسه ٤ / ١ : ١٢٩ وما بعدها .

فرناند وعلى ملكة بيطليوس وعيائسه فيها سببا وتخريها ، فوجد في حالة من
الغضب شديدة ، فظن أنه قد ساء ما حل ببطليوس ، إلا أنه اكتشف - بعدئذ -
أن مصدر ذلك الغضب كله هو تهاون الصنائع ومماطلته في بناء القصر المعجيب الذي
كلف بإنشائه^(١) .

وأما أبو الحزم بن جمهور ، على الرغم مما وصف به من حسن السياسة والتدبير ،
والتخفيف من الحكوس ، فقد كان أيضا - مهتما بنفسه ، جمع مالا كثيرا ، وحاطه
ببخل شديد ومنع خالص . وينطبق انوصف نفسه على ابن رزين صاحب السهولة
مع زيادة ولعه بالجواري ، ولهته في شرائهن ولو بأرفع الاسعار ، يحكى أنه
اشترى جارية أبي عبد الله المتلمب بن الكتاني ، بعد أن أحجمت الطول عنها
لفلاء سمرها ، فأعلاه فيها ثلاثة آلاف دينار فطكها . . . ، وللمهين بكل
جهة ، وجعل ذلك يدنس - ، حتى اجتمع عنده منهن مائة وخمسون
حنيفة^(٢) . وهذا غرض من فهم ، والا فقد عت هذه الظاهرة طوك الطوائف لم
يشذ منهم أحد ، وكان تشييد القصور ، وجمع الأموال والنفائس ، واقتناء
وسائل البذخ والترف " موضة " اجتاحت العصر كله ، وكان أثرها على الرعية
سسيء . المواقب ، ثقیل التبعات . وأما بلنسية وما حولها ، فقد كانت
الحياة فيها هادئة وعادية لبساطة المعيش فيها . واعتماد اكثر أهاليها على
الزراعة والتجارة والتي رخصت فيها أسمار البضائع لوفرتها ، ولكن هذا الاستقرار
لم يكن مطردا ، فقد تمرنت بلنسية بأعمالها - لفتن وخطوب حرمت أهلها
نعمة ذلك الاستقرار ، وأصابهم ما أصاب غيرهم من سكان الاندلس ، بل أكثر .

(١) - المصدر السابق : ٤ / ١ : ١٤٧-١٤٨ .

(٢) - نفسه : ٣ / ١ : ١١١-١١٢ - ابن خفاجة : ١٧ .

أضمت بلنسية في عهد مبارك ومظفر المامريين مصدر جبابة عظيمة ، * بلغت
 مئة وعشرين ألف دينار في الشهر ، سبعين بلنسية وخمسين بشارية ،
 تستخر بأشد العنف من كل صنف * (١) ، فوقعت الرعية من جراء ذلك فسي
 بلاء عظيم حتى انما طرأ أكثرها * للبس الجلود والحصر ، وأكل البقل والحشيش
 وانما طر غيرهم للجللاء عن مواهم ، والتخلي عن قراهم (٢) . كل ذلك ومبارك ومظفر
 لا هبان * قد انغمسا في النسيم الى قم رؤوسهما ، وأخذوا الى الدعة ، وسارعا
 في قناء اللذة ، حتى أربوا على من تقدم وتأخر (٣) ثم خفت الوطأة قليلا - على
 أهل بلنسية ، بعد أن حكمها عبد العزيز بن أبي عامر (٤٥٢ -) ، ولم تتحسن
 حالتهم كثيرا في عهد ابنه عبد الملك (المظفر) ، الذي كان * ضيما في الشرب
 غاربا عن الخصال المحمودة مع رقة الديانة ، ونقص المروءة ، وكثرة الاستهبال
 والاعتباط في مهاوي اللذات لا يصنع (كذا) لوعظ واعظ ، ولا يقبل لنصح ناصح
 لكنهم نعموا بنوع من الاستقرار والرخاء في عهد أبي بكر بن عبد العزيز (٤٧٨ هـ) ،
 فقد وصف بالعدل وعسن السياسة وانتدبير ، وبمده توالت حملات النصاري
 على بلنسية ، واشتد حصار * السيد * لها في سنة (٤٨٧) . فعاشت
 - اهان ذلك - محنة قاسية ، فقد * هلك أكثر الناس جوعا وأكلت الجلود والدواب
 وغير ذلك . . . ، وكثير الفلاء ، وتغشى الوها ، وفتك فيهم الجوع
 حتى اقبلوا على الجيف من بني آدم يترمقون بها . (٦)

-
- (١) - الذخيرة ١/٣ : ١٥-١٧
 (٢) - نفسه : ١٩
 (٣) - نفسه : ١٨
 (٤) - البيان المقرب ٤ : ٣٠٢
 (٥) - نفسه : ٣٠٤
 (٦) - نفسه : ٣٢-٣٩

ولم تسلم المدن والقرى التابعة لها ، فقد تعرضت شقرا ، وشاطبة للهجمات معاملة انتسـف فيها الزرع وروعت الانفس ، وتغلب " السيد " على بلنسية ، فأذل أهلها ، وأذاقهم مرارة الحرمان ، فهجر أكثرهم من وطنه ، ولم يمضوا إليها الا بعد أن أخرج المراهلون النصارى منها راغبين ، فكانت فرحتهم بهذا الانتصار كبيرة ، رغم ما أصاب المدينة من الحرق والهدم على أيدي النصارى أثناء خروجهم منها في سنة (٤٥٤ هـ) .

وانعكس انحراف ملوك الطوائف عن الجادة ، انمكسا سيئا على الرعية ، عذب اليها الفساد ، وتفشيت فيها عوامل الانحطاط والتدني ، فصار شرب الشراب عاديا ، وانتشرت مجالس اللهو والرقص والدرج هنا وهناك ، عند ذكر ابن سبيد أن وادي اشبيلية لم يكن " يخلو من مسرة " ، وأن جميع أدوات الدرب وشرب الخمر فيه غير منكر ، لا ناه عن ذلك ولا منتقد ، مالم يؤد السكر الى شر وعريضة (١) ، وأن بأهذه * من اصناف البلاهي والرواغن المشهورات بحسن الاندماج والسنعة ، فانهم أخذوا خلق الله تعالى باللعب بالهسيوف والدف واخراج القرون والمرايط والمتوج (٢) . وانسحب ذلك على غيرها من الأماكن والمدن وساعد على انتشاره انقلاب حركة الجهاد وتمزق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد نكبت الرعية في حياتها كما يقول ابن حنان - في هذا القرن - بفساد ملحقها فالأمرأ قماسدون ، والفقهاء أعتهم صموت عنهم ، صدوف عما أكد الله عليهم من التبيين لهم ، قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم ، خائض في أهوائهم ، وبين مستشعر مخافتهم أخذ بالتقية في صدقهم ، وأولئك هم الأقلون فيهم (٣) .

(١) - غنائل الاندلس وأهلها : ٥١

(٢) - نفسه : ٥٦

(٣) - الذخيرة ٣/١ : ١٨٠ - ١٨١ - السيمان المغرب . ٣ : ٢٥٤

* أهذه : مدينة صغيرة أندلسية ، تغرب من بهاسة وهي على مقربة من النهر الكبير وبها مزارع وغللات .

الا أن هؤلاء الفقهاء انقلت قد تمركزوا ، وتحركت معهم العامة ، فمالت قلوبها الى غير ملوكها .

وكان دخول المرابطين الى الأندلس في أواخر القرن الخامس نقطة تحول في حياة الأندلس كلها ، فقد توحدت ، وأصبحت ولاية تابعة لعراكش دار الأمانة ، يمثلها أمراء يمينهم أمير المسلمين ، كلهم من لحنونة ، يمارسون سلطة شبيهة مطلقة على الكور التي كلفوا بتدبير شؤونها ، وسارت الأمور على مايرام بين الأندلسيين وحكامهم الجدد ، سعية وتعديرا ، وتعاونيا مشتركا ، ونياحا مدازما بتفسيره انجذاب والاصلاح المستمرة ، وقد أسهمت مراقبة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وابنه علي ابن يوسف ، في صدر ولايته ، والفائهما المكوس والعرائب غير المشروعة في تميم هذا التكافل الاجتماعي الرفيع (١) .

لكن حدثت بعض ظواهر عكست صفوه هذه العلاقة ، وكادت أن تقلبها الى ضدّها ، فقيام دولة المرابطين على أساس ديني خول للفقهاء استلام مركز الإدارة في السلطة ، خاصة وأنهم هم الذين سجدوا لدخول المرابطين ، فكان أن كثروا كثرة مذهلة ، وظهروا بكيفية لم يكونوا قادرين عليها من قبل ، وكان إيثار أمير المسلمين لهم على غيرهم ، وعدم ته في الأسور الا باستشارتهم (٢) ، قد أطلق سلطتهم ، فاجتهدوا بأراء شهتوا بها على أهل الأندلس الذين اعتادوا الاندلس في زمن الطوائف ، وكان اقبالهم على الدنيا وجمع الأموال مثار نقمة فئة من أهل الأندلس ، وعلى رأسهم الشمرات الذين هجومهم باقذع الكلمات ، حتى أن شاعرنا ابن خفاجة لم يسمت عنهم فقال فيهم :

(١) - الأنييس المطرب : ١٦٧ ، قيام دولة المرابطين : ٤٠٢

(٢) - المعجب : ١٧١ .

درسوا العلوم ليهلكوا بهجد الهم
ففيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة
في أخذ مال مساجد وكنائس^(١)

وكان أبرز الرأى الدستورية من السياسة الاندلسية ، ومشاركتها في الحياة
بكيفية لم تشهد لها الأندلس من قبل ظاهرة أخرى ، انعكست على الوجود المراهطي
في الأندلس ، فقد استوليين - كما يقول المراكشي ، ولعله قد بالغ - على
الأموال ، وأسندت اليه من الأمور ، وصارت كل امرأة من أكابر المتونة ومسوفة
مشتتة على كل منسود وشهير وقاطع سبيل ، وصاحب خمر وما خور . وقد اشتهرت
بنفس مريم بنت ابراهيم وكانت كما يقول ابن دحية : فاضلة^(٢) ، وقد
مدحها ابن خفاجة^(٣) وحماد مدوحة الأعشى التطيلي^(٤) ، كما تفرش غيرهم
من نساء الأمراء والوزراء - لنفوذهم - لاطراء الشمراء ومدحهم . وأسهمت
ظاهرة الشعور بالظلمة والتفوق لدى المراهطي ، واستغلال اللثام - شعار المراهطين -
من طرف المبيد وأصحاب الأهواء لقضاء المآرب والتعدي على الأموال والأعراض^(٥) ، في
تسبب الشعور بالحب الى كراهية عصبية بخيطة ، كما كان لتطور مراقبة السلطة العليا
للولاة في الأندلس ، أن مال هؤلاء الى الاستقرار ، وخففوا من حركة الجهاد
وركن بمنسهم الى الدعة ، وعقد المجالس اللاهية ، ففروا الشمراء والمفنيين^(٦) ،

-
- (١) - الديوان : ٣٦٦ .
 - (٢) - المصجب : ١٧٧ - قيام دولة المراهطين : ٤١٦ - ٤١٧
 - (٣) - المذخر : ٢٠١
 - (٤) - الديوان : ٤٦
 - (٥) - الديوان : ١٦ - ١٨
 - (٦) - ثلاث رسائل في الحسبة : ٢٨
 - (٧) - قيام دولة المراهطين : ٤٢٢ - ٢٣ .

واستشهدوا بدمائهم ، فمالوا الى الأسرار بجموعهم ، وسلبوا الجهاد على الرعية وأجدثوا فيها ألوانا من المكوس تحسيفوا بها الأمة ، وأرعقوا بها كاهلها ، حتى أن ابن خفاجة اشتكى غير مرة من هؤلاء العمال^(١) ، وأن ابن عبدون قد هاله ما رأى من الفساد ، فصور ذلك كله في رسالته ، التي تعد خطوة رائدة في مجال الإصلاح الاجتماعي في القرنين الخامس والسادس ، وقال في عبارة غتامية تفيض تشاؤما وبأسا : وبالجملة فإن الناس قد فسدت أديانهم وأنما . . . الدنيا الفانية والزمان على آخره . . . فكان نتيجة لذلك أن هانوا على عدوهم وزالت تلك الهيبة التي كانت لهم في القلوب ، فأخذ التصاري منهم سرسطة في سنة (٥١٢ هـ) وثارت بهم فريضة في سنة (٥١٥ هـ) وكان لنهوض المهدن وثورت عليهم في المغرب بدءا من سنة (٤١٤ هـ) وانصرفهم لمحاربتهم وأعمالهم الاندلس أثر كبير في ذلك المهبول السياسي والاجتماعي الذي أصاب الاندلس بعد ذلك^(٢) ، فقد تشتت قوتهم بين المدن والقرى ، وكثرت عليهم الفتن والشواري ، واغتصبت المدن وحالتهم هذه ، فصدتهم بقواته ، واستولى على أجزاء كبيرة من البلاد ، وعلى الرغم مما بذله كل من أبي الطاهر تميم و تاشفين بن علي من بعد ، من جهود في تهدئة الأحوال ، وكبح جماح الفتن ، فإن قلوب أهل الأندلس قد مالت الى القوة الجديدة ، قوة الموحدين ، التي انتصرت في عدوة المغرب على المرابطين فاستصرخوها ، وثاروا بالمرابطين في بلادهم ، حبسا في الدالة وتبدل الملوك - كما يقول ابن الخطيب - وقل أن رأوا إمالة أنفع أو أضر في قتال العدو من لمونة^(٤) . وتفرق شرق الاندلس ، وعاش فترة لبواشف جديدة ، منذ ثورته على المرابطين في سنة (٥٣٤ هـ) ، وبقي على تلك الحال الى أن دخل تحت طاعة الموحدين في سنة (٥٦٧ هـ) .

-
- (١) - ديوان ابن خفاجة : ١٧٠ ، ٢٤٥ - المصجب : ١٤٨ - أمباخ : ٢٠٧ : ١
 - (٢) - ثلاث رسائل : ٦٠
 - (٣) - السجب : ١٧٧
 - (٤) - أعمال الاعلام : ٢ : ٢٦٥ .

الحياة الفكرية

ازدهرت العلوم والآداب في قرطبة في القرن الرابع الهجري ازدهارا عظيما : فقد كانت كما يقول ابن بسام : " قرارة أهل الفضل والتقى ، ووطن أولي العلم والنهى ، وتلب الأقاليم ، وينبوع متفجر العلوم ، وقبة الإسلام وحاضرة الامام ، ودار صواب المقول ، وستان شجرة الخواطر ، وحر دور القرائح ، ومن أغنىها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر ، وفرسان النظم والنثر ، وبها أنشأت التأليفات البرائعة ، وصنفت التصنيفات الفائقة ^(١) . . . " وخاصة في زمن خلافة الحكم المستنصر بالله (٣٦٦ هـ) فقد كان عالما مثقفا ، محبا للعلم صوّثا لاهله ، مولدا بالكتب ، جامع منها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله هناك ، أرسل في طلبها إلى الأندلس ، واشتراها بأغلى الأثمان ، ونفق ذلك عليه وحمل اليه ^(٢) . فكان هذا العصر لذلك عصر ازدهارها في جميع مجالات الحياة ، وفرلما بعد من عصر رصيدا ضخما من الكتب ، وعددا جبا من العلماء الذين وزعتهم الفتنة في أرض الأندلس والمغرب وغيرها ، فأثروها بتأليفهم ، وتلاميذهم الذين غدوا نجوموا تألفت بهم سماء القرنين الخامس والسادس ، وازدانت بهم مجالس أمراء الطوائف فيما بعد ^(٣) ، فقد صارت كل ملكة - بعد انحلال الخلافة - " قرنية " جديدة في رسوم الطك ، وأبهة السلطان ، والاقبال على أهل العلم والأدب والفن ، والسهولة في أكرامهم وتقديرهم . - على اختلاف في درجة هذا الاقبال على هذا العلم او ذاك باختلاف ميول هؤلاء الأمراء ، والتي كان لها دور كبير في نوعية

(١) - الذخيرة ١/١ : ٣٣

(٢) - جذوة المقتبس : ١٣

(٣) - ابسوال أليب المتنبي (دراسة في التاريخ الأدبي) ، د. ر. ر. بلاشير : ٥٠٢ .

لذلك الاختلاف كما وكيفا . فقد برزت إشبهية في ميدان الأدب من شعر ونثر ، وكان
المستند بن عباد شاعرا ، وكان المعتمد ابنه . كما يقول المراكشي - غريب
الأدب ، شعره كأنه الحلال المنشرة ، واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب
ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس ، وكان مقتصرًا من المعلوم على الأدب ،
وما يتصل به وينضم إليه ^(١) . وكان سخاء بني عباد واغداقهم على الشعراء والأدباء
حسب الذي جعل ابن سنييد يفتخبرهم بذكره ويجعل من أيامهم أعيادا ^(٢) . فكثير
لذلك قصائدهم ، وأماهم كبار شعراء المرص كما بن زيد ، وابن عمار ، وابن اللبابة ،
وابن حمديس ، وعبادة القزاز ، وعبد الجليل بن وهب ، وغيرهم . وقد نفاض
أسرة بني عباد الشاعرة ، أسرة أخرى ، اشتهرت بميولها الأدبية والشعرية ،
ذلك هي أسرة بني صباد أصحاب المربة : فقد كان المعتمد وبنوه من الشعراء ،
وكان كما يقول ابن بسام :

” رجب الفناء جعزل المطايا ، حلما عن الدهاء والدهاء ، طافت به

الأنال ، واتسع في مدحه المقال ، وأعلت إلى حضرة الرجال ، ولزمه جملة من فحول
شعراء الوقت كابي عبد الله بن الحداد ، وأبي الفضل ابن شرف ، وابن عبادة
- المعروف بابن القزاز - وابن شهيد (أبو حفص عمر) وغيرهم من لم يحلق
بسواه سببا ، ولا شد إلى غير ذراه كورا ولا قتباً ^(٣) .

ولم يقتصر ابن صباد في مجلسه على الأدب وحده كما فعل المعتمد ،
بل نجده يفتقد في كل يوم خمسة مائة بيتا رثية الفخفاء والخوامس في كتاب
التفسير والحديث ^(٤) . كما انضم إلى مجلسه أبو عبيد البكري (٤٨٧ هـ)

(١) - المسجب : ١٠٦ .

(٢) - فضائل الأندلس وأهلها : ٣٢ .

(٣) - الذخيرة ١/٢ : ٧٣٣ .

(٤) - الحلة السيرة ٨٢ : ٢ -

الجغرافي المشهور^(١) . وأما المنظر صاحب بطليموس ، فقد كان : " أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع ، وله التصنيف الرائق والتأليف الغائق المترجم " بالتذكرة^(٢) والمشتهر اسمه أيضا بكتاب المنظر^(٣) ، في خمسين مجلدة ، يشتمل على علوم وفنون من مشاز وسير ، ومثل وغيره ، وجميع ما يختص به علم الأدب ، أهياه في الناس خالدا .^(٤) وكان عالما أكثر منه شاعرا أو كاتباً ، وكان يتتبع الشعراء ويحصد أعطالهم ، ويتفقد هم انتقاد أشدها ، ويرى أن من لم يصل بشعره إلى درجة شعر المتنبي أو شعر الممرى فالمسكوت أولى به^(٥) . وواصل ابنه غير المتوكل حماية هذا النشاط العلمي والأدبي ، مشاركاً هو أيضاً في المنشور والمنظوم^(٦) ، يؤثر مجالسة العلماء والشعراء على كل ماعداها^(٧) . وقد برز في دولتهم الشاعر الناصر المجيد عبد المجيد بن عبدون ، وهو الذي خلف آثارهم بمرتبته المشهورة ، ونحو القبطرنة : أبو بكر بن عبد المنير البطليموسي وأغواه أبو محمد وأبو الحسن ، وكلهم شعراء ، وابن البهن البطليموسي ومن كتابهم أبو بكر عبد المنير بن سعيد البطليموسي ، وأبو بكر بن قزمان - عم ابن قزمان الزجال - وأبو عبد الله محمد بن أيمن وغيرهم^(٨) . واتفرت ساحة اسماعيل بن ذي النون صاحب طليطلة من الشعراء والأدباء لبخله وتثنيه ؛ " فما اعطيت إليه مائة ، ولا حطت أحدا نحوه ناقة ، ولا عرج عليه أديب

-
- (١) - دول الطوائف : ١٦٧ .
 - (٢) - الذخيرة ٢/٢ : ٦٤٠ - ٦٤١ .
 - (٣) - نفسه : ٦٤١ .
 - (٤) - المقرب ١ : ٦٤١ .
 - (٥) - أشباخ : ١٠٢ .
 - (٦) - الذخيرة ٢/٢ : ٦٦٨ ، ٧٥٣ ، ٧٧٤ ، ٦٥٢ - دول الطوائف : ٨٨ .

ولا شاعر ، ولا امتدحه ناظم ولا ناثر ، ولا استخرج من يده درهم في حق ولا باطل ، ولا حادلي أحد منه بملأئيل^(١) . وأما المأمون ابنه ، وشقيق الرقيم بن اشتهاار ، بالبخل موأيلا - فقد احتفل بلاطه على العديد من الشعراء والكتاب منهم ابن شرف القيرواني ، وابن خليفة المصري ، وأبو الفضل البغدادي ، وابن أرفع رأسه الوشاح الدلملي المشهور ، كما الفت له بعض الكتب ، وأهدى له ابن حيان أحد كتبه التاريخية^(٢) . وكان نصيب ابن رزمين صاحب السهلة من أهل الادب مثل نصيب اسماعيل بن ذي النون ، فقد كان - على حد قول ابن بسام : " ضيق الفناء ، جهم اللقاء ، آخذق الناس بهرمان من قصده . . . وكان الشاعر اذا وفد عليه ، او مثل بهن يديه ، أخذ يناقشه الحساب ، ويفلق دونه الالهواب ، وينتحيه بضروب نقده ، ويصعب عليه من شأبيب برده ، حتى يخرج بين الحوادث والهاب ، ويرضى من الخنيممة بالاباب^(٣) . ولم يشتهر من بني القاسم أصحاب البهوت نشاط يذكر في المجال الحلبي والادبي ، الا أن ابن حزم وصف مجلد سهم بأنه حافل بأنساف الآداب ، وآهل بأنواع العلوم^(٤) . كذلك كان أبو زهرى في غرناطة قليلي الاهتمام بالادب والاحتفال بأهله ؛ وقد ذكر صاحب البيان المضرب وزير ، " موسى بن ماكسن ابن الدنرالة اليهودي ، ووصفه بالثرف والادب كما عد ابن الخليل من اعلام الادباء والافراد^(٥) ، وكان أبو اسماعيل ، كما يذكر ابن حيان - من أكمل الرجال علما وحلما وفهما وذكره . . . ، وكان دائم التفكير ،

-
- (١) - الذخيرة ٤ / ١ : ١٤٣ -
 (٢) - المضرب ٢ : ١٨٠١٢ - تاريخ الادب الاندلسي عمر اللوائف والمرايطين : ٧٥ .
 (٣) - الذخيرة ٣ / ١ : ٤٤٠ - ٥٠٠
 (٤) - فضائل الاندلس وأهلها : ٥٠
 (٥) - البيان المضرب ٣ : ٢٦٤ - ٢٦٤ - الاحاطة ١ : ٤٤٠ -

بسماء للكتب^(١) . وزير هذا شأنه ، قد يكون - بلا ريب - مقصد الشعراء
 السامعين ، وقد اشتهر منهم الاخفش القبذاقي^(٢) . وأما قرطبة ، فلم يحد لها
 ذلك البريق المذاب ، وتلك الحركة العلمية النشيطة ، فقد برزتها بلايات جديدة
 في تلك الحركة الثقافية المتنوعة في القرن الخامس ، ومع ذلك فلم يكن بلاده بني
 جمهور يفلو من شاعر مجيد او كاتب لامع ، وقد انجبت غرلبة من الشعراء ابن زيدون
 وولادة بنت المستكفي ، ومن الكتاب والعلماء ابن حيان المؤرخ ، وأبوالحسن بن سراج ،
 وابن حزم القرطبي ، الفقيه الاصولي والعالم المتقن في شتى المصارف والفنون
 وغير هؤلاء كثير . واما اذا اتجهنا شرقا الى مرسية ، في عهد أميرها عبد الرحمن
 ابن الحارث ، فستجد لها مقصد الشعراء والكتاب ، لاسيما^(٣) وأن أميرها ، فارس
 من فرسان الكتابة ، وامام من أئمتها المتقنين في مبادئها . وما زاد من الاقبال
 عليه جوده وكرمه ، حتى أن ابن عمار انتجعه في يداعة أمره^(٤) . ولم يكن
 للنشاط الادبي هذا كبير في سرقطة بني هود اذا ما قورن بحظ الدراسات
 الفلسفية والرياضية التي شهدت تطوراً ملحوظاً في ذلك الوقت ، فقد كان المقنن
 من العلماء ، شغوفاً بالفلسفة والرياضة والفلك ، كما كان ابنه المؤتمن قائماً على
 العلوم الرياضية وله فيها تأليف مثل " الاستهلال " و " المناظر " ^(٥) ، وقد
 وزر له من الكتاب المشاهير ابو عمرو بن القلاس ، وابو الفضل بن حسداي
 وابو العارف بن الدباغ ، كما نشأ ابن باجة الفيلسوف الرياضي في حضرتهم ،
 وعاش المفكر السياسي ابوبكر الطرطوشي صاحب " سراج الملوك " في ظل دولتهم

(١) - الاحاطة ١ : ٤٣٨ - ٤٣٩ .

(٢) - المغرب : ٢ : ١٨٢ .

(٣) - الذخيرة ٣ / ١ : ٢٥ .

(٤) - نفسه : ٢٥ .

(٥) - تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٦٣ .

(١)

رأى من نزل من المذاح ابن خير التليسي وأبراهيم بن مهدي النرسوني ،
 واهتزت باسمائهم كتب ، منها كتاب في المروءة لنصر بن عيسى (٢) . وتميز أبو الجيوش
 مجاهد صاحب دانية والجزائر الشرقية بتضلعه عن علوم الشريعة ، فقد ذكره ابن حبان
 فقال انه كان * يبين سائر الملوك في زمانه بخلاف من الفضل ، من أشقها السلم
 والمعرفة انلذان لم يكن في الاحرار ولا في العوالي أثبت قدما منه فيها ، يكاد يربي على
 متقلديها من اكابر العلماء في وقته ، لاسيما علم العربية ، فانه تحقق به الى ما يتصرف
 من علم القرآن ، قراءته ومعانيه وغريبه وتفسيره ، قد عني به لطلب ذلك من صباه الى اكتماله
 فكان في النهاية من البصرة ، وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه ، وأتت
 اليه العلماء من كل صقع ، فاجتمع بفناء جملة من مشيختهم وشيوخ طريقتهم ،
 كابن عمرو المقرئ ، وابن عبد البر ، وابن ميمون اللخوي ، وأبو الحسن بن سيدة ،
 فشاع العلم في حوزته حتى فشا في جواربه وقمانه ، فكان له من المصنفين
 عدة يقومون على قراءة القرآن ، ويشاركون في فنون من العلم ، يجلونه بها ويشرفون
 دولته (٣) ، الا أنه وعلى الرغم مما وصفه به ابن حبان من أنه كان أديب ملوك عصره
 لم يكن للشعر في فناء دولة ، فقد كان * من أزهدي الناس في الشعر وأحرمهم
 لأمله ، وأنكرهم على منشه ، ولا يزال يتمقبه عليه كلمة كلمة ، كاشفا لما زاغ
 فيه من لفظة وسرقة ، فلا تسل على نقده فافية ثم لا يفوز المتخلص من
 مناره ، على الجهد لديه ، بذائل ، ولا يحظى منه بذائل ، فأقصر

(١) - المغرب : ٢ : ٤٥٠ - ٤٥١ ، ٤٥٢ .

(٢) - التكملة : ٢ : ٧٤٦ .

(٣) - أعمال الاعلام : ٢ : ٢١٢ - ٢١٨ .

لشعره ، إذ لا يخلو من ذكره ^(١) . وفي جبهة مودقة جرت
المناظرة بين ابن حزم النرطسي ، وأبي الوليد الهاجي بين يدي واليها من قبل مجاهد ،
أبي العباس أحمد بن رشيق الكاتب البار والمعلم الأديب ^(٢) .
واستمرت هذه الحركة العلمية مع ابنه علي بن مجاهد - أقبال الدولة - فقد كان
حريصاً عليها ، محباً للعلم والسلم ، يتذوق الشعر وينعمه .

وحظيت ملكة بلنسية بفترات من الأمن والاستقرار ، في عهد عبد العزيز المأمري
(٤٢٠ هـ) ثم في عهد ابن وزيره أبي بكر بن عبد العزيز ^(٣) ، ساعدت على نشوء
مراكز علمية ذات شأن ، أقامها العلماء الوافدون على بلنسية من شتى نواحي الأندلس
وكان السطاح الحامي هو الخائب على أكثر هذه المراكز لم نقل على كلها في النصف
الأول من القرن الخامس على الرغم أن عبد العزيز المأمري قد أتحف - جلسته بأربعة من
مشاهير الكتاب سماهم الناس البائع الأربع ، وهم : ابن طائوت وابن عباس ، وابن
عبد العزيز المعروف بـ " ابن روض القرطبي " ، وابن التاكرنسي ^(٤) . ولم تحمّل
الحركة الأدبية العامة بالأهمية والرواج إلا في النصف الثاني منه ، وإلى ما بعد حكم
المراهقين لبلاد الأندلس ، فقد كان أبو بكر بن عبد العزيز (٤٧٨ - ٤٨٠ هـ) عالماً ،
حازماً ، فقيها عادلاً ، متمرداً للفتية ^(٥) ، " ماضي المراجعة ، مشهور البراعة ، متمسكاً
بالأدب ، ينسل إليه من كل حذب " ^(٦) . وإذا فقد كان المجال خصباً

(١) - الذخيرة ٣ / ١ : ٢٣

(٢) - الحلة : ٢ : ١٢٨ - ١٢٩ .

(٣) - Encyclopedie de l'Islam t.4 : 1128

(٤) - الذخيرة : ٣ / ١ : ٢٥٠

(٥) - البيان المغرب : ٣ : ٣٠٣ .

(٦) - قلائد الحقيان : ١٨٦

تمام ، نشأ هذا العلمي بغيره وخاصة العلوم الشرعية والفكرية التي برز فيها علماء كبار
 كأبي عمر بن يوسف بن عبد البر (- ٤٦٣) في الحديث ورجاله . وعلي بن خلف
 ابن بلال المعروف بابن النجاشي (- ٤٧٤) في الحديث أيضا ، وفي الخرافات
 ابن داود المقرئ (- ٤٦٦) وفي الفقه والحديث أبو الوليد الباجي (- ٤٧٤)
 وابن بلال البكري (- ٤٥٤ م) ، وأبو المطرف بن أبي تميم (- ٤٧٥) وفي
 اللغة تمام بن غالب بن عمر المعروف بابن التبان (- ٤٣٦) وإسماعيل بن سيدة
 والد أبي الحسن بن سيدة وتوفي بعد الإحصاء . . . وغير هؤلاء .
 هذه جملة نصوص ، بل هي جملة من الحقائق ، تلقي الضوء على الحياة
 الفكرية ، تنفعاتها في عصر اللوائف أوردناها لنستدل بها على ^(١) :
 * أن الحركة الفكرية لم يصبها ما أساب الناحية السياسية والاجتماعية من انهيار
 وهبوط ، فقد نمت وازدهرت على نحو يدعو إلى الإعجاب في تلك الفترة المثلثة
 من حياة الأندلس المسلمة .

* وأن أهمية اهتمامات الأمراء كان لها الدور الفعال في ذلك التباين الواضح
 والتنوع السبب في الدراسات التي اشتهرت بها كل دولة .
 * وأن الشعر لم يكن له بين تلك الاهتمامات مجال يذكر إلا في ثلاث بلاطات :
 بلاط بني الأفطس في بالمير ، وبلاط بني صامح في المريجة ، وبلاط بني
 مباد في أشبيلية ، وقد وجد الشعر في هذا الأخير ميدانا فسيحا ، وثرية خصبة .
 وجد حكاما شعراء ، يتذوقون الشعر ويثيرون عليه ، فكان من البداية ، أن
 تكون أشبيلية قبلة الشعراء من كل صوب ، لاسيما المنتجعون منهم ، فينال بنوعباد
 - تبعها لذلك - شهرة واسمة ، وجانها عريضا ، وسمة طيبة في أوساط
 الشعراء والادباء الذين استألفوا بأنفسهم ، وآثروهم بحبهم وتقديرهم ، بل وتقديرهم ،

(١) - قارن هذا به : تاريخ الأدب الأندلسي عصر اللوائف والمرايطين : ٧١ - ٨٠٠ .

وكان لهذا الظاهرة أثرها السلبي على العصر التالي : نصر المراهطين ، من حيث القيمة التاريخية على الأقل ؛ ففي الوقت الذي تميز فيه هؤلاء "الشعراء" وغيرهم للأعلاء من شأن مدحهم ، وصاحب نعمتهم المعتمد ، توجهوا بللائمة على المراهطين عامة ، ويوسف بن تاشفين خاصة ، واستغلوا جهله بالعربية ، وعدم فهمه العميق لمعانيها ، فلفقوا حكايات ، ونسجوا قصصا ، ضمنوها ورائع مفتعلة دعاهم اليها روح انتقامية عمياء ، وحقق دفين على هذا الذي عكر صفوهم ، وحرصهم نعمة ذلك الفردوس " المعتمد " وقد آورد الشقندي في رسالته بعضا من تلك الدفيا لات ، مستعينا بها في اثبات فضل بلده الاندلس على عدوة المغرب ، ولا يخفى - على ذي عقل - افتقار هذه الرسالة ، وشيرها في بابها - الى الموسوعية والانصاف العلمي . ونحن لم يؤلمنا ايوان الشقندي لها ، فهي تناسب موضوعه ، وتخلأ فراغا من رسالته ، ولكننا نأسف لان ما آورد الشقندي أمثله ليس بالباحثين كمسلطات بنوا عليها أحدا ما جانب السوابق في كثير من الاحيان فقد وصفه " دوزي " - بناء على ذلك - المراهطين بالجهل والهمجية (١) كما جعل " بالثيا " عصر سيادتهم على الاندلس عصر تأخر وانكماش للثقافة الاندلسية (٢) ولم ير فيه " غرثية غوث " اب شي " ينمي الادب بل عدّه محنة سادت على القيم الجمالية في الاندلس (٣) الى غير ذلك من الآراء (٤) التي يظهر تلذزها واضحا كلما رجعنا الى كتب التراجم الحافلة بأسماء العلماء والادباء الذين نهضوا في هذا العصر . وتسمنوا صهوة الشهرة ، وتركوا آثارا تدل على تقدمهم وتبريزهم . وهي حقيقة فرضت نفسها

(١) فضائل الاندلس واسلمها : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) *Histoire des Musulmans d'Espagne* ٤ : ٤٣٤ ١٩٤٠

(٣) تاريخ الفكر الاندلسي : ١٣١ .

(٤) مع شعراء الاندلس والكتني : ١٣١ .

(٥) أبو الطيب الكتني : ٥٠٥ - تاريخ الاندلس في عهد المراهطين والموحدين ٢ : ٢٣٦ ، ٢٥٠ .

على " غرثية غومث " وجعلته يرد آراء " دوزي " ، ويعدل عن آرائه المتطرفة
 الى آراء اكثر اعتدالا في كتابه " الشعر الاندلسي " ونحن نعتزف - بحق -
 أن مسحة من الفتور أصابت النواحي الأدبية بعامة - والشعر على الخصوص ،
 وأن وضح القصود الذي كان يذكي الشاعر الرسمية قد زال الى حين ، ولكن لذلك
 أسبابه : فالاستقرار وهو من أهم عوامل ازدهار الثقافة كان شبه معدوم عند
 السلاطنة التي كانت لا تستقر على حال ، استجابة لحركة الجهاد المتواصلة ،
 ودخول المرابطين الى الاندلس ، واحداثهم ذلك التفسير الحاسم الشامل في بنية
 المجتمع الاندلسي ، والذي تطلب ضمرا بواكب المرحلة شكلا وضمونا ، وهو ما يفسر
 تحميمه في الواقع في بداية أية دعوة من الدعوات ، ولا ننكر أنه وجدت هوار ، ولكنها
 لا تعد اذا قيست بذلك الكم الهائل من أشعار الذين وصفهم يوسف بن تاشفين
 على حد قول الشنقيطي " بمردي الخبز " ^(١) . وأدوار الشعراء ، في
 بلاطات الطوك ، ومواقفهم المستغذية من تصرفاتهم ، ونفخهم فيهم روح الكبرياء
 والفرور ، ربما هي التي جعلت امير المسلمين ينظر اليهم نظرتة الى ملوكهم ، ويحطهم
 مسرؤلية ما حدث بالامة من ومن ، وتخاذل ، جرأ عجزها على اقتحام حماها ، فحرمهم
 كما حرم ملوكهم متاع تلك الحياة اللامية . والحقيقة ، كما يقول " غرثية غومث "
 " أن الشعر الاندلسي لم يمت في عصر المرابطين ، وكل ما حدث أنه كيف نفسه
 بما هلك من الظروف الجديدة التي احاطت به ^(٢) . فلم يمر وقت طويل ، حتى
 عادت الحياة الى مبراما الداهية ، واحتل الشعر مركزه ضمن الاختصاصات الاخرى
 في عهد خلفاء يوسف بن تاشفين الذين " لم يلبثوا أن استسلموا لسلطان الثقافة
 القاجر ، وأصبحوا أقرب الى الاندلسيين منهم الى الافارقة " ^(٣) . ففقدوا المجالس ،

(١) - فضائل الاندلس وأهلها : ٣٣

(٢) - الشعر الاندلسي : ٥٧

(٣) - نفسه : ٥٨ - قيام دولة المرابطين : ٤٤٤ - ٤٤٥ .

واستمروا إلى الأبد ، بل وشاركوهم في نذوقه ونظمه ، كما حفلت دواوين
 أنشأهم بالكتاب البارعين ، فنشطت الحركة الأدبية - تبعاً لذلك - وانهمشت
 فيها حياة جديدة ، وثان للاستقرار والأمن الذي عم الأندلس في معظم مدة حكمهم
 دوره في تعميق هذه الحركة الأدبية والعلمية ، وتوسيع نشاطها ، كما فسح المجال
 للثلاثين الاجتماعي بين بلاد المغرب والأندلس على نحو أشد فاعلية (١) .
 وكان قيام دولة المرابطين على أساس المذهب المالكي ذا أثر في تعميق الدراسة
 في أصوله وسروعه ، وبروز علماء جلة في فقه المالكية كان لهم دور في دولة المرابطين
 وأثر فعال في توجيه سياستها في الأندلس والمغرب ، واشتهر منهم في الأندلس
 أبو الوليد بن زهيد الجند (- ٥٢٠) . تولى منصب قاضي الجماعة . وأبو عبد الله
 ابن حمدين (- ٥٠٨) وأبو بكر بن العربي (- ٥٤٣) . وفي المغرب لمع اسم
 القاضي عياض الحصبي (- ٥٤٤) وكانت له حظوة في دولة المرابطين ، وسعة
 حسنة بين العامة والخاصة ، لفقهه ، وتأليفاته الحسنة في الفقه والسيرة وعلم
 الرجال ، كما برز في علم الرواية والحد يثكل كل من أبي علي الصديقي (- ٥١٤)
 وأبي علي الغساني ، وأبي عمران بن أبي تليد (- ٥١٧) ، وهم أندلسيون ،
 وغير هؤلاء كثير . وأما الفلسفة وعلم النجوم فلم يحد لها بالمنايا الكافية ، لاجتماع
 أكثر الفقهاء ومن وراءهم العامة ، ويساندهم الحكام في أغلب الأحيان ، على حينها
 وملاحقة كل من اشتغل بهما ، بدوافع شتى ، من أندرها الانطلاق في ذلك من دافع
 الدرس على إيمان الأمة متمن تنفسي الشكوك والريب المغنمية بالمعزة من المسلمين
 إلى الزندقة والإلحاد ، وهي ظاهرة قديمة في الأندلس ، وكان لميول السلطان

والأمم في العناية في الأندلس من فتن وصراعات داخلية وخارجية أثر في استمرارها
 اليهود وأختفاء^(١) ، ولم يقف بهم الأمر عند هذا الحد ، بل نجدهم يبقون في وجه
 كل مذهب فقهي غير المذهب المالكي^(٢) ، خاصة المذهب الحنفي لاعتماده الرأي
 أساسا في تفسير المسائل واستنباط الأحكام ولعل ابن حزمين - قاضي
 الجماعة - وغيره ممن أفتوا بوجوب حرق كتاب الإحياء قد استندوا إلى هذا الأساس
 منافيا إليه حيث هو صاحب "الإحياء" كتابه بالكثير من الأحاديث الواهية والضعيفة ،
 ومع ذلك فقد كان لهذه الأهمية منكرون من بين الفقهاء أنفسهم ، فضلا عن
 الخوارج الذين ظلموا - مستغفبين - يهتمون بدراسة الفلسفة والتمسوا في
 مسائلها ، فخلفوا لنا رسائل ذات قيمة كبرى ، وفي مقدمة هؤلاء الفيلسوف
 الموسيقي الشاعر أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة (٥٣٢ -) صاحب كتاب
 " النفس " " وتدهير التوحد " ، ورسالة " الوداع " وغيرها ، كما أثر
 عنه مؤلف مهم في الموسيقى ، كان عليه الاعتماد في الأندلس^(٥) .
 وقد وزير ابن باجة للإمير المرابطي ابن تيفلويت ، ورثاه بعد موته ، كما نبغ
 في هذا الاختصاص ، صديق ابن خفاجة ، وربما استأذه ، ابن السيد أحمد
 البعلبكي (٥٢١ م) وله كتاب في " المسائل والأجوبة " ، وأبو الصلت
 الداني (٥٢٨ م) وبالك بن وسيم ، وكان من أئمة الفلسفة المغربيين إلى علي
 ابن يوسف^(٦) ، وأبو الحارث بن زهير مدوح ابن خفاجة ، وأدرك هذا العصر

-
- (١) - تاريخ علماء الأندلس : ت : ١٢٠٤ - طبقات الأمم : ١٠٢-١٠٣
 - فرائد الأندلس : ١١-١٢ ، البيان المغرب : ٢ : ٢٩٢-٢٩٣ .
 (٢) - تاريخ الفكر الأندلسي : ٢٢٣-٢٢٤ .
 (٣) - الدحل الموشية : ١٠٤-١٠٥ - الاستقصا : ٢ : ٧٥ .
 (٤) - فرائد الأندلس وأجلها : ١١-١٢ .
 (٥) - نفسه : ٢٧ - المغرب : ٢ : ١١٩ .
 (٦) - نيام دولة المرابطين : ٤٣٦ .

شاهبا ابن طفيل (٥٨١ -) صاحب "حي بن يقظان" ، وابن رشد الحفيد ،
 وابن رشد في العلم الرياضي (١) ، وابن رشد في الرياض : أبو الحسن الداني وكان
 وابن مسعود (٥٢٦ -) وجابر بن أفلح الاشبيلي (٢) وغيرهم .
 وأما علم الطب ، فقد شجع لغيره ، فتقدمت دراسته ، وظهر فيه أطباء
 نالوا شهرة وأسس منهم أبو العلا عبد الملك بن زهر (٥٢٥ -) وابنه أبو مروان
 ابن أبي العلا بن زهر (٥٢٦ -) ، وقد جمع إلى البراعة في صناعة الطب ،
 البراعة في الأدب واللغة وفن التوشيح (٣) ، ومنهم أيضا ابن باجة ، ويحد من الأفاضل
 في صناعة الطب (٤) ، وأبو الحسن الداني (٥٢٦ -) الذي بلغ في صناعة
 الطب مبلغا لم يصل إليه غيره من الأطباء (٥) ، وابن طفيل (٥٨١ -) ، وأبو عامر
 ابن يثيق الشاذلي الشاعر تلميذ أبي العلا بن زهر ، وغيرهم .
 وأما الدراسات اللغوية ، فقد كانت تهذب الأندلسيين ، أولوها من عنايتهم
 القدر الثاني لملاقاتها المباشرة بالدراسات الزانية والنقدية ، فبالنسبة في هذا
 العصر مستون عاليا ، ومنفرد فيها كتب ذاع صيتها ، ويرز في هذا الميدان ابن السكيت
 البطليوسي ، وأحمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدميري ، ومحمد بن أظف
 ابن أبي الدوس ، وعبد المجيد بن عبدون ، وفي النحو : ابن الباناش الخرناطي
 (٥٤٠ -) ، ومحمد بن حكيم بن محمد بن باقي الجذامي ، وابن الطسراوة
 والسبيلي (٥٨٣ -) وغيرهم .
 ولم يتخلف علم التاريخ عن سير هذه الحركة العلمية وتقدمها ، فهاهي هو أيضا

(١) - عيون الأنباء : ٥٠١ .

(٢) - ابن خفاجة : ٢٢ .

(٣) - عيون الأنباء : ٥١٧ - ٥٢٢ .

(٤) - نفسه : ٥١٦ .

(٥) - نفسه : ٥٠١ .

باهتمام العلماء ، وقولت مصنفاتهم فيه بالقبول والتشجيع ، واشتهر منهم ابن بسام
 (٥٤٢ -) صاحب " الذخيرة في معادن أهل الجزيرة " وابن خاتان (٥٢٠ -)
 أو ٥٣٥ م صاحب قلائد العقيان ، وملمع الأنفس ، ومحمد بن خلف بن علقمة
 (٥٠٠ -) صاحب " البيان الواضح في الطم الفادح ^(١) " ، وأبو بكر يحيى بن الصيرفي
 الخرنابلي (٥٥٧ -) ^(٢) وله مؤلف غصوه على الدولة التونسية ، واشتهر في
 علم الجغرافية ابن غالب الخرنابلي (محمد بن أيوب) صاحب فرحة الأنفس ،
 والشريف الإدريسي صاحب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " كما أدرك
 هذا العصر الجغرافي الأندلسي الشهير أبو عبيد البكري (٤٨٧ -) صاحب
 " المسالك والممالك " .

وأما الأدب فقد بلغ بشقيه الشعر والنثر درجة عالية في هذا العصر ، ونسب
 منه الكثير من شاعري الكتاب وشيول الشعراء ، فمن الأديباء ابن بسام (أبو الحسن
 علي الشيباني) ، وأبو نصر الفتح بن خاتان ، ومن الكتاب : عبد المجيد
 ابن عبدون ، وأبو عبد الله بن أبي الخصال (٥٤٠ -) وأخوه أبو مروان
 ابن أبي الخصال ^(٣) ، وأبو الحسن غلام البكر ، وأبو القاسم بن السقاط ،
 وأبو بكر بن القصيرة (٥٠٨ - هـ) . واشتهر من الشعراء ابن خفاجة ، وابن اخته
 ابن الزقاق ، والإمام التلمساني ، وأبو الحسن الداني ، كما بلغ فن
 التوشيح نهائيه القصوى علي يد الأعشى التلمساني ، وابن بقي ،
 وأبي بكر بن الأبيش ، وأبي مروان بن زهر وغيرهم ، كما لمع في ميدان الزجل

-
- (١) - التكملة ١ : ٤١١-٤١٢
 (٢) - المغرب ٢ : ١١٨ مع الهامش .
 (٣) - المغرب ٢ : ٦٦-٦٨ .
 (٤) - المعجب ٢ : ٤٢ - عيون الأنباء : ٥٢١

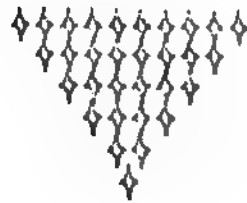
١٢٨
ابو بكر بن قزمان (٥٥٤ -) إمام الزجاليين في عصره^(١) .

وإذا وبعد هذا العرض الموجز للحياة الفكرية في الاندلس - في عصر اللوائف
والمرابطين - نرى أنه من الشلوط في الحكم تحميل المرابطين وهدم ما أصاب
الحركة العقلية في عصرهم من غبن وتضييق ، أبرز مظهر لها حرق كتاب "الإسماء"
لابي حامد الفزالي ، مع أنهم لم يكونوا في هذا الا مؤيدين ، وان السبب
الرئيسي في الحادث افتاء بعض فقهاء الاندلس وعلى رأسهم ابن حمد بن بوجوب
ذلك ، لكراهية توارثوها للفلسفة ودعاتها منذ زمن بعيد ، أو ما أصاب
الحركة الأدبية من ضرر ، لأنهم أرادوا منها أن تلتق موقعا آخر يتلاءم واللوائف
الجديد في تلك الفترة الحرجة من حياة الاندلس الإسلامية ، وهو أمر كان يمكن وقوعه
لو أنها كانت تتدلى من أرضية متينة ، وتجربة شعورية عميقة ، غير أنها لم تكن
كذلك في أغلبها ، وكان الشعر لا ينمو أو ينشط الا في جوارها البهية السلطانية ،
ووهج القصود ، ولا ازدهار له في غير هذه الأجواء .

(١) - ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض : ٢ : ٢١٦ ، المضرب : ١ : ١٦٧

المسار الاول

في حياة الشاعر وشخصيته



في نشأته وثقافته

ولد أبو اسحق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة لهواري في جزيرة "شقر" من اعطال بلنسية في سنة (٤٥١ هـ) ، وهو وقت من أشد أوقات شبه جزيرة الاندلس هرجا وأكثرها فتنا واضطراباً^(١) لكن بلنسية ، في عهد أبي بكر بن عبد العزيز خاصة ، قسدت نعمت - كما ذكرنا^(٢) - بفترة من الأمن والاستقرار قضى خلالها ابن خفاجة لفولة ناعمة ، ونشأ نشأة هادئة طيبة ، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً ، فلم يكد يبلغ السادسة والعشرين من عمره حتى بدأت الحياة في بلنسية تأخذ مجرى جيداً ، وتتحو منحنى لم تعهده في سابق عهدها ؛ فبدأت تشهد حوادث دامية ، ومعارك طاحنة ، تشعل نارها الجماع الحالت السجاجة ، أو هجمات النصارى المتتالية ، والتي تلحقت الى حصار طويل المدة ، أُلغى الانصر والاموال ، وقلب الحياة الملائمة الهادئة الى جو من الرعب والقلق ، عجل بهرحيل الكثير من أهالي المملكة ، ونفس غير البقية التي أثرت البقاء ، حبا في الوان ، واستقامة في الدفاع عنه ، لكن قوتهم المراهنة لم تكن لتحميهم من هجمات النصارى وحصارهم القاسي ، فلم يفتأ هؤلاء ان استولوا على المدينة ، فعاثوا فيها فساداً ، وحكموا فيها أهواءهم وآراءهم ، ولهبخادروها الا بعدد أن اشتدت عليهم ولأمة الجيوش المراهنة في سنة (٤٩٥ هـ) في جواً شربنا الى هوله وروعته^(٣) هذه الفترة العصيبة في حياة بلنسية أثرت - بلا ريب - في حياة ابن خفاجة الشاب ، وتركت بصماتها في نفسه الرقيقة واضحة جليلة ، فقد أرغمت على مغادرة وطنه . وصرح صباه ، الى مناطق أخرى غريبة عليه ، حيث لا صديق يؤمن ، ولا مجالس للهوتتام ، وحق إن أقسمت فبمصادره . مغتلف ، تفسده الفرية ، وجره الدنين .

وقد نشأ ابن خفاجة محباً للعلم ، ولعل لاسرته في هذا الميل أثر ، لما وفرته له من أسباب مادية ومعنوية كانت اكبر عون له على تحصيل العلوم والتفرغ للبحث ، والمواظبة على حضور مجالسها دون أن يشغله عنها شغل ، تلقى تعليمه الاول في بلده شقر ، ثم لم يلبث أن تنطلق الى ما وراء هذا الوان الصغير ، فقصده شاطبة ومرسية وبلنسية ، فحضر مجالسها العلمية ، وأفاد منها فوائد جمة ، فقد جال سرايا عمران بن أبي تليد ، الفقيه الاديب الشاعر (٥١٧ هـ)^(٤)

(١) - التكملة ١ : ١٤٣ - ١٤٤ - ابن خفاجة : ٧ .

(٢) - انظر هذا البحث : ٩

(٣) - نفسه : ١٠ - ١١

(٤) - السلسلة ٢ : ٦١٠

في أبي علي السدي (١) القاضي الصدث (- ٥١٤ هـ) بمروسة ، وروى عن أبي بثر عتيق بن أسد
 صاحب الادب (- ٥٣٨ هـ) ، كما تتلمذ على الاستاذ أبي اسحق بن صواب ، وكان من أهل
 معرفة بالعربية واللغة والادب ، كثير التنقل بهدف التعليم ، استقر بالمدونة أثيرا وتوفي
 (٢) وقد ارتبأ ابن : فاجعة باستانه هذا وأحبه ، فهو لا يترتب فرصة تمر دون أن يبلغه سلامه ،
 أن يرسل اليه . مجدد العهد به ، فقد كان شوقه اليه قويا ، لو باشر العبر لا نفجر ، او باشر
 بجنود لفارق العمود (٣) . وتخصص هذا الاستاذ بالذكر دليل على أن أثره في تلمذه كان قويا
 وربما كان سببا فاعلا في تحول اهتمام ابن خفاجة الى الادب ، وتفتق موهبته الشعرية . ودرس
 فقه على قاضي شاذلي أبي يوسف بمروسة في اللغة وهو واحد رواة شعره ، وعنه أشداه ابن
 مكيال (٤) . كما درس العلوم الرياضية ثم لم يلبث ان رغب عنها وزهد فيها بابيات قالها (٥) ، وهي
 لا يات التي وقف عندها اسد الباحثين (٦) ، وحكم على ابن خفاجة بمضحالة الثقافة ، والتزعيد
 في الحب السلم ، وعدم الحرص عليه ، وعوضكم تلهو بالفتة واضحة اذا وقفنا على المناسبة التي
 بليت فيها تلك الابيات ، وذلك على الابيات التي قالها الشاعر نفسه في الدرس على طلب العلم
 لتأني به (٧) . كما يمكن أن يكون قد حضر في اثناء تروده على بلنسية - من السرايى - حيث
 ان السيد الهالوسي (- ٥٢١ هـ) فقد كان هذا الاخير عالما بالادب واللغات مستبحرا فيها ،
 فقد ما في معرفتها واقتانها ، ويتمن الناصر اليه ويقروون عليه ويقتسون منه ، وكان حسن التعليم ،
 سبب التلقين ، ثقة ضابحا (٨) فقد وصفه عن نفسه بالاستاذ ، كما جرت بينهما مخالجات شعرية (٩)
 يمكن أن يكون شعره غير هذه المجالس ، وأخذ عن غير هؤلاء الا عدم فيشرق الاندلسي
 سره كان في أوج نشاطه العلمي . ولملأ اختلاف من ترجموا له ، في النظر اليه ، وان اجمعوا
 على شاعريته ، أكبر دليل على الجول باعه ، ومشاركته في فنون العلم المختلفة . فقد ذكره ابن سميذ
 في باب العلماء (١٠) .

- (١) - التكملة ١ : ١٤٣ : الصلة ١ : ١٤٤ - ١٤٦ .
- (٢) - نفسه ١ : ١٤٣ .
- (٣) - الديوان : ٦٣ .
- (٤) - الصلة ٢ : ١٩ .
- (٥) - الديوان : ١٦٤ .
- (٦) - ابن خفاجة الاندلسي . عبد الرحمن جبير : ٢٨ - ٢٩ .
- (٧) - الديوان : ٣٦٢ .
- (٨) - الصلة ١ : ٢٩٢ - ٢٩٣ .
- (٩) - الديوان : ٩٨ .
- (١٠) - المنرب : ٣١٧ .

السهرابي عن ابن الزبير في صلة الحملة * ان لابن خفاجة تأليف لغوية * (١) ، ونسبته الدفدي
 سة والفخامة وذكر أن له تأليفا في اللغة غيرها (٢) . كما وصفه ابن بسام بالاديب (٣) ، وعنده
 ما كان في الثلاث من نيبها * الادباء وفحول الشعراء (٤) ، وعنده صاحب المأرب - أيضا - من
 الشعراء (٥) . ولمشاركته في علم الحديث عده ابن البار من جملة اصحاب ابي علي الدفدي ،
 وراسه لا يرافقه على هذا العلم فقال : انه " حدث في دهوان شعره عن ابي بكر بن أسد
 ، ولم يكن الحديث شأنه ، ولو عني به لا مكنته الرواية عن المحدث وغيره من شيوخ ابي علي (٦) .
 ابن خفاجة انصرف عن تلك العلوم بعد أن أخذ نفسه منها ، وماز به جمعه الى الادب ، شعره
 ، وانسب على كتبه ودرايته المتوفرة ، فكان ان صادفت دهون في نفسه ، فأقبل عليها انكسار
 د النهم ، فالح منها الكثير ، قرأ شعر الرضي الدوسوي ، وصهار الديلي ، وعبد المحسن
 صوري ، والمثنوي ، وابي تمام والمعتز ، والسعري وابن الرومي وابي نواس وغيرهم .
 بما يمتثل أن يكون قد اطلع على اشعار السنوري - وان لم يشرح بذلك - فقد كان شعره معروفنا
 الاندلس منذ القرن الرابع الهجري عن ابي الحسين بن الفارس الراوية ، الوافد على استنصر
 الله (٧) . كما يدن ديوانه على الالاع واسع في اشعار الجاهليين والاسلاميين (٨) ، والعام - ذي
 مال - بالنقد الادبي واتهاماته ، وعليه المروغ والبذعة ، وغيرها من المعلوم التي أفادته في تكوين
 ثقافته الادبية وتمكينها . هذا ، ولم يقتصر الشاعر همه على شاعر واحد يقلده ويترسم اربته ، وانما
 اعجب بشعراء كثير ، وذكر لنا اسما بعضهم ، وجميعهم من شعراء العصر العباسي ، وذكر لنا بلفظ
 صريح انه تأثر بأرائي بعضهم في بداعة تجربته الشعرية ، فقد تسمع شعراء الشربة الرضي ، وصهار
 الديلي ، وعبد المحسن السنوري ، وأخذ بما في اغزلهم من رقة ، ورعة ، وما في الفاظهم - من
 شقاوية (٩) . كما أعجب بالبرقة ابي الدايب المتنبي في لف الغزل بالعماسة (١٠) ، ولكنه عرف كيف

-
- (١) - بخية الرضا : ١ : ٢٢٢
 (٢) - الوافي بالوفيات : ٨٣
 (٣) - الذخيرة : ٢ / ٣ : ٥٤١
 (٤) - القدر : ٢٦١ : ٢٦١
 (٥) - المأرب : ١١١
 (٦) - المعجم : ٥٨ ، التكملة : ١ : ١٤٣
 (٧) - فهرست ابن خبير : ٤٠٨
 (٨) - الديوان : ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١

هوانك تلك الصايات في تكوين الرتبة خاصة به ، واشتهر بها ، وتركت آثارها واضحة في النثر من الشعراء في حياته وبعد موته .

((٣))

ولقد اصفته شافته الادبية بالقول - في معرض الدفاع عن مذهبه النحوي - ببعض الاراء النقدية ومن زائرات ، وان لم يشذ فيها عن المألوف في النقد الادبي العربي القديم ، الا أنها تدل على تلمذ الشاعر من سماعته وسادة الالاعه ، وسلامة ذوقه ، فالشعر - في نظره - يتألف من مدح - ولذا ضروري في صلب ورب (١) وتندمجه المعنى على اللفظ له دلالة وتجهته ، فباعتبار اذا وثقنا على تدمره من زلزلة السائدة في عصره ، فهو يرى أن الكلام لا يكون جزلا في كل موقف ، وانما يختلف باختلاف الموضوعات ، رقة وجزالة ، ولين وثقوة ، وجليه ، فاللفظ يتلاءم ومعناه ، ويتزيا بهزيه ، ويتمتع بصفات ، وفي الغزل ينبغي أن يكون مرصفاً دقيقاً ، واما في المدح فيكون قويا جزلا ، ويكون غير ذلك في الهزل - (٢) .

وهو يقول بالوحدة النسبية ، كبديل للوحدة الموضوعية ، يلتزم بهذا في قوله : " فلعل نائلا يتبريل : ما لرب هذا الشعر ما دس حتى تغزل ، ولا جد حتى هزل ، ثم تغلب بالمدح فأتسى بالمعانيخ في الآخر ؟ " ، فانه واب عنه : انه لما كان بين المدح والممدوح اشتراك في معنى هذا الرثاء واشتراك ، ولا اجتماعهما في حلة بعض تلك العبارة ، افترض الشاعر بالرتاء على جهة من المساواة والتدنية ، ثم اوردت بالمدح على نحو من التأنيس والتسلية ، ولما أشار الى ما يندوب عليه من مصاب ، ويرجع اليه من أوساب ، انلقا عليه الكلام في ذلك انتقاء ، فانهرق عنه كوم عشرة ورفاء (٣) ، وفي معرض الدفاع عن شعوره وفنه ، والى ومن الانتقاس والمقصد ، يقول بنكسرة التشبيها ، وهي عوده تمنى عدم ما ابتدأه العتقة للكلام ، أو الفعل للقول ، أي تمنى الكذب ، ومن ثم قلب من وراء قوله " إني فعلت أو إني صنعت " شي من العتقة ، وإنما لم يضر من

(١) - الديوان : ٩٠

(٢) - نفسه : ١١ - ١٢

(٣) - نفسه : ٢٠٢ - ٢٠٤

الاساليب... تجاوز في صناعة الشعر لا في صناعة النثر (١). والقول بفكرة التشبيل في الشعر قاده الى القول بشي "اخر هو الرمز، فما أورد في شعره من أسماء اعلام وقاع وما تنقسم اليه من صفات، ليست الا أسماء جردت من سمياتها الحقيقية، وأغرغت من معنواها الاعلى، واضحت أقرب الى التشبيل منها الى الحقيقة والصدق". فهي انما هي "بها على أنها خيالات تنصب، ومثالات تضرب، تدل على ما جرت سمرها من غير أن يسمع بذكرها، وتوسم في النظم، يكتفى بها دلالة عليها وعبارة، ويستحسن اها "أشارة" (٢).

والشعر عنده "صناعة" ولكنها تعتمد على حوافز وميول طبيعية، أي على موهبة. وهي بذرة الابداع الفني، ولكنها لا تنمو، وتترعرع، وتتوفاي أكلها، الا اذا تمهدت بالتسحيح والتشذيب، وتوالت بها بلزج من العناية والترويض والتروية (٣). كما أن عطية الابداع لا تارده جودتها في نظيره وانما تصرف في خاد يهاني تد يرتفع الى الجودة، وقد يهبط الى درت النقص، وقد يأتي وسالاً، تبعاً لدرجة المعاناة الشعرية والاعبة المواد التعبيرية. "فالشعر، وان أتمثل به واعتل فيه، ليس بغلو جيد من سقاء، وانقسام الى رافين ووسال، فان الان كان باخرة تلك، والمواد من الفضاء وقواب ثقل" (٤). ونفس التقسيم نجده عند قدامة تثيرها، فهو أيضاً يحد الشعر صناعة، والصناعة اي صناعة. "لها لمرفان، احدهما غاية الجودة، والاخر غاية الرداءة، وحدود ما بينهما تسمى الوسائط" (٥).

رده الذائعات فان بها الشاعر، مستندا فيها على الموروث من آراء النقاد ونظراتهم، الجأته اليها ضرورة الدفاع عن مذهبه الشعري، وأربقته التي ارتضاها لنفسه، وأما الشئ الذي اختص به، وبرز فيه، فهو جملة الأبيحة مددا أساسا لاستعاراته وتشبيهاته، ومعينا لا ينحصر بسوره ومعانيه، وما ذلك الا لان الأبيحة الجميلة ملكت عليه مشاعره وأحاسيسه فأنرى يرسم مشاعدها، ويصورها لاشهرها بتفاعل حي، ومشاركة وجدانية صادقة، وهي الظاهرة التي شهرته في عصره، ولفتت انظار السورخسين والشعراء اليه، فصرف قدره أولئك، وافتقوا اثره الكثير من هؤلاء.

(١) - الديوان : ١٠ - ١١

(٢) - نفسه : ٢٠٤

(٣) - نفسه : ٦١

(٤) - نفسه : ١

(٥) - نقد الشعر : ١٨

الفصل الثاني

في شخصيته وحياته الاجتماعية

((١))

ان المتأمل في ديوان ابن خفاجة - يغنى التأثر عن عطية التعمير والتبديل ، والزيادة والنقص التي أحدثها الشاعر في شعره عند سماعه ، ويغنى التأثر ، أيضا ، عن عدم ترتيبه ترتيبا زمنيا - الا في الغادر - يلاحظ أن الشاعر مرّ بمرحلتين في حياته تختلفان اختلافا كبيرا ، فكرا وتصورا ، مرحلة الشباب ومرحلة الشيخوخة .

فقد عاش المرحلة الأولى من حياته ، عيشة لهو ومجون ، وفسق ومجون ، يغازل النساء مسن مجوار وتينات ، هل يغازل الفلذات أيضا ، ويشرب الخمر ويحقد لها المجالس ، ويوم مجالس التذلل والتأرب ، ذهب لا ، وقد كان السهر في زلله " مدا ما أحمر ، يستبه غلام أهور " (١) ، وان " يغنى العبث انما هو في مرحلة الصنف ، وجرا الذيل في منزل القصف " (٢) . فتلك هي الحياة ، وذلك هو العبث ، مجالس اللهو وتمتد وموا ان لفظة سادرة تمام ، واهتيال للفرغ ، واسرار للذات بأنواعها . وهذه الفترة انما يجسد سريرة حياة ابن خفاجة الاجتماعية في تلك الفترة من تاريخ كورة بلنسية ، فترة حكم أبي بكر بن عبد العزيز (- ٤٧٨ هـ) فقد كان عادلا ، ولكن عدله لم يوقف دون تهازل اللهو والتفسيخ الاجتماعي التي اجتاحت الاندلس ، بمكتم مشاركته الحكام في هذه سلوكهم ، وصاحبة العلماء في ذبوعه - الا القليل - بمسئتهم ومشاركتهم في أغلبيات الامهات . وهي ظاهرة فأن لها الشاعر نفسه ، فأعرب عنها ، مسوفا بها انحرافه ولهوه تافلا :

لمعرب لو أوضحت في منهج التقى لكان لنا في كل حالمة نهيمسج

فما يستقيم الامر والطبج بعاشر وهل يستقيم الظل والمود مجوج (٣)

(١) - الديوان : ١٣٥

(٢) - نفسه : ٢٤٢

(٣) - الديوان : ٣٦٩

وقد زين لابن خضاعة تلك الحياة الطيعة امور ، منها الاقتفاء الساذي بما ورثه من أهله
 من صباع كانت تدركه مالا ونيرا ، لما وفر عليه الكثير من الوقت ، وساعده على أن ينضم بفترة
 من الفراغ البهيلة ما دقت هدوء نسبي في حياة النسبة السياسية ، وجو مساعد للانغماس
 في اللذات والمتع ، فكان ما كان من سلوكه الاجتماعي في شبابه . وقد لاحظ مدبته الفتح
 ابن خاتان هذه الناحية من حياته فسجلها في تلائده قائلا : * كان في شبابه مغلوع الرسن
 في ميدان مجونه ، كثير الوسوس ، من صفا الانتهاك وحجونه ، لا يبالي بمن التبر ، ولا بأي
 نار اقتبر^(١) . ولكن هذه الحياة الهسه الهادئة من عمر الشاعر مرت كأن لم تكن ، دخلقة في
 نضر الشاعر حينئذ مرا ، وأنبنا موحما ، فقد أفاق الشاعر اثرها من غفلته ، وتاب اليه رشده ،
 وأقلع عن غبه ، وردع تلك الحياة اللاهية ، وأقبل على حياة جديدة ملوها بالهوان والتبؤن ،
 والزهد والصفات ، والاساس الواعي بما يجرى حوله من احداث وما يعانيه بلده من أزمات .
 بما شهدته من مشارك الماحقة ، وما امتلأت به ساحاته من بهت وأشل : القتلى ، وما شهدته
 من مصار ، وانتشات وتفرج ، ومعى احداث ، كانت ثقيلة بهز ذلك القلب العاسر والتأثير
 وبتوة ، في تلك النسبة المرفقة ، وبالتالي ، نقلها من جوالي جو آخر ، ومن سلوك حياتي
 الى آخر مثاير ، ولكن الشاعر ، ذكر في ديوانه فير مرة أن السبب في ذلك التحول
 الواضح في حياته الاجتماعية والنفسية ، انما هو الشيب ، الذي أشمل رأسه بهاضا ، وأعلمه
 بآرب الرسل . وقد أهدر ابن خاتان بهذا التحول في سلوك الشاعر فسجله بقوله : " الا انه
 نسب ايمر نسا أن بنة وغي من ارسل نأره في اعتاب الهوى عبته * (٢) . ولكننا نحس ، ونحن
 نقرأ شعره ، وفي الرسم ذلك التحول السلوكي الصم ، أن جو المرحلة الاولى من حياته لال قويا
 جوارفا ، قد فرس وجوده في عالم الشاعر النفسي ، وأجبره على العنن الدائم الى تلك الحياة ،
 والمهين المستمر بلذاتها وروعة سحرها وبعمالها .

(١) - تلائد النخبان : ٢٦٦

(٢) - نفسه : ٢١١

وقد وصف الصبي الشاعر مبحث الهجاء (١) ، ولنا - في ديوانه دليلان على ذلك ، ولئنهما جاءا في مصر دافع الشاعر عن فنه ، مما يدل على أن هذه الناعرة لم تكن أمثلة في الهجاء ، ولم تكن لها جذور عميقة في نفسية الصالحة ، والا فقد كان الشاعر خفيب الدل ، لانيضا ، أحب العشرة حسن المعاملة ، جذابا ، المتح حيله ، الكثير من الاصدقاء ، والديب من اصحابه .

((٢))

وسأهزلنا ابن مخاجة - من خلال ديوانه ، ومن خلال الاخبار التي حفلت بها لنا كتب التراجم عن حياته ، انسانا مرهف العمر ، دقيق الشعور ، شديد التأثر ، قوي الانفعال ، يهتز لما يراه ، ويصدق ما يسمعه ، سليم الذوق ، انتقائيا ، فقد روى النسبي أنه كان يأتي الى المجالس التي يبيع الناكهة فيساومه ، فاذا سمى له عذدا أو وزنا نكسه من اهلها الدود أو الوزن على شراء أن يفتار ما أحب بيده (٢) . والنعرة الانتقاء هذه صفة لازمة في حياته الدائمة والعامة ، فهو كما ينتقي ما يناسبه من الطير والماء ، ينتقي اعداءه أيضا ، ولما ينتقي في ميدان الفن اللطافة الرقيقة ، والسورة الموسمية والاسلوب الملائم ، ينتقي الشعراء الذين يتناسبون واحساسه المرهف ، يتأثر اراءهم ونس على منازلهم . ولعله في هذا الانتقاء ، لم يقتصر على الاعجاب بالاراق الفنية لهؤلاء الشعراء ، بل تمداه الى صفاتهم النفسية والاخلاقية ايضا ، لما بينه وبينهم من ثلاث واتفاق ، فقد كان المحتفي قوى الشفعية ، طموحا بالحب ولا بالحب ، كما كان الشريف الرضي عفيفا ، عالي الهمة ، الموحا الى الصالحين ، لا ينهل سلة من احد ولا جائزة (٤) ، ما قوى شخصيته ، وعن احساسه بذمته ، وتبتمته الانسانية ، ونش في اعلاه تلك الهمة الرغبة (٥) ، والنزاهة النفسية التي سالت بينه وبين أن يستدب لأم ندره مستجيلا (٦) . وقد تركت هذه الناعرة أثرها في تجربة الشاعر

(١) - بنية المطبوع : ٢١٧

(٢) - الديوان : ١٠ ، ١٩ ، ٣٥٢

(٣) - بنية المطبوع : ٢١٧

(٤) - تاريخ الادب العربي : عمر فرى ٣ : ٥٩ - ٦٠

(٥) - بنية المطبوع : ٢١٧ ، الديوان : ٣٢١٠

(٦) - الديوان : ٨ ، ٣٢ ، ١٤٣ : ١

الغنية ، غير أن "نات الماهرة" لا تقل عنها أهمية وتأثيراً في نفسية الشاعر وفنه ، فهو على ضرورة لم يزوج تلك (١) . وهي قضية لها شأنها في القاء الضوء على ذلك التوتر النفسي العماد الذي أزعجته ، وأقص مضجعه ، وألجأه إلى اللامعة ، يهشها شكواه ، وبشرتها فسي آلامه وأحزانه . وعو لا يحدثنا ، كما أن المصادر لا تحد لنا على أهله وأسرته ، إلا في النادر ؛ عند رثي الشاعر في ديوانه ابن أخته له توفي بالعدوة ، على خلاف في ما أورده ابن خاتمان وما جاء في الديوان في مناسبة عذبة نصيدة (٢) ، ما تذكر مصادر ترجمة الشاعر ابن الرزاق ، انه ابن أخته ابن خاتمة ، وعو لا آخر توفي قبل خاله بمدة قصيرة ، وما فيما يتخلل بنسبه فلا نجد أكثر من أنه : ابراهيم بن أبي الفتى بن عبد الله بن خفاجة "الهواري" (٣) ، مع اندام أبي شعر عن هيواتهم وشخصياتهم *

* ونجد عند الضبي (٥٩٩ هـ) انه " ابراهيم بن الفتى بن عبد الله بن خفاجة ، ابو اسحاق الخفاجي " ، وأغلب كتب التراجم المتأخرة تنقل عنه ، ولكن بإضافة : " أبي " ، إلى التتبع ، فتسير النسبة كالتالي : ابراهيم بن أبي الفتى بن عبد الله بن خفاجة الخفاجي ابو اسحق ، وينتد ابن الأبار في كتابيه ٣ التكملة " بالمصم " بذر عبد الله بدل عبد الله وإضافة نسبة الهواري إلى سلسلة نسب الشاعر ، ولعل غارضة غومت اعتمد هذه النسبة في تبريره أصل ابن خفاجة البربري ، علما بأن ميولات بربرية تنتمي إلى هوية ، عاشت قريباً من بلنسية ، وكان لها شأن في تاريخ الأندلس عموماً ، وفي عصر ملوك الطوائف خصوصاً ، منهم بنو بني النون في البلبانة ، ونوردين في " السهلة " كما عرفت سابقاً من أعمال بلنسية عائلة بربرية من الهامة هي عائلة بني عمرة ، وهذا يؤكد نسبة " الهواري " التي اضافها ابن الأبار . ولئن لم نرجع بنا إلى أسرة انساب العرب لابن خزيمة ، والعائلة السيرة لابن الأبار ، والبيان المنسوب للمراشي ، لوحدنا أخباراً تتخلل بفرع من فرع بني خفاجة ، وعم نخو الأغلب بن سالم بن عقاب بن خفاجة التميمي ، وكانوا أصحاب قوة ومنعة ، ملئوا القيروان وأربلس العرب ، ومقلية جزءاً من القرن الثاني ، وتراية القرن الثالث الهجري وفي نهايته ضعفت قوتهم ، وانتهى ملكتهم في إفريقية على يد عبد الله الشيعي ، كما انتهى ملكتهم في مقلية أيضاً . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نجد

(١) - التكملة ١ : ١٤٣

(٢) - الديوان : ٢٦٢ ، القلائد : ٢٧١ - ٢٧٢

(٣) - التكملة ١ : ١٤٣

هذه الدائيرة في حياة الشاعر كان من الممكن ان تدفعه الى الزواج ، وهو سهل عليه ، ولكنه لم يفعل ، لماذا ؟ لا ندري يقينا ، وربما كان السبب في ذلك شدة اعتزازه بحريته ؛ رأى في الزواج ما في اي عمل آخر من تنهيد وانفعال ، وتدخل لسوء ولهاة ثقافات سارت ورغذا احساسه .

أن مذانة بلخسية قد تمزيت سرهما ، مما يدل على أن جماعة ونيرة من السرب الفاتحين قد استقرت بها عند وقت مبكر ، ومن نعلم أن هؤلاء السرب الفاتحين كانوا غلبها من قبائل عربية شامي ، واكبر الذين انه كان من بينهم ثغر من العقول بين الذين منهم بنو خفاجة بن عمرو ، ويحمد بن هذا الظن امران ؛ الاول : ورود نسبة العقيلي في كتب التراجم الاندلسية امران عاينوا في الاندلس لعلي بن محمد بن علي العقيلي الشراطي ، ومحمد بن عمر بن عبد الله بن محمد العقيلي البلنسي (الصوفي بحث سنة (٥٢٠ هـ) . والثاني : ما أورده بن حزم في جمهرته عن ولد عمرو بن عقيل ، فقد ذكر أن من ولد عمرو بن عقيل : خفاجة ، وأن منهم النحوي القرطبي ، محمد بن سارم المعروف بالعقيلي ، وذكر مرة أخرى أن من بني عقيل بن سحمان بن خفاجة ، يعني العسيمي بن الدجس بن عبد الله ، "بعتيشة" بالاندلس ، ودارهم "بيان" ، وزادي أثر "فيمثل أن يكون أحد بني الأغلب الخفاجيين أو أكثر ، قد تمتدوا شرق الاندلس في القرن الثاني أو الثالث أو بدايات الرابع للهجرة ، واتخذوا من بلخسية واعمالها ، مولدا لهم ، حيث الامن والهدوء ، والرزق الوفير ، فاشتركوا الاراضي . واندسجوا في المجتمع ، وساءلوا بني هوية ، أو الحدود ، وإذا سمع هذا الاحتفال تنورت النسبتان الى درجة اننا لا ندر أن نوزن باثبات احداهما دون الاخرى ولا نطك في هذه الحال غير ترجيح احد النسبتين على الاخرى ، ونصل الى ترجيح نسبة الخفاجي ، أي نقول بمروية الشاعر من جهة أبيه وذلك اعتمادا على ما يلي :

١ - لأننا لم ندر على اسم خفاجة فيما ذكره ابن حزم وغيره من الاسر البربرية التي عاشت في الاندلس ، وفي اسر قبائل "هوية" ، ولكننا نجد هذا الاسم يتكرر عند ذكر بني الأغلب وغيرهم من بني عقيل وهم من السرب .

٢ - ان ابن بشكوان صاحب السيرة ، وهو الذي اشتهل الشاعر بهذه النسبة قبل غيره كان مضاعفا لا يسن خفاجة ، فقد عاش بين سنتي (٤٩٤ - ٥٧٨ هـ) ، وهو بهذا يستحق - من كونه حافلا ، ضابطا ، التقديم على غيره من حيث استقاء الاغبار والمعلومات المتعلقة بالشاعر .

٣ - وان ابن عميرة الضبي (٥٩٩ هـ) الذي اثبت للشاعر هذه النسبة أيضا ، بتفصيل اثير عاش نوبيا من عصر الشاعر ، فهو أيضا مقدم في هذا المجال على ابن البار السقري سنة (٥٨٠ هـ) ، وعلى هذا فان ما أورده هذا الأخير يملن ان يكون زيادة ايمان في نسب الشاعر اي أن ابا اسحق كان شجرة تنازع بين اسرتين عربية ، وبربرية ، وهي التفاتة رئيسية منه بجلى بها بعض الخصوم الذي اكتشف اسم الشاعر ، والذي ضرب عنه صنعا فيما أثر عنه من شعر ونثر .

وشغافته بنفسه ، فلم يتدلم عليه ، وأوانه رأى من نفسه ، وقد تقدمت به السن ، عجزاً عن أعماله الزوينة عنتها ، وهو ما أفسح عنه في احد مساعدته الخولية (١) ، ومع ذلك فلا يهتأ كيون هذا السبب أو ذاك ، والفاعل في ذلك ، يتدرباً تهتأ التامرة نفسها ، وتأثيرها في نفسية الشاعر ، وانعكاسها على فنه ، ان عدم الزواج يعني معاشة الذمارة وبالتالي تدريس شغافته الانسان - في الغالب - الى التأزم النفسي ، والبراع الباطني الحاد ، وهو ما عانى منه شاعراً ، ولكنه وجد له متنفساً في الطبيعة ، ووجد فيها تعويضاً لما فقد ، فأستفاد عليها مشاعره واحاسيسه الدنيئة ، واتخذ من طبيعتها رموزاً نفخ فيها من روحه ، وهو امر ألك علاقة المرأة بالابدية عنده . والعكس ، الى درجة كبيرة ، فالمرأة تعنى الانس ، اما تمنى امتداد الحياة ، والابدية بها فيها من تغير وانيمات ، وحركة وسكون تمنى ذلك أهما فهما من هذا الوجه متقاربتان ولذلك لم يجد حرجاً في خلل صفات الواحدة منهما على الاخرى ، لا نهما في نارة شي واحد ، لا شيئان منفصلان ، وهو في عموم وصفه لهما ، يعبر تعبيراً واضحاً عما في نارة نفسه من حب للحياة ، وتعلق لما فيها من لذائذ ومتع ، لم تعد تحلو بذهاب الشباب رمز اليوية والنوة والنشأ .

ثم ان هذا الركون الى الابدية ، والاتكال عليها ، الى الشاعر من كذب ، على تغييرها ، يتمايز طامرة الحياة والموت في طوائرها ، كما أن اول عمره ، ومعاشته لواقع وطنه المستقل سياسياً واجتماعياً ، من كثرة عروب وتناقض فتن ، وسنوات مطلقة وتبايناً اخر ، ورهيل اسبابه ، واحدا بعد واحد ، كشف لصيته ومسيرته الحياة على حقيقتها فأعرب عن ناسرها ، وسرعة زوالها وهو احساس بالزمن ، وتأورقها بعد الى احساس بالموت ، فقد روى النبي عن بعض اشياءه أن الشاعر كان يخرج من جزيرة شمر ، وهي كانت واحة ، وفي اكثر الاوقات ، الى بعض تلك الجزال التي تقرب من الجزيرة وعنده ، فكان اذا صار بين جبلين فادن بأعلى صوتها ابراهيم تموت ، يعني نفسه ، فبهذه الصوت ولا يزال كذلك حتى يفرغ مخشياً عليه (٢) . وقد ازداد مسبب الشاعر للحياة يتدرباً تماثل فرقه من الموت ومن مصيره النهائي المحتوم ، وهو احساس ...

كان له شأنه في تصديق نلرة الشاعر الى الكون والحياة ، وتصديق نظريته الى الطبيعة ، وقراءة ما وراء حجابها الحسي عن معان وأسرار .

فان خفاجة اذا سليل أسرتين احسداهما عربية والآخرى بربرية فهو ليس عربياً خالصاً ، كما انه ليس بربرياً خالصاً ، وظل في هذاتوضيحا وبياناً للنسبة التي أوردها ابن الأثير ، والتي كانت سبب هذا النقاش . (انظر في هذا : جمهرة انساب العرب : ٤٩٩ - ٥٠٠ ، المطبعة : ٩٩ : ١)

بنية الشمس : ٢١١ - ٢١٧ ، المعجم : ٥٨ ، التكملة : ١٤٣ ، ١ : ١٤٣ ، ٢ : ٦٨ - ٦٩ ، ١٧٩ - ١٨٥ ، البيان المنرب : ٩٢ - ١٤١ ، أعمال الاعلام بالقسم الثالث : ١١٤ - ١٢٠ ، شريد القصر : ١٤٧ ، الوائي بالوفيات : ٨٣ ، بنية الرعاة : ١ : ٤٢٢ ، مع شعراء الأندلس : ٢٨ - ٢٩ ، قصيدة الآدب في الاندلس : ٥ : ١٨ - ١٨ ، تاريخ الآدب العربي في صقلية : ٤٠ ، الفن ومذاهبه : ٤٤٤ ، (١) الديوان : ٨١ - ٢ ، بنية الشمس : ٢١٧ /

Encyclopédie de l'Islam t 3 . 305-308

الفصل الثالث

في علاقتنا الشاعر وأسفاره

((١))

لقد إن الشاعر بهبه - الشخصية الـ والروح النرجية ، والهمة العالية مدعاة لان يمتد صدقات - حجة وملاذ نوب مع أناس كثيرين من مختلف المستويات الاجتماعية والثانية ، فليس صادون الادباء والشعراء والفلاسفة ، والفقه ، والقضاة ، والوزراء ، والامراء ، وما يسدل دلالة واضحة على مدى شدة صفة ابي اسحق وتعدد اجتماعاته ورحابة صدره . وتنقسم علاقاته من جهة اخرى الى فئتين ، فترة الشباب ، وفترة النضج والشهادة ، ففي الفترة الاولى انصرف ابو اسحق - كما ذكرنا - الى لمره وسهراته ، وقد جئت بحالته بنوعية خاصة من الاسواق ، يشاركونه أقرانه واتراحه ، واغلب هؤلاء من الشعراء والادباء ، وقد ذكرنا بعضهم ، منهم أبو محمد عبد الجليل بن وهب بن المرسى (- ٤٨٢ هـ) الاديب الشاعر ، صاحب ورفيقه في سفره السي المدونة ، ذكره ابن خاتان بقوله هو " أحد الفحول ، البريء من الداروق والمنحول " ، وقال عنه أيضا : إنه كان لظا بالغلطان ، عام بهم ، وجر ، راءهم ، حتى اشتهر امره ، ومقت من أجل ذلك (١) . ومنهم أيضا أبو عبد الله بن عائشة الاديب الشاعر ، ومنهم ك من ابن بسام والعجاري بركة الاداب (٢) ، وذكره ابن خاتان وقال : " كان له ادب واسع الحدى ، ياتي كالزهر بلله الندى . ونظم مشرق السفحة ، عين النضجة (٣) . ويتضح من ديوان ابن عائشة ان النوشجة التي رداست بين الرجلين كانت قوية ، فهو قد غبهره فوقته ، وسبهره فوقته (٤) ، ثم تلوحت تلك المداقة الى ان انسحت صفة خالصة ، وردا دائما ، جعلت الشاعر يغلي في ابتياح ودااد صاحبه لو كان الوداد بهاج (٥) ، كما رأى غبلا خلاصه ومعدقه ، القلباني واليمين الثالثة (٦) فهو صديق لا غنى عنه وقد استمرت هذه المداقة حتى بعد المني استدعي ابن عائشة الى المد والتهنوم بأمر

(١) - القلائد : ٤٧٩ - ٢٨٠

(٢) - الذخيرة : ٢ / ٢ : ٨٨٧ الشرب : ٢ : ٣١٤ - ٣١٥

(٣) - الذخيرة : ٣ / ١ : ٨٨٩ . (عن الطائي لابن خاتان)

(٤) - الديوان : ١٥

(٥) - نفسه : ٢٢٥

(٦) - نفسه : ٢١٦

النسابات في بلاد المغرب كلها (١). وكان محمد بن أحمد بن عثمان (- ٥٢٣ هـ) من
 وأما ما به ، وكان من جولة الأدباء وشاعير الشعراء (٢) . ولذلك كان النش بن خاقان صاحب
 القلائد والمناجيع أحد أساطره ، وكانت بينهما مكاتبات ، وهو الذي أثبت في قلائده بعض ما
 صدر عن أبي اسحق من عنات اطلع عنها ، فحاشيه على ذلك عتابا شديدا (٣) . وفي الديوان
 قصيدة مدح في أبي الحسين بن الربيع ، صاحب اعمال قرائة تدل على صداقة قديمة (٤) .
 وأما علاقته بأبي محمد عبد الله بن ربيعة ، فكانت قوية ، فقد جمعت بينهما اذمة الشهاب
 رسلر انتقام وقراءة المساب والاداب . انا من الانتقام والالهام ، بحيث لا يريان بئدعلان (٥)
 وقد خلت موته في نفس شاعرنا أثرا عميقا ، فقرأه بمقائد مؤثرة ، تفويض أسى وتنضج حزنا .
 وقد جمعت اياه الى السجل بغير عولاء ، ممن اتسموا بالعرف والادب ، فعاشر اياهم تلك الايام
 على احسن ما يرام ، ابيب عشرة وحلاوة حياة ، لبث يرد صداها في شعره مدة طويلة ، ويتمنى
 عودتها ، ونحشر على انتقامها في شعر رقيق ، يفيض عن ذوق ومعاني .
 وقد تميزت هذه الفترة من حياته باستناده ، ومجاافته لطول عمره ، فلم يهرع عنه أنه
 تعرض لهم بمدح ، او تنرب إليهم بخبة اللب والانتجاع ، رغم اشتهار بعضهم بالادب وتقدير
 أماله (٦) . فقد أغفل الشاعر فنه للأعراب عن خلجات نفسه ، وسط طبيعة ولذه الغناء ،
 منزعا اياه عن ان يكون كسب ، مكتفيا بما لديه من طال ولكننا نجد ابن البار يذكر في الحليمة
 السراء أن الشاعر انتجع تميم بن المزمع صاحب فرقة في صباه (٧) . وهو غير انفراد به
 لم نجده عند سواه ، كما نجد في الديوان قصيدة في مدح المصطفى بن سنان الطك الشاعر
 ما يب السرية ، والناسبة أن . ذا الاخير " انصرم مجلسه في مجلس لبالي انه سورة ركب من
 ربحان في دميعة جارية ، ثم ابيت وقلدت ، وامر من حضر من الشعراء بوصفها " ، فنان ابن شناعة
 في ذلك شعرا تعرض فيه لمدح المصطفى في بيتين من ثمانية أبيات (٨) ، ولكننا لا ندرى

(١) - المغرب ٢ : ٣١٥

(٢) - التنظية ١ : ٤٣٦

(٣) - الديوان : ٢٠٥ - ٢٠٦ ، القلائد : ٢٦٧ - ٢٧٢

(٤) - الديوان : ١٤٤

(٥) - نفسه : ١٧٨

(٦) - الذخيرة : ٣ / ٢ : ٥٤٢

(٧) - الحلة السيرا : ٢ : ٢٢

(٨) - الديوان : ١٥٥

فبما إذا كان الشاعر قد انتخب المعتصم بقينا أم أنه قال ذلك على سبيل التشويق والتبريز في مجال
 اختفى فيه ، على غرار ما قاله في وصف فهل جارية المعتصم بن عباد " جوهرية " عند ما خالجه
 وعوبها صحر حاسن " البهار " ، وقد أنبت اسمها في الصنونة تحت اسم لثلا تتع عليه عين " (١) .
 إلا أن هذه الفترة من عمارة الشعر والاستقلال لم تلبث ، أن سرعان ما كسر الشاعر ذلك الدلق
 أو بالعربي مرت بهاته حوادث وأزمات وتقلبات ساعدته على كسره ، وأخرجت الشاعر من عزله
 ونسبته من غفلته وتلبت حياته رأسا على عقب ، فتحول إبراهيم من المجون إلى الاستقامة ،
 ومن الغفلة إلى الوعي ، ومن المزلّة إلى الالتزام ، وكانت دعوة المراهقين ، وهي الدعوة
 ذات الأساس الديني ، والقائمة على الزهد والجهاد ، متفقة مع اتجاهه الجديد ، وكان سلب
 النصارى لوائه أشد على نفسه بالقدر الذي كان إخراجهم منه راغبين خير دافع له على الالتزام
 بهذه الدعوة ، والارتباط بمن يهتدون بها ، ألم يجدوا ثلاثين مجده ، وللمسلمين عزتهم ، بعد
 أن وزعتهم الفرقة ، وأنبتهم الفتن ، وأذلهم النصارى وأخرجوهم من أوطانهم ؟ ثم ألم يكن
 لا أحد هم ودوا إلا مير إبراهيم بن يوسف الفضل في رجوع موعظة الشاعر إلى قمة نشاطها بعد أن فترت
 مدة من الزمن ؟ ، لقد وجد الشاعر فهمهم وفي دعوتهم النموذج الذي اعتقده من قبل لجسد
 من خلاله لموهاته وآماله ، نراهم وأنهم من شيعتهم ، وسنة لهم (٢) ، مدح امرأهم
 وزادهم ، وتواد حبوشهم وقناعاتهم ، محبا ، مواليا و " صانعا لا متبجعا ، وستيلا لا
 مستئيلا " (٣) . فصار شاعر الدولة الجديدة ، ملتزم بقضاياها ، وسجل انتصاراتها وخلد
 مآثرها في شعره ، مدح من ابتاع يوسف بن تاشفين : علي بن يوسف عرضا وبعت اليه برسالة

(١) - الديوان : ٢٧٩

(٢) - نفسه : ٢٩٥

(٣) - نفسه : ٨ - الذخيرة ٣/١ : ٥٥٩

نشية (١) ، وأبا اسحق إبراهيم بن تاعيشة ، وكانت له به علاقة خاصة ، مما جعله يهمله
 بأكثر مدائمه . كما تأتي أحوالها ارتباطاً من يوسف بنصيب منها ، وأخيراً الشاعر في مدح أبي بكر
 ابن تيفلويت سمير علي بن يوسف قاسم قاسم ، كما مدح بأخيراً مريم زوج الأمير أبي الدناهر تموم
 ونعتها بأنها كانت « مرة فائقة » وقائمة على كثير من الخير ، تحفظ جملة وأقرة من الشعر ، وتحاضر
 به وتثيب عليه (٢) . ومن الذين مدحهم من قوادها أبو بكر بن الحاج لصلة كانت تربطها (٣) ،
 ونوه كثيراً بالتأكد أبي عبد الله محمد بن عائشة . وكان من أصدقائه أيضاً أبو بكر بن المائش
 (ابن هاجة) الفيلسوف والحبیب الشاعر المشهور ، وزير أبي بكر بن تيفلويت . ومدح من الوزراء
 أبا العلا بن زهر (٤) (٥٢٥ هـ) الفقيه الطيب الاديب ، ذاك المكانة المرموقة في دولته
 المرابطين ، وذا الوزارتين الاديب الذائع السميت أبا عبد الله محمد بن أبي الشمال (٥٤٤ هـ) (٥)
 كما كان الوزير أبو عمار بن ينى الاديب الشاعر ، تلميذ أبي العلا بن زهر في الادب صديقاً للشاعر
 وكاننا بناسلان (٦) . وأما الفقهاء والقضاة فقد ربطته ببعضهم علاقات متينة ، كما بن صمون ، أبي
 اسحق إبراهيم ، الفقيه الوزير (٧) ، وأبي اسحق إبراهيم بن عمام (٥١٦ هـ) قاضي قضاة
 شرق الأندلس ، وبنان متبذل علي الشاعر ، وأخيراً ، مراعي لحيته ، مما جعل ابن هاجة يكثر من
 مدحه ، ويهمله بنصر قرائد من ديوانه ، أحداً ما في رثاء والدته . كما كانت له مكاتبة مع كل من

-
- (١) - الديوان : ١١٦ : ١٦٠
 (٢) - الديوان : ٤٦ - المارب : ٢٠١
 (٣) - الديوان : ١٨٤
 (٤) - نفسه : ١١٦ / ١١٨ - عيون الانباء : ٥١٢
 (٥) - الأخيرة ٣ / ٢ : ٧٨٦ . القلائد : ١٩٩
 (٦) - الديوان : ٢٨٧ - القلائد : ٢١٢ - التكملة ٤ : ٤٧٩
 (٧) - الديوان : ٢٤٥ - ٢٤٦

القاضي أبي بكر بن عتور (١) - (٥٠٥ هـ) وقاضي الجماعة بترولية أبي عبد الله محمد بن محمد بن (٢) - (٥٠٨ هـ) بمعرض تفتين مصلحة عامة أو خاضعة . وكانت له احتمالات وسفارات مع غير هؤلاء ، وذكر أسماء بعضهم وأغفل ذكر البعض الآخر لعدم اشتجارهم ، ويروز مكانتهم إلا أن الأثر في ذلك لم يكن ابن عفاجة بحدح للفر . وفيه من الدار في سديد ذلك عما يمكن أن يبيد من الصدور . حيث لم تجاه الرعي . بل نجد الشاعر بالمرصاد لكل هذه التواضع التي . بأنها أن تسي إلى سبي . هذه الدولة الفتية في نظر الاندلس . فكان يدافع عن العلوم ، ويشكو العالم إلى ولي الأمر ، سواء تعرض له أولئك (٣) .

وهنا نثون قد ألقينا الضوء على علاقات الشاعر ، والتي من خلالها تتضح لنا مكانته ونتمسكه الاجتماعية في عصره وخاصة في ظل دولة المرابطين التي أنعم أحد شعرائها ، بل ودعاتها الصليبيين .

((٢))

ويتضح من خلال الديوان أن ابن عفاجة كان يعمل في غالب أسواقه إلى الاستقرار يستثقل الأسفار والانتقال من مكان إلى آخر ، وخاصة إذا كانت المسافة بعيدة . فقد عاشر مرتباً بلده ، ولا يناد بفارقه حتى يحن إليه حنين المصيب إلى محبوبه ، وتماثله في الدنين إلى ربوع الوان قليلة ، ولكنها قوية في عافيتها ، بما يدل على أن الشاعر قالها ، وقد لال سفره ، وحدث الشقة بينه وبين هذا الوان الجميل ، وما لا شك فيه أنه جاب بلاد شرق الاندلس ، بلنسية ومرسية وشالبة ، وغيرها في شبابه ، وغيرة القلب ؛ واستمر يتردد عليها ، وخاصة بعد أن اشتهر أمره ، ودون صداقات ، هنا وهناك في تلك المدن القريبة من سبيل رأسه " شقر " . كما يحتمل أن يكون

(١) - الديوان : ١٧٦ : ٢١٢

(٢) - نفسه : ٢٢٨ - الثلاث : ٢١٩ - ٢٢٠ - بنية الملتصر : ١١٣

(٣) - نفسه : ١٧٠ : ٢١٤

قد أم سر نسائه ، حيث ساعده ومد وجهه الامير ابو بكر ابراهيم بن تيفلويت ، ومد يده اليه الياسكوف
الشاعر ابن باجة . ويظن أيضا أنه اتجه الى حبيزة الصمتيم بن صمان في " المرية " (١) . كما
تمد المغرب ثم قفل راجعا منها في سنة (٤٨٣ هـ) . بهجته عبد الحليل بن عبيد شاعر
المستند (٢) . ولعله في خلال هذا السفر يكرن قد جاز على حاضرة بن باديس بن بلقين (- ٥٥٠ هـ)
على مد قول ابن البار . فقد صرح لنا انه انتجعه في صباه (٣) . ولئن السفر الدويل الذي
ارغم عليه الشاعر وكان من سنة (٤٨٥ هـ) الى سنة (٤٩٠ هـ) ، اى مد فاستبلا السبيد
الضمير على بلنسية واصلها بما فيها شعر ، واشاعته الرعب والهاج في قلوب أهلها ، فقد ترك
الشاعر وانه ، واللام به سر قلبه ، والاس يدانه . جواز مدته ، ودعاه على وجهه فرارا من هذا الجو
المرعب الذي ساد بلنسية مدة عشر سنوات او تزيد . وهي مدة كافية لان يعبس ابن خفاجة مدد
الاندلس ، وربما المغرب للمرة الثانية أيضا . وقد تعلم ابن خفاجة في خلال هذه الاسفار
أشياء كثيرة ، فقد اطلع على وضع الاندلس المزري ، كما رأى بأعينه مدينتها وممالكها الثرية
ومى تمنى لسلطان القوة الجديدة ، وقوة المرابطين التي كانت تمثل في رأي الشاعر وخبره
من الواقعين ، وغالب أهل الاندلس الدلية الموعدة ، والمنقذة في آن ، وقد كانت ذلك في معظم
مدة هجنتها على الاندلس ، مما زاد من عذقة الشاعر بها ، وجعله يش بها ، ويستبشر قبل الاوان
بارجاع وانه بلنسية (٤) ، وانتزاعها من أيدي الزمارى ، ويحقق أمله في سنة (٤٩٥ هـ) ،
فيفرح فرحته الكبرى بمودته الى وانه ، على الرغم من أنه لم يجد بلنسية كما عهد لها وانا وجد
انقاسا ، ولم يجد ذلك الوجه الجميل ، وتلك المنتزمات الرائعة التي ألفها من قبل ، بل وجد
منظرا شاعها ، وقد تنافرا الهدم والنار على معومحاسنه ، الشيء الذي أثار في نفسه الرقبة ،

(١) - الديوان : ١٥٥

(٢) - نفسه : ٣٦٧

(٣) - الحلة السيرة : ٢٢

(٤) - الديوان : ٢٠٨

فداه، بثلث الأبيات الرثوة الصغيرة (١) . ولم تلبث المدينة أن طادت إلى جمالها ، وحسبيتها
وأمنها واستقرارها ، وعاد الشاعر إلى جزيرته البهية ، ولكن بتصور جديد ، ونثرة إلى الحياة
والكون جديدة ، وأغلب الآن أن الشاعر بعد هذه السنة لم يتجاوز شوى الاندلس إلا نادرا ،
ثم استقر بها ثوبا بعد سنة ٥١ هـ في سائر رأسه ، شقير ، هيب ، مع شعره في ديوان ، ونزولا
منه رغدا أسماه وسبي منه ، فأعذوه عنه ، ونشره في الأسار ، ولعبت الشاعر على تلك الحال
تتناوشه الألام والاستقام بين الحسين والحسين إلى أن توفي سنة (٥٣٣ هـ) (٢) .

(١) - الديوان : ٣٥٤

(٢) - السلسلة ٢ : ٩٩ - بخبة الطاهر : ٢١٧ - التلطة ١ : ١٤٤

احتلت الالبيمة السمة مركز الصد من اعظام الشاعر الجاهلي ، فقد كان الفرزدق والنابغة
 نذلة الارتكاز والصور مرغى معظم الالبيمة التي رسمها لنا من خلال شعره ، فلم تكن
 الالبيمة السامة الا المار بجملة صورة فرزدق ، في حين احوالها ، كما أن عناصر الالبيمة
 السامة الاخرى لا تعدو أن تكون ، سدر تشبيه أو استمارة في مجال الحديث عن الفرس والناقة ،
 وهذا أمر يدعي ، فارتباط الشاعر الجاهلي ، بل والعربي الجاهلي عموماً ، بهذين النكتتين
 الديتين كان ارتباطاً لهما ، حياتياً وصحياً في أن ، فانفردت وسيلته في حربه وسلمه ، وصاحبه في نزوته
 وصده ، وموئله في أسفاره وزياراته المختلفة ، كما كانت الناقة ، لسلطانها ونفوسها ، وصبرها
 أنفدت وسيلته في أسفاره الدويلة النسيبة ، يأتى على سنها الفواز ، ويهدون بها غمار السعراء
 في نهارها اللامع ، وليلها الضلم المصوف ، وهي صحبة لها أثرها وتناجها واناساتها فسي
 نفسية العربي الجاهلي ، فقد أعجب العربي بهذا السمران الدافع ، العابر ، القوي ، والبطل
 بما أعجابه ، وشووا أعجابه كثيراً ما كان يتألم إلى حب ، يمل أحياناً إلى درجة التقدير والفضاء ،
 فهو عند ما يتعرض لوصفه ينسى نفسه ، وتتوارى ذاته ، وكأنه رأى فيه صورة أخرب له ، ولشاعره
 وأحاسيسه وأفعاله ، أو أنه وجد في صفاته وأحواله تمويهاً لذات الشعر بالضعف والخوف والقلق
 غير ما كان يساعده في تلك الحياة القاسية ، وسط صحراء الجزيرة العربية الراسعة ، فاستمد
 إليه مشاعره ، ونسب إليه أفعاله . واستلح الشاعر العربي بهذا الاعساس المصنوع بالسيوان ،
 الحب القوي له أن يرسم له صورة تفيض حياة وحركة وواقعية .

قد أعجب أمروء القهر فرسه ، ومن مثالي هذا الحب والتفاعل الذي معه رسم له حورا واقعية غنية ،
 جملتها حيناً ، مفصلة حيناً آخر ، يرسم الصورة العامة للفرس في حركاته وسكناته ، في انقباله وإدباره ،
 جريه وضروته ، في السعد أو في الدرب ، ثم لا يلبث أن يجده أعجابه بفرسه إلى أبعد من ذلك ،
 يتجاوز الصورة إلى التمديد التجزيئي للخيال الذي رسمه تبارك . وقد وجد نفسي
 الالبيمة من حوله مبعثاً ثراً لتشبيهاته واستعاراته فقرن كل جزء من أجزاء فرسه بما يشبهه ، كالأر أو
 زحاً . في الالبيمة من عناصر حيوية وعامة ، فذكر من الالبيمة العبة الطيبي ، والبثرة الوحشية

والنماعة ، والبرودة ، والقوة والشلب والذئب والوعل ، وغيره ، ومن اللبحة السامة عكسول
النخلة وسعفها ، والسرة العلة المورسة ، والخدروف والمرأة والهرن والربح وغيرها من أنواع
اللبحة ، يستدعي الشاعر ، واستلهم مدانياتها في رسم صورة لفرسه ، حيث فيها من الحركة والصوت
واللون ما جعلها أنثر بطلا ، وأقرب إلى الواقع الحسوس (١) .

وحنايت اللبحة (٢) بأقل من حنايت به الفرير ، اعتماداً على التبر ، وإن كانت حنايت بهسا
شي أنها كبيرة ، والحاجت إليها في معاشه واستقاره البعيدة ، فقد سبها هي أنها ، ورسمها
صوراً عامة ، كما رقت عند عناصر الجزئية ، مستعينا به في ذلك كذلك ، بما يحيل به من عناصر
البهيمية ، وهو مرفق - ١٥١ - في استلهم الطهية في تصميم الصور ورسم المشاهد الرائعة
أراحلة . وقد يفت عند سرور بعينها ، يكررها في شعره ، وكأنها أحسن أنها قد استهلكت أدواتها
شأ أسير بذلك الممرار الذي ، أتوا من بعده ، وردوا أو سافد ، وجدوا عند الطريقته يعخذونها
وقل أن أنافا إليها جديدا . وما تجد ملاحظاته ، مما أنه كثيراً ما اقتداهل هذه الصور وتتماثل
في أشعار امرئ القيس ومعاصره علقمة ، ولعل للرواة في ذلك أثر كبير . وفي سرور التذليل
على قوة راحلة ، وسرعته التسع الشاعر إلى اللبحة ، فوجد في حمرها وإبتارها الوحشية ثم في
أبهرها وحبوانها دابة أمثلة حية تجسد مميزات ما بهته ، فاستلهم بصفها ، وبلاحتها بالته التسمية
الدقيقة ، واستلهم أن يلتزم لنا سوراً ومشاهد رائعة لحيوان الصحراء على اختلافه ، بل وتكاد
كل صورة أو مشهد أن يكون شريفاً من الصور الطونة ، الصامة بالحركة والجماعة ، وهو تسهر كثيراً
ما تتجلى فيه إسقاطات الشاعر النفسية والاجتماعية ، ولكن بأريكة عفوية تلقائية ، فهو عند ما يستلهم
من وصف الراحلة إلى وصف الممار الوحشي ، يوجه عنايته إلى تصوير صفاته الجسمية والنفسية ،
في قوته وسالته ، وصبره وتحمله ، ومروبه وبخطته ، على انفراد أو بين أخته في حياة أسرية طوءها
الرعاية والولاية ، وهو تصوير يمكن - فضلاً عن حيويته ، وعركيته وجماله - جانباً من حياة العربي
في بيئته حيث يكون للأسرة رب يحميها ، ويصبر على راحتها (٣) .

(١) الديوان : ١٩ - ٢١ - ٣٧ ، ٤٦ ، ٤٩ ، الحصر الجاهلي ، ١١ ، شوقي ضيف : ٢٢٣ .
١٦٣ ، ١٧٣ -

(٢) الديوان : ٦٣ - ٦٤ ، ١٦٩ .
(٣) نفسه : ١٠١ - ١٠٤ - ٣٧ ، ٣٨ ، ٨٠ -
ديوان علقمة : ٧٩ - شعر الطهية : ٤٥

يرفرفر علكة في ورف اللذات ، وتصوير الخرق المخوف الذي قذفته به في الهاجرة ، في نفقة وسرعة
 بأنها بكرة مذمومة . ويخلص من وشمها في تمديد أنوار الى ومنه الداليم ، وفي سريره لنا أسرار الثوائم
 زعر ، وتوى الدقارين ، لا يسمح الا سموات لصغر أذنيه ونصيفهما ، ويرى الحثثال ، يفسر حبه ، ويتدلى
 ما تالول من أغصانه ، ثم لا يلبث أن يتذكر بيضه ، وقد أحمر بدنو الصلر ، فبترت المرعى ، وينجبه
 مسرعا الى بيت بينه وفراخه وزوجه ، ثم يسر لنا سرعته المضحكة ، فهو يتارب ما بين أخوه ورأسه
 حتى يكاد ظفوه بحسب مثله فيشقه ، ويصل الى وكرة ، بحيث تستقبله زوجه في احتفال وتكريم
 فتدأ به وبخاطبها ، ويتجادلان في مقام يدل على حياة أسرية سعيدة ، وهي سررا أخذ المثل
 منها نصيبه ، كما أخذ الفن التسموي نصيبه أيضا ، مما أكسبها جمالا ، وأفاض عليها روعة وأبداعا
 وهي صورة غريبة في شعر علكة لا نجد لها نظيرا بعد لها في تصويرها وعندنا الانساني (١) .

كما نجد عند مهيب بن الابرص شهيدا رائعا ، وسورا فنية محكمة لجملة تدور بين اللثة والشلب
 نجسد فيها معنى الصراع ، وكشفت القباب عن ظاهرتين متضادتين ، ظاهرة المد وان والفاخرسة
 والجهروت التي تمثلها اللثة ، والاهرة الذلة والخنوع ، والتفاضل والهلع ، ويمثلها الشلب ،
 فالمثية تلاحق الشلب ، ثم تدركه ثم تجد لفواترعه ، وتكاد به وتغرقه بمخالبها ، ثم ترفعه وترسله
 وهو يحوى من شدة الألم ، شائف ، مرتعد ، قد انقلب حلق عينه من شدة الرعب ، يستسلم لا يمدى
 أدنى مقاومة ، انها صورة حية بلغ التسمير فيها أوجه وتجسدت من خلالها نفسية الألم والاضيقوم
 والقوي والضعيف ، وهي ظاهرة اجتماعية عاشتها البيئة العربية في الجاهلية ، ورسمتها بحسنه
 السورة بطريقة رمزية رائعة (٢) .

ويخلص ألفة بن الحميد ، قسما منها من مملكته لوصف ناقته ، وفي صفها وصفها ، ولا يترك فيها
 عنرا الا ربهه شديدا ، وما يتأمله ويخاسر في الداجدة ، وما يطعمها الذي أوالداس ، وقد أشر
 في تشبيهاته واستعاراته من استخدام وسايل الانسان الحيوانية ، كالمرأة ، والسفينة ، والقنطرة
 والسندان ، والتابوت ، والفراش ، والمرد وغيرهما ، وقد يتجاوز الوصف الطاري للناتة الى صفاتها
 النفسية والحيوانية فيبرزها ، فهي حساسة ، ذكية ، نشطة ، ولواع ، تتبخر في سيرها ، ما يدل على

(١) - ديوانه : ٥١ - شعر الدبحة في الادب العربي : ٦٣
 (٢) - ديوانه : ٢٣ - شعر الدبحة : ٦٧

أن الشاعر سورى أريانه لثقافته من عب عميق ، وهاشقة مادنة جياشة (١) وأما شعراء
المدح ، والاعشى ، والنايضة وزعير وغيرهم ، فعلى الرغم من أن المدائح استغرقت
تسما كبيرا من أشعارهم فإننا نجد لديهم بعض الاحتكام بالدليمة ، حبها وماقتها ، فقد
كانوا يلاحظون المسافات الشاسعة ، ويخوضون قطار الصحراء ، متحلمين ما فيها من
مخاطر وأحوال ، في ليلها المدلهم السمات المخوف ، ونهارها القاتل الطقش ، فصوروا
ذلك كله ، وشبهوا نوتهم التي تحلمهم إلى المدح في قوتها وسهرها ونشاطها بالبقرة
الوحشية تارة ، والسمار الوحشي آخر ، مقدمين بذلك سورا لبريفة ملهقة بالهركة والسبابة .
فقد استلزم الاعشى من وصف رحلته وثاقته إلى وسط الثور الوحشي ، فقدم لنا سورا حبة
من هذا الجيوان ، في قوته وسالته ، ودفاعه عن نفسه ، فهو يفر من السباع والذئاب
في بادئ الأمر ، مذالقا كالنجم ، ويختفي وراء الشبان ، ولكن الثياب تلحق به سرعته
كانها نشاب السائد ، حتى إذا أيسرته ، انتفض ، واندرى يدافع عن نفسه ، فخصما فورا
متركة عارية مع الكلاب ، يكرهقونه ، وعلى سلاحه الوحيد يلمن بها يحننا وشمالا ، فيشق
بدور الثياب ويد من آسادهما وهو في حال من الغضب شديدة ، فتحصر الكلاب أن لا قبل
لها . وهذا الثور الساتي ، فنولي عارية منهزمة ، تظلم جراحها ، ويصرف نحو من المعركة
مفتسرا ظافرا (٢) . وقد بيني الشاعر بالثور نفسه ، أو بيني به شيخ القبيلة وبالكلاب
أعداء مدومه (٣) ، ولكن السيرة أنه لم يسلم ثوره للثياب تفعل به ما تشاء ، ولم يمسك
نهايته على أيديها ، وإنما جعله ممينا للحياة ، مدافعا عن نفسه بكل ما يملك من قسوة
وهو موثقل له مفزاه في سبابة العربي في جماعته ، وغاية من أن مثل الاعشى يجواب أفاق
يرمي بنفسه في سبابة ، هل ما فيها يهدد بالموت ، ويخدر بالزوال ، فبأسد حبه للحياة ،
وكرايمته للموت ، في انتصار الثور ، رمز الحياة ، وانهازام المعاهد وكلايه رمز الموت والفناء ،
وهي سيرة أريفة بلا شك ، شارحا المثل فيها بتسلك واغر ، وامتزجت فيها المعاني الإنسانية
بالنفس ، فجاءت مستنة ، زاخرة بالحركة والحياة ، وتلتهت صورة أخرى للثور ، في شمس
الجنة الذهباني ، وهي تشبه في خيالها العامة صورة الاعشى ، وأما ليليد ، فنجس
عنه صورة لطيفة للطبيعة الحية ، نهواينا بعض البقرة الوحشية في معرض وصف الناقصة

(١) - ديوانه : ١٠ - ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩

(٢) - ديوانه : ٣٦١ - ٣١٢ ، صناعية العرب الاعشى الكبير : ١٧٠ - ١٧١

(٣) - الأبيحة في الشعر الجاهلي : ٢٨٧

رشد لا يتفطير عند ظهورها الحسي ، وانما يركز اهتمامه على الجوانب النفسية
 من خوفه وحزنه وانطرابه ، وقد استقر في فني فترة ثلثي أكل الصبح وعبدنا وحسني
 بصيدة عنه ، فجز ذلك في نفسها . فتحنن عليه حزنا شديدا ، وتبشيه بكاء مرا ، حتى
 أن الامار رقت لعاليها فبنت لبنها ومرا ثمتها عزتها ، وتسر بلذعة البرد فتاجسها
 الى جناح شجر حيث تنقي ليلتها ، جزه فزعة ، ثم يهول الشاعر من صابها فمسرر عسا
 عزلة لم يوم ماغت من كلاب النعاس ، ولدا لا تسعد لها ، وتزور من نفسها بترونها القوية
 الحادة ، وتضمت في الدناغ رغبة في الالة ، وتضرب سية ونبت عاجها فدية قوية تدورها ،
 فتقلى الكلاب منهزمة ، متألمة يائسة وتنبهو الهرة من موت يحق (١) .

ورسم الشاعري في اللامية المنسوبة اليه صورة سية للذئب وجماعته ، فقد شبه نفسه فسي
 اسنك بالثوث الليل ، ونرى في القفار ، وبلازمته الهبال ، واقتراشه التراب ، بدئسب
 حميل ، بائع ، بذلح النلوات ويحبوب الاودية والمقازات بحث عن الطعام وصحبها وراء القوت ،
 يدوي باعسا ، متألمة ، غار تبشيه غير جماعته ، وهي أسوأ حالا منه ، فهي مضطربة ، مهتله ،
 قد شابت وبوهها ، ولشفت عن اشدائ كشقون الحسي ، ولذعة عابسة ، لريهة الضلر ،
 مرعبا ، تنج لسبا هه ، وتشكولشكات ، مضج فتضج ، ثم يرعوى فتأسى به ، وتعتس
 بالسبر ، وترجع الموية لا تلوي على شي ، ولو تسوير عذر من خذله ذاتيته ، ومواقفه
 النفسية والاجتماعية ، بأريقة عفوية ، تلقائية ليس فيها قسر ولا اقهار صارم وذلك
 الفن (٢) . كما نجد سورا اخرى لغير هذه الحيوانات ، فقد كان الشاعر العربي محبا
 لبيئته ، مصرط بها فيها من حيوان ، ولقا بتسميرها في مفاهرها المختلفة ، لذلك زخمر
 شدره بالسور ، واستل بالشارد المهمة الواقعية للبيئة السرا ، وحيوانها الاليس
 والابد ، وهو أمر يبول بنا الحديث عنه لو أننا حاولنا الاطاحة به من جميع أرافسه ،
 فالتصرنا على هذه الحسور ، وهي غيغ من فيض البروزها وتكاملها من جملة ، ولا تضلح

(١) - شرح الديوان : ٦٨ - ٦٩ - الوصف : ٢٠ - ٢١

(٢) - اعجب العجب في شرح لامية العرب : ٢١-٢٣ . الوصف : ٢٦ .

مقالات في الشعر الجاهلي : ٢٠٩ وطبعها .

وتف الشار من الالهية من خازنها من جهة ثانية ، ولانها - من جهة ثالثة - ترسم
 راحل النور في شعرا الالهية في هذا الدور من تاريخ الدينا الصري القديم ، فبعد
 ن كان الوصف ماثورا ، بمعنى بظاها الموصوف ، يعتمد تشبيهات مستقاة من الالهية في
 لورا والمختلفة ، نجد ه يركز على الجانب النفسي منه ، فيجلبه بخلفية تثير فيها الاساس
 بالتماثل أو النفور منه بالهيئة فنية رائعة (١) .

((٢))

وفتن الشاعر الجاهلي بالالهية السماعة بدرجة أقل مما فتن بالالهية العبة ، فوقف
 على الا لال ، ووصف السعراء برمالها وسرايها ، وشجرها ورباعها ، وراغب الغيث وقائمت
 اليه نفسه ، وهفا اليه قلبه ، فصور السعاب والبرق يومض من خلاله ، ووصف سقوا الصنبر ،
 وتعتب مسيرته الى أن يتحول الى سبيل تجرعا تبده في طريقها من نبات واشجار وأبنية
 وسباع ، ورسم للأرض بعد نزوله ، ونجوم المشب ، وتفتح الزهر سمورا رائحة ، ووقف على
 اللال ، رمز المحبة والعناية السعيدة ، فوصفه ، وقد تعاورت عليه عوامل الهدم
 من رباح وأمار ، وقد أعشبت ساحاته ، وسرحت في جنباته الغلباء والابقار ، وصفا حيا مؤثرا .
 لقد احتفل امرؤ القيس ، شاعرا الالهية الاول في هذا العصر ، بالالهية أيضا احتفال ،
 وفتن بها فتنة تلهم بحلا من خلال الصور المتنوعة الدية التي زهر بها ديوانه ، ووقف
 في مقدمات قصائده على اللال وتفة انسانية مؤثرة ، فجاج الرسوم ، وبعث الحياة في أرجائها ،
 واستحضر الماضي السعيد لهذه الديار التي تعاونت الرياح والامطار على البحر معالمها ،
 ويستسلم لآلام اليقظة ، فتداعى الصور أمامه لذيذة حلوة ، ولكنه سرعان ما يفن على
 ذلك النست الرتيب الذي يلف المكان ، وعلى بحر الارام المتناثر حنا وعمات كعب الفلفل ،
 فيختم لذلك غما شديدا ولا يجد له متنفسا في غير البناء فيلن وأبلى (٢) . ووتفسيره مسن
 الشعراء على الا لال ، ولكن وقناته ظلت متميزة بذلك الدفق الشعوري ، والتفاعل العمي

(١) - العصر الجاهلي : ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣١

(٢) - ديوانه : ٨ - ٩ ، ٢٧ ، ٤١ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ١٦٨

شعرا الالهية : ٤٧ وما بعدها
 العصر الجاهلي : ٢٦٥

السادق مع تلك الرسوم من دون غيرها من الوثائق . فقد وثف بها عهد بن الابرص وزهير ولبيد وغيرهم ، فسطها زهير وقد درست معالمها وعفت عليها الامار والرباح ببشمة وشم في المراسم (١) ، وشبه لبيد ما تتيق من آثار الدبار ، وقد كشفت عنها الرين بنتا به كادت تمحي عروفتها فجدد الكاتب سطرها ، أو مي كوشم تقادم عليه العهد فاعادت المرأة شكله بذر الحل عليه (٢) . كما ترون ثعلبية بن عمرو العبدى ، وصفا راعدا للدبار الخالية ، يتلفى في أن فعل الحد ثان وتماثب الضبوت على الارض تشبه فعل الاعباغ في زخارف الهبوت او تشبه رسم الكاتب بهـ كلف رسوما دقيقة وأشكالا منقطة بدواته ، ومويرق يده ويغصها في يد و وسكون لا تترك عنه ولا تهرت جفته ، كأنه مأخوذ بما يسنى من رسم وتصوير (٣) .

وكما وثف امرؤ القيس وثفته السادقة على الدليل ، وقد وثفت آخر أمام الليل ، بهـ ظلمته ورعبته ، فشبهه لذلك بهـ ملامح الامواج ، واستداليه حتى يميل اليه أن رجومه شددت بحبال الى جبل ، وثرابه ثابتة لا تنزع مكانها ، كأنها شددت هي أيضا بأمراس من كتان الى مخور راسخة بما . ثم بهـ جسم هذا الدليل في أول الليل ووسطه بنسورة منتزعة من واتبع بهـته ، فيرى فيه جملا ثقل الصدر ، معتد الظهر ، كما يالن أن الليل انما جاء بهـفته تلك ليقتبره ويحتضنه ، فيخالطه في ثبات : انجد عن المبح ، وليس الصبح أفضل منك عند ، فهمومي لا تنارتني ليل نهار (٤) وفي هذا البيت بيد و انما أن الشاعر بفلسف الابهجة ، وصورها على غرارة ، ويسكب فيها فخره ، وفي ايضاح هذه الفلسفة استخدم وسائل الفن البهاني أدل استخدام فهذا الهم مجسما في الالفاظ والممانى (٥) .

-
- (١) - الوصف : ٣٠ : ١١٨ - ١٢٠ (١٣٨) (الوصف : ٣٠ - ٣١)
 (٢) - ديوانه : ١١٨ - ١٢٠ (١٣٨) (الوصف : ٣٠ - ٣١)
 (٣) - الوصف : ٣١
 (٤) - ديوانه : ١٨ - ١٩
 (٥) - شعر الابهجة : ٤٧

وتردد وصف الليل بالليل عند شعراء الجاهلية ، ونظروا الى النجوم على أنها ثابتة لا تتحرك ، واختلفوا في رسم ذلك ، فمنهم من رأي - وهو الناهضة - كان الراعي الذي يسوق النجوم الى غابقتها قد ترك القايح وذبح الى غير رجعة مضرباً بذلك - من يله سيرة الليل وبعد صباحه ، ومنهم من رأي - وهو مهلهل - في تصوير ذلك ، كأن كواكب الجوزاء نوق .
تتجمع حول ولدهما الكبير فلا تبرح مكانها ، أو يتصور الفردين يدي رجل مثامر بغيسف لا تتفان عن العركة حول التمار ولا تتجاوزانه (١) .

وأما الليل عند الأعشى فيموت بين قهر وخوف ، شديد الظلمة ، يستوي في غوصه المبرر والاعمى ، وقد خاضه وحدا ، وهو يند في السير الى مدوحيه لا يؤنس فيه فسير نعيم اليوم والضوح * ، وأصوات الجنادب ، وعولا يلهث مدة حتى يستبد به الخوف ، وتتنازع الهواجس والاهام ، فيخيل اليه أنه يسمع أصوات الجن وعزفها ، فوفق في اداء هذا الرسم لليل ، وبعث الرعب في السامع بما استخدم من ادوات ووسائل سخرها بنجاح فسي بنا سورته الرائعة (٢) . وقد افتن أيضاً في وصف الصحراء برمالها وقبيلها وسرايها ، فرسم لها لوحات رائعة ، جعلت احد الباحثين يرى فيها ملامح رمزية وسريالية (٣) .

وأما البرق ، فذكره في ديوان الشعر الجاهلي فكثير ، فقد اكثروا من وصفه ، ووقفوا يرقبونه ، ويتتبعون مواضع لعمانه ، لما له من أهمية ، وفي حياتهم من دور . وقد رسم امرؤ القيس وهو من أكثر شعراء الجاهلية احتفالاً به ، للبرق صوراً كثيرة ، تتبحر في بعضهما البرق منصف لعمانه من بعد بين السحاب المركوم كأنه لعمان يدين تتحركان بسرعة ، أو كصباح راغب غذاه بهزيت كثير قوي من نوره وزاد من غيظه ، الى أن يشعل السحاب الجهات ويضمرها ، ثم يهبط لنا الرحاة الثانية المبرقة . وفي سقوا المار بنزارة وشدة . - في سقوا المار بنزارة وشدة . سيل جارف يقتلع الاشجار ويخرب السباع ، ويهدم الديار ، لا يثبت منها في وجهه الا الابنية القوية ، الشديدة الحجارة والصخور ، وتتابعه بالوعف الى أن يمل صحراء الغبيل ، ويلقي بحمولته هناك ، فيروي تلك الارض الجرداء ، فتتبعث لذلك ، وتهتز ، فتخضر وتزهر فتبدو وكأنها تاجر يمان قد نشر أثوابه الطونة المزركشة وبدأ جبل شير وقد تكاثف عليه القلر ، كشيخ سن ، قد تزلزل والتف في كساء مخطط ، كما بدأ جبل خيبر ، بما علق به من بقايا السيل الذي استدار به ، كفلكا مفزل . وهو تصور ، هي ، وشخصي ، يفصح عن حب صاحبه للتليمة ،

(١) - البيت : ٣٢ - ٣٣
(٢) - ديوان : ٣٧٣ - ٣٧٤
(٣) - صناعية العرب الأعشى الكبير :
٣٧٣ ، ٨٣ ، ٤١ ، الديوان : ٣٧٣
١٨٩ ، ٩٧ ٧٣

عجابه الكبير بهذه الصورة الذاتية ، كما يفصح عن تنويره على الرسم والتصوير المحسوس
ملكون لما امر الالهية المختلفة . (١) . وله سورة أخرى بارعة في وصف المار ، وفسق
بها في رسم مشهد جميل ليوم جميل ، ارتسمت فيه الفرحة والاستبشار على غواهر الالهية
عجبا وما شها بنزول المار ، ذلك المار الذي لم يكن ، رغم غزارته وكثرته ، مؤذيا ولا مدصرا ،
وانما كان لها بها ، بلا مرور من الشجر برفق ، وأمن فيه الشجب النور ، فبين فرسا
متهيجا ، يوم كهذا لا بد أن يوشق في نفس الشاعر ، فيخفق متشابها فرسه ، يتلوى الصابر
الجميل ، ويستمتع بالالهية الغلابة (٢) .

يرسم عهد بين الابن وسيرة جميلة لسحاب وعمود نوم من الارض ، حتى كان اليسر
تلمسه ، مشها صوت رعوده بأصوات الحشار المبحوحة ، ومتورا نزول قلمه الذي به رسم
الارض ، فيلأه القبحان وبه من الروض (٣) . وكان الاعشى يرقب المار أيضا ، وهو أمر
يجعله يرسم للبرق صورا عديدة في شعره ، فهو رمز المار ، وعلمة الغيث ، يهدو ويمضيه
من غلال السحب كأنه الشمل في وصفها (٤) .

وافتن الشاعر الجاهلي بنات صحرائه أيضا ، فوصف النخيل ، والدوم ، والشجر ، كما
ذكر البساتين والجنات ، والا زهار والرباض ، ولكنه لم يفعل في وصفها على نحو ما فعل
في وصف الالهية الحية ، والسمراء والسحاب والبرق ، فما يستلح لعترة تلك الالهية
التي رسمها في محلاته لذيها ، بهيته ، وان قد مر بها يوما بعد ثامن أحمها ، فوجد
عشها قد المال ، وزهرها قد تفتح ، وخلا الذباب فيها بترم وبغني كأنه مكران (٥) . كما
يصف الاعشى الروض وصفها فيه اعجاب وفتنة ، ولكن لا لذاته ، وانما ليرز محاسن بهيته
ويغفلها على محاسن هذا الروض الذي بجاده الغيث ، فاخضر عشبه ، وفاع عاره ، ونما حكت
أزهاره كواكب السماء ونجومها (٦) .

(١) - الديوان : ٢٤ - ٢٦ - شعر الالهية : ٤٨

(٢) - الديوان : ١٤٤

(٣) - ديوانه : ٥٢

(٤) - ديوانه : ٥٧

(٥) - الديوان : ١٠١

(٦) - ديوانه : ٥٧

لقد ارتست الطبيعة بصحرائها الواسعة ، ووطأها المحرقة ، وسأها ونجوسها ،
 سحبا ومرتقا وملكها وحيوانها ونبورها ، وجناتها وشجرها وزهرها في شمره ارتساما
 ماديا ، حبا ، وفيه من الحركة واللسون والصوت ما جعله أقرب الى الواقع ، منه الى الخيال
 الشعري ، حتى ان القارئ لهذا البحر وكأنه يستعرض شربا تسجيلا للطبيعة الجزييرة
 العربية في تلك العتبة من الزمن ، الا أنه قد يحس حيايا ذلت كله احساسا غريبا ، انه شمر
 تتعدد فيه الموضوعات ، وتتزامن الاغراض ، وتجتمع المتناقضات ، وتتقارب بطريقة عادية
 وهو شمر تزيل غرابته اذا علم أن الشاعر الجاهلي كان ينظر الى صحرائه الواسعة نظيرة
 شمولية ، وينظر اليها كوحدة تندرج تحتها هذه الموجودات الطبيعية المختلفة ، وهو حريص
 كل الحرص على أن يستش كل ما يحيط به جملة ، ولذلك يفتن بالراحلة الطاوغة التي تيسر
 له الاعلام السريع بيقته وتبلغه أغراضه منها . ويأزم ويصا لراحلة عنده أو يصف
 الطبيعة البدوية المتنوعة المظاهر (١) . لقد أحس في شمره صحرائه بضعفه ، بضالته
 بغربة أنكى أوارها عدم استقراره ، فكان لا بد أن ينجدب الى الطبيعة ، أن يرتبط بها ،
 أن يحسها ويعبأ بطل على ظهرها من كائنات تصونها لما يحتاج في اعاق نفسه من الاضطراب
 واغتراب وشمر بالزوال في كل لحظة . هذا الشمر بالالفة والوحدة مع عناصر الطبيعة
 المختلفة هو الذي يجعله يمدق حيواتها ، ويصطب عليه ، ويفسح له في شمره ، ويصفه ويصفا
 أعرب من خلاله بصفوية عن الكثير من مشاعره وأفكاره الانسانية (٢) .

لقد أسهم امروء القيس ومعاشره ، بنصيب له تمتبه في شمر الطبيعة في أدبنا العربي ،
 وهي مشاركة كان يخفى أن تنس وأن تمتق مواثبة لتأخر الفتر ، ولكن الامكان على خلاف
 ذلك ، فقد أنعم شمر الطبيعة في أبرز جوانبه صورا مفررة ، يرددها الشعراء في أواخر العصر
 الجاهلي والعصر الاسلامي واكثر الاموي ، تباعا وبطريقة شكلية جامدة قل أن ساولوا التجديد
 فيها ، والاضافة اليها ، وأكثر ساولاتهم القليلة هذه لا تلمس فيها ذلك الاعساس العميق
 بالطبيعة أو التفاعل العمي مع غواهرها المختلفة .

(١) - شمر الطبيعة : ٥٢

(٢) - نفسه : ٦٧

الطبيعة في الشمر الاسلامي والاموي

شهدت الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي حدثا عظيما ، فقد كانت
بهشة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام برسالة الاسلام انقلبا جذريا في
حياة العرب ، قلبا شاملا وعميقا للمفاهيم والتصورات والافكار التي كانوا
يتبنونها . وكانت الصدمة شديدة ، واللطمة عنيفة ، أعمت لها وهدت نفوس
المشركين الكاهنة ، فهبوا لمحاربة هذه الدعوة ، وضيقوا الخناق عليها وعلى
معتنقيها ، وأعلنوا حربا شموا استخداما فيها كل الوسائل ، مادية ومعنوية ،
وكانت هذه الاخيرة أشد وأعتى ، فقد انبرى شمر اؤهم يهجون الرسول عليه
الصلاة والسلام وأصحابه ، وسلطوا السنتهم عليهم ، وألصقوا بهم كل نقصة ،
مقابل الاشادة بزعمائهم والتقوية بأصنامهم واوثانهم ، فكان على المسلمين أن يواجهوا
المشركين من قريب وغیرها من قبائل العرب بنفس السلاح ، وان يدافسوا في الدعوة
الاسلامية بكل ما أوتوا من قوة ، وهدوا كيد الاعداء الى نحورهم ، فكان حسان
ابن ثابت الانصاري ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك الانصاري رواد
هذه المعركة الاعلامية ، خدموا الدعوة بشمرهم خدمة جليلة في تلك المرحلة
الحرجة من تاريخها ، فدحوا الرسول الكريم ، وهجوا المشركين ، وسفهاوا
احلامهم ، وشتموا عليهم عاداتهم وعاداتهم ، وطمعنوا في أنسابهم على طريقتهم
هم في هجو المسلمين ، مع اختلاف في التصور العام ، وتضمن للشمر بالمفاهيم
الاسلامية الجديدة من ذكر الجنة والنار ، والايمان والكفر ، والثواب والعقاب ،
ومعاني التوحيد وقضايا العقيدة ، وهو امر شغل بال الشاعر المسلم واستغرق اهتمامه
فكان شمره مساهرا لحركة الدعوة الاسلامية ، يستجيب لخطابها ، وينافح عنها ضد
اعدائها ، ولذلك ، ومن الهدامة ، ألا نجد في أشعاره تلك الموقفة العميقة
العملية لأسرار الكون ، والنظرة المستجلية لنواحي الجمال والابداع في مظالم
الطبيعة المختلفة ، لأن هذه الغدرة وتلك الوقفة تتطلبان قدرا من الاهتمام
والتركيز اللذين لا ينحوان الا في ظل الاستقرار الذي لم يكن متوفرا في تلك المرحلة

القلقة في حياة الدعوة الإسلامية .

هذا عن الشعر ، وأما القرآن الكريم فقد حفل بالمشاهد والصور الطبيعية ، لا تكاد تخلو الكثير من سوره من مشهد او مشاهد للطبيعة معروضة بطريقة فنية رائعة ، قد تأتي في معرض القسم ، فنجدته تعالى يقسم بمظاهر الطبيعة المختلفة من ليل ونهار ، وشمس وقمر ، ونجوم وسما ، وغيرها ، لبيان مالها من أهمية ، ولتوجيه الحس والمقل البشريين الى ادراك ما فيها من جمال ، واستشفاف لما تنطوي عليه من اسرار وممان خصبة ، في جو من الالفة والمشاركة الوجدانية الحسية كما أنها قد ترد في مجال التدليل على قدرة الخالق سبحانه او التعبير عن المشاعر والخلجات والمعاني النفسية والفكرية والاجتماعية ، فيصورها تصويرا يغير حركة وحياة ويرزما للمسيان على نحو يفرغ الحس ويهز القلب ، ويدفعه الى التطي وتلمس الدبرة في مشاهد الطبيعة المحيطة به ، وكأنه يشمر بها لأول مرة (١) .

ولكن ما رصد الشعر الاسلامي من هذا الفن ؟ لم يستفد الشعر الاسلامي ، بل والشعر العربي في مجموعه ، من هذه الثلازمة القرآنية التي تستلقت النظر وتستوقف القارى مرات ومرات ، وهو يتلو كتاب الله ، تذوقه العتد بهر الوعي بما فيه من معاني واسرار ، الا نادرا ، فقد اقتصر على ترداد الصور القديمة ، وتكرار المواقف الجاهلية في جمود عقيم لا يجد فيه ولا حياة ، وقف بالاطلال يناجيها ، ويكي ايام الخالية ويستدعي ذكرياته بمن رهوها مع أحبت الذين غادروها وتركوها نهبا للريح والانواء تهبها وتمفسي على آثارها . ووصف الناقة والفرس ، وحيوان الصحراء في مرنى وصف المرحلة على طريقة الجاهليين ، وتحفل على طريقتهم أيضا ، ولم يخرج عن سننهم في البناء لشكلي للقسيمة بل تأثرهم فيه بدقنة وان خالفهم في السانني والتمسرات التي اقتنمتها النقلة البعيدة التي احدثها الاسلام

(١) - القرآن الكريم : الانعام ٩٥ - ٩٦ ، فالجر : ٢٧ - ٢٨ ، يس : ٣٧ - ٤٤ ، الفرقان : ٤٥ - ٤٧ ، يونس : ٢٢ - ٢٤ ، البقرة : ٢٦٤ - ٢٦٦ ، النور : ٣٥ ، ٣٩ - ٤٠ ، ابراهيم : ٢٤ - ٢٦ ، التصوير الفني في القرآن : ٢٢ وما بعدها .
منهج الفن الاسلامي : ٢١٢ - ٢٢٨ .

في حياة العربي فكرا وسلوكا .

ثم مكن الله للإسلام ، وشمل رقعة واسعة من المصمورة ، ودخل الناس فيها أفواجا ، وعرف الشاعر المسلم بيئات جديدة وطبيعة غناء ، غيها من غناء الاطيار وأنواع الإزهار ، وكثرة الانهار ، وجمال القصور ، وروعة الحدائق والربار الشهي الكثير ، ولكن هذا اندمج هذا الشاعر في بيئته الجديدة وتفاعل معها ، ومنحها من فكره وقلبه وحسه ، ما يجليها ويبرزها ويخلدها ؟ ، تصفحت دواوين الشعر العربي لتتراءى الخلافة والديار الاموي فلم اجد ما اعتمده للاجابة عن هذا السؤال اجابة شافية ، فلو استثنينا ما جاء في شعر ذي الرمة ورجز المجاج وابلس ربيعة من وصف للمحراة وحيوانها لانكاد نعثري على شعر يمثل الطبيعة الجديدة بجمالها وسحرها ، فلم تترب روح المصمومة التي اججت نيرانها النزعات القبلية وبادر الشعوية مجالا للاعتماد بالذليمة والاحساس بها ، فقد استنفدت الالهاجي طاقات شعراء العصر البارزين ، وشغلهم عن وصف الطبيعة وصفا يستفرق مظاهرها ، ويتمق أسرارها ، وحتى ما جاء فيها من اوصاف لا يعدو أن يكون صورا مكررة ليس فيها ما يمت الى المصروبيته بصلية ؛ فانت تستعري شعر جرير والاخلل والفرزدق ، فلا تشم فيه غير رائحة الصراع المنيف ، والنزعات القبلية القيتية ، والهجا القذع مفتحا او متخللا بأوصاف تقليدية للطلل والراشلة والصحراء برمالها وسرابها وحيوانها ، وكأنهم لم يدخلوا قصور الشام ، ولم ينعموا بالطلل حدائقها الغناء ، فماشوا فيها بأجسادهم ، ويقوا مشدودين بمقولاتهم وقلوبهم واحساساتهم الى جزيرة العرب ، يولدون بطبيعتها ، حبها وصامتتها لا يجدون فتورا في وصفها ، ورسم الصور المختلفة لمظاهرها المتنوعة ، وان لم يخرجوا فيها كما ذكرت ، على القاعدة المثبتة ، ولم يكسروا طوق التقليد ولم يهاولوا التصرف في المروث الشعري بما يوافق بهئتهم وعصرهم .^(١) وكان لحركة جم اللغة ، والتعميد

لظواهرها اثر الى اشرفي توجهه الشاعر الى غريب اللغة وشأنها ، فقد سخر
شعره ورجزة لخدمة اللغة ، وتلبية مطالب النماء واللغوين الذين كانوا يمجحون
بهذا النوع من الشعر . وكان المجاج وابنه رقة ، رائدا فن السرجز في هذا
المصر يحتفلان باللغة ، ويمنيان بجمع فريها ، ولكن قصائدهما لم تخل من
تسوير سي لدار اللهمة الصحراوية ، فقد كانت موضوعات الوصف عند المجاج
* لا تقف عند جانب من الطبيعة دون آخر ، فقد صور الطبيعة بعناصرها المتحركة
وعناصرها السامية ، ولكن مشاهد ، على اختلافها كانت لا تخلو من الروح والحركة ، حتى
ولو كانت تصور الجماد الذي لا يتحرك ^(١) . وقد عني باستخدام الاسوان ،
والاكتار من استعمال الافعال ، والتصرف في اللغة من حيث الاشتقاق ،
مما ساعده على تقديم صور حية للصحراء بحيوانها ^(٢) ، وعلى الرغم من أن هدفه كان
لفوها لا فنيا ، فان * الصورة الفنية في رجزوه تلامع دائما بالروعة والجمال والحيوية
بما فيها من تكامل في اركانها الفنية المختلفة ^(٣) ، وقد تأثر ابنه لريقة ، وولسح
بالصحراء ولعب بها ، واكثر من وصف مظاهرها الحية والسامة ، كل ذلك سميا
وراء غريب اللفظ ، وحوشتي الكلام ، لا قصدا للفن في ذاته ، كما سار في
نفس هذا الطريق ابو مرقال الزبيديان مع سهولة ملحوظة في اللفظ والاسلوب ^(٤) ،
ولم يحفل شعراؤهم النزل في هذا المصرا بالطبيعة الا نادرا ، فقد شغلهم
وصف الحبيب ، والتفني بحاسنه عن تطلي جمال الطبيعة ، والاحساس بها ،
غير أننا نجد في الشعر المنسوب للمجنون بعض الاهتمام بمظاهر الطبيعة ، ولكنه
اهتمام عابر ، ونظرات عابرة لا تقف طويلا عند الشاهد الطبيعي ، وكان يتوقع
منه ، وهو المحب المحروم ، ذو القلب الرقيق ، والاحساس الحنون أن يجد

(١) - المجاج حياته ورجزه : ٣١٢

(٢) - ديوانه : ١ : ١٥٥-١٦٢ ، ٢٦٦-٢٦٧ ، ٣٦٤-٣٧٧ ، ٣٨١-٣٩٨ ،

٥٢٠-٥٢١ — ٢ : ٢٢-٦٣ ، ٩١-١٠٦ ، ١٥٩-١٦٠ ،

١٨٢-١٨٤ ، ٢١٩-٢٤٨ .

(٣) - المجاج . حياته ورجزه : ٣٢٤ .

(٤) - شعر الطبيعة : ١٤٤ .

في الطبيعة ، التي همام على وجهه في احضانها ، رصيدا ثرا من المماني
والا سرار التي تمينه على تميمي احساسه ، وتوسيع نظرتي الى الحياة والكون والانساني ،
ولكنه اقتصر في هذا المجال ، كما أسلفت ، على الاشارة ، دون التركيز فقد
شكا الى سرب الغلظ ما به من جيون ، وللمب من طائره أن يعبره جناحية ليظهر بهما
الى حبيته التي نأت عنه وتركته نهبا للهواجس والالام ، فتجيبه الغلظ الى طلبه ،
ولكنه يقنع منها بأن تحمل عنه رسالته ، وتبلغها الى حبيته ^(١) . وهو يحس
بالحب تجاه ك ما يثير في ذهنه صورة محبوبته ، ولذلك فهو يناجي الحائم ^(٢) ،
ويلومها على أنها لم تحزن لحزنه ، ولم تشاركه همومه ، كما يطلق سراح الطبيعة
التي اصلا دها لا لشيء . الا لأنها تشبه ليلى ^(٣) . ولعل الجهد الذي يسجل
له في مجال شعر الطبيعة هو مناجاته لجبل التوهاد ، وتشخيصه له ،
وبدء الحركة والحياة في جوانبه ، فهو يهلل للمرحمن ، وينادي الشاعر ، ويخاطبه
ويخبره كأنه شخص يسمي ويشعر ^(٤) .

وأما رائد الوصف في هذا المصربلا منازع فهو ذوالرمة الشاعر ، فالمطلع
على ديوانه الضخم يلحظ ظاهرة الوصف ا غالبية على شعره ؛ ما يدل على حب ودينام
بالطبيعة بجميع ظواهرها ، وتفاعل حي مع عناصرها الحية والجمامة ، فقد رسم
لذلك كله لوحات فنية تشهد على براعته وتفوقه ، ودقة احساسه ، استكمل فيها عناصر
الفن التصويري ، من حركة وصوت ولون ، كما اسقط عليها مشاعره وأحاسيسه ما اكسبها
الدفء والروعة والجمال ؛ فقد كان شاعر الحب والصحراء ^(٥) في عصره ، وجد في الطبيعة

(١) - ديوانه : ١٣٧

(٢) - نفسه : ٢٨٣

(٣) - نفسه : ١٤٥

(٤) - نفسه : ٢٧٥

(٥) - ذوالرقة شاعر الحب والصحراء : ١٤٦ ٢٧ - المصرا لاسلامي

صورة محبوبته التي نأت عنه ، فهام بها ، وخلا في أحضانها يناجيهما ويجسد
 أحاسيسهم وانفعالاتهم من خلال مظاهرهما المختلفة ، ويرسم لها الصورة تلو الصورة
 لا يفتر ، قد ساوى في مخيلته بين ظواهرهما ، وقرب من متاعدها ووجد متنافرهما
 في نظرة شمولية موحدة ، وهي نظرة وجدنا لها شبيهها عند شعراء الجاهلية ، ولكنها
 عنده أعمق واشمل تدل على ثقافة العصر التي نماها التصور الاسلامي للكون والانسان
 والحياة ، قد تركت اثرهما في عقلية ونفسية الشاعر ، وفتحت عينه على ما في هذا
 الكون من آيات وأسرار ، وارتباط ذي الرتبة بصحرائه قوي متين ، وحب لظواهرها
 عارم طاغ ؛ يجب لها النماء والحياة ، ويكره لها الفناء ، ومن ثم فهو يهتفت
 الصياد ، ويصفه بأشجع الصور ، لأنه يمثل الفناء والدمار لهذه الطبيعة الحية التي
 أنس بها وأحبها حباً لمحبوته ، ولذلك فإن صياده لا يسبب البرودة أبداً ،
 فهو يفسل دائماً في رميه ، الذي تنطلق اثره الأحمر الوحشية كالسهم فارة تزلزل
 الأرض وتقدح الشرر بأغلافها ، ثم تختفي في سرعة مذهلة ، ويبقى هو حبيب
 الحسرة والندم (٢) وهو يصور لا يقف عند ظواهر الموصوف - الأحمر الوحشية -
 فحسب ، بل يتوغل في أعماقه ، ليصف لنا نفسيته ، وهو خائف يترقب ،
 ويتسمع الأصوات ، ويتقدم في حذر شديد ، وكأنه يحس بخطر يوشك أن يدمره
 ولكن خرب الماء يغريه ، فيتقدم الى اليمين ليشرب ، ولكن ما يكاد يرشف
 الرشقة التي لا تبلغ حلقه حتى يسدد اليه الصياد نشابه ، فيخطئه ، وينطلق
 كالسهم ناجياً .

كما ان شاعرة التجسم كثيرة في شعره ، فهو لا يفتأ يجسم الممنسوي ،
 ويصوره تصويراً حسياً ، يبرزه ويجلده (٣) .

(١) - التلويح والتجديد في الشعر الاموي : ٢٦٤ - ٢١٥

(٢) - ديوانه : ١ : ٦٢

(٣) - المصراع الاسلامي : ٣٩٤

هذه نذرة موجزة عن اسهام ذي الرسة في وصف الطبيعة ، وهي ساهمة
وان لم تخرج في مجملها عن سنة الشعر العربي قبله في هذا الفن ، الا أن
جهده المتميز في هذا الميدان ، المنطلق من مطلق الحب العميق للطبيعة
المستغنى لا جزائها كلها ، حية وصامدة ، بلا ادنى تفريق ، يجمله والمجاء
الراجز رائدي حركة الاحياء ، احياء الحورث البدوي القديم وبه من جديد
وسيط بيئتهما الحضرة الاسلامية التي اخذت تحيل الى التأنيق وترنو الى الترف
وهي ظاهرة غريبة حقاً ، ولكن غرايتها تزول اذا درسنا العصر الاموي دراسة
متأنية تتناول نواحيه السياسية والاجتماعية والفكرية ، ووفنا على الاسباب البارزة
والخفية التي كانت وراء بروز هذه الظاهرة ونشوتها
ومع ذلك فهي خطوة اخرى في الطريق ، واسهامة موفقة ، مهدت لما بعدها ،
ولكن بطريقة عكسية ، فقد ولدته العناية بالبادية لغة وطبيعة ، نوعاً من الصراع
بين دعاة هذا الاتجاه ، ودعاة التجديد الذين أرادوا أن يتحرروا من رقعة
التقليد للقديما ، وينطلقوا في فنهم من واقع بيئتهم لغة وطبيعة وجو حياة .

الفصل الثالث

الطبيعة في الشعر العباسي

• ١ •

انتقلت الخلافة من دمشق الشام الى بغداد ، ومن الأمويين الى العباسيين ، فازدهرت الحياة الثقافية في بغداد ، وحواسر العراق على نحو غطى ما كانت دمشق تنعم به من نشاط علمي بفروع المختلفة ، خاصة الشعر ، لارتباطه القوي - غالبا في ذلك الحين - بالمدح ، واعتماد الشاعر في حياته على هبات مدوحيه من أمراء وحكام ووزراء ، مما جعل بلاط العباسيين يزخر بالشعراء والكتاب ، كما أسهمت الترجمات للصفقات العلمية والفكرية والفلسفية اليونانية والهندية والفارسية في سد هذا النشاط الحضاري بشكل أو بآخر بطاقة جديدة ساعدت على قيام حضارة القرن الرابع الهجرية .

وتدانقسم الشعراء في هذا العصر فئتين ، فئة نصرت القديم ، وكانت عوناً على استمراره في القرن الثاني الهجري ، في بلاط بني العباس ، حيث النعمة والترف ، والحدائق والبساتين والدور والتصور ، والبرك والوديان والأنهار ؛ وفئة أعلنت الثورة على هذا القديم ، وحاولت الانطلاق في فكرها وتصورها ، وفنهما من الواقع الحضاري المعاش ، وإن لم تغلص من القديم نهائيا ، فقد استمر الاهتمام باللغة في هذا السرايا وما دبر على لواء في الرجز هتة بن ربة بن السراج ، وهو فن وجد طريقه الى اعلام شعراء المصركهشار وابن الممتز ، واهي نواس والبحتري ونظمو فيه قصائد ، وصفوا فيها الطبيعة ، حبسها وصامتها ، كما وصفوا من خلالها رحلات الصيد والطرود . ونسج انصار القديم منهم على منوال امرى القيس وشعراء الجاهلية ، فوقفوا بالاطلال وكوا فراخ الاحبة ، ووصفوا الديار والدمى ، والفرس والناقة ، وكرروا صور القداما ومغانيمهم حيناً ، وتصرفوا فيها تعدى لا وتطورا حيناً آخر ، نجد هذا في وقفات ابن الرومي الطليعة الطليعة بالصور والمفمة بالحركة

والتي يحتل الخيال فيها مكانة مسعولة تجعل قارئها يشعر وكأنها من ابداع الشاعر واختراع^(١) . ولكن هذه الوقفات المكررة لم تحتظ بالقبول عند شاعر آخر هو أبو نواس ، فقد شتم عليها الحرب ، وسخر منها ، وأعلن أنها لا تصلح لدمره ، ولا تلائم سماته الراقية المترفة ، حياة اللهو ، والشرب والخمر ، في جو الطبيعة الساحرة ، فهذه الاجواء ، اللهو ، الخمر ، الطبيعة ، هي التي تصلح أن تكون مقدمات ، كما تصلح أن يقف عندها المرء وأن يمنحها من عنايته وعاطفته ما يجلبها ويدعو إليها^(٢) .

لقد ملكت الخمر على أبي نواس حسه ومشاعره ، فهو لا يفتأ يذكرها ، ويصفها ، ويمجدها ، حتى أن الطبيعة لا معنى لها ولا سرا إذا افستقرت إلى الخمر ، فالخمر تدعو إلى الطبيعة ، والطبيعة الفناء ليست إلا أطارا تعقد في أحضانه مجالس الشرب والطرب . وليس غناء الاطيار ، ولا صباح الديك^(٣) عنده ، في تلك اللحظات الرائعة ، لحظات تنفس الصباح ، وانسلاخ النهار من الليل ، إلا دعوة إلى الاصباح ، كما أنه لا يلفت انتباهه ، ويجذب نظره من مظاهر الطبيعة إلا ما كان منها ذا علاقة بالخمر ، فتد وصف الريح ، وفتن به ، ووصف من الطبيعة النابتة الكروم^(٤) والنخيل^(٥) ، كما وصف الدسل^(٦) ، لا شيء إلا لأنها مصدر الخمر ومادتها

(١) - ديوانه : ١ : ٢٤٢ - ٢٤٣ - شمر الطبيعة : ١٦٦

(٢) - ديوانه : ٥٧ - ٥٨ ، شمر الطبيعة : ١٦٧

(٣) - ديوانه : ١ .

(٤) - نفسه : ١٠٢

(٥) - نفسه : ٢٠٤ - ٢١٠ .

(٦) - نفسه : ٢٤

الخام ، كما افتن في وصف الديك لأنه يوقظه مبكرا ، ويذكره صباحه بالاصباح ،
لقد قنّى ابونواس حياته بين اصطباح واختباق بصف الطبيعة وصفا حسيا ، لا ينفذ
الى اعماقها ، وأنى لمن خمد رجسه ، وغاب عقله ، وغفل عن حقيقة حياته
وجوده أن يمي ذلك ويقوى عليه .

وفتن ابوتام بطبيعة بيئته ، فرسم لها مشاهد جميلة ، مليئة بالحركة
والحياة ، مفيدا من ثقافته القرآنية والفلسفية والادبية ، في تعميق نظريته
الى الطبيعة واسباغ روح من الالفه والسحبة على مظاهرها الالهية والصامتة ،
فجاءت اوصافه مزودة بالصور ، كثيرة المعاني ، تمنى اسيانا حتمتصعب على
الفهم ، وهو ما عابه عليه نقاد عصره ، كما عابوا عليه إغفاله أشعاره بالزينة
اللفظية ، وتهجموا عليه من قبل ذلك ، كما لم يرقهم احتفاله بالطبيعة الى حد
جعلهم يستبدل بوصف الرحلة والراحلة في سيره الى الحدوح ، وصف الربيع
والسحاب والمطر ، والسما والارض ، وقد انزنت بالزهر وكسيت بالشجر .
لقد ريد بين الحوروث الشمر النديم ، وبين صدايات بيئته الحسنة ،

وزاوج بين المعاني والحدائير ، والفكر والفن ، وفهم الى دوان الشعر العربي نتاجا
فنيا رائعا ، كان يمكن أن يسهم في تطوير النظرية الشعرية العربية ، لو أنه
شجع وعق ، ولم تقب النظرية النقدية في تشاها وتمزقه .

وقد احتفى بالربيع ، ورسم للطبيعة في جوه البديع صورا مملوءة بحياة وحركة
ففي رائيته ، وحزنته ، وداليت ، ومبهمته واثيته وارجوزته ، وفي غيرها ، وصف
الفيت والنسيم والمطر ، كما وصف الارض ، وكيف انها تهفو الى المطر ، وتنتظره ،
وتتشوفه تشوف المريض للمحب ، وتطرب له طرب المحب للمحب ، حتى أن عيون
نوارها تهكسي من الفرح بعد سقوطه . ويصور السحاب في صورة المد والود
للملح ، يحق له بالمرصاد ويخلص الارض منه ، ولذلك فان الارض تستبشر به ،
وتهتزله ، وتمهر عن فرحتها بأن تكتسي بالشجر وتتحلى بأنواع الزهر ، ويفوح عارها ،

وتشفي أليهارها ، انه لمنظر بهيج ، يدل على صنعة الخالق ، وقدرته ورحمن
تدبيره . (١)

وأما ابراروسي فند جمع في داريقته بن معاني القدماء والمحدثين ، وأعاد
مورهم ولكن في ثوب جديد ، وعز بهاب ، تخاله من جميع الشاعر وأبداعه
فند وصف الروض والأزهار ، والسحاب ، والبحر والدير وصفا يظهر فيه أثر القديم
كما يظهر اثر ابي تمام فيه واضحا أيضا ، ولكن غلبة الصنعة ، والعناية بالجمال
اللغوي ، غلبت ما كان ينتلر من ابن الرومي الشاعر الحساس من نتاج في شعر
الطبيعة ، ذلك الشعر الذي لا يقف عند الظواهر المحسوسة للموصوفات ، وانما يتمداه
الى الاحساس بها ، والتفاعد معها ، وهو شاعري لا نلفقه في شعره الا نادرا .
صحيح انه لم يجهل الطبيعة مسرحا لمجالس الشرب ، ولم يسخر الطبيعة لها على
نحو ما فعل ابونواس ، ولكن فنه الذي برز فيه ، فن الهجاء ، غزا شعر الطبيعة
عنده ، فقد اقام المفاضلة بين الزاهر ، يفضل بمشها ، ويهجو البهر الآخر ، في
شعر تقريره ، شكاي لاروح فيه ، وهو بهذه السكنة جنى جناية كبرى على
شعر الطبيعة ، اعتدت آثارها الى شعراء القرن الرابع في الاندلس ، وشفلتهم
عن التلبي المدين لليميتهم الساعرة فترة من الزمن طويلة . ولكن هذا لا يدني انه
ليس له في هذا الباب الى النظم ، بل شارك هو أيضا في هذا البناء ، واسهم
بدوره فيه ، وان كانت اسهامه جزئية لا تمتد اذا ما قيست بالكم الهائل من القصائد

(١) ديوانه : ١ : ٤٦ ، ٢٩٦ ، ٤ : ٥٠١ ، ٥١٢ ، ٥١٩ ، ٥٢٦ ، ٥٠٧
المصرع المباسي الاول : ٢٨١ - ٢٨٢ - شعر الطبيعة : ١٧٣ - ١٧٨ .

(٢) ديوانه : ٢ : ٦٤٣ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ - ٤ : ١٤٥٢

والمقطوعات الوصفية في ديوانه الكبير . ففي أرجوزته^(١) نجد طرافة في الممنى
وبراعة في التصوير على الرغم من احتفاله فيها بصنوف البديع ، وأنواع الحلى
اللفظية ، كما نحس بالفنسة والحب في بعض أوصافه للروس^(٢) ، فنشعر بالقبطة
منه ، ونشاركه إعجابه بهذه المناظر الخلابة ، يدفعنا الى ذلك بقوة تصويره ،
ومقدرته على بث الحياة والحركة في موصوفاته^(٣) وهذه من محاسن ابن الرومي ،
ولكنها لم تترك في شعره ، ولم تشتهر بحيث يبنى عليها حكم عام يقضي له
بالأسبقية في هذا الميدان كما ذهب الى ذلك أحد الباحثين حيث قال :
• لقد تجاوز ابن الرومي - شعراء العربية فنفاذ الى ما وراء الطواهر في الطبيعة
بشيء اسم الحنين الصوفي الى الالتقاء بالموجودات^(٤) .
لقد ندم شعره بجمال اللفظ ، ودقة الموسيقى التي ساعد على توفيرها
وتنظيمها رصافة احساسه ، ودقة شعره وقدرته على استخدام المحسنات اللفظية
استخداما موفقا ، ولكن اذا وازنا بين فنون الشعر عنده وجدنا فن الهجاء ينطوي
فن وصف الطبيعة ، واذا سهرنا عالم الممانى وجدنا أكثرها مطروقا ، حفل بها
ديوان الشعر العربي في عصره وقبل عصره ، قد عرشنا بطريقته الفنية الخاصة .
وبدت الطبيعة أكثر جمالا في شعر البحتري ، شاعر السليقة والطبع الفياض في
هذا العصر ، فقد صدر في شعره عن حب للطبيعة ، وفتنة عارمة بمظالمها
ومشاعدها ، تدل على هذا أوصافه للبرابر ، والفيث والسحاب^(٥) ، حيث

(١) - ديوانه : ٣ : ١١٧٦

(٢) - نفسه ٢ : ٦٨٣-٦٨٤ ، ٣ : ١١٤٠-١١٤١

(٣) - المصراع المباسي الثاني : ٢٣٤

(٤) - ابن الرومي في الصورة والوجود : ١٥٧

(٥) - شعر الطبيعة : ١٧٨-١٨٢

(٦) - ديوانه : ١ + ٥٦٧ ، ٢٢٢ - ٢ : ٩٥٠ ، ١١١٦ - ٤ : ٢٤٤٤

التصوير البارز والحي لهذه المظاهر المختلفة ، فكك شبي^(١) في اوصافه يتحرك ،
ويهتز ، ويتكامل ويتفاعل ، على نحو يكسب صوره جمالا وروعة ، وهي خاصية تميز
بها وصفه ، فقد اعتمد التشخيص لمظاهر الطبيعة اسلوبا في بث الحياة ، وبعث
الحركة في موصوفاته .

لقد استحوذت الطبيعة على الشاعر ، وملكنت مظاهرها عليه حسه ولبه ،
فهو لا يفتأ يذكر طبيعة الشام ، ويصفها وصفا جملة الحب والحنين ، كما
يصف طبيعة العراق ويرسمها في لوحات تفيض حركة وحياة وجمالا . وهو وان لم
يبدع في هذا المجال الا قليلا ، فقد استطاع أن يمثل الشعر القديم ، وشعر
معاصره ، وان يخضع ذلك كله لحسه ولهمه وشخصيته ، ويسوغ بأسلوبه وعلى
أسلوبه^(٢) . فقد تأثر البحتري^(٣) بها تمام في معزته^(٤) ، ودالمية^(٥) ، في تصوير
الفيث وكيف أن الأرز تستبشر به وتتزين له . ويسلك طريق أبي نواس في
الدعوة الى الشراب والطرب في جو الطبيعة البديع كما ينهج سبيل الاقدمين
وخاصة في قصيدته التي وصف فيها الذئب^(٦) . وعلى العموم ففتنة الشاعر
بالطبيعة كبيرة ، وحبها لها عظيم ، وديامها بها شديد ، ووصفه للبربع اكبر
دليل على ذلك^(٧) . وكما افتن البحتري في وصف الطبيعة الطبيعية افتن في وصف
الطبيعة المصنوعة كذلك ، وسينيت^(٨) في وصف "الايوان" مثال رائع على هذا

(١) - شعر الطبيعة : ١٨٣ - ١٨٤

(٢) - ديوانه : ١ : ٥

(٣) - نفسه : ١ : ٥٦٧

(٤) - نفسه : ٢ : ٧٤٢

(٥) - نفسه : ٤ : ٢٠٨٧

(٦) - نفسه : ٢ : ١١٥٢

تنبيه

لقد حدث سهوا خطأ في ترقيم صفحات هذا البحث وذلك بدءاً من الصفحة (٢٣٤) التي كانت في الاصل تحمل رقم (٢٣٣) فارجو من القارئ الكريم ان ينفص رقم واحد (١) من رقم الصفحة المذكورة (٢٣٤) وما تلاها من الصفحات بما في ذلك الفهارس حتى يحصل الترقيم الصحيح

وشكراً

التفوق والنجاح في هذا الثوابت ، وتبريرات البصائد ، وبحث الحياة في عناصر
الصور المرسومة مستعينا بأساليب الاستسار والتشخيص ، حتى لكان القصر لم يخل
من امله ، ولم يهرجه قتلانه ولم يتقدم به العمر ، ويمتوره الهلى والخراب .
وهو تصوير رائع ، بلغ فيه الشاعر الذروة في الفن ، وغلد في ديوان الشعر العربي
صورا فنية متازة عكس من خلالها مشاعره وأحاسيسه ، وآلامه وأحزانه ، على نحو
يندر وجود مثله في هذا الديوان ، وعلى كل حال * فقد امتثل المحترفي الصور
القديمة ، وأدامها في أسلوب شعري بديع ، وأضفى عليها من روحه الرقيقة ،
وهدت في شعره عناصر الحب والروعة والجمال^(١) .

وتفتن الدليمة ابن المعتز ، فيهم بظواهرها الحية والنامية ، ويصورها تصويرا
حسسيا في مجله . بمعنى فيه بالتشبيهات ويهتم بالصورة والشكل ، مما جعل
شعره معرضا للصور البصرية الملونة ، ففي السماء وصف النجوم والهلل والقمر
والشمس كما وصف الليل والنهار ، وفي الارض وصف السور والورد والزهر ،
وصف السحاب والمطر ، كما وصف من الدليمة الحية الفهد والفرس والناقة
وحمار الوحش ، جامعا في ذلك بين طريقة القدماء وأساليب المحدثين . ولكنه
قدر طبع ذلك بأسلوبه الخاص ، فقد تدرج الى الدليمة من حوله من خلال حياته
الطوكية ، وأجوائه المترفة ، فأكثر من التشبيه بالذهب والفضة ، والزئبق
والجواهر ، والمطر ، واستخدمها في اوصافه للهلل والزهر والشر^(٢) ، فجاءت
صوره بصرية حسية ، عامرة بالألوان والانياء ، ولكنها خالية من المعنى العميق الذي
يفلسف المرثي ، ويتفاعل معه . وهو على المكس من ابي نواس ، يؤثر الاغتراب
ويفضل الشراب في هدأة الليل وضوء النجوم والقمر ، ولكن الصبح يستهويه أيضا ،
فيحيي الليل ، ويمد مجلس الشرب والطرب الى الصباح ليجتمع بين جمال الصبح
وروعة الفروب^(٣) .

(١) - شعر الدليمة : ١٨٦

(٢) - ديوانه : ٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٧٧ .

(٣) - نفسه : ٤٤ ، ١٣٦ ، ١٧٩ ، ٢٧٦ .

وَأَنَّ لمخدر الحس أن يطلع على أسرار الكون ، ويستلهم معانيه المميتة
وفلسف الحياة ، فقد عني ابن السمتر بتجميل الطبيعة وتزيق ظاهرها بالحلي
والحلل ، ولم يحاول أبداً أن يخترق تلك الظاهر ويتجاوزها إلى الأعماق ليطلع
بصيرته على ما تنطوي عليه الطبيعة من تناسق وجمال ، ولذلك بقي أسير
الحس المادي ، وعبد الظاهر يلتقط بحاسة بصره الصورة تلو الصورة ،
ثم يذيب عليها من ماء الفضة والذهب ، وأنواع الحلي ما يجعلها في نظره أكثر
جمالاً وأشد إثارة . لقد استهوت الطبيعة جميعها ، وأثارت احساسه ،
واستلقت نظره بعناصرها كلها فوزع عليها اهتمامه ، وشغلها بنظرته المستشعرة
للجمال المحبة له ، في السماء والأرض ، في الشجر والزمهر ، في الحيوان والإنسان .
ولكنه لم يتمد المتعة الحسية في استجابته لهذا الجمال ، ولو تعداه إلى
الأسرار والأعماق لكان خدماً شمر الطبيعة في عصره خدمة جليلة ، لما كان لديه
من مؤهلات واستعدادات (١) .

هذه وقفات سريعة عند أبرز شمراء هذا الدور في تاريخ أدبنا العربي ،
أبرزنا من خلالها دور هؤلاء الشمراء في بناء شمر الطبيعة ، وقد رأينا كيف أنهم
زاوجوا بين القديم والجديد ، وأنهم مالوا إلى الجديد ونصروا تدرجاً ، بالشوة
على القديم ، والاحتكام إلى ذوق العصر ، والثقافة الجديدة ، والانطلاق من
واقعهم المختلف عن واقع الهادية شكلاً ومضموناً ، ومع ذلك فقد لازمهم القديم ،
بحكم ثقافتهم العربية ، ولكن طبيعة الحياة كانت تقضي بفلبية الجديد ، وتحتم
التصبير عن الواقع ، والاستعداد من الممتون الحضاري الذي يلفته الدولة
السلامية في ذلك العصر الذي يمثل برصده الشمري مرحلة الانتقال من التقليد إلى
النهوض في شمر الطبيعة ، والذي يمثل شمراء القرن الرابع والخامس في الشام

(١) - شمر الطبيعة : ١٨٦ وما بعدها - العصر العباسي الثاني : ٣٢٢ .

والاندلس وغيرهما من البيئات والحواضر الاسلامية المتعددة (١).

• ٢ •

في الشام :

أسس الحمدانيون دولتهم في حلب الشام ، وكنوا لها في الارض ، وبلغوا بها مبلغا عظيما من القوة والمزة والنفعة دفع عنها أطماع النصارى المتربصين بها ، وجعلها تتولط على الأمن والطمأنينة فترة يحكم زعيمها سيف الدولة الحمداني ، فقد كان أميراً شهما ، شجاعاً ذا هزم وعزم ، كما كان كريماً يحيط نفسه بكوكبة من المع وأشهر علماء وأدباء وشعراء القرن الرابع الهجري ، فكان يحيط به من الشعراء المتنبي وأبو العلاء المعري ، وأبو بكر الصنوبري ، وأبو الفتح كشاجم ، والسري الرفاء ، والسوآء الدمشقي ، وأبو الفرج البهاء ، والناسي والزاهي وغيرهم ، كما كان هو أيضاً أدبياً شاعراً ، وكان أبو فراس الحمداني فارساً شاعراً وعلى العموم فقد شهدت دولته نشاطاً أدبياً وفكرياً عظيماً ، كما وجد وصف الطبيعة في مدته جواً ملائماً للنماء والازدهار ؛ فقد استهوت طبيعة الشام الجميع ، وغلبت ألبابهم وفتنتهم بجمالها وسحرها ، فاندفعوا بصورتها ، ويرسمون شاهدها الرائعة ، يحدوهم في ذلك حب عميق وانجذاب شديد إلى جمالها وسحرها الأسر ، وإن تفاوتوا في مستوى ونوعية ذاك الحب وهذا الانجذاب . فالمتنبي لم يحفل بالطبيعة في ذاتها ولذاتها إلا نادراً ، فأكثروا وصفها لها تقليدي ليس فيه إبداع ، فقد وصف الناقة والليل والرحلة والفرس والمهمل والشمس والتمر على طريقة

(١) - شعر الطبيعة : ١٩٥ - ١٩٦

(٢) - نفسه : ١٩٧

(١)

القدماء ، وفاضل بين مظاهر الطبيعة وصفات مدوحه وقبلة عليها ، وهو اذا قصدها بالوصف لذاتها اسبغ عليها جوا حريبا ، فيخيل اليك وأنت تقرأ وصفه ، أنك تشهد ممركة حمصي وليس بها لا مشيدا طبيعيا جذابا كما في وصفه لبحيرة طبرية (٢) . ولكن وصفه لشعب يون يتسم بالطرافة ، ويدل على احساس الشاعر بما حوله من جمال الطبيعة وروعها ، وهي ظاهرة ايجابية في هذا الباب ، ولكنها لم تطرد في شعره (٣) .

ويشارك ابو فراس في شعر الطبيعة مشاركة شكلية ، يقتفي فيها اثر ابن المعتز في أوصافه الحسية (٥) ، واما العمري فيسلك درب أبي الطيب في تقليد القدماء ، وان كان اكثر من ذكر الكواكب والنجوم ، والاسهاب في وصفها وتشبيه المدوح بها ، كما يطوعها لتأملاته وأفكاره وأهدافه اللغوية (٦) .

ويحتفي الرواة الدمشقي بالطبيعة احتفاء كبيرا ، فهي تغزو مدحه وغزله ، وما جاء فيها بالتقصيد لا يمدد والمقتضيات التي اهتم فيها بوصف الا زامير ورسم المشاهد الاجمالية والسريمة . ويتنح من خلال أوصافه نوع من الحب العارم لمظاهر الطبيعة وخاصة ما كان منها مرتبطا بالخمر ومجالس الشرب التي يرى أن من لم يقسم لحياتها وقت انبلاج الصبح ، وغناء الاطيار يكون قد ارتكب محرما . وعلى الرغم

(١) - ديوانه : ١٢٤ .

(٢) - نفسه : ٨٧ - ٨٨ .

(٣) - شرح ديوان المتنبي . ٢ : ٤٨١ - ابو الطيب المتنبي ٤٢٧ :

(٤) - شعر الطبيعة : ١٩٧ - ١٩٨ .

(٥) - نفسه : ١٩٩ .

(٦) - نفسه : ٢٠٠ .

(٧) - الديوان : ١٢٤ .

من الظاهرة الحسية التي تلغى على أغلب شموره في هذا العنصر ، فانه استلزام
أن يزين طبيعته ، وأن يبحث فيها جوانبها الحركية والحياة ، وأن يستسلم نفسي
ذلك للموروث الشعري وخاصة شعرا أبي نواس في تسخير الطبيعة للخمر ،
والدعوة للاستباح ، وابن المعتز في وصفه الحسسي ، وعنايته بالتشبيهات وأنواع
الزينة اللفظية . ولكن الروض أجمل اطار لمجال الشرب ، فانه احتفى به ،
وفتن به ورسم له في ديوانه نورا ومشامد عديدة (١) .

وأما أبو الفتح عبد الواحد اللخمي فقد استهوته الطبيعة هو الآخر برضاها
وسحرها وقادريها ، فوصفها وصفا يتم عن اعجاب ، وهو يكون أشد ما يكون اعجابا
بها اذا اقترنت بالخمر ومجالسها ، فهو يهتف بها في اجوائها ، حيث
السمير والزهر ، والذال البارد ، والماء السائح ، وغناء النهر ، فالطبيعة
السامية تفتنه بلا ريب ، ولكنها فتنة سطحية ، حسية ، تولع بالألوان والنباهة
والقشور لا بالخفايا والاسرار ، والطبيعة الحية تفتنه كذلك ، فيصورها تصويرا
يذبح جماله وألفه ، يتتبع حركات الحيوان وأحواله ، ويخلق عليه من سمات الصفات
ما يارده ، ويدل عليه ، فمضي يوصف البهائم عناية فائقة ، كما وصف السنجاب والشملب
والفرس والبهيمة والهريرة والمقاب ، ووزع عليها اهتمامه وأسبع عليها من الشيات
والسمات والألوان ما جعلها تبدو في أحسن مظهر وأبهى صورة (٢) .

وتحلوا الطبيعة في ناسر أبي المباسم أحمد بن محمد النامي ، وتأخذ مكانها
في قلبه واحساسه ، فهو يستلهم ^{عليها} وأحزانه ، ويفير عليها في مشاعره وعواطفه
ويغمرها بمسحة من التأمل تطفو على شموره ، ولولا غلبة المدح عليه ، لكان يمكن
أن يقدم رسيدا ذات أهمية في هذا الشأن (٣) .

وأما الزاهي علي بن اسحق فقد عني في الطبيعة برسم الشكل كما عني في
تجميل اللفظ ، والتأنق في الأسلوب ، حتى تضخم ذلك لديه وطفئ على المعنى (٤) .

-
- (١) - نفسه : ٦٧ ، ٧١-٧٢ ، ١٦٥ ، ٢١٤-٢١٥ — شعر الطبيعة : ٢٠٣
(٢) - يثيمة الدهر : ١ : ٢٥٣ ، ٢٦٣-٢٧٠ — شعر الطبيعة : ٢٠١-٢٠٣
(٣) - نفسه : ١ : ٢٢٨ ، ٢٣١ — شعر الطبيعة : ٢٠١
(٤) - نفسه : ١ : ٢٣٤ ، ١٢٥ — نفسه : ٢٠١

وأما الشاعر الذي استأثرت الدليمة بأكثر اهتمامه ، فهو أبو بكر أحمد بن محمد
 الصنوبري ، الشاعر المفرم بالدليمة ومشاهدها ، المفتون بسحرها وجمالها ،
 الصور البارعة لمظاهرها المختلفة ، فهو صائب المدرسة في وصف الدليمة في الفن
 الرابع والتي تركت أثرها في العديد من الشعراء في عصره وبعده ، وجعلت مؤرخي
 الأدب غديما وحديثا يشهدون له بالبراعة والتبريز في هذا الفن ، فقد احب
 الصنوبري وطنه وطبيعته بلسانه خاصة الى درجة أنه كان يفضل الخلوة في أحضانها
 بنفسه على الاجتماع بالناس ، يعني بحدائقه ، يتمتع بها بالسقي والزرع ،
 ويحضي في ذلك أكثر وقته ، وهي خلوة لا بد إلا أن تورث نوعا من الملافة السبينة
 بالدليمة ، والاحساس الصادق بها ، وهو ما حدث فعلا ، فقد اكان حسب
 الصنوبري للدليمة قويا صادقا ، ولا أدل على ذلك من هذه الخلوة المحبة في أحضانها ،
 ومن تهجد الحنين على أولئك الذين يسبحون فيها تخريبا وفسادا ، فهم لثام في
 نظاره ، ولو كان يملك القدرة عليهم لما تركهم يملكون بساطها (١) هذا الحسب
 للدليمة ، وهذه الفتنة بها أبلت لأن يكون شاعرا عاجلا في شعر الدليمة ، فقد
 استلهم الموروث الشعري ، كما استلهم طبيعة بلاده الفناء في صوغ طريقة شعرية
 عرف بها في عصره ، ولعل خطمه الوافر من وصف الدليمة هو الذي جعل آدم ستر
 يمدحه أول شاعر للدليمة في الأدب العربي (٢) . وهو حكم على الرغم مما فيه من جزم
 ومبالغة ، يدل على أن مساهمة الرجل في هذا الباب كانت خطيرة .
 لقد فتن بالوهم كفه من الشعراء ، ورأى فيه مسركا يباعا للحياة في الدليمة
 وكما شغف لا سراها ومظاهر الجمال فيها ، فتغنى بالدليمة في جوه الرائع ، ودعا
 الى شرب الراح ، ومقارعة الكؤوس على بساط الطبيعة الطون ، وجو المدينة البديع ،

(١) - ديوانه : ٣٥٨ ، ٤٣٠ ، ٤٥٤ ، ٤٩٨ .

(٢) - الحضارة الإسلامية : ٤٨٥ : ٤٨٥ - شعر الطبيعة : ٤٥ .

فكل شي فيها يذكره بالخمرة ، ويمت في أعماقه الحنين إليها ، والخمر عنده تمتزج
بالطبيعة ، ويتحد بريقها بألوانها الزاهية ، البراقة ^(١) . واحتفى بالورود والازهار
كذلك ، وأقام بينها المناظرات ، وكان هو الحكم فيها ، ولكن ذوقه يخلبه ،
فيفضل الورد على النرجس نعمنا على المكسر من ابن الرومي الذي فضل النرجس وعجا
الورد بمنصف ^(٢) .

وكما حظيت الازهار والأشجار باهتمام الشاعر ، جذبت العائيات نظره ،
وشدت إليها بصره أينما ، فأكثر من وصفها ، وكان لنهر "قويق" حظه الوافر من
تلك الاوصاف ، فقد أحب الشاعر هذا النهر كما أحب الطبيعة من حوله ، وخلده
في شعره بجمين ألوانه وحالاته ، في امتلاكه وتنويه ، في مدونه وحياته ،
وأوصافه فيه نبيذ حيا وحياما ، فهو يدافع عنه ويقلب ما ينسب اليه من عيوب
مداسن ، وحتى ان حياه ، فان هجاء فيه ينضح بالاعجاب والحب ^(٣) . وتستويه
الطبيعة وقد غلبها الثلج ، وعما الدنيا ، فيهتف بالخمرة في هذا الجو الفني
القتالسي ^(٤) ؟ ومولا يكتفي في وصفه بالطبيعة السماعة ، بل يمتداهما الى الطبيعة
الحية ، فقد أعجب بالامر ولرب لغنائها وتغريدها ، واستغنى بها عن سماع
نغمات الاوتار ، فوصف الورشان وسمور الديك على طريقة ابي نواس كما وصف الهر
وغيره وصفا فيه احساس واعجاب . وكثيرا ما تجتمع هذه الجزئيات لديه لتكون كلها
الروغ ، فروع الصنوبري حافل بالحركة ، عامر بالحياة ، روض امتزجت أشجاره ،
وتفتحت ازهاره ، وغنت ألحانه ، وروى نسيمه ، وفاح شذاه وعطره ، تجد فيه الحواس

(١) - الديوان : ٤٥٤ ، ٣٦٩ :
(٢) - نفسه : ٤٩٨ ، شعر الطبيعة : ٢٠٠ ، ٢١١ - المصراع عباسي الثاني : ٣٦١
(٣) - نفسه : ٤٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٥١ :
(٤) - نفسه : ٢٣٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٤١٩ ، ٤٦٦ :
(٥) - نفسه : ٣٧ ، ٦٧ ، ٤٧٣ ، ٤٩٨ :
(٦) -

تمتعها ، وتحسن النفس في أجوائه بالراحة والأمانينة ، ولكن روى الصنوبر يبنى
ناقص الرونس والجمال اذا لم تقسم في أعضائه مجالس الانس والطرب^(١) . واذا ،
فقد استلذع الصنوبر بدقة شعوره ورهافة احساسه وقوة شاعريته أن يجعل لهيمة
بلده ، « فيها وسامتها » وان يصورها تصويرا فيه حياة وروعة وجمال ، ولو أنه
جسأوز المتعة الحسية ، واللذة الآنية - وهي ظاهرة تستولي على معنظم : مدركه -
الى التأمل العميق في أسرار الكون والحياة ، لكان - ربما - أعطى لهذه المونوع
الخطير في ديوان شعرنا العربي القديم وجهها آخر^(٢) .

واما ابو الفتح محمود بن الحسين كشاجم فقد استهوتته الطبيعة هوايشا
ففسح لها في شعره مجالا واسعا ، فوصف الرياح وحده فيه حركة ونشاطا ، كما وصف
الزهر على طريقة ابن المعتز ، وافتن في وصف السحابة والفيث والمطر^(٣) ، وتغنى
بالأبيجة وقد كساها الثلج بالبياض^(٤) . كما وصف نهر قويق^(٥) . في معرر ذكر
الحبيب ، والتفزل به ، ولذلك جاء وصفه خلوا من الما طرفة على ما نجد عند
الصنوبري الذي أحب هذا النهر ووصفه وصفا بديعا في شعره . كما وصف الفاكهة
والثمار وصفا حسيا في عمومه متالقا من واقع عطفه كنباح ، ووصف النصار
ومن بينها وبين الروز في اللون والبريق^(٦) . ووصف من الطبيعة الحية الفرس
على طريقة القدماء ، كما وصف الباز والسنقر والنمر والذئب ، ووصفه لهذا الجانب
من الطبيعة ينضح إعجابا وحبا ، ومرثية في القمري والطاووس خير دليل على
ذلك^(٧) .

-
- (١) - الديوان : ٥٠-٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١٥٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ ، ٣٨٥ ، ٤٣٠ .
 - (٢) - شعر الأبيجة : ٢٠٤-٢١٣ .
 - (٣) - الديوان : ٢٧ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ٣٧٢ ، ٤٠٠ ، ٤١٦ .
 - (٤) - نفسه : ٢١١ ، ٣٧٨ .
 - (٥) - نفسه : ١٧٥ - ١٧٦ .
 - (٦) - نفسه : ٩٥ ، ١٩٦ .
 - (٧) - نفسه : ٣٣ ، ٩٧ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٧٧ ، ٣٤٧ ، ٣٧٩ ، ٤٥٢ .

لقد افتنى كشاجم اثر صديقه السنوبر كما اختفى اثر غيره من شعراء العصر
المباسي كابي نواس وابن المعتز وابي تمام ، ولكن اثر ابي نواس في شعره واضح
جلي ، فقد جعل الطبيعة في خدمة البخمر ، تذكر بها ، وتدفعه الى اسباب
مجالسها ، فهي عنده خداج مالم تكن مرتبطة بالراح ، ولا يكتمل جمالها الا
بها . وهو في وصفه يلرب الطبيعة ويهتزل لجمالها ، ولكن بلرقة حسية تلف عند
السلح في الخالب . ولما تجاوزته الى الاعاق حيث الاسرار والمعاني الدفينة
التي اذا كشف الشاعر عنها ، وتقاعد معها حكم له بالابداع ، ولشعره بالخلود^(١) .
فالطبيعة تستهويه بلا شك ، وتأخذ بمجامل قلبه دون ريب ، ولكن نوع الاستجابة لم
يكن في مستوى التجربة الشعرية التي مر بها الشاعر ، فبدلا من أن يتوجه اليها
في حضور ووعي ، ويقبل عليها بفكره وقلبه لاكتشاف أسرارها ، واستقراؤها
معانيها ، واسباغها المشاعر والاحاسيس على نحو يزيد في عمق التجربة الشعرية
نجد ، يهرب منها وهو في أحضانها ، يهرب منها بوعيه ليصيرها لحظات حسية
مزيفة ، تالفو على السلح ، وتفتتح بالقشور ، وبمذه النفسية الهروبية
تمثل ظاهرة عامة في شعرنا العربي في هذا الجان ، ولم يختص بها هو وحده .
ويسير على نفس النهج الشاعر الموصل لسري بن احمد الرقاء الكندي ،
فهو أيضا يتأثر بطريقة كشاجم ، ويجعل من الطبيعة في جمالها وروعها مسرحا
للخمر ، ومدعاة لمقعد مجالسها ، مؤثرا في ذلك بأبي نواس . فقد تنفى
بالطبيعة الشام والموصل وسمر ، وصور مشاعرها تصويرا بديعا ، ولكنه تصوير حسي
في مجله ، ويرز في وصف المائيسات ، ووصف رحلات صيد السمك والطيور التي
كان يبكر لها على نحو ما فعل القدماء في صيد الآرام والحمير الوحشية ، ولكن
هذا التعلق بالماء ، والمولج به ليس لذاته وانما لكونه أفضل جو تعقد فيه مجالس
اللهو والمارب . وقد أخذ بما في الطبيعة من ألوان وضياء وبريق ، ولم يستغفد

(١) - الديوان : ١٣ ، ٧٧ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢٤٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧

٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٤٤٤ - شعر الطبيعة : ٢١٣ - ٢١٠

من ثقافة عصره في ميدانه الا قليلا ، مؤثرا الميراث في الطريق الممهدة ، وقائما
 بناها هصر الطبيعة ، ولم يابه بخير ذلك ، فانساق في هذا التيار الحسي الذي أخذ
 بخناق الشعر العربي في معظم ألواره ، ولم يدع له مجالا للتنفس خارج أجواء هذا
 التيار ، ولجعه بتلابيع التسطح ، الذي يخرى الحواس أكثر مما يخرى العقل أو
 يدفعه الى التأمل والبصر بالحياة والكون على نحو عميق يضيف الى التجربة الانسانية
 شيئا جديدا . (١) وعلى كل حال فقد استطاع شعراء الشام بما لهم من شاعرية ،
 ورهافة احساس ، ودقة مشاعر ، أن يمسسوا بهيئتهم احساسا متفاوتا ،
 وان كانت الحسية عليهم اغلب ، وطن مشاعرهم أكثر استيلاء ، فقد اغرتهم
 الطبيعة بلادهم ، فأقبلوا عليها بتلويهم وأحاسيسهم ، وسفروا فنهم للتعبير عنها ،
 فصوروها تصويرا زاهيا جمالا وروعة ، ولو أنهم نحوا بهذا الجهد الممثل الى الكوامن
 والأسرار لكانوا أسهموا ، وبفعالية ، في تلوين شعر الطبيعة في أدبنا العربي ،
 ودفنوا بعد جلته غدا عتبا وشمولا . وعلى الرغم من هذا ، فإن أثرهم وأثر الشعراء
 من قبلهم بدأ ملحوظا في شعراء عصرهم وما بعده لعدة قرون . (٢)

-
- (١) - ديوانه : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٤٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٣ ،
 ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ،
 ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٨٢ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ،
 ٢١١-٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ ،
 سميت بهيمة الدهر ٢ : ١١٧ وما بعدها . شعر الطبيعة ٢٢٠-٢٢٦ .

- (٢) - شعر الطبيعة : ٢٢٧-٢٢٨ .

وأما الشمراء الذين عاشوا في الجانب الشرقي من البلاد الإسلامية ، فقد أدلوا بدلوهم هم أهلها ، وشاركوا في شعر الطبيعة بنصيب معذوم ما فيه نصح على لرفعة القدماء والمحدثين مع ميل في مداه إلى الثقافة العظيمة التي كانت نشطة في تلك البقاع ، فاعطيت أشعارهم ، وبصورة جزئية ، بروح من التأمل لا تخفى ، ولكن الساذجة الحسية التي تسلمت على الشعر العربي الوصفي أرسيت على هذه المحاولة التأملية في شعر الطبيعة .

عرفت الطبيعة البلاد الشرقية بجمالها وروعها ، ولكن هذه الروعة وذاك الجمال لم تحركا في شعرائها غير الاحاسيس المادية ، ولم تلهمهم طبيعتهم الفناء الا بحمان سطحية يخلو كثير منها من العاطفة الصادقة ، فقد دخلوا إلى الخمر من خلالها وجعلوا مشاهد الرائحة محبرا لوصف الخمرة وتصوير مجالسها ، وكان الطبيعة لا جمال لها ، ولا قيمة الا والخمر حاضرة ، وهو تصور للطبيعة قد سبقوا اليه ، وقد سبقنا الاشارة اليه .

كما استقبلوا على الطبيعة معاني العشق وأغراضه ، ومزجوا بين ألوان الزاهير وما يمتري الرشاقي من احمرار واصفرار ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل تحدوه إلى حد الانياز في اوصافهم للطبيعة السامحة والهدية ، وقد بلغ هذا اللون المثالي من الوصف اوجه على يد مهيار الديلمسي^(١) الذي سلك هذا الطريق في جل شعره الطبيعي وبنو شعري جمد بشعر الطبيعة ، وحال بينه والتألم الذي ينبغي أن يواكب به مستون الرني والتقدم الذي بلغت الحضارة الإسلامية في ذلك الحين . ومع هذا فقد وجدت الطبيعة بهيئتها عناصرها في شعرهم مجالا طحوظا ، فارتسمت بهيئتها واشجارها وازهارها ، وثمارها ومياهها وتلوجها وسائها ونجومها

(١) - ديوانه : ٨ : ١ ، ١٥٢ ، ٣٤٤ — ٢ : ٢٨٧ ، ٧٥ — ٣ : ١١٧

وليلها ونسهارها ، وليرها وحيوانها ارتساما فنيا يسودها ويهيئ احيانا ،
 ويمنحها وينتسج في احاديث اخرن . وقد سلكوا في تنويرهم لها اساليب
 الدماء والمدد ثين ، ولما اندروا في ذلك عن بهيتهم الحنارية في روعتها وسحرها
 وعنفها النكرب ، فقد كانت الهادية تنسجهم حاضرتهم ، ورمالها وجمالها وقيلها
 بساتينهم وانهارهم ، يتجلى هذا المضمون بوضوح في شعر الشريف الرضي ومهيار
 الديلمي وصردر وغيرهم من شعراء الاقليم الشرقي ، وهذا الولع بالنديم
 والتعلق الشديد بهياديه العرب وصعرائهم قد يكون مرده الى العاطفة الدينية
 والتشجيع لآل البيت ، كما قد يكون للحياة السياسية والاجتماعية في بهيتهم اثرها
 في ذلك ايضا ، فقد كان الشاعر يحالب بشعره الخاصة لا العامة ، وذات العربية
 تمر بفترة حرجية في هيئة اخذت تشهد تحولا اجتماعيا وفكريا وسياسيا في فترة السراع
 الشموي بين انصار كل من العربية والفارسية والذي كان لصالح الفارسية في آخر
 المطاف ، ولذلك لا نعجب اذا ألفينا ظاهرة التقليد بارزة في نتاج هؤلاء الشعراء الذين
 انتجوا ما انتجوا من شعر في فترة سراع دفاعي لافرة استدلال ابداعي^(١) . وليس
 اكثارهم من ذكر الامكن الحجازية والنجدية والشامية ، ولهجهم بها ، وشتم اياها
 الا لام والاشجان يرجع الى تلك الاسباب مجتمعة^(٢) .

وتفتن لهيمة المران الخالديين ابا بكر محمد بن هشام (٣٧٠ هـ) وايا
 عثمان سعيد بن هشام (٣٧١ هـ) ، فيصوران مشاهدهما في شعرهما ، ويرزان
 مداسنها ، وهي فتنة تهدد وانسمة في اشعارهما الخمرة والفزلية ، فتجدهما يصفان
 الدماح وانسلاخه من الليل ، وسواد السحاب ولعماد البروق لانداتها ، ولكن لكونها
 الاطار الملائم لتعاطي الراج ، وعقد مجالس الانسج مع الفناء والاصحاب ، واكثر
 لذلك من ذكر الاديرة ، وصورا طبعتهما ، واشادا بمجالس اللهو في روعها ، حيث

(١) - شعر الطبيعة : ٢٣٠ - ٢٤٥ .

(٢) - ديوان مهيار : ٣ : ١٢٤ ، ١٦١ - ١١٨ : ٤ - ديوان الشريف الرضي : ١٢٢ : ١
 ٢٧٦ : ٢ ، ٤٤٨ ، ٤٧٥ ، ٥٠٤ ، ٥٥٦

الرياش الموشاة ، والخصون الميافة المزججة ، وشدة الاطهار وغناء الحماض
يذكر بالا سحاب ، ويذهب لواجح الاشسواق في الاعماق ؛ ورقة النسائم ورقرفة
السياء ، فيفقد الكل وقد توجوا بأقاليل البهار ، ودارت عليهم الكؤوس كأنهم
أنوشروان في مجلسه ، بل وغيل اليهم ، وهم في تلك الحال كأنهم في سماء
ذات أبراج (١) .

وابواسحت السماوي يفتن بالطبيعة أنها ، ويجد في عناصرها ومماليقاتها
عونا له وسندا للاقناع عن شاعره ، وتسهر محاسن محبوبه ، فيكثر من ذكر
الخدمين ، والورد ، والقمر ، والبرد في موعود الفزل ، وينادي بالخمر
في جو الطبيعة ونت تولي الليل ، وتنفس الصبح ، وصياح الديك . وأما فصد
الليبية لذاتها بالوصف فقليل ، وهو وصف - على غلته - مادي ، تختلط فيه
أوصاف الطبيعة بأوصاف المصوب ، وإن الشاعر تسارعت في ميزانه الليبية
والمحبوب ، فاستدل بالمدح على الآخر ، فالوردة حين تطلع بحسها وليبيها
تتمتع بها النفس وتتشبي لها ، وتنال منها ما تناله العين من متعة حين تنظر إلى
الحبيب . والليبية لا تجسد أوصاف المصوب ، عنده ، فحسب ، بل وتمثل ،
في نضرتها ، وروعها ، نضرة سحاب وحيوية وجماله ، فهو يتعلق بالورد إذا طلع ،
ويرى فيه شبابه وحيوية ، فيستح ، وهو ينال اليه ، وإن أدرك الشيخوخة .
ويصف المرجس والثانور والأيوب خفته . ويصف من الليبية الحية الجم
والخدايات ، وهو في وصفه يذني بالشكر مع ميل إلى التأويل ، ولكن الاحساس بالموصوف
والتفاعل معه ، وسبر اغواره فلا تكاد تجده في شعره . (٢)

(١) - بتيمة الدهر ٢ : ١٨٣ وما بعدها .

(٢) - نفس — ٢ : ١٦٢ - ٢٦٧ .

وأما القاضي التنوخي فقد عني بوصف الليل والنجوم ، ذكر الليل وطوله ،
وظلمته ووحشته ، وشبهه بجلوس ثقل الظل ، كره المنظر مثل الكلام ، أو كأن
نجومه قد غلبها النعاس فنامت . وذكر النجوم في الليل البهيم ، وهي تتلألأ في
السما ، فشبها بالخيمة الموشاة تارة ، وبالسفن تعبط بها البدع تارة
أخرى ، والنجوم تحكي في اشراقها الحجج الفاصلة التي تبكت الخصم وتفحمه ،
وهي تشبهات تظهر فيها ثقافة التنوخي الفقهية بكل وضوح . كما أوجت إليه ظاهرة
انهلاج الصباح في الليل بمنورة الأسود المتسم . وكما كان الليل بظلامه ونجومه
مسرعا لتأمل الشاعر ، فقد كان أيضا مسرعا للهوى ولربه فاستجاب الشرب فيه .
وقد زينه غم وهرق ونجوم ولاك لم تثقب ويدرك السيف المذهب . ووصف البروق .
وتساقط الظل عليه ، وتعالى أزمارة وغصوه ، وفقره بأنواع التشبيهات الحسية
والمعنوية ، وإن كانت معاني المشق وصفاتها عليها أغلب . كما وصف اليرد والمدر
والنهر أوصافا يختلف فيها الحسي والمعنوي ، وتظهر فيها ثقافته ، وسور من واغمه
الاجتماعي بجلاء ووضوح (١) .

وعني أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي (١٤٤٠ - ١٤٣٠ هـ) بالهيمية في شعره ،
ولكن ضمن أغراض أخرى كالفضل ووصف الخمرة . وأوصافه فيها حسية تزدحم بالصور
الطونة ، ولكنها تخلو من كل محاولة تجاوب وتفاعل عميق مع مظاهرها المختلفة ، بل
وحتى قصيدته " الفنية " التي قالها في شرب هو ان تحت رغبة عقد الدولة ليس
فيها ما يدل على علاقة صادقة بالهيمية واندماج هي في المشاهد المصورة .
(٢)

(١) - بيتية الدهر ٤ : ٣٣٥ - ٣٤٤ .

(٢) - نفس - ٢ : ٤٠٢ وما بعدها .

في مصر:

ولم تتخلف مصر عن بنى الحواضر الإسلامية في هذا العصر في الأدلاء بدلوها
 في مجال شعر الطبيعة ، فقد عرفت هي أيضا شعراء أشادوا بذكرها ، وجمالها
 لمبيمتها في أعجاب شديد . فهذا ابن وكيع التنيسي تفتنه مداني بلاده
 فيسورها في شعره تهورا حسيا في مجله ، يعني بالصفا هرولا يند إلى الاعماق .
 فهو يصف الشدير (١) كما يصف الشجر والتمر ، ولكن أشد إعجابه بالطبيعة يكون في
 فصل الربيع (٢) ولذلك أشاد بذكره في شعره ، ورسم للطبيعة بلاده في ظلاله صورا
 شتى ، تعلل بالحياة ، وتنج بالألوان والانوار ، فمن زهور مفتحة كأنها الدراهم
 والجواهر ، ومن اليرصادح ، وجو بهيج إلى رياح تحكي في جمالها وحركتها
 العرائش المتجملات المتبخرات في أنواع الحل والحل ، وهو في وصفه هذا
 يحنن بالأمير الموصفات ، ولكنه أسهانا يشرح فيها الحركة ، ويسبح عليها صفات
 إنسانية ، على ندو ما فعل في وصفه للسحاب والثرى ، ووصفه للزمار ، من ورد
 ونرجس وسوسن وغيرها . وهو جهد ملحوظ للشاعر في مجال وصف الطبيعة ، وبخاصة
 وجهها الشاهد الباسم ، في الربيع الذي تطل به ، وفتنه فتنة كبيرة جعلته ينشي
 أرجوزة (٣) في فصول السنة ، يمدح فيها الربيع ، ونسب إليه كل مزنة ، وهجا
 بقية الفصول ، وألصق بها كل الميوب ، ونسب إليها كل قبح ، حتى أنه تنى عدم
 عودتها ليدوم له ريحه الجميل ، لأنه موطن مسراته وعواص لذاته ، فيه يلمب له
 اللهو ويحلولة الشراب . لقد أحب ابن وكيع الربيع ، كما تعلل بالطبيعة في أجوائه
 ولكنه حب نفسي ، وتعلق سلحي ، مشروط بقضية أهم هي الخمر ، فلولو الخمر ،
 ما زالت الطبيعة في عين ابن وكيع ، فليست الطبيعة غير إطار جليل لمجلس الشراب

(١) - ابن وكيع التنيسي شاعر المزهر والخمر : ٣٩

(٢) - نفسه : ٦٠-٥٨ ، ٦٣-٦٤

(٣) - نفسه : ٧٥-٧٨ ، ٩٢ ، بتهمة الدهر : ١ : ٢٦٩-٢٧١ ، ٢٧٦-٢٧٧

(٤) - ابن وكيع شاعر الزهر والخمر : ٧٤-٦٥ . بتهمة الدهر : ١ : ٢٦٣-٢٦٨

ولعل هذه العلاقة المسبوبة بين الخمر والطبيعة في شعره هي التي جعلت أحد الباحثين يلقبه بشاعر الزمير والخمر^(١) . لقد اجتمعت في شعر ابن وكيع طرائق عديدة فهو يولج بالتشبيهات الجاسية على طريقة ابن المعتز^(٢) ، كما يفاضل بين الأفاعيل على نحو ما فعل كل من ابن الرومي^(٣) والصنوبري، ويصل الخمر بالطبيعة ، ويفضلها عليها إذا اقتضى الأمر ، وهذه نفحة نواسية^(٤) ، وأما النفحات التمامية فتتجلى في تلك العلاقة الودية العاطفية التي يقيمها الشاعر بين الأرض والسماء ، وبين الأرض والسحاب ، ومع هذا فإن وكيع يمد من حسنات مصر في هذا المجال في عصره^(٥) .

ويفتتن أبو القاسم أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن طحا بها (٣٤٥ هـ) باللهيمة جطة كغيره من الشعراء ، ولكن فتنه بالسماء ونجومها في جو الليل أشد وأعظم ، فتد أنس بالليل ، واستأجاب السهر في جوه ، يتأمل النجوم ، ويصورها تصويراً ينم في مصلحه عبق تملق وثيق وحب صادق ، فهو على عكس غيره من الشعراء يحب الليل ، وينفر من الصباح ، حتى أنه لو ملك من القدرة والسلطان على أن يحول بينه وبين الظلم وولفسل ، ولكنه يدرك عجزه عن ذلك فيتجه اليه

(١) - ابن وكيع شاعر الزمير والخمر : ٤٠ ، ٥٤-٥٥ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٥٨ - ٦٠ .

(٢) - نفسه : ٤٠ ، ٥٢ - ٥٣ .

(٣) - نفسه : ٩٢ وما بعدها .

(٤) - نفسه : ٦٣-٦٤ ، شعر باللهيمة : ٢٨٧ ، ٢٩١-٢٩٦ .

ويناشده بحرارة أن يفتك بشبيبته ، وهي أعز ما لديه ، ويدع الليل ينعم
بسواده لأنه مسح أنسه بنجوم السماء التي لا يليلق لها فراقا . ولا أدل على هذا
الحب من أوصافه الكثيرة ، المستفوقة للكثير من نجوم السماء وكواكبها ، ولكنه يعود
فيتعاطف مع النهار ، فقد وصف القمر ، ورأى فيه وقد أضأ الليل شمس نهار
ووصف الشرا والبهل واليهما أيضا يذكرانه بالشمس التي ودع نهارها مكرها ، وسهلا
والمجرة ، والمشتري والزهرة والجوزاء وغيرها ، وهو في وصفه يمتنى بالمعانسي
والأحوال ، كما يأخذ من الوصف الحسي بقسط وافر .^(١)

وأما تسميهم بن السمرز . فإن الطبيعة بنواهم ما تفتنه هو الآخر ، فيتذكر
خمرته ، وينادي بها تحت ظل الحمام ، وقمقة الرعد ، ووميض الجرق ،
وتهلل الأرز لبكاء السحابة ، وكما ترتبيل الذليمة عنده بالخمر ، ترتبيل بالحبيب
أيضا ، ولكنها لا تفعل ، ولذلك نجد الشاعر يستغني عن الطبيعة في حاضرة
الحبيب الذي لا يرضى أن يكون البدر شبيهه .^(٢)

(١) - مسرور النعم : ٤٠٠٠٣٩ ، ٨٠ ، ١١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٢ - ١٥٠

و جلية الكمية
و شعر الحقيقة : ٩٦ - ٩٧ .

(٢) - يتيمه الدهر ٤٣٨ - ٤٣٩ ، ٤٤٠ - ٤٤١ .

الفصل الرابع

الطبيعة في الشجر الاندلسي

* ١ *

لكلمة " الاندلس " في قاموس الاسلام شأن عظيم ، فهي تطلق بالمعاني وتزخر بالأسرار ، وما ذلك الا لأنها تترجم بحروفها القليلة تاريخ أمة ، هكذا ماضي هذا التاريخ من أفراح وأحزان ، وآمال وآلام في حقبة زمنية تشهد للمسلمين في معظم فتراتهم بمعظم ما أدوا للإنسانية من خدمات ، بما ابتدعوه من علوم وبما انجزوه من حضارة أضاءت باشعاعها ليالي القرون الوسطى المدلهمات . وكما اقترن هذا اللفظ في ذاكرة التاريخ بهذا المطاء الانساني الخمر ، اقترن أيضا ، بالطبيعة شبه الجزيرة الغناء ، وأنشأوا الى ما اختصت به تلك البقعة من سحر وجمال ، فقد وجد المسلمون في هذا الركن الأوربي ، أرضا خصبة ، وجوا مناسبا ، فأقاموا به وعمره ، وأنشأوا به الحدائق الماسة والخاصة ، والبساتين الغناء ، وتمهدوا الا^(١) رغو بالسقي والزرع ، حتى غدت مروجاً خضراء تسر الناظرين ، ولم يكتفوا بهذا بل عنوا بالجمال والبهجاء أينما . فاستنبطوا بها أنواع الشجر الثمر وغيره ، وكان لهذه العناية بالزراعة دورها في نهوض علماء في هذا الميدان طبقت شهرتهم الآفاق . وكانت العناية بالبساتين والحدائق سببا في جلب الكثير من أنواع الشجر والزهر الى شبه الجزيرة ، وقد خلّد جغرافيو الاندلس طبيعة هذه الأرض الطيبة وصوروها في أعجاب شديد يدل دلالة واضحة على شدة حبهم وعظيم تعلقهم بهذا البلد الذي طالما جهدوا في عمارته ، فابوهبيد البكري وهو من رجال القرن الخامس الهجري ، يرى أن " الاندلس شامة في قلبها وموائها ، بهانية في اعتدالها

واستوائها ، هندية في عظمها وذكائها ، أموانية في عظيم جبالها ، صينية في
جوانبها ، معدنية في منافع سواحلها ، ^(١) ويذكر أيضا أن في الاندلس جبالا
له جبل الثلج هو جبل البيرة . لا يزال الناس يرون الثلج نازلا فيه شتاء وصيفا ،
وهو عال جدا حتى أنه يرى من أكثر بلاد الاندلس كما يرى من عدوة المغرب ^(٢) .

ومما يدل على شدة هذا التعلق أيضا رسالة الشنقندي في فضل بلاده الاندلس ،
فقد تتبع مدنها ، واحدة بعد أخرى ، يذكر فضائلها ، ويبرز خصائصها ، ويصور
طبيعتها تصويرا جسم محاسنها ، وكساها حلة زاهية ، فذكر اشبيلية واعتدال هوائها
ومحسن مائها ، واجتماع اصحابها بها ، وتزينهم اياها ، ثم ذكر نهريها ، فإذا هو
يفضل الانهار يكون شفتيه . ^(٣) بين بالمنازل ، والبساتين والكروم والانسار
متصل ذلك اتصالا لا يوجد لغيره .

وقرطبة التي تحاز الى عمارتها المتصلة بوردما الثابت بجبالها ،
كما أن لنهرها في تنارب بره ، ^(٤) لج غدوه ومروجه ، ^(٥) معنى آخر وحلاوة أخرى ،
وزيادة انس ، وكثرة امان من الـ ، وفي جوانبه من البساتين ما زاده نضارة وبهجة ^(٦) .
وتجسس ما هذه هي من منابر البحر والبحر ، والكروم المتصلة التي لا تكاد تترك فيها مرجة

لمونس عابر ، والبروج التي شابهت نجوم السماء كثرة عدد وبهجة ضياء ، وتخلل
الوادب الزائر لها في فصولي الشتاء والربيع في سرور بلذائها ، وتوشيعه الخصور
ارجائها ^(٧) . كما تجد عند الادريسي وابن غالب ، وابن عبد المنعم الحميري ، سورا

(١) - جغرافية الاندلس وأوروبا : ٧٠

(٢) - نفسه : ٨٤ - ٨٥

(٣) - فضائل الاندلس وأهلها : ٥٠ - ٥٢

(٤) - نفسه : ٥٥

(٥) - نفسه : ٥٧

ومما هـد أخرى ، سجلوها باعتبارها في ممرز وصفهم لبلاد الاندلس ، مما يدل على غنى هذه البلاد بالمشاهد الطبيعية المتنوعة والساحرة في آن واحد . هذه أندلس الجغرافيين ، ولكن ماذا عن أندلس الشعراء ؟

٢

وأما الشعراء والادباء فقد كان ارتباطهم ببلادهم متينا ، يدل على ذلك كثرة تصويرهم لمشاهد ما ، وتفننهم بطبيعتها ، كما تدل عليه اشعارهم في الحنين الى ربوعها ، كلما بعدت بهم الشقة عنها ، أو طار فراقهم لها ؛ وهي تنضح بالشوق وتحتل بالحب لتلك الأرض بطبيعتها الجميلة ، ومناخها الرائحة ، وقل منهم من لم يحس بهذا الاحساس أو لم يشعر بهذا الشعور .

لقد بدأ الاحساس بهذه الطبيعة الخلابة ، والارتياح اليها منذ دخول المسلمين انفاذيين الى أرض شبه الجزيرة ، ثم نما هذا الشعور وتعمق عبر الزمن ، الى أن أصبح ظاهرة لها ثقلها في الادب الاندلسي عامة ، وعلى الرغم من ضياع معظم الاشعار التي قيلت في هذا الشأن ، ونساع بعض الكتب المختصة بهذا اللون من الشعر ، فإن ما وصلنا ، وهو قليل ، دليل واضح على غنى الادب الاندلسي ، شعره ونثره ، بوصف الطبيعة ، وهو غنى شهدت به كتب الاختبارات العربية التي قصرت مهنتها على اقتناء ما أبدع أهل الاندلس من اوصاف ، وما اخترعوه من تشبيهات . ككتاب الحداث لابن فرن الجياني ، وكتاب التشبيهات لابن الكتاني المتأجب ، والبديع في وصل الربيع لابي الوليد اسماعيل بن عامر الحميري والارتياح بوصف الراح لابي عامر محمد بن مسلمة ، وكتاب الفرائد في التشبيهات لعلي بن الحسين القرطبي^(١) ، كما شهدت به كتب تاريخ الادب كالدخيرة لابن يسام ، وفلاذد المقيان للفتح بن خاقان ، والمغرب في حلق المغرب

(١) - تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة : ١٠٦-١٠٧ .

لا بن سعيد ونفخ الطيب للمقبري وغيرها ، بما حوته من اشعار ونصوص وصفية ولا نماسة هذه النمازة الأدبية وبيان مراحل نموها وتطورها نرى أنه لابد من تتبعها من البداية وإلى عصر شاعرنا ابن خفاجة ، الذي انتهى إليه ذلك الموروث النخم من شعر الطبيعة ، فمعرفة كيف يستفله ويبرز فيه .

" ٣ "

لقد ذكرنا أن اهتمام الشاعر الاندلسي ببنيته كان مبكرا ، وخاصة بعد الاستقرار السياسي ، وبعد التمكن للدولة الأموية في الاندلس على يد عبد الرحمن الداخل ، الذي تنسب إليه المظنوعة الشعرية المعية في وصف النخلة ؛ فقد أسفدنا عليها مشاعره ، وأشركها احساسه بالفراسة وحسنه التي بلادته التي أناته عنها الظروف القاسية ، فرأى في انفرادها وحدته ، وفي غربتها غربته ، وهو نموذج لشعر الطبيعة في هذه الفترة بندر مثله (١) . ولكن هذا الاهتمام يشتد بعد ذلك ، فقد تميزت فترة الخلافة بكثرة الشعراء والادباء الذين يمدنون بالطبيعة ويفرمون بها ، ويصفونها مجلطة ، في مشاهد كلية أو مفصلة في مشاهد جزئية ، شعرا ونثرا ، مما كون رصيدا ضخما من الأوصاف ، دل على فتنة أصحابها بالطبيعة بلادهم ، واعجابهم الشديد بها ، وكان لتمكن حب الطبيعة من قلوبهم أن احتلت مركز الصدارة من قصائدهم ، فالمدح يبدأ فيه بوصف الطبيعة ، كوصف الريح ، والرياح عامة ، وأنواع الازاهير والورود ، أو وصف السحاب والمطر ، وغير ذلك ، وقد يصنونها لذاتها (٢) وتغلب على شعرهم فيها المنظومات . ويبدو بنا ونحن نقف أمام هذا الرصيد الهائل من شعر الطبيعة أن نسجل بعض الملاحظات نحدد من خلالها بعض الخصائص .

(١) - البيان العرب ٢ : ٦٠ - تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة غزلية : ٩١

(٢) - الادب الاندلسي . هيكل : ٢٣٦ ، ٣١٠٠

* ان اغلب شعر الطبيعة في هذه الفترة تغلب عليه الصفة الحسية ، وينعدم في أكثره العمق ، والنظر البعيد ، والتفاعل الحي مع الموصوفات ، فقد كانت الصورة الحسية هي الهدف ، ووجد الشاعر في المجدان من ذهب وفضة ، واحجار كريمة مسهبا لا ينسب لتشبيهاته واستعاراته ، فاكسب موصوفاته اللون والبرق ولكنه انقدها الحركة والحياة ؛ تجد ذلك في شعر ابن النظام ، وابن القوطية وابن جعفر بن الأثير وابن دراج القسطل^(١) ، وابن عبد ربه الذي تأخذ مظاهر الطبيعة عنده بهذا آخر ، فهو يتخزل بها غزلا حسيا ، وكأنه يكتفي بها عن محبوب ابن أن يصرح باسمه^(٢) . كما نجد نفس الظاهرة عند ابن هاني الاندلسي ، عندما يناجي المحبوب ، ويرى في البرق شبيها له ، فبياضه يشبه بياض أسنان محبوبه ، وبريقه يحيي بريق ظلها الرقراق ، كما يرى في لمعان البرق خلال الفيوم حركة جذب لخضر موشح ، في سير السحاب الثقيل امرأة رادفة ، ثقيلة تتبالا في سيرها لا متلائها واكتنازها^(٣) .

* ان الاسلوب المنطقي استغرق فضا مهما منه ، فقد انبرى شعراء الاندلس للمفاضلة بين الامير ، فوصفوا الورود وعدوا مزاياء ، وفضلوه على النرجس ردا على ابن الرومي الذي فضل النرجس والصق بالورد كل عيب ، كما عقدوا المناظرات في المفاضلة بين الخيري والنفسي^(٤) ، وبين الخيري والاشعر والخيري الانعام^(٥) ، وهكذا تبذل جهود وتصرف مناقات في المريق سدود ، يحول بين الشاعر والاحساس العميق الفصال بالطبيعة من حوله ، فتصبح أوصافه عقبة ، جافة ،

(١) - جذوة الحقبس : ٢٨٦ ، ٢٨٣ ، - البديع في وصف الربيع : ٢٥
- ديوان ابن دراج : ٣٠ - ٣١

(٢) - ديوانه : ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٣٠ - ١٣١ ، ١٧٩

(٣) - ديوانه : ٦٥

(٤) - البديع في وصف الربيع : ٥٣ - ٨٥ .

غريبة عن شمر الطبيعة الذي يقتضي الاحساس بعناصر الطبيعة والتفاعل معها على نحو ايجابي حي .

* ان الشمر الذي نلمس فيه نوعا من الحركة والحياة ، هو الذي أسقط فيه الشمر الصفات الانسانية على مناهج الطبيعة المختلفة ، فهي تشمر وتنطق ، وتحسد وتغار ، وهي تعفّر من الوجد وتحمر من الخجل ، وتذوي وتذبل لثرائ الحبيب ، أو من شدة الحسد والفيرة ، والسحابة تبكي ، والروض يضحك^(١) وغير ذلك مما يذكرنا ببعض صور ابي تمام في هذا الشأن ، تجد هذا المذهب في شمر الرمادي ، واسماعيل الحميري ، وابي بكر يحيى بن هذيل وابي جعفر بن الابر وأحاجب السحفي ، وابي مروان عبد الملك بن جهور ، وعبادة بن ماء السماء ، وابن عبد ربه وابن شهيد وغيرهم .

* وكانت الطبيعة بجمالها وروعها ، مدعاة عندهم لشرب الراح ، وعقد مجالسها فهذا الرمادي يهزه منظر الطبيعة الخلاب ، ويدفعه تساقط الليل ، ووميذ البرق بين الخيوم الى الشراب ، ويمتزج بريق الخمرة بالطبيعة عند ابن بطل حتى لا يرى فارقا بين الازهار وكووس الخمرة ، والخصون وأذرع الندامى في حركتها ومناولتها الخمر للأصحاب^(٢) .

(٣)

* وقد ينذر هذا الشعر جو من الحماسة والحرب ، سيرا على طريقة المتنبي ، وأكثر ما تتجلى هذه النزعة في شعراء بن دراج القسطلي ، فقد أكثر من استخدام الالفاظ الدالة على معاني القوة ، وجعل من السرب بوسائطها مدرا لتشبيهاته ، واستعاراته في مجال وصف الطبيعة ، وابن هاني^١ الاندلسي ينصفي هو الآخر على بعض موصوفاته جوا حربيا ، وخاصة عندما يصف الغيث والريح ، كما يسقط على

(١) - نفسه : ٦-٧ ، ٩ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ١١٥ ، ١٣١ -
التشبيهات لابن الكثاني : ٤٤ - ٤٦ - ديوان ابن شهيد : ١٧٦ ، ٢٣٩ .
ديوان ابن عبد ربه : ١١٥ .
(٢) - البديع في فصل الريح : ١٠ - ١١ ، ١٤ - ديوان ابن - راج : ٣٢ ،
(٣) - ديوان ابن شهيد : ٩١ ، ٢١٥ - البديع في فصل الريح : ١١ - ١٢

الطبيعة صفات الانسان كالرؤيا والغضب ، لهفك الربيع ، وانصباب المطر ،
ولسعان البرق ، والليل والنهار ، وساط الورق ، والارض ، والريح المعطرة
بماء الورد ، يذكر هذا كله ليصل السى تصوير أنفاس المعز وانى جعل الانسواء
قاصرة عن الوصول الى درجة كرمه وسفائه . وهو يبرز في وصف النجوم "فأنته" مثال
واضح لذلك (١) .

وتأخذ الطبيعة الساحرة بالباب الجميع ، وتفتنهم بمظاهرها الزاهية ، بشجرها
ونباتها ، وزهورها وثمارها ، وسواقيها وأنهارها ، وبركها ونداهها ، وحدائقها
وأنوارها ، كما فتنتهم بحيواناتها من حيول وذئاب ، وأنعام وحشرات وزواحف
وتليد على اختلاف أنواعها ومن أبرزها الحمام الذى كان لهم به احتفال عظيم ،
يصفونه ويناجونه ويثبثونه مواجدهم وأحزانهم . وصفوا ذلك كله وصفا فيه
اعجاب وحب واستفراق ، ولكن تبقى السطحية ، وتطلب الصورة ، والجري وراءها
سمة غالبية على يد الشعراء ، فقد تنكب الشعراء الاندلسي في هذه الفترة -
طريق التأمل النفسى والعمق الفكرى ، وتعلق بالمحسوسات بدور حولها ، او يتحدث
فيها او يصفها (٢) . ولعل هذا التسطح في الرؤية الشعرية ، والتصوير الحسى
للموضوعات هو الذى يقف وراء ذلك الركاس الضخم من شعر وصف الطبيعة بمناصرها
المختلفة ، والذي لا تمثل كتب الاختيارات المذكورة الا قسما ضئيلا منه . فقد
زود الاندلسيون - في هذا الزمن - رصيد شعر الطبيعة بكلمة وفيرة من الاوصاف
والتشبيهات ، ولكنهم قل أن اضافوا تجربة شعرية جديدة ، تسهم بعقها وشمول

(١) - ديوانه : ١٨٤ - ١٨٥ ، ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢) - تاريخ الادب الاندلسي . عصر سيادة قرطبة : ١٢٩ ، الشعراء الاندلسي : ٢٥ - ٢٦ .

نارتها في دفع هذا الفن - بفمالية - الس الامام . وأما المبالغة الشعرية ،
عندهم ، فتظل - على العموم ، سهلة ، غني فيها باقتناء الالفاظ الرقيقة ،
وتدوشيت فيها ، ما أمكن ، الالفاظ الحوشية الخريبة ، ولكنها تبقى مثقلة بأنواع
الزينة اللفظية والمعنوية من تشبيه واستعارة ، وجناس وطباق ومتابلة وغيرها ،
اقتناها المسقل المستمر للمبالغة ، وتطلبها الجري الدائم وراء الصورة الحسية في
الموسوعات ^(١) . وبقي شعراء المدح المختصون كاهن هاني* وابن دراج وابن شهيد
أبرز ما يكونون على مناعة الاسلوب ، وقوة اللفظ وجزالته ، مع ميل شديد الى المبالغة
المفرطة .

ثم ينتقل هذا الرصيد الشعري المهم ، بعد نشوب الفتنة وزوال الخلافة
الى شعراء الطوائف والمرايطين من بعدهم .

• • •

أحسن الاندلسيون ، بدخول القرن الخامس الهجري ، وفي مقدمتهم الشعراء
ببيتهم ، واندمجوا فيها ، وصعدوا في أشعارهم في وصفها عن عاطفة جياشة
ومحب غارم لبيتهم المشرقة ، وجوها الاغاني فقد حظيت بالبيعة الاندلس ، بمناعهما
ومعالياتها المختلفة بمنائهم واهتمامهم ، فهم ان لم يفردوها بالوصف ، مزجوا
او مافهم فيها بفزلياتهم ومدنياتهم وخمرياتهم ، مما يدل على استيادتها على حواسهم
وشاعرهم ، وهراستيل^{أظهر} بيدو^{ما} يكسون في باب الحنين ، الحنين الى مراتج
السبا ونساء النعيم ، في نال البهجة مع الاسباب والاسباب . وقد شد بداءات
هذا القرن الشعراء الذين امتدت حياتهم بعد زوال الخلافة ، وهم شعراء البديع
والتشبيحات ، وقد ألمحنا الى مشاركتهم من قبل .

(١) - تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة: ١٠٣

وأما الشعراء الذين يمثلون عصر الطوائف ، فهم الشعراء الذين نهضوا فيه وكان لهم دور في احداث وقضاياها ، وهم كثير ، ونكتفي هنا ، في الحديث المفصل به ، الشئ عن شعر الطبيعة في هذا العصر ، بالوقوف عند جهود المشهورين منهم ، مع الاشارة الى مشاركة غيرهم باجمال .

(١) ابن زيدون : (١٤٦٣هـ)

يعد ابن زيدون من أشهر شعراء هذا العصر وأدباءه ، بل وساسته أيضا ، وهو قد أخذ من شعر الطبيعة بقدر ، ولكن الطبيعة لا تستهويه وحدها ، بل تروقه من الحبيب الذي تعلق به ، وعشقه من كل قلبه وارتبطت صورته في مخيلته بمشاهد قرابية ومنزجياتها الغناء ، والطبيعة والحبيبة تتماثلان لديه ، ولكن الحبيبة أحلى وأجمل ، وقد كان لهذا الارتباط بين الطبيعة والحبيبة أثره في حياته ، وخاصة بعد سجنه ، ثم فراره من السجن الى اشبيلية بني عباد ، فقد اشتد حنينه الى محبته ، وإلى مراتب صباه ، ومجالس لحيوه وخلوته ، في شواحي قرابة وساتينها ، وتحت الطبيعة في هذا الحنين العام المفتاح الذي يفتح بابا يذلل على عالم من الذكريات الحلوة والايام السعيدة ، فكل ما فيها يذكر بالحبيب ويذكر صورته ، وبذلك في نفس الشاعر ألم الفراق وحرارة الذكرى .

لقد وفق ابن زيدون في ربط الطبيعة بالحب ، والحب بالطبيعة ، فأسقط على مظاهر الطبيعة مشاعره وأحاسيسه ، وأشركها في آلامه وأحزانه ، وهو معنى يسري في غالب شعره ، ولكنه في قصيدته التي نظمها في الحنين الى الحبيبة ، وهو بالزعماء ، ووسل اليه منها ، أكثر جلاء ووضوحا . وهو بهذا النموذج الفني الرائع في سلاسة ألفاظه وعذوبة موسيقاه ، وحيوية التصويرية استحق عند أحد الباحثين المعاصرين لقب " شاعر الحب والطبيعة " لأنه يشعر بالطبيعة شعور الولد والهيام ، ويتغزل فيها تغزل الحب والخرام ، في قوة وعمق ووضوح .^(٢)

(١) - تاريخ الادب الاندلسي . عصر الطوائف والمرابطيين : ٢٠٣

(٢) - ابن زيدون عصره وحياته وأدبه : ٣٧٤ .

ولم يكن حبه لولادة هو وحده الذي أذكى هذا الحنين الدافق في اعماقه بل كان هناك عامل آخر له شأنه وقيمته ، ذلك هو حبه لولائه ، ومسقط رأسه فزاجة ، فقد تغنى بمزاياها وذكرها موعدا موعدا ، وتذكر أيام السعيدة ولهو وعيشه الهادي الهنيء فوق ربوعها ، ممددا محاسنها ، ومبرزا نواحي الابداع والجمال في طبيعتها ، وشمره في هذا المجال يتسم بصدق العاطفة ، وحرارة الذكرى ، ولوعة الحنين (١) .

(٢) ابن حمديس (٥٢٧ هـ)

وأما ابن حمديس فقد كان للطبيعة جزيرة صقلية ، ذلك رأسه ، ومربع صباه ، أولا ، والطبيعة الاندلس التي رحل اليها ، فيها شذرا منها من عمره ثانيا ، أشرف حال في شاعريته ، وكان يمكن أن يدرك الطبيعة لو أنه استمد في وصفه من ذاته ، ومن معين فهو في وصفه مفرى بالسيرة ياليتها في كل ما حولها وبما فيها ، بل ومنوعها أيما فقد تحدث عن الخيل وتحدث عن الللال والديار والرياح والبرق ، والنبوء والشيث والبرد ، والبحر والنهر والروض والزهر وغير ذلك متأثرا بأرائق من سبقه ، ومنيرا على بعض صورهم . وصف الطبيعة في موضوع المدح ، وفضل المدوح عليها ، ومنح وعما . وصف الطبيعة في قارنها بها ، كما دعا بالشراب في ذالها (٢) ، ولم يخسر الطبيعة بالوصف إلا في شبيبة واحدة تحدث فيها عن البرد واستلورد منه الى وصف السحب ، والسييل والبرق

(١) - ديوانه : ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) - ديوانه : ٨٤ ، ٨٧ ، ١٢٥ .

والرعد والشمس ، ثم سور الطبيعة ، وانبعثت الحياة في مظاهرها المختلفة بعد أن ارتوت من الماء وعصا الخشب ، فالفضن يتشبنى ، والدلائر يغني طربا والشمس تنمى الجميع بنورها الذهبي (١) .

فاشماره ، وخاصة حائيته ودائته ، مزدهجة بالدمور ، عامرة بالحركة والموسيقا ولكنها مفتقرة الى الاحساس العميق ، والمخالقة القوية ، فقد اجاد النقل ، ولكنه لم ينفخ فيه من روحه ، ولم يبالغ به بالابحى الذاتي ، ولذلك قل أن نشعر بالارتياح والتجاوب ، والمشاركة الفعالة عندما نقرأ لابن حمديس في هذا الباب .

وكنا نتألم من ابن حمديس ، وهو الشاعر الذي خاض غمار البحر ، وعاش مع الالة ، وكابد شقاءه وأبوانسه ، تألموا بها لهذه الظاهرة المظلمة من اواخر الطبيعة الصامتة ، وتعبيراً عميقاً عن مشاعره ، وهو وسط أمواجه التلاطمية تعلوه وتنز ، وتذهب به الريح في كل اتجاه ، الا أننا لانجد في ديوانه عن هذه الظاهرة الطبيعية شيئاً خلاباً ، فقد وصفنا البحر في مقاليوعات قليلة ، عكست وجهه البحر الهائج المخوف (٢) ، وهي صورة رددتها غيره من الشعراء ، ولعل السبب في هذا يرجع الى ندرة وساطة الوسائل التي تغول للانسان - وقتئذ - نوعاً من السلطان على هذه الظاهرة المتميزة ، فهم لم يعرفوا عن البحر ما نعرفه نحن اليوم من حقائق وأسرار ، من حيث كون ذلك الوجه المخيف المروع ، يخفي في حقيقته ، وبالمثل عالماً من الجمال ، والصور البديعة ، التي تماثل او تفوق في روعتها وجمالها ، ما على اليابسة من مشاهد ومظاهر ، ولو أنهم ملوكوا من الوسائل ما نملك ، فربما كان لهم موقف يشبه موقفهم ذالمكما وكيفاً .

(١) ديوانه : ١١٧

La Poesie Andalouse : 212

(٢) ديوانه : ٢٣٠ - ٢٣١

(٣) - ابن صارة الشنتريني (٥١٧ هـ)

وأما أبو محمد عبد الله بن صارة الشنتريني ، الشاعر المطلق ، والشهاب
 المثال ، الأوصاف البديعة والمعماني المخترعة ^(١) ، فقد استهوتته الطبيعة هو الآخر
 وفتنته بشعرها وزهرها ، وغيمها ومطرها ، فمبصر عن احساسه وتعلقه بشعر سلس
 اللفظ ، رشيق العبارة ، حافل لنا كتاب الذخيرة قلما منه ، وهو فيه يظهر
 شاعرا حسيا ، تنزيه الصورة ، ويجذب اللون ، فيرسمها رسما واقفيا ، معتمدا في
 تشبيهاته واستعاراته على ما يحيط به من عناصر طبيعيتها فيذكر الجمر ، والفسد ،
 والدمع المنسرج ، والمدام ، والمقيق ، لالشيء إلا لأنها تشبه النارج
 أو يشبهها في اللون ، ولكنه يوفق في وصف الحديقة ، عندما يستخدم الأسلوب
 التخييلي ويسقط على الأزهار الصفات الانسانية ، فالنرجس والبهار أخوان ، أمهما
 الشمس ، وأبوهما الخمر ، وأنهما قد شربا من سلاف الثمار فسكرا وأدى بهما
 الأمر إلى التراجع ولكن بالأزهار ، ويؤثر الوسخ في الذ ، فيرشي لهما ويبكيهما ،
 ودوت سهر حي وميت ، ولريف في آن واحد ، كما هو في رسم صورة مفزعة
 لسحابة مطيرة ، ذات رعد مدو ، وبرق مشتمل كـ الخيران ، وصواعق قوية ،
 تكاد تنزل به البيت وتهده من فوقه ، وقد وقف هو مشدوها يستميد تارة
 ويهمل أخرى ، راجيا الخلاص من هذه الظاهرة التي اقضت مضجعه ، وزرعت الرعب
 والقلق في أعماقه ^(٢) .

(١) - الذخيرة ٢/٢ : ٨٣٤

(٢) - نفسه ٢/٢ : ٨٤٠

(٤) - المعتمد بن عباد (- ٤٨٨ هـ)

وتتمتج الطبيعة بالخلل تارة ، وبالخمير أخرى عند شاعر أشبيلية وأميرها
المعتمد بن عباد ، ولكن أحسا سه بها يزداد وحنينه يشتد وهو في الأسر ،
بعد أن زال ملكه ، وشل عرشه على يد المراهطين ، فهو لا يفتأ يذكر غموره ،
وحياته الطوكية الناعمة ، وسدل الطبيعة الغناء ، فيبكي على فقدتها ونسبها ،
ويشتد به الخطب ، حتى يخال أن الطبيعة تشاركه مصابه ، فغصوره تبكي لبعده^(٢)
وتقيم النجوم الماتم حزنا وأسى على فقدته ولديه^(٣) ، كما يناجي سرب القضا^(٤) ،
ويتنن حالها بحاله ، فكدهما له فراخ ، ولكنه أسير وهي حرة طليقة ، تمود
الى فراخها ، ولا يمود ، فقد باعدت عوانى الایام بينه وبينهم ، وحال البعد
والأسر دون الاجتماع بهم والحنو عليهم ، انها صورة حية ، منحها الشاعر قوة
التأثير بما أفاضه عليها من مشاعر وأحاسيس صادقة .

(٥) - ابن عمار (- ٤٧٧ هـ)

وبأخيه وصفي الطبيعة في شعره وزيره ابن عمار تلمس المصار ، فهي عنده
ترتجل بالخمير حيناً فتشكل الایار الملائم لجمالها وعقد مجالسها ، وتسخر حيناً آخر
لنثر المسدح^(٥) ، كما يذكرها في لوحة وحنين ، بعد أن قلب له

(١) - ديوانه : ٧ ، ١٣ ، ٢٨ .

(٢) - نفسه : ٩٥ .

(٣) - نفسه : ١٠٥ .

(٤) - نفسه : ١١٠ .

(٥) - الذخيرة ٢/١ : ٢٨٢ - ٢٨٣ .

الدمر طهر المجن فحاد الى حياة التشرد والفقر ، بعد الغنى والاستقرار ، وكان
لدموحه واستهتاره اليد الاولى في هذا الانقلاب الحاسم في حياته ، ويحس بعنف الصدمة ،
والم الفرائ ، وتنكر الاصحاب ، فلا يجد غير اللهيمة مواسيا ، ولا الى غيرها ملجأ
فيهيب بخصامها ، المتحركة والجامدة ، الهية والصامتة ، بالحمام والضمَام
والرعد والبرق ، والريح والنجوم ، أن تشاركه مصابه ، وتقاسم أحزانه وأشجانه
فالحما ، ينوح عليه ، والضمَام يبكيه ، والرعد يصرخ ، والبرق يهز الصارم يريد
التأرله ، والرياح تشفق جيوشها لأجله^(١) . وهكذا ينجح الشاعر في تهويل
الموقف ، وتسخيم الأمر ، مستخدما عناصر اللهيمة المختلفة كوسائل طوعها لتصوره ،
وصحبها بما يوافق مزاجه وحاله النفسية المضطربة الغلقة، وبمهي محاولة
نادرة في شعره .

(٦) - أبوكريه اللبائنة : (٥٥٠ - ٧٠)

وأما ابن اللبائنة أبوكريه محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني فقد كان شاعرا
مداحا ، متكسبا بشعره ، لزم المتمد بن عباد مدة عزه وساءلانه ، كما لزمه بعد
نكبه على يد المرابطيين ، فمدحه ، ورثى ملكه ، وعنّ الى مجالسه معه في ظلال
بساتين اشبيلية وعلى شفتي نهرها الجميل ، ثم انتقل بعدئذ الى ميورقة ، حيث
أضحى شاعر مبشر المأمري ، ومكث على تلك الحال الى وفاته . وهو وان سخر
شعره للمدح ، الا انه لم يحل من وصف اللهيمة في مناظرهما ومشاهدتها

(١) - الذخيرة ٢/١ : ٣٧٢ - ٣٧٣ .

فاما الأعمى التاميلي (- ٥٤٥ هـ) فلم يفرد الطبيعة بالوصف الا في قصيدة واحدة وصف فيها سحابة مطرة^(١) ، جمع فيها معاني القدماء وصورهم ، وكثيرا ما يأتي ذكر السحابة والحدار ، والبرق والرعد عنده في سياق الحديث عن المدح المندوح ، وعد صفاته من كرم وسماحة ، وكثرة عطايا ، فهي عنده ، تخدم المدح كما في النزل^(٢) ، ومن هذا المنطلق كانت نظيرة الشاعر اليها . وأما الطبيعة المصنوعة فقد استهواه منها شيئان اثنان ، اكثر من ذكرهما وأطال في وصفهما ألا وهما السيف والرمح ، وهو على الرغم من ذلك لا يمدح شاعرا وصافيا لفاتكة شاركته في هذا الباب ، ولعل لآفة الدمى أثرهما في ذلك^(٣) .

ويعد الأديب ابو عبد الله بن عائشة من الشعراء المقلّسين ، ولكنه على اقلاله يظهر شاعرا مولعا بالاجيعة ، مستأنسا بها مأخوذا بها فيها من مثا هر الروعة والجمال^(٤) .

وتبدو الطبيعة بالواحد المخلقة بوضوح أكثر في شعر ابن الزقاق ، فقد نشأ في هذا العصر ، وتلمذ على يد خاله ابن خفاجة ، وتأثر بنزعة في وصف الطير ولكنه تمكن من أن يفيض هذا الشعر لموهبته ، ويظهره بطابع تجربته الشافعية وهي تجربة شاعرية ، مكنته في عمر قصير نسبيا ، من إنتاج قدر مهم من الأشعار ، دلت على موهبته و ، ودرهنت على شاعرية متميزة ، وبواتره

(١) ديوانه : ٣٧

(٢) نفسه : ١٦ - ١٨ ، ٨٨ ، ١٠٥

(٣) نفسه : مقدمة المعقوق : ق

(٤) الدخيرة ٣/٢ : ٨٨٢ — الطمغ : ٨٤ .

(٥) مع شعراء الاندلس والمقنبي : ١٣٥ .

مكانة مرموقة في مجال الابداع التشبيهي والاستعاري فقد استطاع بمخيلته العوية أن
يبنى أشعاره بالصور الرائقة ، والمعاني اللطيفة ، وهي ظاهرة وتنف عليها
الشعندي في شعره ، فعددها مفخرة من مفاخر الاندلس ، وحسنة من حسناتها التي
لا تدرك . ولمشاركته الوصفية عتده غارثية غوث شاعرا للطبيعة ، وهو أمر
يدعونا الى الكشف عن أثر الشاعر في هذا المجال .

لا شك ان اهتمام ابن الزقاق بالطبيعة عظيم ، وكلفه بها شديد ، ولكنها
فتنة هسية حسية في مقام الحالات ، فالصورة تغريه والمنظر يأسره فينجذب الى
الطبيعة مستمتعاً ، ويصفها وصفا يكبله الحس ، ويفلب عليه الأسطح ، وينظر
فيه الاحساس المم ، والانفعال بالموصوفات ، فهو يهت - كغيره - بالخمرة
في جو الطبيعة الأ ، فإذا انبت الطبيعة ، وتذهب الاصيل ولا مس
السحاب الدائ ، وعانق الجبال ، وتغنى الحمام ، تذكر خمرته فنادى بها
ذهبية كلون الاصيل ، فشادد الطبيعة تأخذ بلبه ، وتفتنه بجمالها ، ولكن
لينعم بمجالس اللهو فر غلالها ، ويميشها لحظات مادية لا يتجاوزها الى التهاوي
الفعال عن الطبيعة ، أو الاحساس الصادق بها . وتستهو به الطبيعة في مجال
الغزل ، فيصف الحبيب من خلالها ، ويتخذ منها ذريعة اليه ، ومن عناصرها
وسائل مساعدة لبراز محاسنه وتمداد مزاياء ، فليس هو الذي يشبه الطبيعة ، ولكن
الطبيعة هي التي تشبهه ، وهو لا يلثم الوردة أو يشبه عبيرها بين الحين
والحين الا لأنها تحكي وجنة من يهوى وعبيره (٤) . وهذه النزعة ، أي تفضيل

(١) - فنائل الاندلس وأجلها : ٤٠

(٢) - مع شعراء الاندلس والعنبي : ١٢٨

(٣) - ديوانه : ٩٣ ، ١١٥ - ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٧٣ .

(٤) - نفسه : ١٢٤ ، ١٧٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤

المحبوب على الطبيعة ، لحرق مسلوكة ، كما أن اللهج بصفاته العادية من خلال الطبيعة * ظاهرة خفاجة * . حفل بها ديوانه . وقد يوفق الشاعر في بث الحركة والحياة في صوره الطبيعية بما يفهمز عليها من أحاسيس ومشاعر إنسانية^(١) أو باستخدام الحوار الذي يطبع شعره بمسحة عقلية^(٢) شعورية .

وإذا فاهن الزقاق شاعر من شعراء الطبيعة ، أفسح للطبيعة حيزها وصايتها مجالا واسما في شعره الرقيق ، ورسم لها مشاهد وبرة تستلقت الانتباه وتمتج الحس ، وتشهد له ، في معظمها بالبراعة وحس الذوق ، ولكن قارىء ديوانه يدرك أن الشاعر مدين في الكثير من معانيه للطريقة أسـتـاذـه وخاله ابن خفاجة ، الذي استلماح بما تتميز به من خصائص وموهبات ، أن يظهر بعنايه القدماء وتقديرهم ، وأن يستعد ، في نشر الباحثين المعاصرين ، لقب شاعر الطبيعة في الأدب العربي القديم ، فماذا انأ عن الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي ؟ .

(١) - نفسه : ٢١٦ .

(٢) - نفسه : ١٢٤ ، ١٢٥ .

الفصل الأول

بين اللبيرة وابن خفاجة

لقد اشرنا فيما سبق من كلام الى طليعة الاندلس عامة ، وما امتازت به تلك اللبيرة من جمال وروعة وبها * ، وبيننا نوعية العلاقة التي كانت تربط الانسان الاندلسي بهيئته ، وانها كانت قوية الى حد كبير ، وهو امر تفصح عنه اثاره التسمية والنثرية في وصفها ، والتفني بمعانيها ، والاشادة بما فيها من مشاهد الطبيعة رائعة . وسنتمرن الآن ، وشي * من التفصيل ، للبيعة شرق الاندلس ، وخاصة كورة بلنسية

يستد شرق الاندلس من حاضرة ألمرية جنوباً الى عاصمة الشجر الاصلى سرقسطة^١ ، في يسيط من الارز ، تتخلله جهال شاهقة ، كثيرا ما تمتد لتكسبون سلاسل جبلية اولية ، تنحدر منها انهار غزيرة تختطف تلك الاراضي الواسعة ، وتصب في البحار الابيض المتوسط . ومن مدن شرق الاندلس الشهيرة . بلنسية ومرسية ، وشا ابة ودانية ، ولرلوشة ، وسرقسطة ، وجيان وغرنادة ، والمرية هذا عدا المدن الصغيرة والقرى والحصون التابعة لتلك المدن الكبيرة ، وهي كثيرة جدا ، ومع ذلك فقد تتبعها جغرافيو الاندلس ، ووصفوها وصفا ينم عن اعجاب وفطنة غامرة ، مما يدل على ان هذه المدن ، بل وتلك القرى والحصون ، كانت من حيث ابيمتها على جانب كبير من الجمال والبهاء . فقد وسمت سرقسطة^(١) بانها مدينة حسنة ، متملة الجنات والبساتين ، يمر بها نهر كبير هو نهر " ابرة " . وذكرت لرلوشة بحسن بقمتها ، فهي توجد في سفح جبل ، وأن ذلك الجبل وغيره مكسو بشجر السنوبر الذي لا يوجد له نظير في السل والغلست .

(١) - الادريسي : ١٤٠ .

(٢) - نفسه : ١٤٠ .

كما ذكرت * بريانة * بتربها من البحر ، وأرضها الخصبة المنبسطة ، وكثرة
أشجارها وثمرها ^(١) . وتكرر ذكر كورة * تدمير * ، وما في حوزتها من سهول خصبة
وأثمار وعيون ، وجنات وبساتين ، ذات أشجار وزروع مختلفة ، وهي كورة واسعة ،
تنضم مدنا عديدة منها مدينة * مرسية * الجميلة المنشأة في مستو من الأرض ،
على ضفة النهر الأبيض ، وبها هي أيضا بساتين وضماح وعمارات متصلة ، ولها
كروم وبها من شجر التين كثير . كما يوجد بها الموز والبرتقال واللوز
وأشجار النخيل ، ويكثر بها القطن ، وينمو بها قصب السكر بكلمات تذكر . وقد
عد الشقندي في رسالته فضائل هذه المدينة في كلمات شعرية ، بعد أن ذكرها
وذكر وادها فقال . * وعليه من البساتين المتهدلة الأغصان ، والنواعير المطربة
الألحان ، والأثمار المفردة ، والأزهار المتنضدة ما قد سمعت ... وهي من أكثر
البلاد فواكه وريحانة ، وأهلها أكثر الناس راحت وفرجا لكون خارجها معينا
على ذلك لحسن منظره . * كما يوجد على نفس النهر مدينة * أريولة * وهي ذات
بساتين وجنات ورياض ، استوقفت ابن سعيد بمناظرها الخلابة ، وجعلته يهرب
عن أعياجه ، فربما وجد مسناتها في كلمات مدية ، فونسيها كأنه فليسة
من جنة الخلد ، ونهرها ساكن ، ودواليها نضارة ، وأبيورها شادية ،
وأشجارها متماثلة . وعرفت كورة * جيان * بطيب أرضها ، وكثرة ثمرها ،
وأطراف عيونها ، ووفرة لحومها وعسلها ، وجبلها الذي يناطح السحاب علوا ،
ونهرها الكبير ، ذي المياه الفزيرة ، والأرحاء الكثيرة جدا ، وهي تنضم مدنا

(١) - نفسه : ١٩٣ : ١٩٣

(٢) - نفسه : ١٩٣-١٩٤ ، فرجة النفس : ١٥-١٦ ، المغرب : ٢ : ٢٤٥-٢٤٦ ،
الروث المعطار : ٥٣٩ ، أسبانيا شمعيها وأرضها : ٢٥ ،

Description, Razi : 20

(٣) - الادريسي : ١٩٣ ، المغرب : ٢ : ٢٨٦

كثيرة منها مدينة * شققورة * التي تتأاز جبالها بورها الذكن المذكر ،
والسنبل الرومي الطيب . وإلى الجنوب الشرقي من شبه جزيرة الاندلس ، توجد
كورة * البيرة * ، التي خربتها الفتنة ، فهجرها اهلها إلى * غرناطة * التي
عدت بعدئذ قاعدة للمدن التي تحيط بها ، وهي ذات ارض خصبة ، سقيها ،
كثيرة الثمر والشجر ، يحسن بها شجر الجوز والبندق ، وقصب السكر ، وشجر
البرتقال والليمون والرمان والنارنج وغيرها ، كما تتأاز بجبلها * شلير *
والمصروف بجبل الثلج (Sierra Nevada) ، وهو جبل عال جدا ، يرى
من اكثر بلاد الاندلس ، كما يرى من عدوة المغرب ، وعرف بذلك لمأزمة الثلج له
صيفا وشتاء ، ومنه ينبع نهر الثلج * شنيل * ، الذي يسقي جنوب غرناطة . واشتهر
هذا الجبل ايضا بأسنان الفواكه ، وكثرة المنازة فكان لذلك مثابة للناس ،
يرتادونه للراحة ، واعتدال مناخه ، والحرارة عيونه ، وكثرة عشبه وزهره ، والتفاف
أشجاره ^(٢) . وأما غرناطة فتب وصفها الشقندي بطريقته الخاصة قائلا : * إنها
دمشق بلاد الاندلس ، وسيرج الابحار وملح الانفس ، ولها القسبة المنيمة
ذات الاسوار الشامخة ، والمباني الرفيعة ، وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها
واسواقها وجماعاتها وارجائها الداخلية والخارجية وساتئنها ، وزانها الله تعالى
بأن جعلها مرتبة على بسيلها الممتد الذي تنزعت فيه سبائل الانهار بين زرجد
الاشجار ، ولنسيم نبعدها ، وبهجة منظر حورها في القلوب والابصار ، استلطاف
يروق الدماح ، ويحدث فيها ماشاء الاحسان من الاختراع والابتداع ^(٣) .

(١) - الادريسي : ٢٠٢ ، فرحة الانفس : ١٥ ، الروض المصنوع : ١٨٣ ، ٣٤٩ ،

(٢) - نفسهم : ٢٠٣ ، نفسهم : ١٤ ، نفسهم : ٢٨ ، ٤٥ - ٤١ ، ٣٤٣

(٣) - فئائل الاندلس واهلها : ٥٦ .

هذا باختصار ما وصفت به بلاد شرق الأندلس في كتب القدماء ، وهي اوصاف
تجلى ما كانت تتميز به تلك الارض ، وما زالت ، من حسن وجمالها ، يلفت النظر
وبأسر القلب .

٢

تتميز كثرة بلنسية ايضا ، بحسن موقعها ، واتساع رقعتها ، فهي تتوسط
شرق الأندلس ، وتقرب من البحر فلا يفصلها عنه غير ثلاثة أميال ، كما انها توجد
في مستو من الارض الخصبة ، فهي تعرف بمدينة التراب ، ويمر بها نهر جار ،
يسقي مزارعها ، وساتينها وبناتها (١) . وهو لعقد واتساع تدخله السفن بسمولة
ويسر (٢) . مما يساعد على تيسير النشاط الاقتصادي ، كما يساعد على القيام
بنزهات نهرية رائعة . ولقد افترض المسلمون هذه الثروة العائنة ، فسخروها احسن
تسخير ، فقاموا بالمزارع ، وأنشأوا البساتين وشقوا اليها الترع ، وصرفوا اليها
الماء ، ونظموا ذلك كله ، تنظيما فنيا مازال يشهد على تفوقهم حتى الآن (٣)
ولها الى جانب السهول الواسعة ، والنبع الفير ، الجبال المعروفة بجبال
بلنسية ، وهي كلها مفتحة بالكروم وأشجار التين والزيتون (٤) ، كما ان
فيها بحيرة مشهورة ، تنمكس اليها اشعة الشمس المدينة رونقا وضياء (٥) .

(١) - فرحة الأنفس : ١٦ - الأندلسي : ١١ : ٢١ : 21 Description

(٢) - الروز المديار : ٩٧

(٣) - اسبانيا شعبها وارضها : ٢٤ ، محكمة المياه ببلنسية : مجلة العربي العدد (١٥١) :
٩٢ - ٩٥

(٤) - فرحة الأنفس : ١٦

(٥) - المغرب : ٢ : ٢٩٧ - فضائل الأندلس وأهلها : ٥٩

ولعل هذا كله هو الذي جعل الحجاري في " مسهبه " ، يجعل نعمتها
بفوله : إنها " مطيب الاندلس ، ومطبخ الاعين والافئس ، قد خصها الله بأحسن
مكان ، وحققها بالانهار والجنان ، فلا ترى الا مياهها تتفرع ، ولا تسمع الا
التيار تسبح ، ولا تستنشق الا ازهارا تنفح ، وما أجلت لحظاتها في شيء الا قلت
هذا أطلع ، ...

ويقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر البلاد ، وجوها صقيل ابداء ، لا ترى فيه
ما يكدر خاطرا ولا يهزأ ، لان الجنات والانهار احدثت بها ، فلم يثر بأرجائها
تراب من سير الارجل وهبوب الرياح ، فيكدر جوها (١) . وكما اشتهرت بجمال
طبيعتها ، اشتهرت ايضا بجمال ورونق قصورها وحصونها وقلاعها ، ومتفرجاتها
المختلفة ، فعرفت " برمافتتها الموجودة بينها وبين البحر ، وهي كما يقول
الشقندي من أحسن متفرجات الأرض (٢) ، ومتفرجتها المعروف " بمنية بن ابي عامر ،
وقاسرها المشرف على بطائرها وعلى البحر ، في موضع يدعى بحار فيه الناظر ، ويقصر
عنه الوصف (٤) .

كما ان من مدنها وقلاعها حسن شاطبة " المال على بطاح وأنهار . ومدينة
" أندة " ، وهي كثيرة المياه ، غزيرة الفواكه ، ومدينة " دانية " المحاذية للبحر ،
وهي مدينة حسنة عامرة ، كثيرة المنافع ، يكثر بها شجر التين والزيتون ، والكروم ،
كما يوجد الى الجنوب منها جبل هليم ، مستدير ، بناه من اعلاه جهال " يابسة " .
في البحر ، ويسمى جبل " قاعون " (٥) .

(١) - المغرب ، ٢ : ٢٩٧

(٢) - فضائل الاندلس وأهلها : ٥٩ ، البروج المصطار : ٢٦٤ ، المغرب ٢ : ٣٤٢

(٣) - المغرب : ٢ : ٢٩٨

Description : 22

(٤) - فرجة الانفس : ١٦

(٥) - الادريسي : ١٩٢

ومن مدنها الجميلة أيضا ، مدينة " شقر " ، مسقط رأس شاعرنا ، وسرح أنسه ومرج صباه ، وهي تقرب من شاطئية بحوالي اثني عشر ميلا ، ولا تبعد عن بلنسية ، إلا بحوالي ثمانية عشر ميلا . ويحيط بها : رمان الجار على جوانبها كلها ، فهي لذلك تسمى جزيرة شقر ، وقد ألغى مؤرخو وجنرافيو الاندلس في نعتهم ، واجمعوا على حسن غلاتها ، وجمال طبيعتها ، وكثرة خيراتها ، فذكر الادريسي أنها : " حسنة البقاع ، كثيرة الاشجار والثمار والانهار ، وقاب عنها الحداري : أنها عروس الاندلس المقلدة من نهرها بسلك ، المتلفة من جنتها بسندس ، روض بسام ، ونهر كالخسام ، طبل وحمام ، ومنظر يحد على حسو المدام " .
ونقد الحميري وصف الادريسي لها ثم اضاف قائلا : " . . . وقد احاط بها الوادي ، والمدخل اليها في الشتاء على المراكب ، وفي الصيف على مخاضة " .
كما ذكرها ياقوت الحموي في محججه وقال : انها " أنزه بلاد الله واكثرها روضة وشجرا وما " (١) . وقد ذكر صاحب القلائد أيضا أن ابا عبد الله بن عائشة كان كثيرا ما ينشرح بجزيرة شقر ويستريح ، ويستلهم بهبوب تلك الريح ، ويجول في اجار وادبها ، وينتقل من نواحيها الى نواحيها ، فانها صحبة الهواء قليلة الادواء ، خنسله المشب ، زاحية الازاهير ، قد احاط بها نهرها كما تـ " .
بالمصام الاساور . . . والايك قد نشرت ذوائبها على صفحه ، والروني قد علر جوانبه بنفحه . . . " هذه جملة اوصاف للبيئة بلنسية واعمالها ، احتفلت لنا بها كتب الجغرافيا والتاريخ ، وهي كما نلاحظ اوصاف اكتفت بالصورة المجملية ، ولم تتطرق الى الجزئيات الا في النادر ، فهي تعدثنا عن الشجر والثمر ، والرياش والبساتين ، فتفيدنا بان مناطق شرق الاندلس كانت كثيرة الشجر والثمر ، ولكنها لا تذكر لنا الا انواعا قليلة من هذه وتلك ، وكذلك تذكر الرياش والبساتين ، ولما تفصل او تسمي ما كانت تشمله تلك الرياش والبساتين من ازاهير وزروعات على اختلافها ، فهي تذكر لنا ان بلنسية وغيرها من مناطق شرق الاندلس عرفت من الشجر : الجوز واللوز والزيتون والتين والكروم ، والبرتقال والليمون ، والنارج ، ويمكن ان يفهم من قولهم انها كثيرة الثمر ،

(١) - الادريسي : ١ ، ٢ ، المغرب في حلي المغرب ٢ : ٣٦٣ ، الروي المصالح : ٣٤ - ٣٥٠

مجمع البلدان ٣ : ٣٥٤

(٢) - سلس الاندلس ، ٨٥ - ٨٦ - الذخيرة . ٣ / ٢ : . . .

ان تكون قد عرفت أيضا اشجار التفاح والاجاص ، والمشمش والبرمان ، بل والنخيل
أيضا ، في بلدة " أَلِثِيشِي " احدى نواحي مرسية^(١) .
وكانت الجبال التي بجانب كونها مفترسة بأنواع الشجر المثمر ، مغطاة أيضا بأشجار
السنوبر ، والسرو ، والخرنوب ، ، والقلين وغيرها . وذكرت لنا تلك الكتب أن
هذه المناطق كانت عامرة بالبساتين والجنات لخصوبة تربتها ، ووفرة مياهها مايدل
على انها كانت حافلة بأنواع المزروعات من قمح ، وشعير ، وفلين وكتان ، وقصب سكر
وبالاء ، وزعفران وغيرها . وكما عني الاندلسيون بالشجر بأنواعه ، والمزروعات
على اختلافها ، عنب أيضا بالازهار ، فأنشئوا الحداث العامة والخاصة ، واقاموا
المفترجات والمنتزهات ، وعلبوا اليها أنواع الازاهير ، واستنبتوها بطرق علمية ،
أشرف عليها علماء مختصون ، يحدوهم في ذلك حب عيون ، وتملى رثيق بجمال
اللبيفة في جبالها المختلفة وخاصة حدائقها ، في ظلها السوارف ، وزهورها
المتفتحة ، ونفحاتها الدلورة ، ولبورها المخربة ، وقد احصى المستشرق " هنري
بيريس " في دراسته القيمة عن الشعر الاندلسي ماعرفته حدائق الاندلس ومنتزهاتها
من ازاهير تفتى بها شعراء القرن الخامس الهجرى ، فذكر : الآس ، والاقصوان ،
والبنفسج ، والنرجس بأنواعه ، والسوسن الازرق والابيض ، والخيرى الاصفر ،
والخيرى النعام ، والنيلوفر والورد والياسمين^(٢) . هذا فضلا عما كانت تنص به بحرس
جبالها ، وبساتينها من ورود ، وشقائق ، ونواوير متدوعة تستوقف النثر ، وتفتح
الحس ، وتنطق اللسان بالشكر والاعجاب .

(ن) - اسبانيا شعبها وأرضها : ٢٥

لقد زلج الاندلسيون جميعا بطبيعة بلادهم ، بماؤها ، وشجرها وزهرها ،
ولا أمل على ذلك من دورهم وقصورهم المحفوفة بالشجر والزهر ، والمزينة بالبرك والقنوات
البديمة النخج ، ناهيك عما على انهارها من ارجاء ونواعير وجسور^(١) ، وهي كلها
تستلقت النخل وتلهم القلب ، وتذكي الخيال .

واذا بحثنا أينما كان في الاندلس من طبيعة حيية ، لم نجد شيئا
خائيرا ، فهذه المصادر كثيرا ما تتمركز لهذا باقتضاب واجمال ، ليس فيه
تفصيل ، فيذكر الرازي أن أرض الاندلس كثيرة الانعام ، كثيرة الخيول والبغال ،
وانواع الدواب ، كما ينوه ببلنسية قائلا : إنها ذات نزع ونسج . فيحتمل أن تكون
بلنسية وغيرها من مناطق شرق الاندلس قد عرفت تربية الابقار والضأن والماعز ، ومن
الدواب : الخيول والبغال والحمر ، والكلاب ، ولما كانت جبالها مفترسة ، فقد
تهيات بذلك أن تكون مريضا لانواع كثيرة من الحيوانات الوحشية ؛ فمن دون شك
أنها كانت كثيرة الذئب ، والثعلب والخنازير والارانب ، ويحتمل ان تكون ادغالها
موطننا للأسود ، والنمور ، والضباع أيضا ، ويستدل بالهجران والشقندي
على أن بساتين شرق الاندلس ، وحدائقه ، قد كانت انواعا كثيرة من الدواب
كالصاغير ، والبلايل ، والشحارير ، والزراير ، من انواع الدواب المفردة ،
كالتمري والحمام والدراج ، وفي جبالها ، بلا شك ، انواع الدواب الكاسرة ،
كالنسر والذئب ، والسقور وغيرها ، كما كانت مياه أنهارها مسرعا
لانواع الدواب السائمة كالذرنسق والاوز والنورس ، واما انواع الدجاج والديكة ، فلا
شك في وجودها والاهتمام بها .

(١) - فصائل الاندلس وأهلها : ٥٦ ، ٥٨ - المغرب : ٢ : ٢٨٦
الادريسي : ٢٠٥ - الركن المعطار : ٥٣٩ - ٥٤٠ .

هذا بحر ما اشتملت عليه طبيعة شرق الاندلس عامة ، وكورة بلنسية خاصة من ظواهر الطبيعة . حية وصامتة ، وهي على قلتها ، تبين بجلاء ، ما كانت تتمتع به تلك المناطق من تنوع وجمال ، وروعة وبها ، ما شد إليها قلوب أهلها ، فأحبوها أحسن حب ، وارتبدوا بها أشد ارتباك ، تدل على ذلك آثارهم الشعرية والنثرية في وصفها والذين إلى رجعها ، واليكاء طين انبساطها (٢) .

وإذا انطلق ابن خفاجة من القاعدة نفسها ، قاعدة الحب العميق والارتباط

الرشيق بطبيعة بلدته شقر ووطنه الاندلس ، فمهر عن مشاعره وأحاسيسه بشعر مفعم بالمواطف ، زاهر بمشاهد الطبيعة في تجلياتها المختلفة ، ما يدل على احساسه العميق بها ، وتجاوزه الحي مع عناصرها وظواهرها ومعالجاتها ، وهو شعور انفتح عنه هو نفسه بقوله : " اكثرت هذا الرجل - يعني نفسه - في شعره من وصف زهرة ، ونمت شجرة ، وجرية ماء ، وبنية طائر ، طموحاً لأنه كان جانحاً إلى هذه الموصوفات لطبيعة فطر عليها وجبة ، وأما لان الجزيرة كانت داره ومنشأه وقراره ، وحسبك من ماء سائح ، وأبصر صادق ، وسطاح عريضة ، وأرض أريضة ، فلم يعدم هنالك ، من ذلك ما يبعث مع الساعات أنه ، ويحرك إلى القول نفسه ، حتى غلب عليه حب ذلك الأمر ، فصار قوله فيه عن كلف لا تكلف (٢) . * وفعللاً

فإن المتنفتح لديوانه يكثر الموصوفات ، وازدهار السور الأدبية البهجة في

شعره كله بأنواعه المختلفة ، مدحاً ورثاء ، ووصفاً وفخراً ، وغزلاً وحنيناً ، فقد وجد

الشاعر في عناصر الطبيعة المتنوعة ، من روغيات وشجريات ، ونوريات ومائيات ،

وظواهر الكون المختلفة ، متحركة وجامدة ، حية وصامتة ، زاد انفعالاً وتشبيهاً

واستعاراته ، ومبالاً خصها لبث عواطفه وأشجانه وأفكاره وتصوراته ، فلا تعجب إذا

(١) - الروض المعمار : ٦٨ - ١٠١ .

(٢) - ديوانه : ٢٦٠ .

وجدنا في شعره مثل قوله :

وما العيش الا بين ربح حديقة ورتة غريد وغرة سابع
(١) فنل من جنى هذا وذاك وهذه وجل بين هاتيك الربا والا بالبح

فالحديث في نثره لا يخلو في غير احضان الطبيعة الفاتنة ، ولا يذهب في غير أجوائها الحفام . كما لا نعجب اذا وقفنا على شعر يفيض بالمعاطفة والحنين ، هنا وهناك في ديوانه ، ينم عن علاقة وثيقة ، وصلة بالليبية قوية ، تلك الطبيعة التي نشأ في أحضانها ، وترعرع فوق ربوعها ، واستودعها احلى ذكريات عمره ، وأجمل ساعات انسه ، فالاندلس جنة ، لا يكاد يبعد عنها حتى بالشوق والحنين اليها :

إن للجنة في الأندلس مجلى حسن وريسا نفس
فسنا نبتتها من شنب ودجى ليلتها من لعل
فاناما هبت الريح سبا صحت واشوقي الى الأندلس
(٢)

وهذا المنطلق ، منطلق الحب في التعامل مع الطبيعة ، والاحساس بالجمال والكمال والسحر في جنباتها كان مركز الشاعر في اوصافه التي استغرقت الكثير مما وعملت عليه عينه في الطبيعة ولله الفناء بريانها التي ارتسمت في شعره بجمالها وحيويتها ، وأشجارها المنورة والشجرة ، وأزهارها وهي تهرس بألوانها الزاهية وعلمها الفواح ، وجبالها الراسية الشامخة ، ورياحها المخضرة ، وسهولها الفسيحة وأنهارها الجارية الهادرة ، وسرورها المستد في زرقته وهدوئه واضلرابه ، وساقها ونجومها وغيومها وأملارها ، وحيوانها ، ووسائلها الحضرية ، حائلي كل هذا بحنايته ، ونال قسطه من اهتمامه ، على اختلاف في تلك العناية وهذا الاهتمام

(١) - المصدر السابق : ٢٤٢

(٢) - نفسه : ١٣٦

كما وكيفا ، وهو يدور البيمة تصويرا مقترج بمواقفه ومشاعره حيناً ، ويخلو من
العادلة ، واقصيا ، حيناً آخر ، مع ميل واضح الى النظرة الكليمة في المرحل
والتصوير ، دون ان يخفل عما فيها من جزئيات وعناصر تستوقف النظر ، وتشير
الاهتمام ، بما فيها من جمال حسي منطوق ، وارتباط وثيق بالصورة الحسية التي
بنائها الشاعر في مخيلته للمرأة التي حرم منها كزوجة ، وشريكة حياة ، وهو أمر
أشرنا اليه من قبل^(١) ، كما ستكثر الإشارة اليه في فصول هذا الباب لاستمرار
حضوره وتجليسه في نصوصه المختارة .

ولقد تنبه القدماء والمحدثون ، من تعرضوا لحياة الشاعر وأدبه بالدراسة
والتحليل للمكانة التي احتلتها البيمة في شعره ونثره ، فأبدى كل منهم انطباعاته ،
وأعرب رأيه في هذه الممارسة ، وهي آراء وانطباعات تنم في مجملها عن تقدير
للشاعر ، واكبار لجهد وساهمته في هذا المجال ، فقد ذكره معاصروه ومن تلاهم^(٢)
من القدماء ، وشهدوا له بالبراعة والسبق في وصف الزمان والمياه ، وما يتعلق بهما^(٣)
من عناصر البيمة المختلفة ، وفخر الشقند في رسالته بموهبة الشاعر في هذا
الفن على أهل الصدوة ، ووصفه ابن سميذ في الرايات بأنه " شاعر الاندلس
في وصف الأزهار والأنهار^(٤) " . وأما المصري فقد لقب الشاعر بلقب شاعر الشام
في وصف البيمة أبي بكر محمد بن أحمد السنوبي ، فدعاه السنوبي الاندلسي ،
لاشتراكها في هذا الفن . ثم نوه بشهرته ، وذكر أن أهل الاندلس كانوا
يسمونه " الجنان " لولعه بوصف الأنهار والأزهار^(٥) .

(١) - راجع ص : ٤٨ - ٥٠ .

(٢) - غلائد الحقيان : ٢٦٦ - الذخيرة ٣ / ٢ : ٥٤٢ - نفح الميخ : ٣ : ١٥٥

(٣) - فضائل الاندلس وأهلها : ٤١ .

(٤) - رايات المبرزين : ١٢١

(٥) - نفح الميخ ٣ : ٤٨٨ .

وكما اشد الاقدمون بمكانة ابن خفاجة وشهرته عرف به دارسو الادب في
 العصر الحديث حقه ، فقد وقفوا على هذه النثا برة في شعره ، فانروا له بالسبق
 والاحسان . فهم عند بعضهم شاعر الطبيعة الذي امتلأت نفسه وعينه من جمال
 الطبيعة ، فأقبل عليها ، يصفها ، ويخاطبها ، ويحيطها أشواقه ويواجه
 نفسه (١) . وهو عند بعضهم الآخرين أشهر وصفي الطبيعة في الاندلس ، بل ،
 هو فئة شعراء الطبيعة فيها (٢) .
 ويذهب بعضهم الى أبعد من ذلك . فيرون أن الشاعر قمين بقلب
 شاعر الطبيعة في أدبنا العربي القديم عامة (٣) . ويرون آخرون بأثر بيئته في تكوين
 شاعريته ، وفي تربية ميده الى الطبيعة ، وتنمية احساسه بها ؛ فلولم ينشأ ابن
 خفاجة في تلك الجزيرة الرائعة ، بمنظرها الجميلة الساحرة ، وحدايقها الفائنة
 الخلافة لما ناضجت اشاعريته ، وبلغت به ذلك المستوى الساسق من الشهرة في
 عصره بعد عصره (٤) . وعلى الرغم من هذا فان اندكتور شوقي ضيف لم يعترف للشاعر
 الضليل ، فهو عنه لا يعد وأن يكون مثلهما لشعراء الشرق في كل ما صدر
 عن عصر في مجال وصف الطبيعة ، وأن كان له من فضل ، فهو الكثرة ليس الا (٥)
 ولا طعن الباحث المحقق ، ما في هذا الحكم من مفالة ، تنافي مقتضيات
 البحث العلمي الجاد . وعلى العكس من الدكتور شوقي ضيف فان د . ميشال عاصي
 يرى أن في شعر ابن خفاجة ، وأن لم يأت بجديد من حيث الاسلوب التمبري

(١) - تاريخ الادب العربي . للنزيات : ٣٣٩ - ابن خفاجة : ٥٧

(٢) - ابن زيدون عصره وجماله وأدبه : ٥١٦ - دراسات في الشعر الاندلسي .
 ٦٣ - الادب الاندلسي موضوعاته
 وقت - مرزاه : ٢٦٥

(٣) - مجلة المجمع العلمي ، ج ٢١ : ٣٩٤

تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والبرابطين : ٢٠٤ .

(٤) - ابن خفاجة الاندلسي ، أحمد الاسكندري مجلة المجمع العلمي ، ج ٢١ : ٧٢٦
 حياة وآثار الشاعر الاندلسي ابن خفاجة : ٥٠

(٥) - الفن ومذاقه في الشعر العربي : ٤٤٥ .

نزوعا خاصا الى الاحساس بالليونة الاندلسية في مختلف وجوه سحرها وجمالها
ما يكسبه نكهة اندلسية يسهح فيها نهر من أصالة ، وملاح من جدة في هذا
الباب لا تنكر ^(١) . واذا فهذا بمنزلة ما قيل عن ابن خفاجة في مجال اختصاصه
وصف الليونة ، وعن مدائنه ومقدار مساهمته في بناء شعر الليونة في أدبنا العربي
ولكن هل تصدق عليه تلك الأقوال والألقاب والنموت ذلك ما سنتبينه نفيًا أو
اثباتًا ، بدءًا من الفهرست الاتحي الذي تلج فيه رؤوسيات ابن خفاجة محاولين الاستمتاع
منه بمنظرهما البهيج وجوهر البديع .

(١) - الشعر والبيئة في الاندلس : ٩٤ - ٩٥ .

فَحَلَلْتُ حَيْثُ الطَّائِفَةُ نَحَابِ
وَالرَّيْحُ تَنْفُضُ بَخْرَةَ لَحْمِ الرُّشَا
مُتَقَسِّمَ الْأَلْعَامِ بَيْنَ مَحَاسِنِ
وَأَرَاكَ مَجْعَ الْمَهْدِيلِ بِفَرْعِهَا
زَتَ لَهُ أَعْلَافُهَا وَلِرَبِّهَا
بَجْدَلٍ وَحَبَّتُ الشَّلْلُ بِدُمُيْتَارِ
وَالطَّلُّ يَنْفُضُ أَوْجَةَ الْأَشْبَهَارِ
مِنْ رَدَفِ رَابِيَةٍ وَخَمَرِ قَرَارِ
وَالصَّبْرُ يَسْفِرُ عَنْ جَبِينِ نَهَارِ
خَلَعَتْ عَلَيْهِ مَلَاةَ النَّسْوَارِ (١) .

وهو من شعر نبيه مع الشاعر بالفرحة التي تملأ جنات الطبيعة اثر نزول الصبر ، كما
نحو بالعبارة والسرقة تنبث في غاسرها ، فالزهرة يفتح ، والاغصان تورق وتزهو ، والمسا
يتدفق ، والبساتين والربا تكتسي بالخمرة ، وتزدان بالزهور ، انه مشهد اللهبعة في الليل
الربيع وبجود الراح البصيل ، كانه من بفرحة الشاعر وانفتاح قلبه للحياة في جو اللهبعة
الفاقة ، وهي استراحة عدت به الى الافصاح عما في أعماقه من أحاسير ومشاعر تجفاه
المرأة ، وفيها بهاشي ضريبة المارة ، فالاقاع يوضع بشغوره أغلات الغمامة ، وللانهم
سوالف ، كما أن للشمال عذرا ، وللرابية ردفا ، وللقرار خمر ، والشجرة تارب لننا ، والبحر
فتنهله علفها ، وتغلق عليه ردا . . . وهي صفات ووسائل تخص المرأة ، وتحدث بها
ولكن الشاعر ليسها الى الابهة ووسمها بها - على سبيل التشبيه والاستعارة ، لمسا
أوجده في منهلته ، وعالمه النفسي من علاقة بين المرأة واللبهعة .

سور حال الدون ، وقد غمره الغمام ، وسب عليه من شأبيه ، وحركت الريح شجره
وأمال به ، ونشرت نواره وزعمه ، وغنت أليامه بشرا وسورا ، تسويرا حيا مشغلا بتوليه ؛

ومجرت نيل غمامة لمست به
خفقت ظلال الابه فيه ذائبا
لون القنبيز هنات بهيداً أتلماً
بأثره والضمير قلمة عنبر
والربيع تلذم فيه أرواف الرشا
وشح الحمايمها ان الأتهار
وارتج رد فاماع الشيتار
قد قبلته مباسم النسوار
مشوبة والبرق لفحة نهار
لمباً وتليثم أوجه الأزهار

(١) الديوان : ٣٣٦

* لم الرها : ح لمة : ما يكسوها من نبات وشجر .

ومناظر الاشجار قد قامت بهـا
فماها مفتحة من الالهار (١)

انه لروضي ، شجر الخسعة عناصره ، صبح السرور قل جهاته ، تهتر أشجاره ، وتتفتق
أزهاره وتغني أطياره ، محبرة عن قرا، تهابقدو المار ونزول الغيث ، ولأن الشاعر عـلى
فرقة على الالبهة ، وأسبح عليهم ما في أعماقه من مشاعر واناسيس ، فبدأ المشهد بمصـ
موسما ، وهذا عداسا في النـ من صور تلك تـلـ بشعور ابن خناجة الحسي تجاه المرأة
فقد ازدحم النـ بها له علاقة بها من صفات وأشياء ، فذكر الذيل ، والوشى ، والردف المرتـ
والجهد الاتـ ، والتـيل ، والمباسم ، ولثم الاوجه ، . . . في سياق الاستمارة ، يفصـ
بـاء عن الكانة التي تحتلها المرأة في عالم ابن خناجة الشعوري .

وتفتن الالبهة الشاعر في شق ملامحها ، وتأخذ بلـه ، وقد التفتت بالخمـام
وتسائلت قـرات النـ على شـرهما وزمـهما ، فتلاأت تمت غـما الشـر بعد انقشـاع
النـاب ، فيزداد الرضـ بلـ نـباء ، وهو جـولـ يلبث الشاعر فيه أن ينادي بالشـر
ولـه لا يـقـ عند هـا اـرـه ، فهي عندـه عـزـر مـكل لـر الا ، وعـوفـ ذلـ كلـ لا يـنـسـي
أن يـبـث الـبـهة مـا بـده ، وأن يـحـرب من خـلـمـاعـا تـقـ اليـه نـفسـه :

ومـجـر ذـلـ عـما قد نـمـسـتـ*	ومـن الرـبـن به يد الانـسـوا
ألـتـت أـرـلـنـا نـا بـقـمـسـة	مـمـرـة من سـرـمـة غـيـنـا
وتـسـمـت لـرـبـ الدـيـن بـيـن رـبـاوة	مـمـسـرة وقـرـار ذـرـقـا
وشـرـبـتـها عـذـرا تـعـسـبـ أنـهـا	مـمـسـرة من وـجـنـي عـذـرا
حـمـرا مـا فـيـه تـأـيـب بـنـفـسـهـا	رغـنـا مـا وـخـلـقـي النـمـسـا (٢)

ويتنزل ، ويمسـساتـه الذي يـناوـله نـأسـ الدـمـر ، ولـه لا يـشـرب مـنـها الا بالشـدـر
الذي لا يـنـسـه نـفسـه ، ويـشـغـله عن تـمـلـي المـثـلـر الـاـبـيـي الذي يـمـتـلـ به ، ويـشـمـسـه
بـشـيـاءه ويـشـمـه بـمـالـه وروـتـه :

(١) الديوان : ٣٤

(٢) نفسه : ٢٥٠ * نعمت : زركشت

سَقَانَا وَتَدَ لَاحَ الْهَدْلُ عَشِيَّةً كَمَا عَوَّجَ فِي دَمِ الْكَمِيِّ سِنَانُ
عُتَارًا نَطَا الْكُرْمُ فَمِنْهُ أَرِيْمَةٌ وَلَمْ تَزْنِ بَيْنَ الْمَزْنِ * فَمِنْهُ حَمَانُ
وَتَبَّ جَالٍ مِنْ جُورِ النَّمَامَةِ دَمٌ لَهَا لَبَنٌ سَوْدٌ وَالشَّمَالُ عِنَانُ
وَضَعَّخَ رَدْعُ الشَّمْسِ نَمْرًا هَدِيَّةً عَلَيْهِ مِنَ الْبَآلِ السَّيْلُ جَمَانُ *
وَنَمَتْ بِأَسَدَارِ الرِّبَاعِ نَمْلَةٌ مَلِيسَةٌ لَهَا النُّورُ شَعْرٌ وَالنَّسِيمُ لَسَانُ (١)

ويحلو له عقد مجلبي أنسه في جو الطبيعة الفاتن ، وقت تساقط الدال ، واختلاف الليل
الغام بنسباء الشمس ، وتنبه الروض ، وقد هبَّ النسيم ، فتمركت السواكن ، وتمايلت الأجرار ،
بأرى زهر الروض ونواره :

نَدَبِ النَّسِيمِ وَمَا أَرْنَى وَأَعْطَى وَهَذَا الْقَضْبُ بِمَا أَعْغَى وَأَنْفَسَى
فَرَفَفَتْهَا بَكْرًا إِذَا أَتَجَلَّتْهَا أَلْبَتِ عَلَى وَجْهِهَا تَنَازَعًا أَحْمَرَا
وَرَفَلَتْ بَيْنَ تَمِيصِ غِيَمِ الْهَلْهِلِ وَرَدَاءُ شَمْسٍ قَدْ تَعَزَّى أَصْفَرَا
وَالرَّيْحُ تَدْفُلُ مِنْ رَدَاذِ لَوْلُوَا رَاحِلَا وَتَفْتَقُ مِنْ غَمَامِ عَنَمَرَا (٢)

وثير ما ينجذب الشاعر إلى الطبيعة ، في جريها الحامر بالمركة والنسباء ، حيث الدال
الوارف ، والماء الساق ، والأزهار الزاهية الألوان ، فيستسلم لمناظرها الرائقة ، ويمتنع حسنه
من عناصر المتنوعة ، ويبرز نأاره عليهم المنفرد الاعجاب والا تمام ، ويبرز ما اشتعلت عليه
من حسن وسهاء ، مسرورا بما تسير أمامه بما بالمركة والعبارة وذلك كما في قوله :

وَأَرَادَتْ شَرِيَتْ سَمَا فَوْقَهَا تَنَدَّى وَأَغْدَتْ النُّوُورُ تَسْدَارُ
حَقَّتْ بِدَوْحَتِهَا مَرَّةً بِدَوْلٍ نَشَرَتْ عَلَيْهِ جُجُومَهَا الْأَزْهَارُ
فَنَازَهَا وَتَأَنَّى بِدَوْلٍ مَائِهَا مَسْنَأَشَدَّ بِدَوْنِهَا زَنْتَارُ
رَبَّ الزَّجَاجِ بِهَا مَرُوءَةً مَدَامَةً تُجَلَّى وَنَوَارِ الْغُصُونِ نِشَارُ

-
- (١) الديوان : ٢٣٥ * الخُنُّ : ج مَزْنَةٌ : السحاب عامة أو ذوالماء منه .
(٢) نفسه : ١٣٩ * ضَخَّخَ : طَافَ . رَدْعُ الشَّمْسِ : شعاعها المنفر .
الْبُيَآنُ : الغصة ، نص : أذاع وحدت .

في روضة جنى الدُّبَّيْنِ ظَلَمَها وتجمعت ثُوراً بها الأَثَرُوارُ
غذاء ينشرُ وشبه البرَّازِ السَّيِّ فيها وفترُ مسكه المعدلُوار
نام الفُبارُ بها وقد نضج النَّدَد وجه الثَّرْنِ واستيقظ النُّمُوار
والماءُ في حَلْيِ السَّبابِ مَلَكَد زرت عليه جبروتها الأشجِبُوار (١)

وقد أفنى هذا المؤلف عن ذوق الشاعر الرفيع ، ودل على ثقافته واسقاطاته الشعرية الدفينة ولكن ميزونه الشعوري لا يلهو في هذه القلعة كما يلهو في صورتها المعدلة التي أبرزت بشكل واضح أحاسيس الشاعر ، وعكست ما تذكرون عليه جزأه من حب حسي للمرأة ، وبها شديد بها . مما يجعل صفاتها تسيل على نفسية الشاعر ، وتنفذ عليه فيأبى إلا أن يهوى بها من غزل الأبيحة في ملاحمها المتنوعة :

وعقلية الثُّور تلوي عاقبها ربي تلت فروعها معداوار
عالم بها السَّهْبُ أَحْوَرُ أَحْوَرُ* سحاب أنبال اليَّها سَحَّار
والنُّورُ مَثَدُ والفُورُ سَوَالِف والجَزَعُ زَنَدُ واليَّيْنِ سِوَار
بديعة مثل اللَّيْلِ* ظلالها وتجمعت ثُوراً بها الأَثَرُوار
رقص القنبيب بها وقد شرب الثَّرْن وشدا السَّطامُ وسقى التَّيَّار
غذاءُ الدُّبَّيْنِ ما أقفا الرُّونَ النَّدَد والتَّيَّافُ في جناتها النُّمُوار
فدالت في كل موطن لاهلها من دغس عفة وعِفَّار (٢)

فلا عذاب إلا أنبال ، والمثد والسوالف ، والزند والسوار ، واللي ، والنفحة والذوار ، أمورتش المرأة وتتلن بها ، وتعمل اتصالاً وثيقة بموسم الغزل ، ولأن الشاعر اتخذ عليها في وصفه ، وجمع منها متدرا لتشبيهاته المختلفة واستعاراته المتنوعة ما يدل على أنه كان ينظر إلى الأبيحة من غزل المرأة ، وفيها صفاتها ، ويسمها بسماها من دون أن يستشعر أن هن في ذلك .

(١) الديوان : ٣٥١ * البراز : بائع الشباب ، أحوى : من السوء : سمة الشفة

أحور : من السور : وشدة سواد الحنك في شدة
باضها في شدة بياض الجسد ، البزع : منضج الوادي
اللي : سمة في الشفة تستحسن .

(٢) الديوان : ٢٨١

وقد يتسلق الشاعر بالليحة ، وهو يخذ بها فيهما من ألوان وغيا* ، ويحس لها في ألوانها
من عرقة وغيا فيصور ذلك كله ، ويغيب الى متعته بهذا الجمال اللبيبي متعة أشعر
مكلمة ، متعة الغمر ، التي تنامش لونها ويريقها مع ألوان الليحة ويريقها :

ويوم يهرن برقة أشقـبـرا	يدلارن من مزنة أشقـبـرا
تري الارض فيه وقد فـضـضـت	وجبة السـمـاء وقد نـثـبـت
وقد ألتج الروض من أيكـبـة	سما* ومن زعرة كوكـبـة
ولرز أشراب* فـضـضـ الغـصـون	ورمـح تـجـان عـام الرـبـون
وقد ثبل الما* الما* السـبـدام	فأضـحـب ثـمـرا لها أشـنـبـام*
وشب المزاج بها جـسـسـرة	تـكـاد بها النـاس أن تـلـهـبـها (١)

وعمر وشباب عامر بالضياء والألوان ، مليء بالعرقة والحياة . وتكثر مجالس الرجال في
أحضان الليحة وتتعدد ، وتحلوه الخلو في أجوائها ، ويلهب له التام بين أشجارها
وأزهارها ، ورنه أليارها فيحس بها إحساسا واعيا ، ويقف على أسرارها ، فيترجم
إحساسه في شعر يصور عارقه بها ، كما يولي الملاحظة الدقيقة التي تربط عناصرها
فالدلائل يخفي ويأرب ، والخمن يستمع إليه فينثني نشوة ولها ، والدولة تهتز له أيضا
والرعد يرتجز ويهتج ، وراحة البرن تكتب ، لقد عمت الفرحة الكون ، وارتدت عناصره
برمال ودي وثني ، وثبت هي الليحة من داخلها وخارجها ، حركة وانسجام ، وتناسق
وجمان ، وما كان الشاعر ليحس بهذا الانسجام لو أنه لم يكن محبا لليحة ، ها كما بها
لا يجد راحة الا في عاننها ، ولا يغلد الا الى خير ما فيها ، ورقة طيرها ، ولهب روضها :

وقد حمز من مـأقـع نديم وغـولـبة	رنن حمام أو غلام يـلـبـسـرـب
ومن بأند* الخـمـام فـضـضـ	ونيل عليه للمشي* مـنـهـبـب
وقد جال من ناس السـلـافـة أشـقـر	بـسـامـقـه من جـدول المـاء أشـبـب
بروض نازن القـصـن يـزـهـى فينـثـي	به وأن الكبرأيسق فـهـلـسـرـب

(١) الديوان : ٢٩٨ - الأشنب : من الشنب : أي في ثمره بها غروب .

تَدُّ ارْتَجَزَ الرَعْدُ الْمُرْنُ بِأَفْقِيبِهِ قَامَلَى وَجَالَ تَرَاخُةَ الْجُرْنِ تَكْتَسِبُ
بُنَّ لِسَانِ الْجُرْنِ فِيهِ عَشِيَّةٌ لَوَاءُ خَضِيبٍ أَوْ رَدَاءُ مَذْهَبٍ (١)

وعنده الظلمة ، انتميز الشاعر للطبيعة من حيث علاقته بها ، أو علاقة عناصرها
ببعضها ببعض تتدرج في شعره مما يؤكد صلة الشاعر الوثيقة بالطبيعة ، وأساسه الذي بها .
وتد هذا الشاعر في وصفه للطبيعة من ذاته ، فيقف على المنظر الطبيعي ، فيتلقى
بجوانبه ، وينزل إلى الدليل في أنسابه وخريره ومقائه ، فيرى فيه ذاته ، ويخلق طبيعته
بغاته وأسراره ، متصافاً به من نفسه ، ما يورثها من آلام وأحزان ، ويرثها من طموح
رائد أرواب :

أَسْتَمِعُ مِنْ سَبْعِ أَوْرُقٍ صَارِحٍ وَمَرْتَجٍ فِي شَكْلِ أَرْزَقٍ سَائِحِ
يَسْبُلُ فِي عَيْنِي سَفَاءٌ سَرِيحٌ وَبَحْرِي دَمْعٌ وَأَعْرَابُ جَوَانِحِ (٢)

يسف الرواد وصف حسياً ، يعنى فيها الألوان والأشكال ، ويؤلف ثقافته ومذاهبات
بشعر مثله ، ويهيمت العبرة في جناته مستهدفاً عنصر التشخيص فيقول :

وَرَوْحِي الْمَلَقَةُ جَبِينُهَا غَنَاءٌ مَخْزُوعَةٌ جَنَابُهَا
يَنْجَابُ عَنْ قَوْرِهَا كَمِصَامٍ تَحْدَلُ عَنْ وَجْهِهِ نَقَابُهَا
بَاتَ بِمِائَتَيْهِمِ الْإِقَامِي يَرُشُّ مِنَ طَلْسِهَارِضَاهَا
وَمِنْ غَفْوِي الْهَرَوِي فِيهِمَا أَلَمِيَّةٌ حَمَرَتْ غَضَاهَا
كَأَنَّهَا أَنْفُسُ لُؤْلُؤَانٍ تَحْمَرُ وَقَطَرُ الْعِمَا حَسَاهَا (٣)

ولم يكن الداهية تستهويه منمورة بضياء النهار غسب وهل استهوته أيضاً في الليل
حيث السميت والهدوء ، وضوء القمر ، وتلالو الضجور ، فيجانب فرسه المنان ، فيخفف من
سرعته ، ويمكنه من تلمس البطل الداهية في صورته الخلية ، ويتنقل بين المشاهد المختلفة

(١) الديوان : ٣٠١

(٢) نفسه : ٢٩١

(٣) نفسه : ٣٣٤

ثم يقف عند مشهد رائع ومشهد تنفّس السبع ، وانبعاث الحركة ، وتجدد الحياة
في عناصر النّون ، والواحدة المتنوعة وفيه ذلك كله ، ويختم المشهد بمزج يرسمها للسمير
بمستوى فيها بهيئة السبعة :

جاذبته فتد الحنان وقد بان	فانماع ينما ب انساب الأرقم*
في سر قور بالاراس موشح	أوراس آلود* بالظلم ممضم
أو نهر نهر بالدياب مقلد	أو وجه غرق* بالنسب ملشم
حق تهادن النحن بالمرمته	لربما لشدة والناثر المترنم
ولأن ضوء السبي راية الفسر	نفشت بها الهتجاء* نضحا من دم (١)

ولأن لتعلّى الشاعر أبهة وازدهار وجهه لها ، وعمامة بها ، أثر عصف في نسبه المروعة
ونماحة بسند أن تنال به الاسفار ، مرمما أو مختارا ، عن اجرائها واللالها ، فهو لا يفتأ يحسن
اليها لما يحدث به الشقة عنها ، ويذكرها في شعر موشر ، يفيد بالعواطف ، ويظهر المشاعر
الترتية ، ويصاحب هذا الخن وغالبا ، خن الشاعر ، وقد وخيله الشيب ، وأدركته
الشيب موشة ، وألقى عن عيوانه ، إلى أيام صباه ، ومجالس أنسه التي قضاها وأحبابه وخلائقه
في أجواء تلك الليمة النساء . فقد كان مشغولا بداء شتين متشابكتين : دائرة
الزمان ودائرة الزمان ، ولكن تبقى الدائرة الثانية - دائرة السبي - وهي السبي - دائرة
والاشد الداء على الشاعر لما لها من علاقة بحياته الذاتية . فواجه الزمان (١) . فهو
لا بد أن يترك بلده ، ويهجرها ، ويترك سماسمها ، ولا يزال
أن ينسبها لنظم ، ويصممها بسما لا يعلها ذلك الناس :

يا أعن أندلس لله دُرُكُم	ما عوت وانهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركُم	ومذه كنت لو خيرت أختار

(١) الديوان : ٢٤٤ - ٢٤٥

(٢) ابن خفاجة : ٦٩ - ٧٠

* الأرقم : من الدعيات فيه سواد وبياض .

اللود : البهل ، العرق : الارض البهية

الغريب : الطبع ، الهتجاء : السرب .

لا تَتَّقُوا بَعْدَهَا أَنْ تَدْخُلُوا سَقَمًا فَلَمَّا تَدَخَّلَ بَعْدَ الْبَعْثَةِ النَّارَ (١)

فلا ندلس جنة الخلد ، وقد كثرت غيراتها ، ونديت ظلالها ، وتأرجح جوعها ، وتد فقست
مها ، وابن غفابة من شدة إعجابه بها ، وصق حبه لها بفلسها على غيرها ، ويتصور
أهلها الذين ينعمون بالحشر في ظلالها يتكلمون بجنة ، لا يرحلون بها إلى نار .

ولئن كان الشاعر محبا لولته البير ، الا ندلس وتوالت إلى رباذه ، وجناته ، فأنسه
لولته الصغير ، شقر ، أعجب ، وبه أعلق ، فهو مستقل رأسه ، ومسح لفولته ، ووعا ذكرياته
بها فيها من أفرع وسرات ، وآلام واجزان ، امتزجت أنفاسه بنسائه ، ودماؤه بترتبه
وعرقه بشراء ، فصارت شقرا بشجارها ، ورياضها وجبالها وأتجارها ووديانها جزا من ثبات
الشاعر ، وتلحذ من نفسه ، وليفادها في بقائه ومناحه ، ان هذا الحب ، وذات التعلق
هما أرنبة شجرة في الحنين إلى وانه وإلى مخانيه ، وذكرياته في احضائه .

راهن ، غفابة ، وهو البتان الرله بأرنبه ، الدامن لمساته وضماحه ، يرى أن الكل
يحب هذه الأرض ، ويحبذب إليها ويعلق بها ، حتى فرسه ، يشتد به الدنين إلى شقرا
فيحذف على السرى ، ويسارع في الرضول إلى تلك الأرض الثرية ، والمرتجح العجيب ، حيث
الماء السائح ، والنسيم الحليل ، والاباطح المغفرة ، والبساتين الهانئة ، وسجسج
السماطم ، وغنا الألبار ، انه العنظر الذي ما ان يقترب منه الشاعر حتى يهرس بسننه ،
ويقتن بروقته ، وهم يتر من أعماقه مبراعن فرقة ، وارتباجه واند ماچه في جوال أبيه
الفتان :

وَعَنَ إِلَى شُقْرٍ فَهَنَعَلَى السُّرَى	يَخُوضُ خَلِيبًا أَوْ يَجُوبُ كَثِيبًا
يَرُومُ بِهَا أَرْعَاقِي ذَرِيمَسْنَةً	وَمَرْتَحًا فِيهَا لِيَّ حَبِيبَسْنَةً
وَنَهْرًا كَمَا ابْيَضَّ الْمُثَلَّ سَلْسَلًا	وِعِزًّا كَمَا اخْضَرَّ الْمَذَارُ خَشِيبَسَا

(١) الديوان : ٣٦٤ ، نفع اليب : ١ : ٦٨١

(٢) نفسه : ١٢٦

وربّ نسيم مرّ يغدّر على السرا	رتبّ الحواشي لا يُعَسّ دَيبِيبا
ويجدت به من ذلّ الداء بلّة	ومن نُورِها تَهكّ الأبطال طليبا
فما كان إلا أن يَفُتّ همامة	وساعدت شوقي فاهتزّت قنينا
وندلّ التّوّار جبد الريسوة	عذاب ونحرا للفضاء رحيبا
وأفصحت الورقاً في كل طمعة	نشيداً وقد رى النسيم نسيبا
ولان على عهد السِّلوى تَفَنّيبا	يُهيّج أطرابي فحاد نحيبا
دعا بنسروپ الديار غرّة	فلأرالا داعيا ومجيبا (١)

ولم تنل ذكريات الشباب على مسرح الطبيعة تتردّد أصداءها في شمره ، وتلاشقه
في شبهة وفته ، تذكره بأيام صباه ، وساعات أنسه بين خلّاله وأترابه الذي من
اختافت المنية بعضهم ، ونأت ببعضهم الأسفار ، انها لأيام عذبة ، لم تفارق
حلاوتها قلب الشاعر ، ولم ينسه كزّ الزمان ، ولا توالي الاسقام ، سعادته الفامرة
التي نعم بها في ذلّ الشباب النضر . وظلال الطبيعة الوراثة ، فهو لم يزل يولّع
بظلال الطبيعة وغدرانها ، وندى ريانى وغرير المياه ، واهتزاز الشجر ، وغنا
الباير ، يصور ذلك كله مضمناً في لواعج قلبه وأحر أشواقه .

وَإِنِّي وَإِنْ جِئْتُ الشَّيْبَ لَمَوْلَعٌ
فَمَا حَبَّذَا مَا * مُنْعَرَجَ اللَّيْلِ
وَنَفْحَةُ رِيحٍ لِلرَّيْسِ تَرَكِيهًا
وَمَسَدَةً طَرَفَ الْعَيْنِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى
وَقَدْ لَاحَ وَجْهُ الصَّبِيِّ يَتَذَنُّ أَنَّهُ
وَقَدْ مَهَّجَهُ الثُّرَيَّا تَأَنُّه

بَطْرَّةٌ ظَلَّ فَوْقَ وَجْهِ غَدِيرٍ
وَمَا اذْتَرَّ مِنْ آيَةٍ عَلَيْهِ مَطِيرٍ
وَلَمَحَتْ وَجْهَ الشَّيْبِ أَنْصَارُ
لَرْجِ خَرِيرٍ أَوْ لَسَجِ هَدِيرٍ
وَرَأَتْ قَنَاعَ اللَّيْلِ وَجْهَ بَشِيرٍ
لِلْمُهْجَةِ جَبْهَتُهَا أَوْ لِرَأْسِ أَمِيرٍ (١)

وهو يدعو لا رضى بالسقيا ، يصفها بما يناسبها من نعوت تدل على حقيقتها وفضلها فيقول :

نَسْفِيًا لَأَرْضِ الْفَتَا فَإِنَّمَا
وَإِنْ أَكْ فَارَقَتْهَا جَنَّةُ الْوَلَدِ (٢)

وهو أسلوب معروف في شعرنا العربي ، كما أن استعماله لأسماء الأماكن النجدية والديلمية على سبيل الرمز في بيان الحب بالزواج ، والتعبير عما يشاعر النفس من حلاجات واشواق ، ونهج مسلكه الشريب الرضي ، ومهيار الديلمي من قبله ؛ ولكن الشاعر صيغها بصفتها ، وأجملها

بذلك هو الوان ، وقد هي طبيعته الفناء ، برياضها العذرة ، وأزهارها المتفتحة الزاهية واشجارها المتهدلة ، وفصوصها المائسة ، جذبت الشاعر إليها ، فسكن إليها ، وأندرس بها وارتمى بها قلبه ، وتباعدت معها ، ووارحه ، وهو الزمان سريع ، وتتطور الدهماء ، ويؤول الشباب إلى الشباب ، وينتقل الشاعر من « حياة إلى حياة » ومن البحر إلى طور ، ولكن تبقى حياة الصبي وإلى الشباب ، يماضي تلك الحياة ، وهذا الظلم من افراح ومسررات ، مرتبطة بالطبيعة ، متعلقة بها ، عالقة بذات الشاعر لا تفرحها ، يذكرها في حرارة ويأسف لحضيتها ويتأوه لفراقها ؛

(١) الديلميان : ١٨١

(٢) نفسه : ٣٤٨

بين شجر وملتقى نهريهما
 ويغني الحناء في شاطئيهما
 مبهمة أنامله يهتفون بهما
 لمبت بالمتول الا قليلا
 فاذمينا من الغضون غصونا
 ثم ولت فأتينا لم تكد تلمت
 فاندب المرج فالنخسة فالشط
 آه من غربة ترقن بهما
 آه من فرقة بغير تلاف
 لست أدري ومد مع العن رطب
 فتعالي يا عين ندم عليها
 وشباب قد فات الا تناسيه
 ما لعيني تندي عليها وتلبي

حيثما لقت هذا الأمان عساه
 يستغنى الشهن فتلفت حباهما
 وارزق ناله الذيد كراه
 بين تأويلها وبين سراهما
 مرها في بطاحها وبهاها
 إلا عشية أوضاعها
 وقد آه يا مهيء
 آه من رعدة تطول نواها
 آه من دار لا يجيب صداها
 أمكاه صباه أم ستاهما ؟
 من سباه إن كان يغني بهما
 ونفسي لم يهتف إلا شجها
 يتمنى سواده لو فداها (١)

هذا المد للأماكن التي تان يرتادها ورعيه ، وهذه الأسماء القتالية ، الداعية من
 سجداه قلبه ، ثم « ذاك البكاء على نراق السحاب » وذات الالام المص ، ألم الغربة والوحشة التي
 يمشيها في أعماقه ، تدل على إيمانه بالسماة ، وعلته الحيرة بالطبيعة التي ترعرع ونشأ واكتهل
 وشان في كنفها وأجوائها الزبدية الساهرة .

(١) الديوان : ٣٦٤ - ٣٦٥

النهن : جمع نهية : القتل ، حباها ، جمع : حبة : الثوب الذي يحتبى به .
 المرج والنخسة والشط : أسماء أماكن . شجا النفس : همها وعزتها .

ومع هذا ، فإن نظرة ابن خلدون الى روضياته تظل نظرة عامة ، يهيئها النظر العام ، وتشغله
 لمسورة الطبيعة ، فهي صورها - غالبا - لها هي في عمومها ، وتصيرا جماليا ، وقد يتلوه فيها الى ذكر
 البرقيات منتفيا بصورها العامة انهما ، وتادرا ما يلجأ الى التفصيل والتليل ، ويهتئ تصويره لها
 تصويرا حسيا في جملته ، ولكنه تصوير ملي بالحركة والحياة ، فقد شخص عناصر الطبيعة ، فحرك
 الابل ، وانطق السوامت ، فانتشت الحياة في روضياته ، وطلأت الحركة رباعها ، ما جعلها
 أقرب الى الزايق المصور منها الى النسيج الخيالي المجرد ، وان القارئ ليحس وهو يقرأ لابن
 خلدون كأن أمية شقر نقلت اليه ، وفهمه تار يسمع ، وشم ويتذوق ، فبشارع الشاعر استمتع به
 بالحياء في بوطيخته الثالثة . ولكن لا يعني هذا أن ابن خلدون لم يكن الا مصورا " آليا " ينقل
 المصور كما هي في الزايق ما كان دون احساس وتذوق او مشاركة ، بل ان استعراض الصور السابقة
 يثيره ويغري عن إعجاب الشاعر بالطبيعة ، واحساسه المصن بها في هذا صورا مختلفة ، فقد
 تارة تارة ، وراحت الى اليها ، وشها آلاءه وآرائه ، وأمن طبعها مشاعره ، وهو برسلاتها من كنهون
 نفسه وتباريح هواه ، فبها تصويره لها مزوجا بحيوانه الانسانية ، مثلونا بتصوراته وأفكاره ، الشيء
 الذي جعلها تذكسي لديه . وما من الإنسان يحس بها قارئ شعره .
 ثم ان روضياته انتزعت في بعض الاحيان بالامر ، ولكن ليجعل أنها لم تستول على وهي الشاعر
 ولم تشغل عن المشهد الطبيعي استمتاعا وتصويرا ، فليست الشعر الا وسيلة كمال ولا غاها تتخصص
 لذاتها ، فتسفر الطبيعة لها ، وتغيب بروعة مشاهد ما تحت بريقها ، فالطبيعة في مشاهد
 المختلفة هي مقصد الشاعر وغايته ، واما الشعر فتأكل خادما مساعدا لها ليس الا .
 إن فتنة الشاعر بالرياض شديدة ، ولئن فتته بالعناصر الطبيعية التي تشتغل بطلها تلك
 الرياض شديدة كذلك ، فهو دائما ينظر الى الطبيعة كآل مشق في الرياض وتأثر اليها ، فمن الصورة
 الكلية ، أو على انفراد ، وهو أمر سنضيق في الفصل التالي .



الفصل الثالث

في

الشجر والشعر والزهر

(١)

* الشجر :

لقد كانت رؤيات الشاعر لوحات جميلة تضم عناصر طبيعية عديدة رسمها الشاعر بهراقة فائقة ، وكان الشعر الأثير يروى بإشعاعا في هذه الرؤى دهرت من الشجرة ، لقد كان ابن خفاجة ، والشاعر الجنان ، اللصيق بارضه ، محبا للشجرة ، أما كانت تلك الشجرة ، يهبطون الى لها الندي ، ويحتضنونه بمنظرها ، في اغصانها وازهارها (١) وثمارها ، يحس بها ساسها وقد لا يستشعرها ربح المثل ، وأما ريتها إلا ليبار فيهم لا يتوازن ، ويضطرب لها ريسها ، وهو تجاوب أدى به الى الاندماج مع شاعرها الشاعر والا سحر . والشاعر في وصفه لا يستغرق ما عرفته شمس وما يحولها من نواحي شرق الأندلس . من أشجار ونباتات سيلية وبيلية ، ولكنه يذكر بعضها باسمائها بالأرارات ، والآس ، والبان ، والنازع ، والربد ، والدقلى ، والربمان ، والشيرين والسدر والبشام والسلم ، ويذكر غيرها باسماء جامعة لا نوع من الشجر كالأيك والسنج والدالغ ، والدون وغيرها أو يذكرها ذكرها ما تحت اسم شجرة أو شجار .

* الارارات :

يورد ذكر الارارات في شعر ابن خفاجة ضمن اغراض أخرى ، كالوصف العام ، والفزل والمدح والسخن ، ولا يأتي منفردا ، مقصودا لذاته ، وتدل كثرة ذكره على أنه ربما كان موجودا بلسان ونسبة في رديان شتر وسهلها وجبالها .

فهو يحد باللبعة من حوله ، ويشمر بالرابطة التي تربط الكائنات بعضها ببعض
فيجسد ذلك في كل من الغمامة وما ينسوا إليها من أراك وشام .

وكل مَرْتَبَةٍ مَنَاحُ غمامة
مثل الضريب بها مجاج لُغَامُ*
وعدت فربما تَرَى الرِّغَاءَ* ما يَكُنْ
لم تدر غير البرق يخفق زمام
أوتيت هناك إلى الربا أن يثري
بالريِّ فرع أراكة وشام (١)

يهيئ راحة الليل ، وسكونه ، ويستبدل معارفه وتلقفه على الأراكة في تسخير جميل فيقول :
ومنهو عزم تد تصابت والدُّ هين
مُكِبٌّ كَأَنَّ الصَّبحَ في صدره سِرٌّ
وتد ألحفتني شملة لآلٍ شلال
يَتَلَقَّنُ أحشاء الأراك بها دُغَامُ (٢)

وللأراكة دورها في مجلد أدب الشاعر ، فهي التي تغلخ عليه ظلمها :
ومشي أدب اضحمتني نشوة
فيه تُعَيِّدُ مضجعي وتدِ مَيِّتُ
خلعت عليَّ به الأراكة ظلمها
والغصن يصفني والسماء يحدث (٣)
وهي تشاركه نشوته ومتمته في جو الروض البهيج ، فتثنى وتهتز ، فيزداد بها استمتاعا
والبها سدونا :

مُحْتِ الدَّامَةُ فَالْتَّيِّمُ عَيْلُ
واللَّيْلُ غَفَّاقُ الرِّوَّاقِ ظَلِيلُ
والتَّوَرُّ كَرَفٌ تَدُ تَنْبَهُ دَامِجُ
والماء يهتسم يروى صَبِيلُ
وتد انتشى عِلْمُ الأراكة فانتشى
سُكْرًا وَرَقَّعَ في الغصون دَدِيلُ (٤)

كما قد تكون الماراجيل لمجد انسه مع صميمه ، فهي تغلخها بالظلمها وتشرطهم من نورها

(١) الدهزان : ٨٤

(٢) نفسه : ١٥٠

(٣) نفسه : ٢٨٥

(٤) نفسه : ٢٥٤

* الضريب : الثلج . اللُغَامُ : الزهد . الرِّغَاءُ : صوت ذوات الغف . البشام : شجر ليب الريح
والاحم .

وهم تعسها يشربون الراغ ويدبرون الذؤنور في نشوة غامرة . ثم لا ينسى الشاعر ان يستقسط
عليها رغباته العسية ، فيرى فيها وقد اعدت بها النهر حسناً قد شد صفرها بزار :

وأراكِ شربت سماً فرتسما
حققت يد وعتبها مبرة جدد ول
فكأنها ولأن جدد ول ما فيها
زف الزبناح بها عروس مدامة
تندس وأقلام الذؤنور تندار
نشرت عليه نجومها لأزهار
حسناً شد صفرها بزار
تجلى وآثار الفصوص ينكار (١)

وأرادة الشاعر تمس وتتفاعل مع ما حولها من كائنات ، فهي تلرب لسبح الدلائل ، فتهمز
له أعلامها ، وتغرب عن فرحتها بأن تنثر عليه نواردها :

وأرادة سجع الهدى بفرعها
هزّت له أعلامها ولقها
والصبح يسفر عن جبين نهار
عكست عليه ملاحة النوار (٢)

ان حب الشاعر لهذه الشجرة عظيم ، ولا أدل على هذا الحب من ذكره الكثير لها
ومنيه البها في نقطة عافية عذبة :

قله ما شجن السماء غدوة
لكنها أول ما يهز مشاعره ، وفيه قلبه ، وفيه مشاعره ، فهي أول ما يفتنسه
صلبا :

فلويت أعناق الحلي مبرجما
والمنان السوشع بالآراء هو أول من يزار :
فانما يفتن الدنان بقدر ما في
في خمير غور بالآراء موشع
ونزلت أعنت الآراء مسلما (٤)
فانما يفتن الدنان بقدر ما في
أول ما يهز مشاعره ، وفيه قلبه ، وفيه مشاعره ، فهي أول ما يفتنسه (٥)

(١) الديوان : ٣٥١

(٢) نفسه : ٣٣٦

(٣) نفسه : ١٢٥

(٤) نفسه : ٢٨٢

(٥) نفسه : ٢٤٤

* الفور : ما انخلى من الأرض .

لا نجد للبيان ذكرا كثيرا في شعر ابن خناجة ، فقل الرغم من ان هذا النوع من الشعر قد اقام به الشعراء ، فشبها به في ليزنته واستوائه ، وقد المصوبة وقامت بها ، وانثروا من ذلك لا يذكره الشاعر الا عرضا وفي عدة مواضع ، اولها في سياق رسالة شعرية بحث بها السبي الاستاذ ابي محمد بن السيد البطلوس ، يعطها بشعة يعطها عنه اليه رسول من الطبيعة فيقول :

نهل ترد الاستاذ عني تحية تسير كما عاين الزجاجة ندان
تهتز اليهم : المزن شجرة وثنى اليها من مما لفته البيان
تعطها غير بنفسج تحمله حمل الشربة سوسان (١)

وترد عنده ثانية في سبار ، وحيث يثمت مهيبة في اهتزازة وتثنية بها ، على الطريقة عبد المحسن السوي فيتر

يابانة ت ننة
لله اع من خولة
وروضة تنفج معطبارا وحيث انورك ثوارا (٢)

ويذكر راعي الرمال والحرى وسنال مال ، والمعدن الى بها الشباب ، في قصيدة خالاب بها مديته وأميره أ. في بنصر اللوى أتنفي على شحط النوى فأقول (٣)

وذكره المقتضب للبيان ، السرج لها ، دون التوقف عند ما موث المتعاطف المنفصل بهملنا في صدى علاقة الشاعر به ، ثم نذهب الى القول بأن ما قاله الشاعر فيها ليس الا نسجا على منوال سابق ، ومجدي لقراءته في شعر الحربي الراغب بالمجاني التي ضرب الشاعر على وترها في هذا المجال .

* السج :

لقد عني ابن خناجة بالسج كما عني بالارباب ، فقد فتنت السج بظلالها ونورها ، فقام بها هي ايضا ، ورسم لها في شعره سورا مفعمة بالعركة والعمارة ، فقد كان يستريح الى ظلال الندي ويستأيب الشراب تحت فروعها المتهدلة المقتنية وقد سكرت من غمام الدمام ، وشلت بتطر الفمام

- (١) الديوان : ٩٩
(٢) نفسه : ١٢٥
(٣) نفسه : ٢٩٣

* البيان : شجر يسمى ويطلق في استواء ، وليس له شبيه صالحة فهو رغو وروار ، وخفيف له ورق اخضر ، ينبت في الهضاب .
* السج : شجر عنام اوكل شجر لا شوك فيه اوكل شجر ليل ،
* المزن : ما غداك من الارض . الشحط : الهمد .

سُقْمًا لِيَوْمٍ قَدْ أَنْخَلَا بِسِرْحَانَةٍ رَمًا تَلَاعَبُهَا الرِّيحُ فَتَلَمَسَتْ
سَكْرًا يَغْنَبُهَا الْعَطَامُ فَتَنْشِي طَرَا وَيَسْتَقِيمُهَا الْفُجَامُ فَتَشْرِبُ (١)

وهي توحى اليه وقد مدت أعضانها ، وفمرت النهر بظلمها بهمن السور المتقابلسة :

وسرحة نمانس أَلَى ظِلِّهَا نَهَرٌ آوَفَتْ عَلَيْهِ فَلَمْ تَنْقُضْ وَلَمْ تَزِدْ
لَمَّا تَدَانِيَتْ مِنْ شَاوِرٍ لَمْ تُشَكِّفْ ثُمَّ اتَّقَيْتْ فَلَمْ تَصُدِّرْ وَلَمْ تَسِرِدْ
لَأَنَّ أَفْيَا هَا طَلَبَهَا حُمَى طَلَسَكِ أَغْضَى وَأَعْلَى فَلَمْ يُوعِدْ وَلَمْ يَحِيدْ (٢)

وهي سور لا يَغْفُ مَا ظَهَرَ بِسِرْحَانِهَا مِنْ اعْصَانِهَا دِيَّةً ، حَرَى الشَّاعِرِ عَلَى عَدَمِ الْبُحُوحِ
بِهَا بِأَرَبَّةٍ سِيَّاسَةٍ ، وَبِئْسَ لَا تَرَوُّهُ فِي أَبَامِ الْحَرِّ ، هَيْثُ يَهْرُجُ إِلَى ظِلِّهَا فَحَسِبَ ، بَلْ تَرَوُّهُ
أَيْضًا سَتَلُورَهَا ، وَقَدْ زَادَهَا سَقِيظُ الدَّلِيلِ بِرَبْقًا وَجَمَالًا :

وَبَاتَ سَقِيظُ الدَّلِيلِ يَهْرُبُ سِرْحَانَةً تَرْتَبُّ بِوَادِيهَا وَيَنْضَعُ أَجْرَعَا (٣)

ولكن أساسه بهيالا ينلهر كناية لهر في الابيات التالية ، حيث يبد وتجاوب الشاعر مسجع
الأميعة واضحا جليا ، فالسرحة لا تهزما الصبا وانما يهزما الشوق الى من تحب ، وهو لا نفسه
بها ، بل يارحمها الآلام والأشجان ، وهي أيضا تبادل له نفس الاحساس ، فتشكو اليه ، وقد جعلت
من المنة تربطنا لها ، يفهم عنها ، ويفص عن مكنون اسرارها ، ثم يتطور المونث اشعموري
فاناد بالشاعر يندمج في الأميعة ، ويحد بها الى درجة لا تستطيع -
- وقد بكى هو وناحت السمامة ، ان تميز ايها اشد لوعة وامدق حيننا :

وسرعة واد يهزما الشوق لا الصبا وقد سجع المصقور فجرا فبهينا
أَلْفَتْ بِهَا أَشْكَو اليها وتشتكى وقد تربع المنة عنها فأفهمها

(١) الديوان : ٢٨٩

(٢) نفسه : ١٨٤

(٣) نفسه : ١٢٨

تَجِرْنُ ود مع الصين يسجُم والتدَى وقر بعيني أن تَجِرَ يسجُما*
وحسبك من صبيكي وحمامية فلم تدري حقاً أنها المشتبُ منهما (١)

الأنثى :

لقد كانت الطبيعة شجرة كثيرة الشجر ، متدفقة المياه ، وكثيرة ما كانت الاشجار تلتصق
على شفاف نهرها مكونة أبنات رافدة الظلال يومها الناصر للراحة والاستجمام ؛ وقد كان الشاعر
من قدامها ، بقدر ذكراين خاتان أنه كانت بضفة الجزيرة أبهة يانعة ، وكان ما بين خنا بؤده
ومن بهواه بقعدان ليدبها ، يرسدان غدودهما أهدبها (٢) . وهذا يعني ان اللاهكة
ارتبها لمعضوبها ماضي الشاعر السعيد ، وذكراياته اللذيذة ، ومن هنا ندرك تردد ذكرا لاهك
في أوصاف الشاعر ، وأصلها غماسة مشاعره . فهو يعني بالاهكة ، وصفها في يوم
مليح ، ذي رياح ، وصفها طيها بالمركة والمياه ، أفصح من خدله عما في قرارة نفسه من حب
للمرأة كمسد لا كنفر انسانية ، بالكلمات ، وشي ، معاطف ، ذوايب ، ارتق ، السردف
التضيق ، الجيد ، قبلته ، لباس ، للمات غريبة ، يكثر وجودها في وصف المرأة ، ولكن
الشاعر يخلعها على الطبيعة ، وكأنها البديل المنقود للمرأة التي لم يكن اليها ، ولم
يسعد بها في حياته :

ومجر ذبل غمامة ليست به وشي الحبا بمعاطف الأنهار
مخفقت ، لازل الأنثى فيه ذوايبا وارتق ردفا مائج القيّار
ولون التضيق هناك جيدا أتلعما* قد قبلته لباس النور (٣)

انها اغفل مكان تعتد فيه الجادر ، وأحسن مكان مساعد على الاستمتاع بالحياة ،
فهي الا الروم التي تفر من تحتها من الندامى بالرعاية والميلف تما كما ترعى الام
ابناءها اليتماس ، وهو معنى لانه ، أوجعت به اليه علاقته المتينة بالطبيعة واند ما به

(١) الديوان : ٢٣٦ / سجوم الدمى : سال

(٢) الثلاثد : ٢٧٣

(٣) الديوان : ٣٤ / الجيد الاثلج : المعنى الطويل

* الايك : واحدة ايك : وهي جماعة الشجر الملتصق الكثير .

الذي في اجرائها :

أَنِعِمَّ قَدْرَ دَهَبَتِ النَّمَامُ * وَنَهَتْ رِيحُهَا الدُّرَامُ
وَمِلَ إِلَى أَهْلَةٍ يَلِيهِ لِي * تَهْزَأُ أَهْلُهَا الْقَرَامُ
لَا نَأْمًا بِهَا رَوْعًا * تَحْضُنُ مِنْ شَرِّهَا يَتَامُ (١)

وأبيكة الشاعر ليست شيئاً مستقلاً ، جامداً ، وإنما هي حساسة ، نابضة بالحياة ، تحسرها
بما حولها فتتفاعل معه وتتأثر به :

عَا أَلْأَخْذَ مِنَ الدَّمَامِ * وَاسْتَسْنَى لِلْأَبِيكَةِ الدَّمَامِ
وَرَأَى فِي الْفَضْلِ وَهُوَ رَلَبٌ * يَتَلَوُّ أَوْ يَتَلَوُّ الدَّمَامِ
وَقَدْ تَهَادَنَ بِهَا نَسَبُهُمْ * حَيْثُ سَلِمَتْ بِهِ سَلَامِ
فَتَلَبَّ أَفْنَانُهَا نَشَاوِي * تَشْرِبُ أَكْوَسَهَا قِيَامِ (٢)
وَدَهَفَتْ بِمِرْيَدٍ هُنَالِكَ أَيْكُنَةً * خَفَاتِةً لِمَهْدٍ رِيحَ عَرَارِ *
دَرَزَتْ لَهُ أَعْدَاؤها وَلِرَبِّهَا * خَلَعَتْ عَلَيْهِ مَلَأَةَ النُّسُورِ

وهو كما يخلع عليها فرحته واستمتاعه بالحياة ، يستقل عليها مخاوفه وتلقته واضطرابه :

فَمَا يَخْفُفُ أَيْكِي غَيْرَ رِيْقَةٍ أَمْلَحَ * وَلَا تَقُفُ قُدِّي غَيْرَ صَرْخَةٍ مُادِبَ (٤)

ودنو من فرل احساسه بالذنن ، وبني فتاسقه وتكامله ، يرون في الأبيكة سماءً ، وفي زهرها

لواكب :

وَقَدْ أَلْمَحَ الرُّؤْيُ مِنْ أَيْكِي * سَاءَ وَمِنْ زَهْرَةٍ كَوَكَبِ (٥)

وكون الأبيكة سرها لحماية الشاعر في صباه ، ومستودعاً للكثير من ذكرياته ، واضطراباته

رمزاً لها ، فما يراها الشاعر حتى يتذكر ما غي زمانه ، وعلاوة شبابه ، فيبكي ذلك له بكاءً
مرّاً :

* النعام : ربح الجنوب

المرار : بهار البر

(١) الديوان : ٦٤

(٢) نفسه : ٧٠

(٣) نفسه : ٢٤١

(٤) نفسه : ٢١٦

(٥) نفسه : ٢٤٨

رند أذكرتني العهد بالأثر أيكاً ، فأذكرتها نوح السحاب الحاسر (١)

.....

ما أذكرتني العهد فيه أيكاً
وسجفت أذن بلوعة ولزمت

إلا بكيت فسال وأديها دماً
صدق الحمام يجهيني فتعلمنا (٢)

* البشام :

ومن أنواع الشجر التي هام بها الشاعر البشام ، فهو ذكرها إذا هن وتغزل ، ويتسنى
لوان النسيم ينوب عنه ، فيخرج على واديه ، ويصافح كل فرع من شجرات البشام السهبية
الى قلبه :

فليت نسيم الريح رقت أنمحي
وعاج على أجزاع واد يدي الضما

خلال ديار باللوى وخيام
فصافح عني فرع كل بشام (٣)

لقد ارتبط البشام بصباة الشاعر ، بمرعه وشمته ، فقد كان جزءاً من مجالس أنسه في
صباه ، يأثر به ويستريح اليه ، ولكن ماذا فعل البشام بعد أن فارقه الشاعر ونأى عنه تلك
المدة الأولى من الزمن ؟ سؤال يتركه الشاعر دون جواب يحده :

وذبت ومن لباتاتي لنبتي
بالمنا السباع بملن عزوي*

هناك ومن مراضى المدام
فنبذنا ربه فمنا الداسلام
فماذا بعدنا فعل البشام (٤)

وهو بذلك يفسح لخيال السامع والقارئ مجالاً واسماً لتصوير البشام ، في حالاته
المتلفة ، بعد أن أتفرت ساحاته ، وفلت ظلاله من مجالس أنس الشاعر ولهوه .

* النارنج :

حظي النارنج بمناية أكثر من الشاعر ، تدل عليها نسبة الاوصاف التي خصه بها في

(١) الديوان : ٢٢٦

(٢) نفسه : ٢٨٢

(٣) نفسه : ٥٣

(٤) نفسه : ٦٤ / * - حزوي : اسم موضع

* البشام : واحدة بشامة : وهو شجر ذو ساق وأفنان شكنة ، أي كزه غير سبلة ،
وورق صفار أكبر من ورق الصنوبر ، ولا ثمر له ، ونسفه لبن أبيض ، وهو شجر
ليب الرائحة والطعم ، يستعمل بقضبانته .

في حالاته المختلفة في اختصاره وإظهاره ، مما يدل على أن علاقته به كانت وثيقة ، فهو يصفه
رسفاً دقيقاً متتبعاً اجزائه ، ، مبحثاً عليه مشاعر الانسان وصفاته ، ومبحثاً إياه حالاته النفسية
السامية ، فالنارذبة في إبراقها تحكي العذار ، كما أنها في إزهارها تنسم عن شئ
وهي بثمرها الذهبى الفواح وقد هبت ربي النبا ، فمركت أغصانها ، فلامست أوراقها
ثمارها ، تحديقها تارة ، وتبرزها أخرى ، إنما تحكي بفعلها ذاك فعل المحبين ، زينة
وتأليها ، رمزاً زلة ومداعة ، ورضى وفنمها ، وهو مشهد وفق الشاعر في رسمه ، حيث السبابة
والسرقة في أجزاءه ، متوسلاً الى ذاك بهنظر التشخيص الذي يكثر من استغدامه في وصفه :

وحاملة من بنات القسنا	أما ليد تعمل خضر العذب
تنوب مورقة عن عذار	وتشبهت زاهية عن شئ
وتندى بها في صبح النبا	زهرجة أثمرت بالذم
تناوح أناسها تبار	ولمورا تخالها من كثر
فتسيم في عالة عن رضى	وتندى أونة عن غصن

والتي في برقتها ، وقد تلات تارات الندى على أوراقها وثمارها السمرا
تفتن الشاعر وتحرك نفسه ، فصفها وصفاً يزيد هاهنا
وصفاً تزييناً وقد نال القسنا
بذوقها ريق الخامة فضة

ولمجانا :
عليها حلح حمرا وأردية خضرا
ويجند في أعلامها نهباً نصراً (٢)

ولما أعجب الشاعر بهذه الأشجار ، أعجب بغيرها ، فذكرها هنا وهناك في ديوانه
فالرند يفتنه براحة التي يرب فيها بلسم لملته (٣) ، ولهج بذكر السلم والدلى في

(١) الديوان : ٦٨ * المذهب : الأفغان .
(٢) نفسه : ٦٩ الشب : ماء ورقة وساخ في الاسنان

عنه وقيل (١) - لما يذبح السدر والفضال في محراب الحديث عن شجاعته ومفاداته (٢)
 راء كرا اللؤلؤ (٣) ، ويستعمل في أرفافه للشجر عانة ، فلهذا النور : فالأدراج ترويضه
 باللمها ، لما ترويضه بزيورها ، ومنها تنجد في هيئة بدهره كأسه ، ونمطه بها لدرجة تنذوب
 فيها بل المفارقات :

يعلل الأنداج ولا دواج من حبيب نثر وتورب وتور
 فتارة الدواج كرا انشدت وأن النادر دوح يزهر (٤)

رأى الشاعر وإن ناز إلى السدر والفضال في محراب الأسمان فانه افقتن به وراشها أليسا
 فلما لم تغنى بنسبونها المتهدلة ، الماسة ، هفتها بها المهتزة ، المنتشية بنسبها الأليسا
 وقد مر منها من أوصافه فيها شير ، وهذا الأسمان بالفسون بهدو على أشده في الأليسا
 التالية ، حيث يصفها وسفاها ، يهوح من ندره بمشاعره الدفينة ، وأحاسيسها الطابقة
 المرأة :

أنتام وعلل أم مقام غنراق فالتشب بين تصافح وعينان
 خفاقة ما بين نوع عما مية همتت ودم غمامة مهتران*
 غنقت بهن بد النمام سخرة فوتمن أعناقاً على أعناق
 أنسقتني خلل الوقار ورمما أنكرتني بمواقف الحسناق
 ضاً ولثا واستلاية نفحة وغفون أحشا وقبض ملاق (٥)

فهي على العكس منه ، في مفارقتها لأحبائه وخلاته ، تتصافح وتتماق ، وتشد السي
 بعضها في دواعي شير .

(١) الديوان : ٤٠٧ ، ١٠٧٠

(٢) نفسه : ١٢٠

(٣) نفسه : ٧٢

(٤) نفسه : ١٣٥ ، ٧٦ ، ١٠١ ، ١٤٠

(٥) نفسه : ١٥٨

* الرعيان :

والريانة ، أيضا ، وفي لدونة فروجها ، والحب عيرها ، وقد لامست النهر ، وثأنهم
تكر منه على ظمًا ، وهبت الريح فزيركت اوراقها وأما لت اغسانها ، يفتن الشاعر ، وتسحره
نبتة حب اليها ان يذابها ما انيا ، فهو يلوي علفها ، ومما نكتها به حرارة ، ويجعل من دموعه
قلرات ند ، يجلطها بها ، ولأن رأى فيها محبوبه أو قريباً عزيزاً عليه طال به فراقه :

وتصبر في أثوابه ريمًا نسيًا	كرعت على ظمًا به دول ما
نفاضة الأنفاس إلا أنيسًا	حذر النوى شفاقة الآفيا
فلربيت مطلقها اعتناءً حسبها	فيه بقل الدمع من أنكداء (١)

واعتماد الشاعر بالشعر وعجزه ، سبب اليه شيئاً آخر يتولد منها ، تلك هي الشاربي
فتن بها أيضا ، ورسم لها في ديوانه صوراً متعددة .

(١) الديوان : ١٥٤

* داء " اثوابه " تمود على الليل .

- ٢ -

في الشمس :

لا يلج الشاعر في وصفه يدل ما عرفته بلاده من شارب ، فهو لا يذير منها الا التليل ، فتند
فتن بالذاريح في اغصان ومفصولا عنها ، لما فتن بالخير والحب والرمان ، ولتن فتنه بها
لما سمنع لنا ، بسيرة مسمدة ، لا تتجاوز الابر ، وحتى تماطله النفس مع موهوباتها
لا تصدر أن تكون مادية أينا ولنبدأ بالذاريح :

في الذاريح :

عن الشاعر الذاريح شجرة وثمرة يست مطلوبات شمربة ، عني فيها ، عموما ، هو
لأنه ، دون أن يغفل التمهيد عن ملباته النفسية من خلاله ، فتارة يذير إلى شجرة من
وأتى طعته ، فيرى فيها كوكبا من نور :

فتد ، أفنانها تشابوا
تشرّباً كواسها تما (١)

ولأن شجرة الثمرة في سموتها وبريقها ، وقد علت في أغصانها ، وحقت الأوراق النضرا
راندست سورتها على صفحة الذاكرة الخائبة ، وأدركت عليها الشمس فزادتها برقا من نورها
في التي تستهويه ، وتأسر منه ، فيجذب إليها ، ويبريقها إحساسا أشبه ما يهتزون
بالاحساس السوفي :

ومعولق فوق الخانبة خيرة

رأيت برقا من النقي نيف تلتي

يها عكها شفر من الشمس واخ

وتللى بها للماء والثار عورة

لها نسب في رؤى الحزن مشرق

وشمل رباح الأيب كيف تقدر

ولمائها لمرك من الماء أزرق

تروى فأنرى حيث يفرق يخرق (٢)

وفي كما تروى في غصنها ، تروى وحدها مبردة ، فهي برائحتها المارة ، ولربما الذي

تستريح به المين ، وتغش له النفوس خير هدية ، هل ، غير ما يزوب عن السفراء فسي

(١) الديوان : ٧٠

* نسب معرق : ذو أصل ثابت .

(٢) نفسه : ٧٠

رسلا ما بين الأعبة من عارفة :

خُذْ مَا إِلَيْهَا وَإِنَّمَا لَفَنِي سِرَّةٌ
حَمَلَتْ وَحُسْبُكَ مِنْ دَفْعَةٍ فِي لَفْعَةٍ
مِنْ لَدَى رَأْسَةِ التَّحِيصِ لَأَنَّهُمْ
تَبَيَّنَتْ تَرَوْنَ بِهَا تَبَيَّنَتْ حُسْبُكَ
وَأَتَتْ تَشْرَعُ عَنْ هَبْوَةٍ طَلَقَتْ سِرَّةً
يَنْتَدِبُ بِهَا رُبَّهَا التَّنْدِي وَلَوْ أَنَّ

الرَّأَتْ عَلِمَتْ غَلْبَةَ التَّنْطَرَاءِ
عَبَقَ الصُّرُورِ وَشَجَلَةَ الصَّلَاةِ رَا
نَشَأَتْ نَقْلٌ بِرَبِّتِهِ الدَّفْعُ سَرَا
بِأَلَيْتِهِ الدَّنْطَرَاءِ مِنْ غَضَبِ سَرَا
وَتَتَوَبُّ مِنْ لَدُنْهَا عَنِ الشَّفَا
بَسَكَتْ بِهَا نَاقَ أَسِيرَةِ السَّكْرَاءِ (١)

ولا بد مني على القارئ ما تضمنته ثلثا مقاديرتي من مشاعر دقيقة ، ومن الشاعر ألا أن يفصح عنها من عدل الدابحة ، كماولة لتفهم النماذج التي هي في أعماقها ، وفي السابعة الأولى لم يكن في مستلحنا معرفة عميقة بالموت لولم نعرفنا بهذا الشكل فالأولى أن يرمز إلى امرأة حسنة ، ويمكن أن يذلل على أية شرة أخرى مشابهة ، لأن المرأة العذبة تأسست اشارات إلى ما كان يذلل على أنه "وقتي" الشاعر من شاعرا ، فإذ كانت المرأة التي أشرنا إلى أنه كان يرمز إلى امرأة حسنة ، أما سيرة وشاعر تفصح عن نفسها بوجه في قوله للتين والحب :

بين التين :

ومن الشاعر التين في مقاديرتي ، وخضعت أعمادها لعملية التتبع والتعديل السري ، أيراح على شوره في شبهة رفته ، وهو تعديل بسيط يتناول الشكل ، ولا يغير المعنى ، تغييرا يذلل ، ويوصفه لها ، كما سنجد ذلك ، ومن ما يذلل ، ويحق السر ، ويحيل الدس ، ولأنه لا يمتح البرق في شيء ، وهو من ذلك ما قل بما يحتمل في أعماق الشاعر من شيء غير بديهي ، فالشاعر يستلهم في شيء في محبوبه ، هي الأشياء التي قد يراها الغير منيرة ، فحسب التين ، وهي سلافة وعلاوة ، ويحكي عنها ، ربي حبيب السائل وهو ناسم ،

(١) الديوان : ٧١

وغيره من الألوان يباعى بالحناء ولون قشرته يباعى ثمره بيبه ولحمه شفقيه ، وهو رائس
السبتلى ، وشبهى البغى ، مستجاب النفس ، وأنه تدهير يحكى ، ومنه أ. أسمر الشاعر الطائفة
وبدل دلالته على الملائكة التي حذيت بها اللهبه في عالم الشاعر النفسى :

١. أ. رَاهِ قَسَارَ غُصُونِ الْبَلَّاسِ*	وقد قلص الصبح ذيل الغلَّاسِ*
وما زل يهيد حتى شنهـ	كما سأل ربي حبيب تهنـ
لقد شاق من راعى السبتلى	شبهى الجنى مستطاب النفسـ
نميش له بيماس الشـ	وأحببت فيه سوان اللقـ*

وغيره التين بلونه الأسود ، ويوصى إليه ببيض المعاني ، والسور الطريفة ، فهو بسوابه
يحلى المصدود ، وظلمة الحياء ووحشة المقام بعد فراغ اليمين ، ولما انهن وقد تلحى عليهن
بها من النحر ، قد يدين في وبه كالتصوير ، وأما ما فيها ، في لونها ولين مجسمها فهو في السـ
الشاعر بصورة مادية هي سرية شدي همار بلات الحبش :

وسور الوهم للذين السـ	تسمن تحت عيون التـ
إذا ما تبلى بها النـ	تالقت في وجهه كالتـ
أني أتولاه منها ذـ	شدي صغار بناتال حبـ*

إنها أو ما تـ في أفاق الشاعر من حنين إلى المرأة ، وهما ميمقاتها الطائفة
التي لم يشع منها نهمه في الباقى ، فأصبح عنها من شغل اللهبه على سبيل التصوير .

✽ العنـ :

عرفت بلنسبة واعطائها بثرة الاعناب ومن دون شك أنها عرفت انطا كثره منه ، ولـ
الشاعر لا يذكر غير نوعين منه ، الاسمر والاسود ، ويورد ذكرهما في معرض الحديث عن الظلم

(١) الديوان : ٤١١ : ٣٧٤

(٢) نفسه : ٣٧٤

✽ البدر : شر التين أو التين نفسه .

الخلـ : الحمة آخر الليل .

اللسر : لون الشفة إذا كانت تنمر بالى السواد قليلا .

لا التمتع به طال الأفتاب فجاء رغبة لها ما ديا نوصفه للتين ، فهي عنده أم الدمام ، والدمام
ابتنتها التي طلقتها بعد أن تاب ، ونزه نفسه عن الـرام ، وليلة الحبيب مراشدة ، ويدها
الشاعر في ليرة لا نها تذره بما بينه وبينها وبين اجتهته من دمام :

وَمِنْهُ بِلَدِّهِ مِنْ أَمَلٍ سَبَبِ	بَنَاتُ الدَّمَامِ وَأُمُّ الدَّمَامِ *
وَسَبْرُهُ الْمَقْتُ مِمَّا لَمْ يَنْتَهِ	وَمَا لِلدَّمَامِ وَمَا تَحْسَى الدَّمَامِ
أَمْرٌ مَرَّاشِقَهَا لِرَبِّهِ	وَأَنْ تَرْمَا مِمَّنَّا مِنْ نِصَامِ (١)

ويبدو بوضوح من الرغمة أن عمره قد أسرع به إلى النضلة - أم الدمام ، يمتنع على ذلك
وسببه ، ويرى أن الحبيب في سواده ، ولو كان لى شقة لما روي من تقبيله ، كما يحكي في سواده
ملكة ليلة الهجر ، وليلة الحزونة أشهر وألذ من ليلة الوصل ، ولكن هل هذا محتمل ؟
فتقبل تلبل سمى الشاعر بأنه لو كان لى شقة لم يشبع من تقبيله ، وهو الآن يفضل في علاوة
الحب على جنى ليلة الوصل ، وأما أن الذبيال بدأ الشاعر إلى هذا التناقض هو حرصه على
الدائمة ، لا كونه يجبر عما يقول في هذه من شاعر وأما سحر :

رَمَعْنَا لَهَا أُمَّ الدَّمَامِ عَشِيَّةَ	وَمَا عَجَبًا مَا لِلرَّغْمَةِ وَالْقَهْلِ
وَأُسْرَتِ مَعْسُولِ الْمَجَاجِ لَوْ أَنَّكَ	لَسَى شَقَّةَ لَمْ أَرَوْهُمَا مِنَ الْقَهْلِ
عَلَى لَيْلَةِ الْهَبْرِ اسْوَدَانًا وَإِنَّهُ	لَأَشْهَى وَأَنْدَى مِنْ جَنَى لَيْلَةِ الْوَصْلِ (٢)

* بين الرمان والمحب :

ويفاضل الشاعر بين الرمان والمحب في أسلوب جزلي ، ويفضل الأول على الثاني
ولكنه حق في هذا الموقف لا ينس أن يبعد من أعاسيه المادية أساسا لا اختياره :

(١) الديوان : ٢٤٥

(٢) نفسه : ٣٥٠

يَمْلِكُ لَكَ الْغَيْرُ بِرَمًا نَسِيَةً
لَا يَتَمَّأُ أَتَمَّشْ عَتَدَ _____ رَدَّه
وَهَلْ يَتَمَّأُ بِمَقَامِ نَسِيَةٍ _____
لَمْ تَنْتَقِلْ عَنْ كَرَمِ الْكَهْنَةِ
تَدَيًّا دَأَى بِمَدْنِي السَّهْبِ
مِنْ عَدَلِ الْخَصِيَّةِ وَالنَّهْبِ (١)

* التلخيص :

لا نريد للتلخيص ذكرنا على غرار ما سبق من قريبات ، وإنما يأتي ذكره مرتين ، الأولى في رده على رسالة مشحونة وردته ، وحيث يعصي مميزات شعره ساجده ، وحسناته غير أنسه يذكره بالشباب رابعا ، وكما يشرفنا إلى زعمات تناف لبنان ، ولكن أئني له بتقاع لبنان ، والشك في الذي تذله عنه سخيفة :

وَمَا نَاقَ إِلَى تَنَاجِ لِبْنَانٍ وَفَحَاةً
أَتَتْ مِنْ أَرْضِ الْهَيْزِرَةِ لِبْنَانُ (٢)
يَأْتِي ذكره ثانية في سياق الغزل ، وحيث يشهد بمدى ربه به بتقاع لبنان :
وَمِنْهُ يَمْلِكُ وَرَدَ عَدَّيْهِ نَاعُظِرِي
فَمَنْ لَفِي مَنَّهُ بِتَقَاعِ لِبْنَانِ (٣)

ونلاحظ هنا أنه في الأوسميين أشار بتقاع لبنان ، فهل يعني هذا أن الهيزرة هو منه ؟ لا نستطيع أن نجزم بالنفي أو بالإيجاب ، ولكن نتوقع ببسوده ضمن الفاكهة التي رسد الهيزرة بأنها نسيئة بها . وأما ما عداه هذه الفاكهة المذكورة ، فلا نجد لها ذكرا ومن ذلك ، فما ذكر على الرغم من قلته ، له دوره في استبعاد طبعه أي اسحق الفتيحة ، وانما في جيرانه الأوسمية .

ولما فكتبت الشهادة الريل بالها التدي ، وخصرتها الماشقة ، وشعرها الداني ، ففتنته أبنما بشرها الذي يحموها على زاهية ، بل ، وفتن ابننا بالنباتات المزهرة من سرله ، ونسره في شجره تسويرافيه ، بمال وروعة .

(١) الدبران : ٣٦٨

(٢) نفسه : ٦٩

(٣) نفسه : ٣٤٦

((٣))

✽ الزمهر :

لما أُجِد فيها ثمرات من شتى تراشئة ، معجمات وكتب نبات ، ففرقا وانحما بين الثور والزمهر
فأصحى يرى أن زهرة النبات زهره ، وثوراه وثوره سواء (١) . وأبو حنيفة الدينوري
يرى الرأي نفسه ، فمعه أن زهر النبات وزهرته وثوراه وثوره سواء ، ويرى الرأي الثالث
بأن الثور يأتى على اللون الأبيض خاصة ، ميمًا أن يمتزج ألوانه زهر وثور ، ممتزجا في ذات
بصاره في صبب اللثة من شجرة ثور الحسونان زرا وهو أصف (٢) . وعلى هذا بين الصنوبرين
وغيرهما يمتد ابن ماذور في تصرفه للثور والزمهر : فالثور والثورة جميعا الزمهر ، ومنه
وتدل الثور الأبيض ، والزمهر الأصفر ، وتثور الشجرة وأتارت أينما ، وأخرجت ثورها . والزهرة
ثمرات نبات والزمهر . رخص يسميهم به الأبيض ، وثمر النبات : ثمره : والزهرة
البياض ، ويقال ازهر النبات بالالف ان ثور وثمر زهره . . وشجرة مزهرة ، ونبات مزهر (٣) .
وابن شاذلية لا يفرق بينهما إنما ، فهو يذكر الزمهر تارة والثور تارة أخرى ، ويصنفها
واحد .

وونسون الثوريات والزهريات ، ياتل مكانا بارزا في وصفه للنباتية ، ان ضمن روضاته
او لمدارس مستقلة قصدتها بالوصف في مقطوعات شديدة قصيرة .

فهو يفتن بالشجرة الثورية ، كما يفتن بالأزهار المختلفة في ألوانها الزاهية ، ورائحتها
الطرية . يفتن أدامها ويصفها ، كما يفتن في إنبابها يشد عن حب الحياة ، وولي يمتصها
الساوية ، وخاصة تلك التي لها علاقة بالسراة . وتشغل باقته زهوره على النارج ، والريحان
والدفل ، والرنه ، والآمن ، والعمري والاقسوان ، والزمهر والبنفسج ، والنسوسن والنبير والنيوسر
والشزام ، والبرد . ولكن الشاعر كثيرا ما يصف دهره ، أن يمتزج لونه ، كأن يذكر الزمهر

=====

(١) كتاب النبات : ٨

(٢) كتاب النبات : ٥ : ٢٠٤ -

(٣) انظر لسان العرب : مادة (نور) ومادة (زهر)

أو النوار ، أو شجرة منيرة ، وسرير من نلثة شمولية ، محبة لكل ما في النون المصنوع به من
المرادفة واليد واليد .

* النارية :

فقدت النارية الشاعر بطلتها النوار ، وشارحا العمار لما فتته بنورها الابيض ، و
الرائحة العذبة فهي تدبره بشارها ، وتضئ بغير نور ، وفيرن كان الثريا ارتفعت على
أفنانها ، وودودها نلثة ، وفيه ثغابة الشاعر بالذاحية المانية للموسيقى من عبقها لونها ،
رأيتك ونسأوه ، ولا نلثة نلثة ، أنا الشجرة والسناسد :

لله نورية النارية	تعمل نارية النارية
والنور رطب السهر لند	قد رث نلثة وطاب رلثة
تسكن النور نلثة	كل غرس به شجرة (١)

* النارية :

وأما النارية ، فأنها ، رأتها العذبة ، المحشرة في الليل نون الذهب ، تملل
الشاعر بطلتها عبقها النوار ، وأسمائها ، وهي تحادث النسيم اذا برن عليها الليل ،
وترسل انفاسها المارة في الأجر ، وأنما نلثة عبيد وراء اسرار النوار ، ولونها سرعان
ما تنقضي اذا برن النسيم ، وأنما نلثة على سرور في نلثة النوار ، والنوار ، والنوار ،
مشهد نلثة ، وأنما الشاعر في رسمه وعرض تفاصيله .

(١) النوار :

النوار : النور ، والري : النور ، والنور : النور ، والنور : النور .
النور : شجرة النور ، وهي نلثة ، والنور : النور ، والنور : النور .

وخيرية بين التسميم بينهما
لها نغم يسرى مع الليل طاردا
يدب مع الإسماء حتى كأنها
وحفى مع الأصباح حتى كأنها

حديث انابيب الظلام يطيب
كأن له سراً سناها يرب
له خلف أستار الظلام حبيب
يظل عليه للصباح رقم (١)

المسود

لا ينفذ الشاعر في الحديث من الزبد تشبيها ومقابلة على نحو ما فعل غيره من الشعراء
فهو لا يذكرها الا ذكرا ، وفي ذكره النادر لها لا يفتتحها بوصفها الدانية ، وإنما ينال
اليها وكأنها امرأة آتاهم يتنزل بها ويداعبها ويقبلها ، ولذلك جاء حديث عنها مفسما
بأسس الدانية ، فهو يتحلى لو أن الدنيا نسخ ظلما ، عندما تالعه الوردة بالمعتمها
الدانية ، تهرق في ربه وتهرق ، وتشرق شبيها كما كانت تشوقه شابا ، ثم يترك شبيها وشوقه
وعجزه ، فينتقل بالتعبيل ، وتألف نفسه الزاهدة تمرينها في وصل النزوة الماهرة ، وتصدره
في ، ولذا بد أن توسع الزمان لولا وعظما ، وإياها الزهرة عبق ، قد رسم الرمي فيه كبريت
وشرقة ، فإياها سلاما ، وهو تسيير لحرقه إحسانا ، عر بالأميرة ، وتألفه

مها :

(١) الديوان : ٨٢

من الليل : أ الم . .

ونفريت يمشى إلى غريب ———
 طاب مشي مع المشيب تشوغي
 بمرارة أقبلتها عن لينة
 عذرت بوجعها وقد أحالتني عذوة
 عرفت وقد حن الربيع على النوى
 فوددت لو نسج الضياء غلاسا
 شيخاً ناكاً كنت تشقى غلاماً
 نظرابدون إذا انصرفت غلاماً
 يجرأ وأرسلت النيران غلاماً
 كبراً فأهداها إلى سارم — (١)

وهي تارة أخرى بنيت غنماً للربيع النير ، وقد رسم الربيع فيه شبهة وغنماً فأهداها اليه
 فهو يميل ، سليمها ويقلها نفا بها ، وتماط ذلك البير بالانفير :

أرايت أتي بنية ———
 أمدى الربيع صورة
 فلهتمها كفا بهم ———
 تنزى إلى الروض النسيم
 معها تهت إلى كبر ———
 والشيخ يلف بالسنم — (٢)

وإلى تارة أخرى يوحى إلى الشاعر هذه الصورة المادية التي تلف بها نفسه :

وقد تفرج نسج ——— نور
 كما تنذر نفس ———
 غنم يخط زرد
 عذب يميل هذا (٣)

حينئذ الصورة فيجعل للزرد هذا المزج هذه النقاب ليشارك الشاعر ورحبه متشبه —

صعد ———
 أخذتهم من زبد المساب :

والنور حبيب وتسد
 يندى بأخذة النقاب
 الزرد سأل النقاب
 لا يندى المساب (٤)

ولكن رتبة الملاحظة وقد تارة أخرى فوتم تارات الندى ترمز عند الشاعر إلى شيء آخر لا يات به
 عنده فهو يرشدنا إلى الدليل الساتر عليها وكان يلتمس شعر معبره :

(١) الديوان : ١٤١

(٢) نفسه : ١٤٧

(٣) نفسه : ٨١

(٤) نفسه : ٨٠

وارشفت نثر الدليل من كل وردة فكان مباحي الثمين من حوة النمل (١)

✽ الخيلوفر :

لا يذكر الشاعر الخيلوفر الا في مة اوحة من بيتين ، وهو قبيحا يكفى بالشار الى عذرتيه
وتحوله ، فهو يستبدل مفرقا ، ويتفتق زهره ، ورفى عليه ، وذا الليل كله لا يهرب سائلا
ربا ذلت الا لانه عديم الاسار ، لم يحرف حبا ، ولا اصالى بتار غرام :

وَنُكُوفِرْ لِمَ يَدْرِ مَا مَثَلُ حُرَّةٍ يَدُمِّي وَلَا مَا لَبُوعَةٌ وَغَسَّامٌ
يَهْبِثُ مِنَ الْإِسْبَاحِ مِنْ سِنَةِ الدَّرَى وَطَلِيحٌ لَيْلًا يَجْفَنُهُ فِينَامٌ (٢)

✽ الاتحوان :

الاتحوان من الاعشاب ، ابيض الربى طوي كل حال ، ورقه وزهره ، وله زهرة بيضا * سائفة
البيان (٣) ، ولها رزهره يرتد اني وحش الشار له بالشعر ، بل قد يأخذ من حله في شير
من الايمان فذلك تولى الليل ، وانما لاج العجان تبدوا الاخوانة امامه بزهرها الابيض
فقوس اليه بهذه الصورة الجمية :

ثم انثى * والذئب يسحب فرعه ويبر من طرف ثمنون رداء
تندب به فيه آفة برارة آتية قد غارتها الشمس غيب سما * (٤)

ومادامت الاتحوان تنور في زاهر الشاعر ، فهي ولا بد تفعل فعلها ، فتلثم نارة ، وترسب
آثر ، فهي تلثم سواك الدليل :

ولوى الدلى عناء صفة تعرض لثمت سواقها تنور اقجاج (٥)
وهي ترعى أغلاف الغمامة المدار في أبطن رصدت ثغورا قاحه
أعرج كل غمامة مدار (٦)

(١) الديوان : ١ : ٢٠٢ / *

✽ النمل : سمرة في الشقة تستحسن .

(٢) نفسه : ٣٦٢

(٣) كتاب النبات لابي سنيقة : ٥ : ٣٠ ✽ حوة : سمرة تضرب الى السواد .

(٤) الديوان : ١٥٤ ✽ تنور انثى : يحود على الليل

(٥) نفسه : ٢٨٢

(٦) نفسه : ٣٣٦

يرتد من ال روضة رنما باله :

بات بها صبي الأتاعي
يرشف من المهارنما* (١)

وقد يكون الثلج رنما الساقم البار :

ولزقاعي ثغور فيه باسمه
لن من الثلج رنما ، رنما صبر* (٢)

وقد تلتني الأتواني ومهم العيب ، فلا يجد الشاعر بيتها غزل :

ونما حكي من أتوان وتفسير
فلم ادري أي كان لم الأتاعي* (٣)

وهي ابراهيم رنما استقامات الشاعر احساساته ونزعاته المادية تجاه المرأة موضوع وجلا .

* الشقيق :

رتب الشقيق للرنه الا معرفي صفة الشاعر بمخاطب السروب ، وماديساتيه
من كروفر ، وزحف واندام ، ومهم ولرا ، مما يذكريا رنما اي الطبيب الحنفي ومن نهين
نهيه ، في اسباغ اجواء السروب على الطبيعة ، فالرنه يزحف بجيوشه ، ولكنه سرعان
ما يولي منهزما ، مخلقا وراءه السهرل والربا ، التي يأخذها منه الرنم عنوة ، ويرفع على
ك رنوة منها ألوية الشقيق ، تشاير لانتشار :

ما حنذا والرنه يزحف بخر
شقي اذا زلتي وأسلم عنوة
أندك الرنم عليه كل شمة
جيشا رنمي دونه وهو رنمي
ما شئت من سهلي ، فإذ رنمي*
فبكل مرتبة لواء شقيق (٤)

* الريحان :

والريحان اجنا بشفخ لك ، والما في الذ ، يسمع الكثير من موصوفات الشاعر ، فريحانة
مشوقة الترام فائقة الحسن ، نسمة فواحة ، تكلف بها نفسه ، ويهيم بها لرنه ، ولا يهل من
تلي حسنها ، والتأمل في جمالها . وهي لمانتها عنده ، يتعد لها من فنه مفرس

(١) الدهران : ٣٢	* الرنما بال الرن
(٢) نفسه : ٣٧٢	صبر : بار
(٣) نفسه : ٢٠٠	التيش : بلسر النون وتشددها : أرفع
(٤) نفسه : ٣٥٥	موضع في الجبل .

فالتمثال صورة تنوب عن العسنا* التي أناته عنها الاسفار ، فيها يلهو ، وبها يأنس :
لقد رَفَّ بنتا للخميلة لِفَلَسَة بهز إليها الدَّشْتُ* اعلاف مُعْرِسِ
تشير إليها راحة سَوَسَيْنِ وتشتم فيها كل عين لفرجيس
تنوب عن العسنا* والدار غُرْبَة فما شئت من ليهوبها وثائيس (١)

وأما البنفسج والآس فقد ورد الشاعر بين صورتيهما وسورة محبوبته شهما ، فلذلك أورد
ذكرهما في سائر الفزل ، وقد بينت الشاعر في وصفه للزعرور بأثارها ، بأريجها وليهبها
دون التمرش لمساتها المادية الاغرن ، كما فعل مع العزاس والعرار (٢) .

وثان الشاعر بينى - على الرغم من ذكره لهذه الجزئيات - الى الصوم غالبا ، فكثيرا
ما ذكر الازهار والنوار ذكرًا عامًا غير مفصل ، موشيا بها رومته ، أو واديه ، أو ربهته ، أو
بالحاحه ، ونافيت الشجرة كما أسلفنا - هي الحنجر البارز في أوصافه ، مما يدل على فنته بها
في عامة أحوالها ، ولحنها وهي منورة ، أشد فنته له من غيرها من العالات ، فهي تأسسر
نار هبت أحرها المهبج ، وتهز قلبه ، وتوقد مشاعره وتنه أحاسيسه فيمنفها وصفها بيزدها جمالا
وروعة ومعياة ، ولكن لما ذال الالاماع منه على ان تكون شجرته منورة أو موقدة لا عارية
جرداء من الزينة وهي ؟ ألا أنه رأى في باغ آخر ثورما يهاض شمره فقال اليها ، وأنس بها
أنس المديق بمديقه ، بمدادته وبلاده ، وسر اليه بكنون صدره ، أم لأنه رأى في نداوتها
ولد زيتها ، وعيوبتها لدونة شبابه وعيبرته ونشأله بما يمنه ذلك الشباب من ذكريات
حلاوة ، وأيام سعادة تمامها في ظلال اشجار الحبته الفناء بزمهرها ، ولبيب أجوائهم
وترنيم طيرها ، فكانما أضحت الشجرة - لطازمها عياته الاولى - رمزا لشبابه الذاتية
وسورة متجددة له ، فلهج بذكرها ، وتغنى بصفاتها ، وكأنه يتحدث في شبابه ، ويتنسى

(١) الديوان : ١٥٥

(٢) نفسه : ٥٦ ، ٦٩ ، ٢٨٩ ، ١٢٥ ، ١١٤ ، ٣٣ ، ٢٩١ .

بسماته في ليلته ؟ .. أم لان النور في بياضه يحكي "النور والظلمة" ، وبالتالي الحياة فسي
مفاتها وعنائتها ، وفي هذا أيضا بيان لما في نفس الشاعر من حب للحياة ، وفن من
السود ، أم لان المرأة التي عرسها الشاعر شريفة للسماة ، تناسسه أفراسه وأسرانه ، ويمكن
إليها تسكن إليه ، وتغف عنه أعباء الحياة ، وتخلل أليفها يراود مخيلته بين السنين والدمعين
قد استزجت بالشجرة ، واتعدت بها ، فأضعت الشجرة بدلا للمرأة ، ورمزا لها ، ولذلك
ألبسها بوسمها وخلق عليها صورتها ومفاتها ، فجاء تصويره لها جميعا بواقعا ، يدان بذلك مما
في نفسه من عنين إلى المرأة وهما بهما من حيث صفاتها المادية لا النفسية ؟ وأذهب
إلى القول بأن هذا التأويل الأخير والتأويل الذي قبله ربما كانا عما الأكثر فاعلية في سرور
هذه المرأة في وصفه ، أب القول بأن الشجرة ما حظيت بطلب العناية الكبر منه إلا لأنه
وجد فيها ، من حيث صفاتها المادية ، شيئا بالمرأة التي عاشت بدونها ، لما وجد فيها من
حيث ما عبقها رمزا للحياة التي فان حبها وحش فقدانها ، ان وصفه للشجرة المنصورة
لوسك تشبع من شمله نكوة الشاعر إلى الطبيعة من أجل المرأة بوعى ، وهي الظاهرة
عكسها في شعره الغزلي ، فهو مما يخلق طس الشجرة النثر ما يمكن ان تعاربه المرأة من
صفات مادية ، يقول :

يا رَبِّ ما بَسَّةَ المَعالِيقِ تَزِدُ دِيسِي	من كِبَ غائِبٍ خافِئٍ بِوَشِ شَاج
مَهْزِةَ دَرَجٍ من أَعْرافِهِمَ	ما شِئْتُ من قَلْبٍ بِمَنْ رِجَاج
نَفَسَتْ ذَواعِيها الرِياحَ عَشِيَّةَ	فَتَلَكَّتْها هَمزَةُ المَرْتِ شَاج
حَدَّ الرِيحُ فَناعَمَها عن مَقَرِّ	شَطَطٍ لَمَّا تَزِنَتْ دَأْرُ السَّراج
لِقائِ سَما، لَها الضَمَامُ سَلاةَ	مَسَّتْ مِمَّا لَفَها يَمِينُ سَمَاج (١)

فالطيات : وشاج ، الأملف ، الكفل ، الذواجب ، مفرق شطط ، قناع ، الملاة ، ثعبان

وما شئت ، تزدهي ، مهتزة ، برقي ، ويمون ، كلها يفتح بها غرض الغزل في ديوان الشاعر
المدرسي القديم ، ولكن الشاعر نقلها من المرأة واسبقها على الشجرة ، ورسم من خيالها
صورة للمرأة التي يريد لها ، ولأنه بذلك يقوم بعملية تحويل للنقش الذي يحاكي منه في حياته
الجنسية ، ومن دون شك ، فإن استعظام الشاعر لصنم التشخيص كسلوب تعبيري ، كان
ذاك ورقي تزيين الشرائع ، وهذا المرأة في أجزاء الصورة المرسومة .

وهذا يلزم يكون الشاعر مخم ، ما في البهجة بلده ، من روضات وشجيرات وزهرات ، فحسب
بل لأن مغرب ذلك ، وبأهبة بلده ريا وجبالا وبأحبا ، وهو ما سنتناوله في الفصل التالي .



الفصل الرابع

الرها والبطلان والجبال

تميزت بلاد شرق الأندلس دوماً نعيمها شُقر وبنائيتها ، وسيرها الخصبة الراسمة ، السقي كانت تتخللها احبانا بمعنى الهضاب ، وقد ترتفع احبانا للتصوير جبالا ساطقة ، تال علمها ، ساحات شاسعة من الارض ، وتزين على قسما الاماكن البعيدة ، واهم : الناجية ، وهو الشاعر الحساس ، المحب لارضه ، كان كثيرا ما يضرب في الارض ، ويهيم على وجهه في مطالعها الخضرة ، تستوقفه الربابة المشبهة المزهرة ، فيمتع نظره بجمالها وبهاثها ، ويجذبه البهبل في صموده وشموخه ، فيسكن اليه مناجيه ، وقد يرى فيه نفسه ، فيذلقه بما يبول في خلصده من افئار وشاعر ، وتلن واغراب . ومن مثالي هذا الا حساس الحقيق بالجملة وانفسه ، والشعور الغامض فيها من جمال ، كانت عنايته بتسجيل مشاهداته ، وتصوير مشاهد ارضه ، ذلك التصوير الذي يقين بجمالا وروعة . وكأنه أراد الا يفوته شي * من الطبيعة بلسده دون ذكر او تسجيل ، فوحي الرها ، والبطلان والخرق والجبال ، وتراوى تصويرها لها بين اللوحة القسيرة كما في وصفه للرها ، والنظرة الاولى المتأنية المتأطاة ، كما في وثقتبه على الجهل .

* الربا . :

لم يفرد الشاعر الربابة بالربابة لذاتها ، ذاك ، في شمره تمسيدة او مقطورة تفتس بالربل كمشهد مستقل ، ولكنها تطل على بمثابة الشاعر التصويرية ضمن المشاهد التي رسمها في ديوانه لطبيعته الرائعة ، وهو في تصويره معنى بطلاء عمرها السادي الحسوس ، فيوشيه بالنور ، أو يكسوها بالششب والشجر ، وقد ينفخ عليها من الدنيا والبريق ما يزيد لها برورا . وهو لا ينسى ، ومن حين لآخر ، أن يخلع عليها بعض صفات المرأة كما فعل من عناصر الالهيمة الاخرى ، فالرها . وقد وشاها الزهر ، وتعني عنده رأسا عليه تاج مرسى أو ردفسا متزرا :

وَأَرَزْ أَثْرَابَ غَضْرِ الْفَسَّادُونَ
فَرَدَّنْ مَنَاقِبَ الْفَسَّادُونَ * * * * * وَتَرَادُفَ ظِلِّ الرِّبَا (٢)

وللربل أجهاد مقلدة ، ولدن درهما من النُّور :

زاد ربيع الفجر قد قلَّصت
نقلدت أجهاد ظِلِّ الرِّبَا
ذيل غمام بات مجسروا
دُرّاً من النُّور منشورا (٣)

.....

وقد قلَّد النُّور جيداً الرِّبَا
هنا ، ونحواً للفتنة رسيها (٤)

ثم إن البرية وقد كساها النُّور الابيض ، وغمرت بها شمس الأصل باشمعتها الصفراء الهادئة
فزادت بها رونقا وهما ، تفتن الشاعر وتحركه وتدفعه الى الرسم ، فيصورها تصويراً ملهياً
بالأضواء ، يزيده اشباعاً بريقاً ، الذَّهب الفضة الذي استعان به الشاعر في تلويح
سمرته ، وهو أمر يذكرينا بالبريق ابيض المعترف في التفسير :

وقد فضَّ النُّور كلَّ رِبَا وقَرَّ
وسان عليها الأصل نُصَارُ (٥)

والربا ، وقد غمرت بها شمس الأصل بنضائها الذهبي اللاليف ، تستبهرها هنا ، فيصورها
مشبهاً الشمري في ضعفها وفتور اشباعها بيمين المربى الضعيفة الإبحار ، وهو تشبيه مستهلك
كثير الاستعمال في الشعر العربي القديم :

(١) الديوان : ٢٤٨

(٢) نفسه : ٣٠٠

(٣) نفسه : ٧٤٧

(٤) نفسه : ١١٣

(٥) نفسه : ٢٨٥

وقد طلعت شمس الأصيل الى الرها
والرها في خضرتها وعمال نورها ، تمتد من المالحيد التي يستريح إليها نظر الشاعر
وتستأجرها نفسه ، فيستريح بها بما يستريح به غيره ، من شأهد اللمحة المختلفة :

وتقسمت دارنا للمين بين رها و
مغضرة وترارة برقها (٢)

مقسمة الألف بين محاسن
من ردي رابية وغمر قرار (٣)

وإذا اشتد به الشوق ، لم يجد أفضل منها مكانا يتنعم منه نسائم النبا الهابة من
جهة محبوبة ، :

وأركب أرداف الرها متسكما
فأنشئ أنفاس الرها متسكما (٤)

وإذا حسن الى أرضه ، حيث استبته ومراين صباه ، ذكرها في بلدة طيهفوا اليه قلبه :

آلا هل الى أرض الزيرة أئمة
فأسكن أنفاسا وأندأ مضجعا

أغد وهواد بها وقد نضى الندى
مناك حياتها الرها ثم أقمها (٥)

وقد يختبه لعله ، ويهجر في سهول أرضه ورباها ، وقد أخذته نشوة غامرة ، فيرسم
لنا سورا غامرة بالهجرة والسباة :

تري بي الضيفان فيها والرها
دولا كما يتمون التبار (٦)

.....

أخو عزمة نالي الرها ترتقي بها
الى عيت بهوى والبطاح تيل (٧)

هذا عن الرها وقد كساها المشيب ، وزركشها الثور ، وغمرتها أشعة الشمس الذاهبة
وأما عن منازلها وقد ردتها الربى بالغمام وجادها المزن بقلعه ، فأنها تشغل الارباع

(١) الديوان : ٣٧٧

(٢) نفسه : ٢٥٠

(٣) نفسه : ٢٤١

(٤) نفسه : ١٤٣

(٥) نفسه : ١٢٨

(٦) نفسه : ٨٠

(٧) نفسه : ٢٤٣

لا بد من سرور :

تَهَنَّتْ بِهَا * رِيحٌ بَلِيْلٌ وَرَنَوَةٌ بصبر غمام جادها متَهَيِّسٌ (١)

واند زعفران علی صبر غیر هذه السرور ، مشوشه و غمات في ديوان الشاعر ، مما يدل على مكانتها عنده ، وتحتها في ميزان اعشاماته الوصفية ، وهي صور عني (الشاعر) فيها على العموم بالعالم السري ، ويرسم لنا تراه عينه في الواقع ، ولكنه عرفه كذا ينفذ نبت السرور فيها * تزيينه لها ، ومشركا ، يمكنني أحيان كثيرة اعشامه المادي بالسراة ، وتأثرته البهائية من جانب واحد ، متعة الحسن لا النفس .

في الباطح :

ان بلادنا غنية الثروة وغزيرة المياه ، فبذلك شرب الماء لا بد الا أن تكون كثيرة البساتين ، ملتفة الشجر ، وذلك ما افادتنا به كتب جغرافية المغرب ولا ندلس ، واهن : فاجبة لنا تغني برى بلده زروعاتها ، فان ذلك يدل على انها غنية ، فقد فشتت بامتداد شجرتها وكثرة اثمارها ، فان يروح ان جناتها يروح ، ويقيم من السواكنه هنا وهناك وتمت ظلال درسها السركشة بأشعة الشمس ، وتساو بهما لونا وتنطق لسانه بالاعجاب والكبرياء بالها برزعتها ، فهي لتجسد عنده يدولها بالسكنيا :

ودوق حشر : بها ضاريل

سقى لسان بطاح أنـسـير

أطلّ فيه يدأر ظـلـل (٢)

فناثر غير ونبير شمسـير

* النعير في * بها * عائد على سرور ركنيت

(١) الديوان : ١٥٦

من ران وصفها الشاعر .

(٢) نفسه : ١٤٠

وقد غشي النّهبُ لَمَاءَ
بهذِ العِذارِ بهتٍ أُسِيل (١)

ولكون البطاح سرما جملا لمبالرأسه ، وستودعا للكثير من ذكريات ماضية ولتسبه وشبابه ، فإنه يحسن إليها ، ويشتد به الشوق الى ظلالها ، وطيب هواها ، فهو لذلك يستنشق النسيم لملها تنقل اليه بعضا من آثار الرياح جزيره البديعة :

وربّ نسيم مّ ينعأرعا السوا
رئيق الحواشي لا يمتدّ دميها
وجاءت به من ذلك الماء بَلَّة
ومن نورها تبة الأبالج أيها (٢)

هذا الى غير ذلك من الصور التي نض بها الشاعر بلأهه ، وغور فيها لما نلحظ - رشام طاهر ، تدر بلحاظه على إبراز ملامح المال والفتنة فيها ، فجاءت رائدة متعده ، وتسد تتسح تلمس البالاج لتسير رقا أو مفازة ، أو تنوفة ، تتد في لولها وسعتها مده البسبر وهو أمر عني الشاعر بتدويره أيضا .

✽ النـزـر :

لقد تدر نذر المفايز والغلوات في وريف ابن عفاية غير مرة ، مما يدل على وجودها وأنها كانت لحيته الى المدن المجاورة كالمطبة ، والنسية ، اللتين كان يتردد عليهما باستمرار ، وأولى فيرمط من المدن الاندلسية التي كان له فيها أعوان وأصحاب كمرسية وقراية واشبيلية وسرقسلة ، وإن لم يصرنا هو بذلك ، أو في أشافره الى المنسرب ووصفه لها يدل على أنه معبر في الأحوال المختلفة ، في الليل والنهار ، والسر والقمير

(١) الديوان : ٣٧٨

(٢) نفسه : ١١٢ - ١١٣ :

فقد صور حاله وهو يغور غمارها وحيدا لا يصحبه فيها غير فرسه وسيفه ، كما
صور رغبة الكون ، وجسد خفونه ووعشته ، من خلال مثاقيرها المختلفة ، فلنلقى نادرة على معنى
سوره في هذا المجال ، فهو بهذا المفاضة التي تليقها ليل وحيدا ، ويصور سواد ظلمتها
وهول من وعشتها ورغبتها ، بما يضيفه عليها من جمود وسكون ، فكل شيء فيها ساكن
لا يتحرك ، فلا نجم يسري ، ولا قلم يدور :

وَمَقَازِةٌ لَا نَجْمَ فِي ظَلَمَاتِهَا
يَسْرِي وَلَا قَلَمٌ يَدَّارُ (١)

والآثر الذي يجوده الشاعر غرق مهول ، موحد ، يشفق لرغبته البرق كلما ، ويظهر
فيه النجم حذرا متوقفا ، لا تتركب فيه غير الرياح ، ولا يتروك فيه غير الضمام :

يَسْرِي لِقَلْبِ الْبَرْقِ خَفَقَةً زَوْجَةً
سَحْبِي فَلَا غَيْرَ الرِّيحِ رَاقِبٌ
به ولجفت النجم فيه سهبا ن
هناك ولا غير الضمام مَرَّان (٢)

وهي صورة فنية رائعة ، لأن اشياء الشاعر في تصميمها دور كبير .
ويتكرر تصوير الشاعر للموت من حيث رغبته ووعشته ، ولكن بأساليب متنوعة وموسومة
مختلفة ، فهو غرق مخوف ، مرعب ، وتفر سحبي ، يرتجف فيه الشراب فرقا ، وتكبل فيه الرب
ولا يناد بسبح فيه رجح لصوت ، كما أن النجم يبيت فيه سارا ، وكأنه يتوقع غلظا
مداوما :

* المَعْرُوف : الثفر ، والارض الواسعة .

(١) الديوان : ٨٥

(٢) نفسه : ١٢٢ /

ولا سَيْرَ إِلَّا قَوْماً غَمَّ وَتَنَوَّفَ *
وَقَرَى سَحَابٍ يَهْدِي السُّبُورَ وَخَشَعَةً
يَهْدِي بِهِمُ النَّارُ يَشْتَرُونَ وَهَيْدَةً
يَرَاغُ - رَابِ التَّاجِ فِيهَا فَيَرْتَمِدُ
فَرَجُّ صَهْبِ الْكُرْفِ فِيهِ تَنْهَدُ
يَهْوِيهِ الرِّيحُ فِيهِ فَيَنْهَدُ (١)

وهو يسير بلغ به الشاعر مستحب منها عاليا ، فيه ايها * وتيسير وتنوفاً ، فالسحاب
يراع فيرتعد فرقا ، والنجيم يسهر عاتقا ، والريح تعيا فتنام ، ولأنها فائنا حديد ، تحسب
وتشمر بمنسها ونالتها أطرهاة النون وصمته الموعش ، لقد عرف الشاعر كيف ينفذ إلى غيال
قارته ، فيؤثر فيه ، ويشرده في الموقن الذي جسيه .

وتشير إلى الشاعر إلى الفيا في يصب في أعماقها ، ويستسلم في أحزانها لتأطلاته
ويستقر * الأبهة في صمتها الرهيب ، ستنها واسرارها :

وحيدا تبتدأ في الفيا فأجعلي
ولا بيار إلا من سقام مستقيم
وجوه المنايا في تنان النبايب *
ولا دار إلا في تقود الرثائب (٢)

وتد بتد أثر ما به ومدد * أبا الحسين بن الرين ، والي قرطبة ، فيجد به بقصدية يصور
في أحد ابائها المصافة التي تفصله عنه ، وانها شاسعة ومندوة ، يخفق فيها قلب السراب
شوقا وعذرا :

ولئن عذني منك نل تنوفا *
ويهللني أمد أسحابة باء بهلية ، فبحزن لذلك ، ويهتم ، ولكنه يذكر ضيقه ،
والساعة الديرة التي تحول دون وصوله إلى قبره ، فيعبر عن ذلك بقوله :

وكيف يشكون ساعة أشتني بها *
ودون التلامي نل تبتداء شلطي * (٤)

- | | |
|-------------------|--|
| (١) الديوان : ١٤٤ | * تنوفا : السفازة ، والأرض الراسعة البهيدة |
| (٢) نفسه : ٢١٥ | الألراف ، والفردة لا ما بها ولا أنجر |
| (٣) نفسه : ١٤٥ | وان كانت معشبة . |
| (٤) نفسه : ٢٢٦ | * الشيايب : يجمع غيب . وهو الليل الشديد |
| | السواد . |
| | * يهفو : يخفق ، السطى : القاع المنصف . |

كما يعلم من الحدوث خبر موت محمد ابن اخته ، فيرثه رثا سالوا ، ودون أن ينسب تصوير
الصفة التي تميزه عنه ، وصوتا بذلك أعجزه عن اللسان به في صبرائه التي دفن بها قاضيا :

ودونك الملاح من المائيج يفتي ومنبر من اليد أفيج * (١)

لقد أفادنا ابن مخنف بأن طبيعة ولته كانت فسيحة الرقة ، واسمها الأرباب ، يستند
سبحا إلى برحق يتلوه في أرواحها السراب ، ويثحر صالكها برغبة شديدة تتخلله من أعماله
وتأني به في هذا البيت على الأندلس في عصره ، وقد دأبها الخلوب ، وقلب لها الدهر
تغير الدهر ، فغايضه بمرثاة حق يحكر ، ولا تلاك تحرف الأمن والاستقرار حتى يورث أمتها
واستدارها إلى دومة من الفاق والاضطراب ، تفصت على الأندلسي هيشته ، ونزعة الغشوة
في قلبه ربحلته يرى الموت حارابين منه أفي سار وحيشا . عمل . وقد حالف التوفيق الشاعر
في ريفه ، فأثفتا بقلب السر الموصية ، السليقة بالبركة والسماة ، الصبرة إمرأها فـ
مباشر من نفسيته الدائمة القلقة ، العذرة العترة ، المترجسة من رهبة الكون ، وحول السحير
ولكن البرقة الفنية في تشبه بعض الأبيدة والتنازل معها لا تدو ويونس أكثر كما تهدو فـ
واسفه للجبل .

* الديوان :

لقد كان الشاعر محبا للطبيعة بلده ، بما في ذلك بهاها الشامدة ، فقد كان كشيرا
الغروب إليها ، وكأنه وجد في أرواحها النقية ، وحتمها الرريب ، وشباتها الرايح ، أفنسل
مدن بمشام فيه دنياه ، وتأملاند في النون والحياة فقد روى النجي أن الشاعر كان يهـ
من بزيته إلى الجبال القريبة منها ، فإذا صار بين جبلين نادى بأعلى صوتها إبراهيم

تموت ، يعني نفسه ، فيجبهه السموت ، ولا يزال كذلك حتى يغر منفسيا عليه (١) . وكان
 كثرة لهذه اللوات ان يحس الشاعر الجبل بقصيدتين ، ومنهما الكثير من تأملاته ونغاراته .
 والقصيدتان متفاوتتان من حيث الدلول وعلى الفكرة ؟ ففي الاولى وهي من ثمانية أبيات يصنف
 الشاعر الجبل بنفس محايدة ، يمثل كالأجرة لطبيعة جامدة ، وأما في الثانية ، فعلى العكس
 من الاولى ، نجد الشاعر يندمج في الجبل ، ويتفاعل معه ، ويحس به إحساسا عميقا ، فلذلك
 يبدأ الرسل بها ، فأمرا بالعركة مفعلا بالمشاعر والا حاصلا للانسانية الموصوفة بالطبيعة فنيضة
 رائدة . ولأن القصيدتين تعبيران مرحليان عن تجربة شعورية واحدة ، متطورة ، فمثلهما
 القصيدة الاولى الذائرة الدسية الابدية ، وعبرت الثانية عن تأملنا فذة متعمقة ، تتكشف
 الجبل من داخله ، النابير مودة وإحساسا لسلمه الباطن الباسي ، فالصورة الاولى التي
 رسمها الشاعر للجبل أتت ضمن المرحلتين مشهدا لبلبا مقفرا ، حيث السماء السماوية
 والنجوم المتلألئة ، والبدر الخمر ، في هذا الانوار اللوني الجبل بدا الجبل بشموه
 وسموته ، يلمح عنان السماء ، ينال نبوهمها ، ويتغذى من ثواب جزائها دائما ، ومع
 ذلك وقمر ، صامت ، فوق لثأته ثقيل سمع ، وقد أتبل بجمعه يسيخ الى نبوت ، رزين ، ثابت
 لا يستجيب لداعية البدر ، فيبقى مثلبا ، وقد لاذ به نسر السماء لعلوه ، وكأن له فيه وكرا
 ولكن الشاعر لا يستلين بهذه الذائرة الدسية ان يجر نور الجبل ، فلذلك يذرف عنه دمن
 ادراك حقيقي لسبب هذا السموت الرحيب الذي يملك اركان الجبل ، وأدوه جزا الشيوخ والغسنة
 وملايساتها ؟ أم كثر اعتراه فأراه نفسه ، وعجب من اتداد الآخرين ؟ اننا لنسرا ان الشاعر
 على الرغم من زائرتة السلمية المحايدة في وصفه هذا ، قد بدأ يشمر بنوع من التجاوب مع
 الجبل ، لما اسبغه عليه من سمات لها علاقة بصفاته النفسية الذاتية ، وخاصة منها تلك التي

(١) بنفحة الملتقى : ٢١٧ ، انظر ص : ٥٠ من هذا البحث

لها مدة بفترة شبيهة بوقتته ، وهو في هذا الوقت إنما يقف باب الجبل ، ليلح عالمه الداخلي
الربيب ، ربح قد صممه مداعة عصمة :

وتشعّ الذّبابُ فتدّ من النّعيم مرسل	تراعى من الليل المهيّج به فبُسر
وأشرف أطلّ الذّوابة سنامين	تنأى بالبحوزاء ليلاً له خصـ
وتورّ على مرّ الدّوالي كأنـ	بمين إلى تهور ، وفي آتية وتـ
تصعد منه كل ركن رقائصة	فكلّيب إرواقاً وقد ضمنت البـ
ولأنّ به نثر السماء كأنـ	يبرئ إلى زكّره ذلّ النـ
فلم أدبر من سميت له وسكنـ	أخرة سنّ وقرّت منه أم ليـ

(١)

وتتقدم بالشامو المن ، وتنزوه المصاب ، وتتأوشه الآلام من حين لآخر ، ويحس
بشبه الموت بهترب منه شيئاً فشيئاً ، بعد أن اعتدّ له ما به الواحد بعد الواحد ، وتتأفر
مرامل كثيرة لتتصّب هذا الأساس في اعطائه ، وشبه خروجه ، مرض ، أمداد دامية متوالية ، وحدة
موحدة ، ثقافة ذهنية ، زهد ، منون إلى الصّباح ، حب للحياة ، ركون إلى الطبيعة ،
ووقوف على صيرورة دارها ، كل هذه العوامل أسهمت ، ودرجات متفاوتة في تصميـ
احساسه بالزمن ، ثم بالموت الذي أخذ يترقبه بفرق شديد ، وتلقى مض ، أو بعد فـ
نفسه حاملة مرسية أطار إليها النّبي في روايته التي ذكرناها آنفاً ، راحل حاله النفسيـ
هاته هي التي كانت تلجّه إلى الابدية في أجوائها المصانعة ، إلى الفياقي والجـ

- (١) الديوان : ١٥٠ * طباح : مرتفع ، الذّوابة : من كل شيء * أعلاه
والأثر البهوزاء : ثلاث ذواكب بيض متتالية في صدر
البحوزاء عرضاً .
لوتر : بفتح الواو : ثقل في الأذن ، أو ذهاب
المسحّ له .

يحتوي على العديد من المميزات ، ومنها :
 - يتكون في باطنه من صخور رافق وانحلالها ، وقد بدأها بمقد مقلها اساس الزمن وولادة
 الحياة ، فهو يتركز في الارض ، وتلعبه للمسافات الشاسعة على راحته التي جعلته لسرعتها
 وانتهى بطلان انه يحتل الرياح ، وما ظهر في المشرق في وجد نفسه في المخابر ، وانفسه
 بذلك ، يعني نفسه ، فذلي بالمشرق في طفولته وشبابه ، وبالمخابر عن شهوره وقرب
 نهايته :

يَتَبَيَّنُ هَلْ تَدْرِي أَهْوَجَ الْجَنَائِدُ*
 نَحْنُ لَدَيْكَ فِي أَرَايِ الْمَشَارِقِ وَنَحْنُ
 تَحْتُ بِرَحْلِي أَمْ طُهُورُ النَّجَائِدِ
 فَأُشْرَفْتُ حَتَّى جُهِتْ أُخْرَى الْمَخَارِبِ (١)

شبهت عدداً من جوارحه التي تطعم غياضها وحيدا ، لا يجار له غير ، ساهمه ، ولا دار له
 غير رحله ، ويرى عليه امل بهيم طوي : ثقل الرطابة ، ولكنه ساعد برهيقه وجمته طوي
 التامل ، وشبهت رضم قناع الصفيح عن ربه الشية ، وحقبة الحياة ، فيتم اوجشة قاتلة ، لا أنس
 فيها بغير الا ماني ، ولا تسلل فيها بغير الا مال :

وَعِبْدٌ أَتَاهَا تَدَانِي الشَّيَافِي فَأَبْتَلِي
 وَلَا جَارَ إِلَّا مِنْ حُسَامٍ مَبْتَلِي*
 وَلَا أُتْرَا إِلَّا أَنْ أَمَّا حَلَّةً سَاسَةً
 بَلِيلٌ إِذَا مَا تَلْتُ غَدَ بَادَ فَاثْقَلِي
 سَحَبَتْ الدَّيَاجِي فِيهِ سُودَ ذَوَائِي
 نَحَرْتُ جَهَنَّمَ اللَّيْلَ مِنْ شَمْعٍ أُطْلِي
 رَأَيْتُ بِهِ يَوْمًا مِنَ الْغُبْرِ أَفْشَا
 وَجوه الخنايا في قناع المنيها هيب*
 ولا دار إلا في قنود الترائب
 شهور الأمان في وجوه الترائب
 تدفأ عن رطل من التني كاذب
 لأعثن الأمان بين ترائب
 تطلق ومناجح الناحك قاطب
 تأمل عن نجم توتد قاطب (٢)

بهذه المقدمة المقدمة بالمشاعر ، المامرة بالمعاني والصور يلمق الشاعر باب الدبل ،
 نيتا به مخاطبة الصديق لمدته ، ويسر إليه أسرار السبيل المعبد ، وتقد قلند تبار - ارضه
 الشاعر بالحب قد مرت به مرحلتين شتوت :

(١) الديوان : ٤١٥
 (٢) نفسه : ٢١٥ - ٢١٦
 الخنايب : جمع جنوب : ربح تخالف ربح الشمال في
 منها .
 الفيهيب : الليل الحالك . المعسا ، السم : التالع
 القنود : غشب الرعل .

الاولى تتمثل في نازته الساحلية المحايدة ، وهي نظرة لم تخوله معرفة حقيقة الجبل ، وادراك
كنهه ، والثانية ، وهي نظرة الذرة الاولى ، وفي تفاسيلها المادية ، ولكنها تختلف عنها من حيث
مقاسها وشمولها ؛ فهو هذا يدرر وصفه المادي السابق للجبل ، ولكنه يعدل عنه ، بحيث يتماشى
ونظرة الجديلة الى هذه الذرة الطبيعية العظيمة ، فجبله ثلثة : عظيم ، ثابت ، راسخ
يحند عوضا واولا ، عتيق انه ليجال عنان السط ، ويزاحم الشهب في عليائها ، ويسد مهيب
الرياح ناري يترب لها منقدا ، قد لاش على رأسه من سود الغمام عاتم ، واتخذ من وميض
البرق الاحمر نواصب ، وفي صورة بعيلة فيها ابها ، وتشخيص هذا من حيث صفاته الحادية
وأما من حيث صفاته النفسية ، فهو أيضا وقور ، صامت ، ولكن لا عن كثر أو كثرة ، وإنما لأنه
يتأمل ، يفكر ، فيما يحل براه من ذكريات ، وما مر به من أحداث . والشعر بهذا التعلييل
يجيب على تساؤله الذي يحتم به قصده الاولى ، وفي خلوة ايجابية مكنته من أن يتخطى
حاجز الحس ، ليتعامل مع الجبل تعامل شعوريا على نحو أعني . ان الجبل ، تلك الصخور
البلدا ، البادية ، العاصفة ، العرس ، ينزل ، يرتعد ، الى الشاعر ويحاو به ، ويغني ليه
في السيادة ، ذات الدم ، وفي نبرات مزنة ، مشجبة ، قدم لجأ اليه من فائت فار من
القياس ، وتربيد في المذمومة وأما ، وكم من تائب ضيق وجد في صمته وسكونه لذو المباداة
وعلاوة المناجاة ، فأقام به سكن ، وكم مر به من ذاهبوا بيب ، وكم قال بظله من راجل وراكب
ردم لا استقر اليه ، وذا لسته الأمواج ، فذبح الدل ، وفي عو وحيدا ، ثقله السسرة
يهدد العزن ، قد انقلبت افراعه مآتم ، وضحاته بداءمرا ، وصار خفق أبه ربهفات أنماح
زقها السنين ، وتحول غنا ، البار الى نوايح ونوايح وعيون بندب ذهاب الأبهة وفسقراق
الاصحاب :

يَكَاوِلُ أَعْنَانَ السَّطْرِ يَفَارِبُ*
ويزعم ليل شهبه بالمناصب
لوان الليالي مارت في المواقب

وَأَرْعَنُ أَلْهَامَ الذَّوْمَةِ بِمَازِنِ*
يمد صهب الرين من دل وبعبة
وتقوى على شاهر الفرة كَأَنَّهُ

لها من وصف البرق عثرنا وأصيب
فحدثني ليل السون بالعجائب
ومولين أراء تهتل تائب
وقال بئالي من مليء دراكييب
وزاحهم من غمر البشار جوانيب
ونارت بهرين الذود والنوائيب
ولا نوق ورق غير صرخة نعال ب
نزفند موي في فراغ الأصاحيب (١)

يلوث قلبه الذئير سود عايب
أحدث إليه رءو وأعبر صايب
وقال آلا ثم دنت ملجأ فاتيبيك
وكم مريب من قدي وموؤب
ولا آلمن نكمر الرباع معا لفس
فما أن آلا أن ليرثهم يد الردي
فما غنى أيدي غير رقيقة أغلج
وما غنى السلوان دمي وانما

شبهت أرباب الميراث المشهورين إلى اعسار بالزمن ، وتجرى وأنهم يملكون العمر ، وتقتل السبعة
يمل من الحثام ويهتول الموت ، إلى الفناء ، وقال في البقاء ، وتدرسل السحاب
يحدث منهم أحوال ، وإلى متى يدعى ساهرا يراغب مطالع النجوم ومفاريها ، أنه لم تعد له
في البقاء ، انهيت إلى اللقاء ، وهي غاية تذكره بالله الرحيم الودود ، وغالب الكون
دبر الحماة ، ففتن إلى ضوامة مؤمن من مخلص متشوق إلى لقائه :

أوتج منه راحلا غير آيب
فمن لالغ أشعر الليلي وغارب
يهد إلى نمل راحة راغيب (٢)

فعدتي متى أبهى وتلقت عايب
وحدي متى أرض الخراكب ساهرا
فرحها يا مولاي دعوة ضار

وهنا ينتهي الشاعر من رحلته التأطية التي جعل الجبل مسرحا لها ، ويخلص إلى
الإنابة التي توضحها من هذا الحوار المتع ، وهي استغلاي المبرة ، فيقتصر لنص الجبل
وينتقل بوعظه ، ويودعه وهو أتموم مزجة ، وأجلد نفاعلى مواجهة شعب الموت الذي أقبل مضجعه

* الارعن : الجبل الشد التتو
البانخ : السالي ، الغارب : الدليل ، أو من كل
كل شيء أعلاه ،
غالي الماء : قل وثمنه

(١) الديوان : ٢١١ - ٢١٧

(٢) نفسه : ٢١٧

ونفس عليه حياته : (١)

فَأَسْمَعَنِي مِنْ رَغْظِهِ كُلِّ عِشْرَةٍ
فَسَلَّى بِمَا أُبْكِي وَسَرَى بِمَا شَجَا
وَقَلَّدَتْ قَدِ نَكَبْتُ عَنْهُ لِيُطَهِّرَ

بِتَرْجُمَاتِهِ لِهَيْبَانُ التَّجَارِبِ
وَكَانَ تَبْنِي لِهَيْبَانُ الشَّرَى خَيْرَ مَا حَبِ
سَلَامٌ فَإِنَّا مِنْ حَقِيمٍ وَذَاهِبٍ سَبَبِ (٢)

والقصيدة ذاتها لحظ عمل فني ، وجهد ابداعي متميز ، فيه من عمق الفكر بقدر ما فيه من روعة الفن ، ووجود التوسيع وتسلط الخيال . وهي محاولة فريدة في نوعها لا نجد لها نظيرا يمارعها في مجالها ووعيتها في شعرنا العربي القديم . بل ، وحق تلك المقارنة التي تدفعنا الى الصحنون في مناجاة . بل التواجد لا تكاد تعد إذا ما وزناها بقصيدة ابن خفاجة . التسلسل البناء ، ولا نخفي ، لنا شكنا في رأي الدكتور شوقي ضيف البازم بأن الشاعر قد اطلع على هذه الحقلوعة واستمد منها منظومته في الجبل (٣) ، فليد لدينا من الاخبار والادلة ما يدفعنا الى الجزم بذلك ، بل الكثير مما لدينا منها عن حياة الشاعر يدفع الى التلن بانها شرة ناضجة من ثمرات خلواته ، وتأملاته في احضان البيعة التي احبها من كل قلبه .

والقصيدة ، ومع هذا العرض الموجز لما جاء فيها من صور وأفكار ، تعد ترجمة حقيقية لافكار الشاعر وتأملاته ونظراته الى الحياة ، وهو ما لا حظ له الدكتور احسان عباس وشار اليه بقوله : " ونرى أن انسانية الجبل تتزايد تدريجا في القصيدة ، فانه هو يمثل صورة اخرى من وثقة الشاعر نفسه ، أو هو الشاعر نفسه ، وهو لا يحبر من أبول الصود ولذة الدلود وانما يصبر عن استئثاله للحياة ، ووحده بهد ذهاب اخوانه ، وكان بذلك يمسح عن " قيمة الموت " أي يهون وتضيق على نفسه التي تغرق من الموت وتحاول الهرب من شبحه المخيف (٤) .

(١) تاريخ الادب الاندلسي ، عصر المرابطون والموحدين : ٢١٠

(٢) الديوان : ٢١٧ .

(٣) الفن ومذاهبه في الشعر : ٤٤٧ - ٤٤٨

(٤) تاريخ الادب الاندلسي ، عصر المرابطون والموحدين : ٢١٠ - ٢١١

الفصل الخامس

في المراكب

لا داعي هنا لأن نسرود كل ما أورده الجغرافيون من أخبار عن البحيرة شرق الأندلس المائية ، لأننا ذكرنا منها الكثير في مقدمة هذا الباب (١) ، ولكننا نرب أنه من الضروري التوثيق عند بعض الجزئيات فيها لعل تشها بموضوع هذا الفصل ، فقد ذكرت تلذ الماد ر أن كل من بلنسية ومرسية قد بنيتا في مستو من الأرض ، وأن كلا منهما واقعة على نهر جاري ينتفخ به ، وهذا يعني كثرة البساتين كما يعني تدفق المياه خلالها على شكل سوان متفرعة تخرج من سهلها المخفضة في مزارق مهيبة . كما ذكرت أن السفن كانت تدخل نهر بلنسية وأنه كان يجاز إلى مرسية على قنطرة مصنوعة من المراكب ، تنتقل من موضع إلى موضع ، وهذا يعني أن كلا النهرين كان فسيحا ، وعميقا ، وإذا انخفضا إلى الاتساع والصفى الاستواء اكتسبت لدينا سرورة النشال الذي كانت تشهده لطلب الأنهار ، فهي إلى جانب كونها مجالا مساعدا للنشال الاقتصادي بأنواعه ، كانت مكانا مناسباً للقيام برحلات تنهرية رائدة .

وقد أشارت تلك الماد رأينا إلى وجود أرماء ونواهير مقامة على نيفات تلك الأنهار وفي افاد فاعلمة الدلالة اقتصاديا وبماليا ، وما ذكرت من جزيرة شقر أنها كثيرة الأنهار وأن واديهما يحيل بها ، وأنه يجاز إليها في الشتاء على المراكب ، وفي الصيف على مضامير ، وهذا الوجه يبرهن لنا بأمرين ، أولهما : مدعية النهر لمرور المراكب والزوارق ما يبدل على اتساعه وعمقه ، وثانيهما : أن النهر لم يكن يستقطب بنفس القدار من المياه طقساوال السنة ، فكانت مياهه تفيض شتاء ، وتقل صيفا ، وهذا يعني أن الأمطار كانت تستقطب

(١) راجع الصفحات : ١١٨ - ١٢٢

أكثر ما تصعد في فصل الشتاء ، فترى لذلك مياه الأنهار حتى أنها قد تتحول إلى سيول لا تثبت أطماسها الموانع التي كانت تقام كجسور للصخور عليها ، وأما فصل الصيف ، فقد كانت ترتفع فيه الحرارة نسبياً ، وقد تشتد أحيانا ، إلى حد نجد الشاعر فيهمض الآل ، ويكثر من ذكر الليل ونداوتها ، والمياه يهردها ، ولم يكن ابن خنقانة وعدي بن هـ - هذه الجزيرة لم يصر بمسجل عن نهريها الجميل ، وسراعتها الرقراقة المندبة ، ولم يكن وهو ابن شبه الجزيرة الأندلس ، ليخلص عنه من التمتع بمنار المد والبحر على رمال الشاطئ الذي بهبه ، أو منظر الأمواج وهي تتدافع حتى ترتطم بصخور الجبال الراسية في مشهد جميل ومشعر بالرهبة والنفوس في آن . لقد أحمر ابن خنقانة بكل ذلك ، وكان كثيرا ما يجد راءته ، وأما نبهته في تلك مياه النهر أو الساتية وهي تنساب رقراقة أمامه ، يشهد بذلك صوم شعره ، لما تشير إليه رواية صاحب المصرب من أن الشاعر ذكر أن نسبة لا عدد من مقارنته الشجرية أنه " ذهب يرمي يريده باب السمار بهر يشالبه ، ابتغاء الخربة على جربة نال ذلك الماء بثلث الساتية " (١) .

لقد نشأ الشاعر بالماء كطفلين بكل ما شاعده عنه في طبيعة بلده من الروائع والنباتات فلذلك تجده يلجأ بذكره في شعره ، كصورة غصن مشهد يسره ، أو في سياق التشبيه والاستعارة كغصن أفراخ أمهر ، أو كموطن يستل بهما ، وبالوصف في ذاته ، في صورة نهري ضباب ، أو سيل بجارفاً وبسر هائج .

✻ النهر :

إن السال على نهريان ابن خنقانة ، حتى وإن لم يكن على رواية بحياته ويقتضيه يدر أنه ابن بيئة كثيرة المياه لما في شعره من إشارات إلى الطبيعة المائية ، وأوصاف

(١) الدار ب : ١١٢ . انظر الديوان : ٣٥٧

دقيقة فيها تنم عن مدحها ومعاينة . لقد كان ابن قفاجة وثيق الصلة بها في البيعة
بلده من أنهار وصور وسواها ، ويومها في ساعات حزنه وفرحه ، وانتباهه وانسراحه ، فيجد
في متاعها وانسياقها راحته وتمتته ، فلذلك ذكره لها ، وتعددت أوصافه فيها ، لا يكاد
يخلو مشهد من المشاهد التي رسمها لطيبتها الفناء من سريرة أو أكثر من سريرة في
أشكاله المختلفة ، مما تميزت أم نهر أم بحر ، في حالتها العادية الهادئة ، الموهيية
بالأرب والشفقة ، أو في حالتها الغاضبة الهادرة المثيرة للربح والهلع ، ولكن ابن قفاجة
بالأشياء أكثر من غيرها ، وتستبهره أجواءها اللطيفة ، فينبذ بها إليها مستمتعا ، ويصفها
ومقابل على فتنة بصرية ، ولكنه يذكر في الكثير من تفاصيله أعاسير الشاعر وصوله العادية ،
فهو يدعوا إلى المن والارب في جو الأبيحة البدن ، تلك الطبيعة التي يمثل الماء
السلسال مدرا أساسا فيها :

وَحَالَهُ الْفُضْنُ حَتَّى اضْطَرَبَ
رَلِيْبٍ وَمَا هَذَا انْقَسَابٌ* (١)

أَلَا أَفْضَى الدَّائِرِ حَتَّى غَطَّيْتُ
فَيْلَ الرِّبَا بَيْنَ نَالِ هُفَا

والنهر وقد انكست أشجار ضفتيه بالأنور ، وانسابت مياهه صافية رقراقة ، يهزق الشاعر
صوتي إليه بهذه الصور العادية :
وقد ارتدى غمض النفا وتلذذت
فحللت عيث الماء صفية ضاحكة
ويحمد الشاعر رسم نفس المشهد تنويرها في موضع آخر مع دلالة أكثر على الانسحاب والماء :

حَلَى الْعَبَابِ مَطْلَبُ الْأَنْهَارِ
جَذَلِ وَحَيْثُ الشَّدِيدُ عَدَايِرُ (٢)

وَقَدْ ارْتَدَى غَمُضُ النَّفَا وَتَلَذَّذَتْ
فَحَلَلْتُ عَيْثُ الْمَاءِ صَفِيَّةً ضَاحِكَةً

* انشعب الماء : سال

(١) الديوان : ٦٨

(٢) نفسه : ٣٣٦

وَلَوْ أَلْهَيْتُ بِمَنَافِعِ مُتَرَنِّمٍ لَشِئْتُ سَوَالِفَهَا شَعْرًا أَمْسَاجَ (١)

يهدى هذا الخليج نمنن المشهد اللطيف الذي يطلع عليه الشاعر صفات المرأة ، وهذا برسر من معالياته صورة المرأة التي تهفو اليها نفسه ، ويعد اليها قلبه :

وَالذُّفْرُ عَيْدٌ وَالْخَصُونُ سَوَالِيفٌ وَالرَّيْنُ زَنْدٌ وَالْخَلِيجُ سَيَّارٌ
رَتَمَ الْفَسِيحُ بِهَا وَتَدَّ شَرِبَابُ الثَّرْنِ وَشَدَا الْعَطَامُ وَشَقَّى الْقَتَارُ (٢)

كما أن الشبيبة وتد حث بها بدول الماء ، وتوحى الى الشاعر بصورة امرأة حسنة مزينة الذر :

حَقَّتْ بِدِ وَحَتَهَا مَبْرَةٌ جَسَدٌ وَلِ حَقَّتْ عَلَيْهِ نَجْوَتُهَا الْأَرْسَارُ
فَلَأَنَهَا وَلَأَنَّ بَدْوً مَاءً مَسْكَ حَسَنًا شَدَّ بِخَصْرِهَا زَنْبَارُ (٣)

وتثيرا عند الشاعر مجال أنسه في جو اللطيفة ، حيث النمل الندي ، والمسا الصافي ، والتلألأ الشادي ، والذمر الفراح ، ويملأ له الشام في ابوابها ، كما يلعب اليه التمني بمحاسنها ومطامنها في كلمات تفيض رقعة لافعة وعرة :

وَالنُّفُورُ الرُّتُّ تَدُّ تَنْدَ دَامِجٌ وَالنَّاسُ مَيْتُهُمْ يَرُونَ مَيْتَيْهِ (٤)
ويصف يوم أنسه ومناطها بالحرنة والسياسة فيقول :

عَثَرْتُ بِذَهْلٍ الشُّكْرِ فِيهِ عَشِيَّةٌ وَلِلرَّيْنِ فِي مَوْنِ الْخَلِيجِ عِشَارُ (٥)

ومو يور قد تجتم في العمر بلزنها الا شقر ، والبدول بمائه الصافي الشفاف ، وفيها لها الشاعر فرسي رمان يتباريان :

وَتَدَّ جَالٌ مِنْ نَأَى السَّلَافَةِ أَشَقَرٌ بِسَائِقِهِ مِنْ بَدْوَلِ الْمَاءِ أَشْهَبُ (٦)

(١) الديوان : ٢٨٢

(٢) نفسه : ١٨١

(٣) نفسه : ٣٥١

(٤) نفسه : ٢٥٤

(٥) نفسه : ٢٨٥

(٦) نفسه : ٣٠١

وقد يمر بالنهر في سقائه وروحه ، وقد انجذب الغلمان اليه يسبحون ويمرحون ، فيستوقه
السندار ، ورفته بجباله ، وفي سورة تيسر يهمل عليه فرمته ، وبشره وحبوره :
فكرعت من ماء الصبا في منهل
في بيت الربى الرغاء تنفس
قد رن عنه من القمص سكراب
أن ولقاء القرات عذاب

.....

ولترب غرض ، الجسم مرفوضه
ولقد أنعت بشا لقيه بهزئي
وعرت ديكته بضاحتي بها
ولشيرا ما كان الشاعر يضي نور أنسه على ظهر زورن ينقل به هنا وهناك على صفحة نهر
جزيرته الجميل فيستسلم لأنسه ولا حلامه ، ولكن الريح يهبها القوي المفاجئ ، قد تمكر
عليه سفل لحذاء أنسه ، أو توتناه من غفلته ، فينتبه الى هذا فاللهرة اللهبية المتعرجة ، وبسفلها
وسفا لا يدخل بها فيها من حرقة وسما :
أعالي تاليا الأبرار فتيمة
ونيل رداء النسيم يهتف والصبا
يا أير بها فيه شراع كأنه
وقد الشاعر على قد اربعة لابي محمد بن سارة الشنتريني ، يصف فيها نزهة ليلية
اسماها في نهر اشيلية فيصحب بها ومارضها بمطلوعة يصف فيها نذر المشهد ولكن في البهجة
جزيرته فيذكر الدنيا ، ويصور الزورن في تهادبه على صفحة الماء تدافعه رياح لطيفة
تأيند الى الماء وقد انكسرت الى رآته الدافئة نجوا النساء فيخالها غرقى ولكن في هال
يزداد بها النهر الجهد :
الا يا سيدنا انجيت القمص
وأدبر من بياض الماء نهك
اذا بدت الكواكب فيه غرقى
وجو النهر في طيبه ، وهدوئه قد ياون باعنا للشاعر على رنوب منه ليقيم وصعبه برحلية
سيد متعة ، فيمدون لزمردته ، ويخرجون في الوتت المناسب فمن نسيم طيل الى صفحة
للماء طسا ، الى أشعة الشمس صفراء لطيفة ، زاد نال المشهد بها وروعة ، وابن خفاجة فسي

* الماء الفرات : العذب

(١) الديوان : ٣٢٧

(٢) نفسه : ٢١٠

(٣) نفسه : ٣١٧

جلته هذه لا تهمه عطية الصيد المستمعة ، بقدر ما يهجه جوال الطبيعة في عموه ، ووجهه
لا يصل على الدجوس فيمنس الصيد ، وينصرف بجمعه الى الطبيعة ، يمتنع مناظرهما بهرشة
الفنان ، يرسم لها الصورة تلوا البصرة لا يمل ولا يمل ، يستلهم في ذلك ثقافة الشعرية
رواقع بيئته المائل أمامه :

وراحة ريتا تهادت بها الشبا
وقد سقلت من سقاية الماء متصلاً*
فمن شبا قد حيت حوتها مفاضة*
وقد نارت شمس الأصيل إلى الرها
وصفرة سواك الأصيل تروني

تهاديت ريتا عذبة الشرف الشفيع
به من شبا الشمر ريتا جودت
ومن سبت قد صبت صبتا بهن
بأصمت من كرفا المربي وأقتر
على كرفا من سبت الشمر أسير (١)

وند يكون الشاعر زينا ، مناديا فيمنس إلى جوال الطبيعة ، ويقتل على الذهر ، وتهد
ترتقت مباحه ، وانسابت في لربها ، تتنثر بالهمن ، منها ، محدثة صوتا يستلهم له السمع
فيشمر من التراب ، وبداول اشراكه فيها من به في أعاءته من الأم ، ولكنك لا
يذهب إلى أكثر من أن يكون في سقا مائه صفا ، سريره ، وحسن بيئته ، وفي جودته وحركته
جرب د موه واضاراب جوانحه :

أستقي من سبت أوزي صبا
يسيل فيحليني سقا سريرة

ومرتج من سبت أوزي سبت
وبرتي د موع واضاراب جوانحي (٢)

ومشهد الطبيعة ، يمسكها الصغر ، ونميرها الصافي السلسال ، وقد انعدست عليه اشعة
شمس الغروب ، فزادته جمالا إلى جماله ، يفتن الشاعر ، فيكف أمامه متأمل ، ومثلها ، ومنتهي
من تأمله وتطليه ، يرسم هذه الصورة المتكئة في تشبهاتها على ما في واقع بيئته من ظواهر
ومنايات ، فالبحر المحشية تحكي الخد المذر ، وشمس الأصيل ترنو بخلف دحيل ، وأما النهر

* المثل : السيب ، المفاضة : الدرع الواسعة
اللمر : لون الشفافة ، لا تتغير إلى السواد قليلا .

(١) الديوان : ٣٧٧

(٢) نفسه : ٢٧١

وقد عكست مبادئه الصافية في الشعر الحضر وفيه من سحره صفة

قلرات من ١٤٥ :

وقد غشيت انبت بالحاء
وقد ريت الشمر مستش
ان سنا على نهرة

كهد والميدار بهد أسهل
الى الغرب كزوا بطرف كسل
بقايا تخرج بسيفه صفير (١)

وفي غمرة الشؤون الى الوطن ، والدموع الى مراحب الصبا ، لم يكن الشاعر ينسى نهـر
لغفر ، والدارك والسرافي المتفرعا طه : وكيف ينساها ، وكانت تنسى أنسه ، ومولن ، خلواته
لوسات بميلة ارتسمت عليها ذراته في سرحة شبابه النض ، لقد من الهادئ الى كل
شيء في وانه ، بل ، ونب لا يرتحل بها ولم ين بذكرها وهو الجنان المحب لارضه الماهر
على احياها ، وعرة الماء بالارض لحلاقة الروح بالجسد لا حياة لهبد ونها :

واقي وان بيت المشيب لمولج
فيا مبدأ ما بمشعر الليون

بكرة نل قون وجهه غدير
وما اهتر من أيت عليه طيسر (٢)

وقد يسمن أو يرب شيئا في اللبحة ، يذكره بولنه ، مولن ذرياته الى لوة ، فاذ ابتلنا
الذريات تتلاحق وتتدافع ، ويستدعي بعضها بعضا ، يفصح عنها الشاعر في أبيات رقيقة
تفيل لهذه وحنينا :

فأذكرنا ليلة بالليون
وما هواد في الغضا سلسلا

وعهدا لبحر الضحا أحرها
ومرتبما باليمى مشبها

ومن جملة ما يحن اليه الشاعر ، بل وحنانه كذلك ، نهـر بلده الذي يملك في صفائه
شعر السبيب ، وفي صفائه المشجرا خضرا عذاره ؛
ونهرا كما ابي المنهل سلسلا
ويجوزها الخمر اليزار ميسيا (٤)

* النجمن : دم يشرب الى السواد ، وترنو : تذكري

(١) الدهران : ٢٧٨

(٢) نفسه : ١٨١

(٣) نفسه : ١١٦

(٤) نفسه : ١١٢

ولكن هذه الصور المائية ، الموزعة هنا وهناك في تماثيد ومقلعات شعره ، قد تبتلى في مشهد طبي للنهر رسمة الشاعر متبها فيه اجزاءه ومراحله ، وأشكاله وحالاته ، مستنبدا في ذلك ما في ذاكرته من صورها . يوله من طرائع الطبيعة وألوانها وأصباغها . وهو في رسمة بعضه بالانوار المادي ، فالتشبيهات حسية ، والتصور مادي . يملأ العين بما فيه من ألوان وصيا ، وتستريح الأذن لموسيقا كلماته المنقاة ، ولكن لا مشاركة للروح فيه من قريب أو بعيد :

لله نهر سأل في المصباح	أشهى زود آمن لى السند
متعلق من السوار كأنه	والزمن يثقله مجر سسا
قد رى حتى لن قوسا مفرغا	من فتحة في برد خضراء
وغدت تمت به النجوم كأنها	هذب تحف بمنقلة زرقاء
ولهما عا آتت فيه مدامنة	سفراء تغيب أبدي الفد صا
والريح تقبض بالأنفوس وقد جرت	ذعبا لأصيل على لجين الماء (١)

ونلاحظ في هذا الوصف شيئا جديدا ، لم نعهده من قبل يتضمنه البيت الاول ، فليس الحسناء التي لما تلمع عليها الشاعر ، مشبها بمضامينات الطبيعة بها أو العكس نجد ما هنا تنقذ من مرتبة ما النهر في عذوبته وحلاوته ، فالنهر أشهى منها وزودا . كما يذلل من بيئته عند ما يشبه النهر في البيت الرابع ، في زرقته ، وقد غدت به النصوصون بالمقلة الزرقاء .

ولدى هذه الظاهرة الدائرية الرائعة ، ظاهرة الماء المنساب ، والنهر السلسال ، الممتد للذئير ، الضعيف للروح ، قد يتحول شتاء الى سيل مدمر ، وتياراته يجر ما يجده في أركانه من مراتب رمانات فينسى ظاهرا مرمية مشرفة ، تهدد بالدمار ، بعد أن كان ظاهرة جميلة ، ممتعة مؤنسة ، تجذب بالاناس إليها باجوائها النديسة ، وما فيها الباردة

السندية ، وابن سابة ، ورواهن النهر الذي يأمون بلدته ، عاثر هذه الأماجرة ، في مختلف
ألوانها ، ولكن شاعله سبها لا يجدوا تشابهه عنه ، بل ، وقد يلهيه التشبيه الداسي عن
نقد ما تراه عنه كما هو ، فباتت وصفه لها عادية ، ولأنه لم ير شاعرا فنانا ، حيث ما لا يراه النسر
ويحرمه بالاعسون .

* السيل :

الأماجر أن الجزيرة كانت تشهد هذه الأماجرة مرة كل سنة على سبيل التذكير ، تؤكد
ذلك ملاحظتا الشاعر اللتان وصف في احداثهما السيل الذي اجتال الجزيرة في سنة
(٤٨٠ هـ) ، ووصف في الثانية نفس الأماجرة في سنة (٤٨١ هـ) ، مما يدل على أن موسلا
شرف الاندلس كانت تتعرض لا ما ازغخرة قد تليق مدتها الى ان تتحول الى سيول هارفة
تغرب الزروع وتبدم الديار ، وابن سابة جرت على هذا المشهد ، ويرتبه من تشب ، فارتفاع
به تشب ، ولا يجزيه بمشاعره وأفكاره ، فيصوره ، بالتالي ، تصويرا بالاعمة قوة وعمتا ، وانما
يصفه ويغاسلها ، يلبأ فيه الى تشبيهات حسية يستمد بها من واقعه الا بتعاطي والد يميني
قد يذكره تبارك الديار ، وشراب الحمران ، تحت ولأة المار ، وعدمه السيل ، الا بهيئة
الردح والسجود ، او بوسعية انحاء الرفوف في سبالر البلوت :

أَلَا كَمْ يَنْزَاتِي * أَلَمْ يَكُنْ
فَأَمْزُوتُ تَجِيْرُ ، نَابَ الْيَمِيْنُ
وَمَالَتْ لَأَنَّ عَلَيْهَا سِدْرَةٌ

وَجَدَ انْقِطَاعَ سَحَابٍ تَبْشُرُونَ
لَمَّا تَتَلَقَّى الطُّرُقُ الرُّنُونُ
فِيصْفَى رَدْحٌ وَهَدَى شُبْرُونُ (١)

ويجود الى بلده من سفر يساهتون قال لال ، وهما في عودته نزول المار ، فيسار
في الدليل للجان بداره ، فمأن يتجرب منها حتى يلفيها أنفاسا ، فمأن ياترى بهيون
موقفه ؟ إنه لموقف يحترقه قلب الانسان الحادي ، فليكن يثلب الشاعر الداسر ، ولكن

* الاتي : السيل .

(١) الديوان : ٢٠٨

لا تعجب اذا سمع صبرودا اقتلحها من جوه الشتوي ، ووقف سطحي رتيب لا يتمسك الموت ، ويترقب ان بدون دعاية تثير الضحك ، اكثر منه دابة او حشرة ، تستدر التماسف وتدفع الى المشاركة الوجدانية :

أما وسيل سائل الخبيث بالشعر	هو ثم قرأ اذا عثر السائر بالشعر
وقد غمر القيمان ماء من نذل	كما أثر السائق الزجاجة بالشعر
لقد أثبت بين الرعب والقار أشكبي	بسمعي من وقتر وظهري من وقتر *
وما أنا بلزل الناج من القبيح	يصوب وقد غمر الفراخ من الوكر
هدار سقشاد يعة إثر ديمية	فحالت الجدران سائرا على سكر
فيم عارغي يسي في من سقشاد مجلي	نخني ومن بيت يميل من اسكر
اذا ما ودي ركن فأموت فانتني	لأشجن من الغنسا تيدي على سكر (١)

البحر :

وعلى العكس من السيل فان البحر يمتلئ بحناية ابر من الشاعر ، فقد أكثر من ذكر البحر في غرضي المدح والرمز ، مستميرا أو مشبها ، كما وصفه ذلك أدرة طيمنية ، تبعث اربعاب والهلج في التلويح بما واجهها المتلاحة ، واعماقها السميكة وللماتها الكثيفة ، والشاعر كما يلهو من مقطعاته لهر من معني البحر ، ولا معبر يرمون في ركوبه او سارعة امواج — فهو يخافه ويرهبه ، فلا يرد به الا منادرا ، بل يهجو به ويحمد في ارتداده ، فهو قد خسر به ونال لجهته ، فله يد فيه ما يلب ، فلهر فيه يبرئف ، وفاقه من زفج قليل ، بعد المنال صنفون بالصغار والأحوال :

يا ما يبح البحر وهو يجهل	مهلا فاني قد تميرته علما
فأئده مثل قعره بقددا	ورزقه منق ما به الصمتا (٢)

ولكن هذا الموت الزاهد الصفر من البحر ، لم يجعل د رن رسم الشاعر لبحر المشاهد في عرس البحر أو في شاطئه ، بسد من خلد بما خافه ، وتلقه ، وشرقه من الموت . فهو

(١) الديوان : ٣٠٧ - ٣٠٨ : * التفر : هل في الاذن أو زجاجة السمح
(٢) نفسه : ٣٤١ : الوثر : الحمل الثقيل ، الحيا : المألز

إذا وجد نفسه في عرض البحر ، حيث تمتزج زرقاء السماء بزرقاء الماء ، يلتفت بمحنة وبسرة فلا يرى إلا الماء يمتد أمامه في الأفق ، يهدأ تارة ، فتساب به السفينة على متنه ، وقد ساعدتها الربى ، لأنها تلير بجناحين ، وبهمج أعرج ، فيرفى وزيد ، وتضطرب أحشائه ، وتعلو أمواجه في وضع لا تقوى سفينته على مقاومته ، فتثقل ، وتترجح ، وتعلو وتهبط ، مما يبعث في نفسه القلق والاضطراب ، فيحس بدنو أجله ، ويتخيل الموت شيئا مرعبا يريد أن يتلمسه ؛ ويشهد به الموقف فيشعر بالتلاشي فيما حوله ، ولا يعود يفرق بين حركة المون وخفتان قلبه وانفاسه المتصاعدة ، وزفير الرياح :

وجارية ركبَتْ بها غلامًا	يطيرُ من الصَّبَاحِ به جَنَاحُ
إذا الماءُ المالحُ فَرَّقَ خَضْرَا	عَدَمَ من مَوجِهِ رَدًّا رِداحُ
وتد فَخْرَ الِيتَامِ ، ذَنابَ قَفاه	رَأَتْ لَاحِظَ جَهدِهِ الأَجَلَ التَّشَاغُ
فما أدري أَمِنْ أَمْ قَلْبُوبٍ	وَأَنفَاسَ تَصَعَّدُ أَمْ رَيتَ (١)

ولا ينسحق في هذا الموقف العصيب أن يعرب عما رسخ في أعطائه من حب للمرأة ، وتعلق بأوصافها المادية ، فيذكر الخصر ، والردف ، والفم والجيد والقلب ، وقد يذكره هول الموقف بالتمعالي ، فيحس ، بحضوره ، ويرى في الالتجاء إليه ، توبة وتضرعا ، خير مغفر وأعسى من خلاص :

نَحْنُ كُنَّا رَتَبْنَاهَا غُلَامًا	فيا لله أنا تائبون
فَأَقْرَبْنَا عَلَى الْمَرْغُوبِ هَنَامًا	فَإِنْ عَدْنَا فَإِنَّا غُلَامُونَ (٢)

واين شغافة ، وهو ابن الطبيعة الغضراء ، بجبالها وسهولها ، ووعبراتها ، كثيرًا ما يستولي عليه سبها ، فيخلع صفاتها على موصوفاته منها ، فهو هنا يقف أمام البحر ، يتأمل أمواجه وقد دبرتها الصبا ، فارتفعت وانسدلت واضلعت ، فيمثل لاضطرابها برجفة قلب عاشق زلها ن اقامه واقعه بعد سببه عنه ، ومنعت البحر بالخضرة ، ومنعت حركة مهنه وهسي تتابع البحر في تموجيه وانساليه بانها تتهم وتتجدد ، كما بصور لنا مركبه الذي همين ووضيحه عهاب البحر بأنه أدهم ، لا يرويه غير سوط واحد ، بجري له وزيد ، هو سوط الريح ، ولأنسي بالشاعر في هذا الوصف لم تطاوعه مغيلته في رسم هذا المشهد المائل أمامه ، فظل مشدودا ببصيرته الى ارضه ، بها فيها من طواهر مبهة وصامقة ، ينظر الى البحر من خلالها ، ومفقه

(١) الديوان : ١٣٨

(٢) نفسه : ٣٤٢

صافها :

وَأَخْتَرَعَبَّاي تَدْرِجُهُ الصَّـ
لَان فَوَادَا مِنْ جَنَهِ رَاجِعًا
سَأَزِدُ مِنْ طَهْرَادِهِمَ رِيَّيْنِ
فَتُتْهِم فِيهِ الْعَيْنُ طَوْرًا وَتُنْجِدُ
يَقُومُ بِهِ نَائِي الْعَيْبِ وَقُفْسُ
مَرُوعِ سَتُولِ الرَّبِّ يَجْرِي فَيُزِيدُ (١)

ويستعمل على الشاطئ * ، حيث يشهد من كثب - سرقة المد والجزر ، على الرمل الرطوب
دي ، أو على الصخور الصلدة ، محدثة صوتا ، ومخلفه "ها زيدا" أبيض يزيد المنظر
"دروعة" ، فلا يرى في اللجة وهي تقترب في حركة متموجة إلا قلبا يخفق عشقا ، أو يرتعد
"ها" ، بل ويغال نفسه فارسا واللجة المزددة فرسا أبلق ^{قريب} منه ليمتطي صهوته :

وَلَجَّةٌ تَفْرُقُ أَوْ تَعَشَّيْ
شَارِقُهَا وَهِيَ بِهَا هَاجِبُهَا
فَيُجِلَّتْنِي فِي شَرَاهَا فَارِسًا
فَمَا تَنِي أَحْشَاؤُهَا تَغْفُفُ
مِنَ الصَّبَا مَزِيدٌ تَغْلُفُ
تَرَبُّبٌ مِنْهُ فَرَسٌ أَهْلُهَا (٢)

وقد يركب البحر ، وقد استبدت به الهوم ، واثقلت الاحزان ، فيحمر بالضيغ الشديد
غزال نفسه محاصرا باللمات ثلاث : ظلمة البحر ، والكرب ، والكن ، فيحاول وسعها
شبه المد لهم من حوله ، فلا يجد ابلج ولا أدق تصهرا من الآية القرآنية ، فيقتبسها
فسرافلها تقريبا :

كَمْ تَطْلَأُ الْعَيْنُ مِنْ قَدْ أَهْـ
بَحْرٌ وَتَوْءٌ وَلَطُولٌ هَيْـ
فَلَوْ يَدُ الْمَرْءِ وَهِيَ مِنْـ
وَتَشْتَدُّ النَّفْسُ مِنْ أَذَاهَا
ثَلَاثَةٌ أَطْبَقَتْ دُجَاهَهَا
أَخْرَجَهَا لَمْ يَكْدُ يَرَاهَا (١) .

(١) الديوان : ١٩٤ - ١٩٥ * تفرق : تغاف

(٢) نفسه : ١٣٧

(٣) نفسه : ٣٤٢ / * أو ظلمات في بحر لحي يخشاه من فوقه من فوقه
سحاب ، وظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد
يراه ، ومن لم يجعل الله نورا فلا له من نور
(القرآن الكريم ٢٤ : ٤٠)

هذا هو موقف الشاعر من البحر ، موقف الشائفة ، القلق ، يهز في البحر شيئا مرميا
يذكر بالموت ، ويذكر بالهلاك ، وقد رأينا موقفا آخر مشاهيرها لا بن حمد يس ، ولعلنا لا نخطئ
بعد الحقيقة ، إذا قلنا : إنه موقف شاعرنا العربي القديم عموما ، ولعلنا لضعف علاقتهم
بالبحر ، بسبب بساطة الرسائل المتاحة له في ذلك الزمن ، أثر في نشوء هذا الموقف
العماديا وحديث تلك الذئرة الحشاشة أزا ، هذه الظاهرة الطليعية الملان بالعجائب
والأسرار (١) .

هذا عن الشائفة ، وقد رأينا كيف عني بها ، وصورها في شعره ، وهي عناية لم تصرفه
عن العناية بالماء في حاله وهو يتبعه ، فوصفه بـ " كما وصفه طبا " وإن لم يكن في ذلك
السر :

لم يقف ابن مفاجأة من البرد موقف الفنان السطلي المتأمل فيما خلق الله في الكون ،
المتحسنا لنزاهة الجمال في هذه الظاهرة الكونية القليلة الدرة ، وإنما يقف منها موقف
الشائفة ، وفي تقديراته في العقلوعتين اللتين خصها بهما بقضايا فقهية ، إنها مآذاب الهي
سلطان على الزنقا لها ولا ملها لغويهم عن الدلالة ، وتوقعهم في المحاسبة ، وفي القلعة
الأولى يتصرر الشاعر أن الله تعالى قد نسخ المار عبارة ليحصب بها عباده ، ويربهم
بها عقابهم على نكرانهم نعمه ، وعسانهم أوامره ، وتحويلهم إلى مردة وفاريت يميثون في
الأرض نسا :

تَصَوَّبُ عَلَيْنَا وَالْفَتَامَ غُصُوصًا	أَلَا نَسَخَ اللَّهُ الْقِيلَارَ جِبَارَةً
لِهَالِي ذَا لَا قَلْبُهُ طُغُوصًا	وَدَاثَتَ سَمَاءَ اللَّهِ لَا تُغْلِرُ الْعُصَى
تَسْأَلُ شَوْهَبُوبَ الْقَامِ رَجُوصًا (٢)	فَلَمَّا تَسَرَّلْنَا غَارِيَتِ شَيْبَرَةٌ

وأما في ملاحقته الثانية ، ورغم أن الشاعر قد حاول رسم صورة جميلة للبرد ، عندما تصور
أنه قردة من دأوم تعلو بها نعر الشر ، بعد أن كان عالما ، إلا أن نفس جو المقلوعسة
الأولى يثلل مهبنا ، فهو يحصب الأباطح بها ، اسد ، يغشها بقذاب ذائب ، وتحتل الصورة

* القطار : الممر

(١) انظر : ١٠٩ :
(٢) الديوان : ٧٥

عندما يتصور أن الأرض قد زنت ، وأن الخطأ إنما أكب برجمها عنها لها على فعلتها
الخنرة :

يا ربُّ دُرِّ عَالِي حَلَى بِهِ
نَحَرَ الثَّرَى بَرَّةً تَحْدَرُ سَائِبِبُ
مَحَبَّتِ الْبَالِغِ مِنْهُ مَا جَامِدُ
نَشَّسَ الْبِلَادَ بِهِ عَذَابٌ ذَائِبِبُ
فَالْأَرْضُ تَنْدَحْتُ عَنْ تَلَايِدِ أَرْسَمُ
نَثَرْتُ بِهَا وَالْجَوْجُجُ قَائِلِبُ
وَدُنَا زَيْتِ الْبَسِيلَةِ تَحْتَقِبُ
فَأَكْبَرُ بِرَجْمِهَا الْفَاعِلُ الْعَاصِبُ (١)

فقد حاول الشاعر في ثلثا مقلوعته توليد ثقافة القرآنية والفقهية ، ولكن محاولته
افتقرت في لفتها إلى الحق والشمول .

* الطلج :

وعلى المدرس من البرد ، فإن الطلج يحظى بعناية أكثر من الشاعر ، فقد فتنه الطلج
ببهاضه وضبابه ، وملك نفسه بفرحة غامرة ، فالطلج ، في سبيله ، وتراكبه ، وتغليبته لها بالربا ،
وتميم البهاض ، ودسوته البهاض ، والشبر بالبياض ، وبغربه وبفتن بصره ، فبتفادأمامه مستمتعا
وبسنة وسفا بدل ، وإن كان لا يتجاوز غلام البوصوف إلى أعماقه وأسراره ، على فتنة واعده طاب .
إن غلام الطلج توهي إليه بعض الصور ولكنها حسية هي الآخرى ولا تشترك مع الشاهرة
الموسومة إلا في اللون ، فهو إذا أراد وصف الطلج تداعت صور كثيرة مشابهة إنما عينيه
دمورة لغام البهاض ، والعمامة البيضاء ، والشيب ، والفرس الأشهب ، ونقر الشبر ، والوجه
الطمش ، فبتخذ منها أدوات يلون بها مشهد المرسوم .

فقد يتألى بصره إلى البهاض ، فيرب قسما مغلظة بالطلج ، محتمة بالخمام فيسقى
قائلا :

وَنَلَّ مَرْقَبَةً مَنَاحُ غَمَامَةٍ
مَعَ الضَّرِيبِ بِهَا جَانُ لُغَامِ (٢)

وإذا غرق في لبال الشتاء ، ووجد البرد يلح ، والثلج قد غلى الأرض ، فعصمها
النميا ، وصفت ذلك قائلا :

فِي لَيْلَةٍ لَبْلَاءَ يَلُحُّ حَبْرُهُ
وَهَذَا لِسَانُ الْبَارِي الْمُتَوَكِّلِ

(١) الديوان : ٧٦ * الضريب : الطلج
(٢) نفسه : ٨٤ اللغام : لما بلغه فرس أو الجمل من زيد .

نَسَجَ الدَّرَجُوبُ بِهِمُ الدَّائِمَ عِصَامَةً فَأَبْهَضَ كَدَّ غَرَابٍ لَيْلٍ أَسْتُرُودِ
شَابَتْ رَوَاهُ تَمْلَعُهَا لَحْمُ الرِّبَا وَاشْمَلَتْ طُفْرُنُ ذَلِّ غَمَنِ أَمَلَسِدِ (١)
وَإِذَا نَارُ الرِّبَا الْمُسْتَقَرِّ بِالْثَلَاثِ تَذَكَّرُ الْوَجْهَ الْمَلُومَ فَاسْتَوْحَى مِنْهُ صُورَتَهُ قَائِلًا :
أَوْ نَحَرِ نَهْرٍ بِالْبَابِ مِثْلَ سِدِّ أَوْ وَجَّهِ غُرْنٍ بِالضَّرِيحِ مِثْلَ سِدِّ (٢)

والطبيعة ، وقد نسبت بالبياض ، وامتلأت بالنفيس ، تثور في نَفْرِ الشَّاعِرِ احساس بالتحفة
وتذكرة بنار ممرته الأثير ، ويردب اليه فرس الثلج الاشهب ، ويصمد العانة التي تمتد في
بزوارها ، وترحب بهم في مثل ذلك اليوم ايضاً ترحب :

أَلَا تَدْرُسُ ذَيْلَهَا لَهَا لَهْلَهً تَجُرُّ الرِّبَابَ بِهِ هَيْدَ بَهْلَهْ
وَقَدْ بَرَّقَ الثَّلَجُ وَجْهَ الشُّعْرَى وَالْعَفْصُ النَّقَا فَاغْتَسِبَ
فَشَابَتْ رَوَاهُ تَمْلَعُ الظُّلَامِ نَوَاصِي الْغُصُونِ وَهَامَ الرِّبَا
فَصَهَا تَهْمُنَتْ خَمْسَ سَارَةٍ رَكِبَتْ الرِّبَا شَرَّ أَشْهَبِهَا
وَحَبِيتْ هَامَتَهَا لِمَارَتِهَا فَقَالَتْ تَجِبُ أَلَا مَرَّتِهَا (٣)

وقد يأتى الشاعر وصعبه على شرب الدمر في جوار الطبيعة وقد نساها الطير ، ولكن
الدمر لا تشغله عن الحقل الدلبي ، ولا تلهيه عن تلبي جماله وروعته ، فالارض المفضلة
وقد حكمت بها نغمها عيوناً شاملاً شارب شمرها ومثلها الربا والسهول المجللة بالهيبات
وقد حكمت رباها منورة ولكن بدون شمر ، وتطلع الطلح الدائرة في الفضاء ، المتناثرة على
الارض ، لأنها اشجار منورة نثرت زهرها الرباع ، هي التي تستقرى انتباهه ، وتنبئ بصبره
وتفتن حسه ، فهمفها وصفها يندم عن احساس صادق بمشاهد الطبيعة ، وفتنة غامرة بنواصي
الجمال فيها :

لِلَّهِ نَدَامٌ عَدِيدٌ بَاتَ مَضْلُمًا نَارًا مِنَ الثَّلَجِ السَّلَانِ يَشْتَرِي
وَالْأَرْضُ فَيْضَةُ الْآفَاقِ تَحْتَبِيهَا شَمَاءً عَاسِرَةٌ قَدْ مَسَّهَا الْيَسْبَرُ

(١) الديوان : ١٩٣

(٢) نفسه : ٢٤٤

(٣) نفسه : ٢٦٢

فَكَفَّ نَجْدِي وَرَهْدِي قَدْ أُلْغِيَ بِهِ
 رَوْحُ تَجَلَّى بِتَوَرُّ مَالِهِ تَمَكَّرُ
 رِلَاقَاتِي شَغَرْتُ فِيهِ بِاسْمِهِ
 لِهَامِنِ الطَّلْحِ رِيَّةً بَارِدَ غَمِيرِ
 دَأْبُ فِي الْبَيْتِ أَشْجَارًا مَتَوَرَّةً
 هَبَّ النِّسِيمُ عَلَيْهَا فَهِيَ تَنْتَثِيرُ (١)

والشاعر ، كما هو واضح ، يلتقي في تلميحاته مع شعراء الشام والعراق ، في الدخيل من
 سادات البصرة ، والى السجدة في ذلك يربط إلى ثقافته الشعرية ، كما تدل بديون مرده إلى
 ماهرة التسامع التي بحيث على شجرتي الوصف في عمومته ، وفي عصره المختلفة .

الرهف : المكان الديوان

(١) الديوان : ٢٧٢

الفصل السادس

فسي

الاراء في الدرسية

لحقته من ارباب في عافية في وصفه على ط فادر من عناصر طبيعية ، بل مد بصره الى كل ما حوله من الماء رات الارض المختلفة وقدر الرياح والغمام ، والرعد والبرق ، والشمس والدار ، والنيل والنهار ، والشجر والقمر ، والنجوم والكواكب ، يقف عند بعضها متأملاً مستهراً ، ربح بهنهم الآثر بوزر النابر ، مقلتها بالزيارة الصلي ، والبصرة الخاصة دارن التار ، الى التفسيرات والبرقيات ، وهذا لازم بجمل يحتاج الى تفصيل وتوضيح ، ولكي يتضح الامر بوضوح لا بد من التمسك بهذه الظواهر ، بل على حدة ، ونبدأ بالرياح :

الرياح :

عني ابن خنيفة بالرياح في وصفه ، لما تبعته في عناصر الطبيعة من حركة وسعي فيجب انني تدفق السباب ، وتهز الخصون ، وتحمل شذا الرياح ، وهي الوسط الذي يفتت سارده ، ويحمل اشراقه الى من يحبه ، ومن هذا كانت مانتها عنده عظمة ، ما جعله يكثر من ذنرها ووجدت بعمدة من ايمانها في الاثبات المختلفة ، وان كان تعرضه لهذا عام في اشرا الايمان ، والرياح عنده هموما ، وهي طيبة ، رغاء ، لا تكسر ولا تدمر ، وانما تحار الايمان ، وتضيق بالخصون ، وتلثم اوجه الازهار ، وتسد الحبوب بالعيب ، وانما تضيق التسمية ، وتضيق السلام ، وهو شى هذا انما يمدح عن بقة الطبيعة ، فسي اعتماد مانتها ، ولما في بيوها ، ونثر امطارها ، وهو لا يذكر من الرياح الندي غير ريح الندى ، وهي عنده لينة المهب ، اية الانظار ، تساعد على الهواء ، وتدفع الس

الكر :

أجتمعت فقد تبيت النعاسي * رؤيتها ربحها الشراسي (١)

.....

* النعاسي : من الرياح الندي . تهب من ناحية الجنوب ، صلي المشرق .

(١) الدخان :

وقد تَمَتَّ رُبُّ النُّعَامِ فَتَمَّتْ
مِوَنَ النُّدَامِ تَدَعَتْ رِيحَانَةَ الْفَجْرِ (١)

وأما رب السموم ، والدبوز ، والأعاصير والعواصف ، وغيرها من الرياح العنيفة المدمرة
يجد لها إدراكا في شعره ، ولعلها لم تكن معروفة في بيئته ، أو أنها كانت موجودة ، وأعرس
لها ، مخافة أن يفتتها بدم ، فيخالف السنة الناهية عن سب الريح . وهو يكثر من
النسيم ، والصبأ أو القبول ، والشطال ، والجنوب ، فيحرك بوساطتها ما كان موصوفاً
لربها ، فجاء مجال أنسه ، يبعثها أشواقه ومواجهه ، يناديها أن تصل بينه وبين
ربه ، وقد مر مدنا ، في النصوص المستشهد بها في فعل الروضيات والشجيرات وغيرها
منها ، فإن للرب فيها دور بارز ، فهو إذا عند مجلسه تغير له جواً مثلاً ، ومثلاً مناسباً
فيه رب ليلته عابرة ، تزيد النفس راحة ونشراحاً :

فهبَّ ريحُ الفجرِ عابرةً إلى نسي
لطفة من البرد ليلته السرى (٢)

وأفصح الرِّثاء في ذلك تلخيص
نشيد أو قد رب النسيم نسيبتا (٣)

وهذا القريب وما أغنى وأنسى
ندب النسيم وما أرى وأعاسرا
والرب تنحن من رثائي لولوءاً

ونمت بأسرار الزمان عليل
لها النور ثغر والنسيم لسان (٥)

والظل غفائي الرواق عليل
حس الدامة فالنسيم عليل (٦)

(١) الديوان : ٢٢

(٢) نفسه : ٨٢

(٣) نفسه : ١١٣

(٤) نفسه : ١٢٤

(٥) نفسه : ٢٣٥

(٦) نفسه : ٢٥٤

وَمِثْلِيَةُ التُّوَارِ تَدْرِي : دَلَقَهَا رِيحٌ تَلَفَتْ فَرَوْنَهَا مَطْلَسَار (١)

.....

سَتَبًا إِمْرَمٌ تَدْ أَنْعَتْ مَسْرُوحَةً رِيًّا تَدْعُمُ الرِّيحُ فَلَطَمَتْ (٢)

وهذا إذا تأت به الشقة عن يمينه ، واشتد به الشوق إليه ، ويد في الريح رسماً ولا أمينا بطله لواقع تلهه ، وراة نوت نياتة الى صهيوبه ، وهي الحرين سلولة ، سار فيها الذئير من شعراء العربية : وجاءهم وسلامهم :

وَلَا رُسْلَ الْآلِ لِلرِّيحِ عَشِيَّةً تَكْرُجُوتُ بَيْنَنَا وَشَمَالًا وَاسْتَنْشَنُ الرِّيحُ الْجَنُوبَ سَوَالًا (٣)

عَرَانُ أَنْتَشَنُ النَّسِيمَ وَنَحْمُ مَسَادَةَ الْقَلْبِ سَوْبَ وَأَتَوَلَّى لِلرِّيحِ الْبَهْمِ سَوْبَ فَهِيَ اسْتَدَّأَتْ فِي الشَّمَالِ مَعَ الْأَصِيلِ صِلَى الْبَهْمِ سَوْبَ كَمَا اسْتَطَعَتْ بِتِلْكَ الْبَهْمِ سَوْبَ (٤)

.....

نَدْبِلُ تَهَادَانِي الرِّيحُ فَلَمَّتْهَا شَمَالٌ تَهَادَانِي بَيْنَنَا وَبَيْنُ سَوْبَ وَتَجْرِي شَمَالًا تَارَةً فَتُفْ سَوْبَ (٥)

كما أن إذا حركت الى ولته ، وطأني أيامه وذكرياته ، وكانت الريح الندية من بطة ما بين اليه سر ، واهو طهيعة ذلك ، الوان وسماياتها المختلفة : ومن لي يترى الرى من أبري اليمى رِيًّا الدَّوَامِ مِنْ أَجْمَانٍ لَمَلَمًا* (٦)

(١) الديوان : ٢٨

(٢) نفسه : ٢٨٩

(٣) نفسه : ١٢٤

(٤) نفسه : ٢٥١

(٥) نفسه : ٢٠٩ ، انار ذلك : ١٠ ، ١٨٥

(٦) نفسه : ٥٦ * ملطه : اسم موضع او جبل

- ألا سرب التجرن ولو تسيما * * * * *
- وجاءت بني الشهاب ولو قسيما (١)
- وما نفتحات الربى من بطن لتلي * * * *
- ألا جاد من ذات التيسيم بخيل (٢)
- رانا رش وكان المرش بمعداته ، ووجد في انغار الشمال بها تجليه من مار ، وغمر
 جنوب عنه ، ومثل ، مقبلة بحاله ، فليمر ماء ربح الشمال المنهر سوى دموعه الغزار التي
 عليها لها :
- أشيل أدغال النبال عقيمة * * *
- تتوء بها من ماء دحي قترن
- فلي نغمر ذوال الشمال ولو تسيما * * *
- تلدد بي نحو الـجثوب فأجتنع (٣)
- وقد يذكره موقف الرثاء ، بالروت ، وفيه بالزمن في سرعة ضيه ، ويتذكر ماضي زمانه
 رارة شرق قائله :
- كأنني لم أكن من الكهول لـمسة * * *
- ولم ألق الرب ثمة على الحشا
- ولم ألق الرب ثمة على الحشا * * *
- ويظهر الى السماها من فوته ، تسبح في الفخار المسبح ، فبراها على شاكلته ، وتركـب
 الريح ، وتغد في السير في الليل الظلم وقد أخذ الدحي في يده سوط البرق ، يلق به
 من حين لآخر ، يهتف به الريح ، ولتزيد من سرعتها . :
- لموت الشرى والبرق سوط شائق * * *
- يتيد الدحي والريح طهرأون (٥)
- وتد يرى في الرياح ما لها ، وفي الرعد ما لها :
- وأرتجز الرعد يمج النـمى * * *
- ينما بعد وبعثاها الرياح (١)
- وقد تكون الرياح سياطا ترهب السفينة في عرض البحر :
- سأربك منه النهر أدم ربي * * *
- مروع بسوط الريح بهجري فيزيد (٧)

- (١) الديوان : ١١٤
 (٢) نفسه : ٢٤٣
 (٣) نفسه : ٢٦٨
 (٤) نفسه : ١٠٩
 (٥) نفسه : ٢٤٣
 (٦) نفسه : ١١٥
 (٧) نفسه : ١٠٥

واذا وقف على رابية النور ، واتساع ارجائه ، وبعد المرافقه ، وأراد تضيق ذلك لم يجد
أبلى من تصور أن الربى تلبس فيه فترقد :

مهيبة يديت النجوم يستمر رهيبة
به يتكلى الريح فيه فترقد (١)

أراهم بالماليا التي لا يتوهم غير حاقها لقطع عفايته وغوره السمين :
سحيق في غير الرياح رثائب
هناك ولا غير الغمام مكران (٢)

وشعرا بين شجيرة في هذا المجال ، وإن كان دقيقا ، ومصلحا بعواطفه واناسه
مقلنا بأهله وشعراته ، وبعد اشره صدق الخرافات الدائبة في ديوان الشعراء العرب القدم
والذين هم ما يدرسون فيه ، وهو يجله الربى عنصرا أساسا في اوصافه أهل العرب الذين
المسرة لها ، فهي عنده ، كما في الطبيعة ، وسيلة تعريب ، بأحيا ، وهي عنده فضيلة
عن الـ وسيلة غير ولاء ، لا وسيلة تعريب ودمار . ومن الأوامر التي ارتبطت بالربى في
وبه الغمامة ، فهي دليل عليها ، وشارة بتدريسها ، بل وماليتها لها ، تلمحها التي
تبر ، وتبريد ، وتنزل النسيم ، وتسمي المال والربا ، وتروي الوهاد ، وتعد الديان ما .

في الغمام والجرى والربى :

أشرا بين شجيرة من نكر الغمام والجرى في اوصافه المختلفة ، وفروضياته لا تناد تنال
من صورة النسيم أو الجرى ، كما أن افرانجه الاخرى ، من مدح ورثاء ، ونزل وحنين ، بما فلسفة
بها أهدا ، وهو شعرا بهتني ، وباله أرى الخلية السابرة ، ولكن هذه الشارة المشابهة لغيره السرد
فهو قد يتلف أمام السابرة رتفعة طويل ، ويتتبعها ببصره ، يرسلها صورا جميلة معية ، وهو
عند ما يهيم بالنعيم والجرى والربى ، يحدو عن بهيته الطبيعية ، مع

(١) الديوان : ١٩٤

(٢) نفسه : ١٣٤

رسمور ما دانت تراه عيناه في سمائها من حين لا غير ، ولا يعني هذا أنه انسلخ من التراث الشعري الذي لالما أدب عليه دراسة ومفثا يصارضة ، فأنتى بومنا جديد مبتسعد لبر فيه أثر التديم ، وإنما الامر الذي يلاحظ ، هو أن أغلب صوره ومخاطبه ، في هذا المجال تتأثر بثقافته الشعرية ، واستلهم في رسمها أرائق الاقدمين من الجاهلية وفي عصره . وان كان ربما ، اكثر التساقط منهم بموضوعاته الموصوفة ، راعى قبحهم تعميرا عما في قلبه من حسب لبيثته ، وشعور بنواى المجال فيها .

يرتد الفضا ، عانة ، بالبرق ، وسماياها بالبرد الذي لا يذكره الشاعر كثيرا لعدم استراحتته اليه فمخاطباته الدورية لا تستألمها نفسه الرقيقة ، ولا بد من طبعها سمع السامع ، ولكنه سجع ذلك لدهرنا من بحر السيرة السنية ، التي استوحى في رسمها ثقافته الفقهية ، وصناعته الكتابية ، كهذه السورة التي رسمها في احد ديواناته :

وَالشَّمْعُ تَنْجِي الْمَغْرُوبِ بِرُوحِهِ
وَالرُّعْدُ يَرْقِي وَالْغَمَامَةُ تَنْفُثُ (١)
فالشعر لخصنا ضياعها من راحة ، وقد تأثر لرسمها بالبرق والغمامة ونفثها لسماعها وتماوتنا على رقيتها ونفثت هذه ، ورقى ذات ، والسيرة التي رسمها في احد متفريباته رسمها بالبرق والغمامة والبرق والغمامة من الملاءة وكتابه ، والبرق والغمامة .

وَتَبِ ارْتَجَزَ الرُّعْدُ الْهَرَقُ بِأَقْيِهِ
فَأَطَى وَجَالَتْ رَاغِدَةُ الْهَرَقِ تَنْثَبُ (٢)

وفي ثلث السورتين جملان وتشخيص زاد من مردية الصورة وحيويتها . ولكن الدالة الصورة التي تسترعي انتباهه ، وتفتن بصره هي صورة السحابة في بهاغها أو سوادها ، في ارتجاسها وتدنيتها ، وهي مناجاة شاططة ، أو مزمعة في جوال الساء ، مطرة ، تد فضل البرق تطرها .

(١) الديوان : ٢٨٥

(٢) نفسه : ٣٠١

من قار ، يمتصها في برنتها ، ويراقبها باهتسا ، بالغ ، ويصور أثرها في اهتزاز الشجر
المشب ، وتنتش الزهر ، ونور الغبار ، وتلا لوه الخشب ، وتدفق الانهار ، وهو أمر يسدل
على العطار ، وهما به ، ليس تملأ ابن غفاجة الشاعر الفنان ، فمسيب ، بل ابن
" النان " أيضا .

فهو يصفها في الغبار ، ولطيفها في الليل شديد الظلمة ، وكأنه كان يهيب ليلته
را يربح برنتها ويغيرت عولاتها ، وانها شفة ثقيلة ، لا يكاد الليل يضي بها لثقلها
في سلبية ، تدفعها القبول ، وفي هذه ، وتجبر ان يالها على الربا والسهمول حتى كأنها
باليد لقرنها ، وقد أنما البرق جنتها ، وأعمال ظلمة الليل الحالكة ، نهارا لشدة
سه ، فنان اللام ، ببر وهولسان يدسه لسان :

وفنا تار يستقل بها الشجر
حطت بها ربنا التبول سبابه
في كيلة ليلته يدنر جبردها
فشتت على النائم مشي متهدد
سحابة الأذيال تلمع بالهد
وهنا لسان البار المتوقد (١)

يشوقه البحر ويذول من بعده ، فيشيم سناه ، لأنه يذكره بمن يحب ، في غفقتان
وواضع ، ولحمان ميسمه ، يذكره كذلك بأرضه ، بسحابها الذي يجرر أذياله على رهاها
ينهمر بمائه على روعها ، ويهدأ ولها وأنهارها التي تتلون ، وتنتفي كأنها أفام ، وتمتد منسابة
مقبلة كالسام ، ثم لا يلبث مومها أن يتحرت فتسير دغا ، وهي أوصاف وتشبيهات ينسج
بهاديوان شمرنا المرعي قديم ومحدث ، ولكن فيم أشياله مغزاه في حياة الشاعر ، يتمثل
في تلك العلاقة الحميمة التي أقامها بين اللمبة والمرأة ، فغفقتان البحر ولسانه يذكره
بغفقة صلات الحبيب ، ويأفي ميسمه ، ويذكره السحاب ببرق رنابه ، والمرعي بلماه الا
سبون

* - الوثن والموهن : نحو من نصف الليل أو قبل انهار الصبح .

(١) الديوان : ١٤٣

والبدول يتشفي أعافه ، وهي صفات السحب المادية التي لما لها لهج الشاعر بذكرها :

وما شاعني إلا وصبر غمامي
أشيم سناه والسما غيمتي
نذكرني والليل يندى جناحه
ومسحبه نيل للسحاب يذوي الغضا
فقل في أتي قد تهادى نائسه
وما مسيل سائل لتسراة

تألم في نجد فحيا اللوى ربما
كما أغرورقت عيني لرويتي دمتا
مخيل فيه خفقا ومسيه لممتا
هرير رهاب الماء أحوى لوى التمرى
إذا ما ثنى أعطافه عبدة تسقى
فهيئا ترى منه شاما ترى دُرعا (١)

يستهو به جو الرمي ، وتفتنه الطبيعة في ملاله ، في اعتدال شواشها ، وتفتح زهرها
رأى سرار عيشها واتساع شربها ، وقد أسر الغمام ، وبنادها الدنيا ، ولوى البحر ، فتلاآت
تلاواتها لوى لومضه ، فامتلأت بعينها بها ، فإنه لا يهمل الحياة في النفوس ، وهلا
القلوب بشرا رهورا ، وهو ما أحسن به الشاعر ، فصور ما رآته عينه ، وغلغ على موصوفاته
الاهلية ما في نفسه من شعور بالفرحة ، واحساس بالنشوة ، وهو أمر أنسب تصويره عبرة
وعناية وجمالا ، وقد فحنا الى الاحساس بما أحسن به فشرنا بما شعر وشاركناه فرسته بمنظر
الاهلية تبت اسرار الربيع الدافئة :

وخيلتي قد آملت شربا ليليا
ليرت السرى والجوى سولا نافيقي
نحو تهادي في وشلح مذاهب
الجمعت من النوار بهير دار عيش
نرفلت حيث تمثرت به نشوة
والأرض تسفر عن وجهه محاسن

نفا صناع تستهل هتون
بهر الدبين والرين نهر أمون
قلبي وشعب من ذبول هتون
مدت إليك بهامنا غصون
في ثوب وشي للربيع مئون
بهر وتلخر من عيون عيون (٢)

وقد تلاون الغمامة مودة بتمتعة الرعد ، وهو ما لا يستأجبه الشاعر ، ولكن مذاقه
ليار ، وقد تساقطت دمارها ، وهبت الريح ، فلهلقتها ، ووزعتها تالما في الفناء بفتنه
نحوه اليه بصور يستلهم في رسمها معالجات بيئته الصناعية :

- (١) الديوان : ٨١ - ٨٧ * الدائمة : العمادة ، الهتون : المصاراة
(٢) نفسه : ٢٤٣ - ٢٤٤ - جيون : جمع ، جيون : الامون أو الاسود
وهو من الاضداد .

من ليلة للزحف فيها سرخسة
علمت علي هذا رداء غامضة
فرقلت في سفل الذنوب ولأتمنا
لا تستلأب ولدنينا إيقاع*
ربن تهلله شنان صناع
قن الشهاب بجانبه وقناع (١)

وبرقته السحاب بمنكره البارقي ، في تالكو قطره ، ووسن برقه ، والذي يسد الد بلس
بنسائه ، لما برقه منار الارض في جو المار بعده ، فيصور ذلك كله تصويرا حيا ، يفتن البصر
بما فيه من ألوان وبرق :

فذهبت ليل الشرن عارني*
فأشربت ما جات من تلحمة
فرقنا منابك تل ، الفصصون
يفضني بالماء ما ذهبا
ولم يزل بالذو ما أعشبتا
وأزرد أدق تلك الرشا (٢)

وهي صور ، نفتته بها يكرها من عين لا يمر لها في قوله :
والبرق قد نمن الغلام نهارا
فابيضنا نوراً واذننا نورا (٣)
وتد بهما من نزل المار محبوب الرب ، فتوعى اليه حركة اللمحة بهذه الصور المستوحاة
من بيئته ، والرب منحال ، ينقل من القدر لولوا ومن الغمام عنرا :
والرب قد من رذاي لولوا
رغباً وتشت من غمام عنرا (٤)

ويجرب الشاعر بصورة الغمام المتحركات ، والبرق اللامع من واتمه اثر ، غير في الغمام
نرسا أشهب بهول وبهول ، وفي البرق بردا متزنا اعمر ، أو يتصور الغمام فرسانا
له ناز من ربي ، ويسرا من ربي نيتون ،
والحزن رائد جمال بهل أشهب
وفد جمال من جوف الغمام أن هـ
والبرق برق قد تمزق أعمر (٥)
له البرق سوطا والشمال عنان (٦)

- الدنيا : المار . قن : راحة
تمزقة : قلعة من السحاب
رتبة

- العارني : السحاب

- الحزن : جمجمة : السحاب
البهائم : البرق : القوس

- (١) الديوان : ٢٢٤
(٢) نفسه : ٣٠٠
(٣) نفسه : ١٤٣
(٤) نفسه : ١٣٩
(٥) نفسه : ٢٢١
(٦) نفسه : ٢٣٥

وتد توبي اليه عمرة الغمام والبرق بصورة الراكب الذي تسير به راحلته وعدو ناعم :
وَدَارَ الغمامَ والبرقَ بهفوا

راكبُ أسلم النعامَ معه (١)

وتد يعمور البرق الأشقر ، والمزنة الشهباء في حال ملاحة ومطاردة ، تتفضض لها الأرض

رتند شرب السماء :

يلمارد من مزنه أشهبها

ويوم يجرى برقه أشقرا

ووجه السماء وقد دُئبها (٢)

ترى الأرض فيه وقد عُضضت

وتتجسم عمرة البرق وتتشخص أكثر عند ما يشبهه في شفقانه بالآلوية النمرال ، أفقصة

أرباً نامل مخنبة بعمرة تتحرك بسرعة كما ولدتها المعرفة عدد تلمر الدنيا :

ألوية حيرت خضابها

ومن خفون البرق فيها

تعصر تلمر الدنيا حسابها (٣)

لأنها أنمل وراة

ولكون السماء بسدر يرونها لما بعمله من ماء يهيج الأرض بعد موتها ، فإن الشاعر

يعني به في معرض الغزل ، كما يعني به في معرض المدح والثناء ، فيرى أنه من غير الدعاء

أن يدعو بالسقيا للمرابح الدنيا ، ومودان الذهب ، فبعضى لوجادها المزن ، وسقيا الغمامة

الدنيا ، وأسماءت بناتها بوسنها برتها الذم :

تهاداه أعتان الرتان كسلالاً

فبان الديعى غاي من المزن رائج

فشب لها البرق المنور دبا لا (٤)

وسارية دما دماو بها الدجى

كما يرى في الغمامة الجوقة ، الثقيلة المملقة ، وغير رسل ينوب عنه في إلقاء التوبة على

مدوجه فيقول :

صقيلة ثغر البرق وارفة الذليل

فهيئت أبا يحيى ذرات غمامة

ومشي بها واني التميم على رسل (٥)

تجوز أن يال الزبا على الرسا

وتد يملول هذا الحديث ، لو ما ولنا حمر للصور التي وصف الشاعر فيها الغمام والبرق

(١) الذبران : ٢٢١

(٢) نفسه : ٢٠٨

(٣) نفسه : ٢٣٩

(٤) نفسه : ١٢٤

(٥) نفسه : ٢٠٧

لأنها تنشر في شعره ، وتقتل أغراضه الشعرية على أختلافها ، وقد مر معنا في الفصول السابقة بعض منها ، كما قد يمتزجنا ببعضها الآخر في الفصول القادمة ، ونرب أن نلتفتي بهذا القدر منها ، لأنه يلخص مواقف الشاعر البارزة من هذه الظاهرة الثرية الرائعة .

✧ الليل والنهار :

لم يكن ابن خنقاجة ، وهو الشاعر الذي ملكت عليه الطبيعة حسه وشاعره ليفضل من أهم ظاهرتين من ظواهر الذوق ، ألا وهما ظاهرتا الليل والنهار ، بما في الأول من اللذة والسرور ونجوم ، وبما في الثاني من نور ، وشعر وصباح ومساء ، فلورجعتنا إلى رؤيائاته وشجراته ، هل إلى أوحافه بعلمها ، لوقفت على الملائكة التي غطيت بها هاتان الظاهرتان عنده ، وللحناء من تشب عذابته بتسويدهما ، وحرصه على ألا تغلو مشاهد الطبيعة المرسومة من صورة أو أكثر لها ملازمة بالليل أو النهار ، أو بتملقاتها ، ولكنه على الرغم من خطابه بهما ليهتف منها موقف المتأمل المتمسك الصمت ، إلا مرة واحدة ، وقفها أمام القمر فنجاه ، واستقرأه العبارة وأما في غير هذه الزاوية المطلوبة ، فبحث في العزلة السري لحشده الليل أو النهار ، ويقتضي في ذلك بالصور الجزئية يزين بها ، من حين لآخر ، أجواء موسوماته على امتدادها .

فهو إذاً من عليه الليل ، وأناع عليه بطلته ، وغمره بظلمته الدامسة ، أحس بانفساده ووحشته ، وشعر بولادة الزمن ، وتذكر أبا أنسه ، وساعات افراحه ، التي مرت سريعاً ، ليستد مشوته ، ويتحمر العيون بين جوانحه ، فلا يجد في غير البثا سلوى ، ولا في غير الدن تنفيساً لحره ، وتفرقاً لما يرس به في أعماقه من ألم ، وليس راحة طراب ، كيف لا يفصل ذلك تارة الليل من أنسه ، ومجال مسراته وأفراحه ، بعد أحشائه ظلمته بفتية

لأنهم أنجم السما* رفعة وسناء* ، صغوني وأياهم عجاب بحر الليل المتلاطم ، ولذنبهم
فتية منسرا ، وطواهم الردا ، ولم يبق من تلك الأباة غير ذكراها التي تورث العين ، وتملا
القلب حسرة وكدها :

وَعَلَّكَ تَذَاغِ الصَّبْرِ وَاللَّيْلِ عَاكِفٌ
وَيْتٌ وَسْرِي رَاغِبٌ فَأَهْرَمَ مِجِي
أَنَا فِي سِرَادِ اللَّيْلِ فِيهِ بَلْوَعَةٌ
وَأَسْتَبِ أَنْ يَأْلَ الدَّيْسِ فِيهِمْ جُنِي
وَكُنْتُ عَلَى عَهْدِ السُّلُوكِ بِشُرُوقِي
وَأَسْرِي فَأَسْتَصْفِي مِنَ السَّبَبِ صَاحِبَا
وَأَصْدَعُ أَشْشَاءَ الْإِلَامِ بِفَتْحِي
أَنْعَتِ يَمَّ سَرَّ السَّعَا وَانْمَا
وَقَدْ كُنْتُهُمْ أَتْلُ الْبَيْدِ مِنْكَ
فِيثْنَا وَبِحَرِّ اللَّيْلِ مَلْطَمَ بِنَا

فَأَفْصَحَ دَمْعُكَ بِالْأَمْرِ أَعْجَمَا
طَلِينِ إِذَا مَا أَنْجَدَ الرُّكْبَ أَثْمَمَا
تَحَدَّثَتْ عَنْهَا الْكَبِيرُ نَهْرًا فَهَبْتَمَا
حَمَامٌ تَدَاعَى سَحَرَةً فَتَلَكَّمَا
حَسَامٌ تَغْتَنَّى لَا حَمَامَ تَرْتَمَمَا
وَأَرْدَبْنِ ظَهَرَ الدَّجْوَةِ أَنْ تَمَمَا
تَوَاكِبُ مِنْهَا أَنْجَمُ اللَّيْلِ أَنْجَمَا
سَرَرْتُ بِهِمْ لَيْلَ الشُّرُكِ فَتَهَسَّمَا
وَلَمْ يَبْ سُرَّ الْمَجْدُ إِلَّا لِيَتَمَمَا
نَرَى الْيَمِينَ غَرْقَى وَالْوَاكِبَ هَوَّمَا (١)

وتأخذ النجوم من زندها أخذها ، وتشتد عليه ، وحق تغر، مضجعه ، وتحمره النجوم
فهيبت ليله طه ساهرا ، ويقلب عينه الدائمة في آفاق الليل فلا يرى إلا سواد يحمر الأقبان
ويغمر النون ، لأنه غراب مد ، ناعه ، أو مداد أسود شرب على صميقة :

فَهَيْتَ رَيْبِي مَا قَانِي * الدَّمْعُ قَهْوَةٌ
وَسَيْلٌ كَمَا طَدَّ الْغَرَابُ * نَاحِي
بِهِ مِنْ رَمِيضِ الْبَرِّي وَالْبُؤْفَةِ

تَدَارُ وَمِنْ إِحْدَى يَدَيَّ وَسَانُ
وَسَانٌ عَلَى وَجْهِ السَّيْبِلِ مِدَادُ
شَرَارُ تَرَامَى وَالْغَمَامُ زِينَادُ (٢)

(١) الديوان : ١٧٢ - ١٧٣

(٢) نفسه : ١٣١ - ١٣٢

كما قد يتصور الليل بظلمته فسطاطا ، هذا أرتاد ولدن من نجوم :
والليل فسطاط ههنا ، ملقَّب
ودنو يستتر بالليل ، ويخلو فيه بمن يحب ، لأنه أكثر للسر ، وأعجب لمن فيه من أعين

لرغبا ، والساد :

ثم ارتدلت وللصاء ذوا ~~ههنا~~
تشي معالقي الضباة والضبا

شباة تفضت والندام فوضا
والليل دون التاشمين* حجاب (٢)

وان التمرن الليل بلذته ولهوه ، فان ليل ههنا مستلما ، يتمنى لو يجد في أبعده
فد ينقسي أبدا : وبا رب ليل جنني النفس
لهوت ودون القيط ، الصباح
نعد الشراب ببرد الرضاب*
وقد شتم الليل سر الههون

شبه اللق مستلما*
نلام سجا وغمام سجام*
وبعت النلام يسود اللثم*
ونقت بها استودعته النسيم (٣)

ولكن أيام النعم واللذات تمر سريعا ، وساعات الفس لا تدوم ، فقد تتحول الى النقص
فتنقصي النعماء بأساء ، والافراش أشجانا ، يملول بها الليل ، وتحرم فيها العين لذة
الدرى ، فتسهر ليلها بعد أن نمت قسيرا :
ومن تدأب الشور تصيرة

ولعل الشاعر ، بعد أن تقدم به العمر ، وفارقه السعيب ، وتراكت عليه الهوم والاعزان
فان يار ، كثيرا ، فتنقسي لباله ساءرا ، ويرقب الصبح ، ويهفو الى نوره ، ولأن الليل بهتم
الويلد أمانه ، ويخصي ببله شديد ، حتى لأنه بلغ من الممر عتيا ، فتوقا على عما الدهوزاء
يدب عليها ههنا :
والليل مشتكل الذواية كسيرة

تخرف يدب على عصا الجوزاء (٥)
واهن ، فاجذفتن في تسهر طول الليل ، ويجد في اللمبة ما يساعده على تجسيم هذه

- | | |
|--|----------------------|
| * - الناصح : مشعر العداوة ، والفساد . | (١) الديوان : ٢٢٤ |
| - اللثم : البهون ، وصغار الذنوب ، | (٢) نفسه : ٢٦٥ - ٢٦٦ |
| - اللثم : ما تجاوز شععة الاذن من الشعر ، | (٣) نفسه : ٤٧ |
| - سجم : قمار وسال . - الرضا ب : الربي | (٤) نفسه : ٣٧٠ |
| - شتمك الليل : خالط سواده ههنا الصبح | (٥) نفسه : ١٥٤ |

الآن رأت التي أحسرت ليلها ، فلهو يابل بين دسسه الدليل وبين آفهم الليل التي أصبحت
رمينة ، ليس لا تغادره ، فلهو يابل بين دسسه الدليل وبين آفهم الليل التي أصبحت
مده يهزير بسره ، بل ، وفعل كل شيء ، فلم يترك مبالا للروية ، ولا سبيلا للعبور غير اتعان
الدبرة بسرا :

يا ليل وبدي بنجيد
وما لدمي طليقتا
وقد طمى بحر ليسيل
لا يهزير الأرض فيسه
أما لطيفك مسكر
وأنجم الجبوا أسكر
له خيب المد حسرا
غير السجرة بسرا (١)

وليلته لارلها وثقلها ليل ، صب وحزن :

ورب ليل بالقيم ارتتها
يلون طلي الليل با أم ماليك

لرمس جفون بالثرات نيام
وه ليل الصب ليل تكام (٢)

وبترقب السبع ، ويستعمل قدومه ، ولكن الليل يطول ، وتزداد بهوله هو وجسه
والنونه ، فكلما كان أنه السبع ، كذبه نلنه ، وأعطاه حدسه :

تكتف من وعد من النلن كاذب (٣)
بليل إن اقلقتك باد فانتقسي

ولكن القلب به ورد ورته ، وبسير سيره الداعي ، وفي نامور تناسق معكم ، فلا يهد
من ليل يسقيه نهار ، ولا يد من نهار يهنيه ليل ، ويتتابعان ويتلازمان في مركبة مستمرة
ودائبة ، وببيت الشاعر ساءوا ، وأوتد بينهم بحر ، فيلحد ظلامه تجدد الحياة في اللون
وانعكاس الحركة في عناصره ، واجزائه ، وتفريه صرور السبع في تنفسه ، وبد اشراقته
وازامته ظلام الليل ، شيئا فشيئا ، فيتبعها ببصره ، يرسم لها سورا شق ، وتم عن ارتياح وفرجة
واعجاب ، فاذا لا السبع باشراقته ونسائه ، ولانته ، من وراء الليل رأى فيه الشامروجه بشير :

* - الخمر والفوات : مواقع ،
- السبع : الحاشق الحشاق .

(١) الديوان : ١٥٥

(٢) نفسه : ٥٦

(٣) نفسه : ٦١٥

- وَدَّ لَاحَ وَبَعْدَ الْمُنَى يَنْدَنُ نَاسَهُ
 وقد جرب فيه شبيهاً بنسجته محببة إلى قلبه من ثغر شنيب :
- لَسَدَ نَسَجَةِ السَّيَاحِ بِمَنْجَتِ سَلَاةٍ
 وراءَ قَنَاجِ اللَّيْلِ عَنْ شَاثِرِ شَنِيبِ (٢)
- ويشبهه ، وقد مدح اللام بنضائه ، وبوجهه ونحي * شفاعته قناعه :
 والمتبع قد مدح اللام لآتسه
 وجهه ونحي * شفاعته قَنَسَاغِ (٣)
- وبصور حركة نقل الدال ، وانتشاراً لضياء تصويراً حركياً ، مستعيراً بمعنى الصور من بيئته
 اسحطه به فيقول :
- وَلِلَّيْلِ ظِلٌّ قَدْ تَغَلَّى أَشْمَسُورُ
 وللصبح ما قد تسلسل أزرُّ (٤)
- ثم يصور الليل في توليه راد باره ، واقبال الصبح في زهو وخيلاء ، قائلاً :
- ثُمَّ انْقَشَى وَالصَّبْحُ يَتَحَمَّلُ فَرْعَهُ
 ويهتر من طرب فضول ردا * (٥)
- والصبح في إشرارة نوره ، يهتر الشجر المتسحم ، كاهنكي في بهانه في بدء ظهوره من وراء ظلمة الليل ونسجته في قادمة غراب أحصم :
- وَأَفْتَرِ مِتْسَمَ الصَّبَاحِ نَاسَهُ
 ونحي بقادمة الغراب الأخصم * (٦)
- والليل في ملته يحكي الغراب الأسود ، وأما إذا اختلطت ظلمته ببياض الصبح فهو
 يشبه غراباً حسناً أشيب :
- وَرَبَّ لَيْلٍ سَهْرَتْ فَيَسَهُ
 أَوْجُرُ مِنْ جَنْحِهِ غَرَابُكَا
 حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ مَالَتْ سَكْبَا
 وَشَقَّ سِرْبَالَهُ وَجَابَا
 وَحَامَ مِنْ سُدْفَةٍ غَرَابِ
 مَالَتْ بِهِ سُدَّةٌ قَشَابَا
 أَرَدَتْ مِنْ لَوْعَتِي خَبَالَا
 فَجِئْتُ مِنْ غُلَقِي سَرَابَا (٧)

- (١) الدهزان : ١٨١
 (٢) نفسه : ٤٢
 (٣) نفسه : ٢٢٤
 (٤) نفسه : ١٨٥
 (٥) نفسه : ١٥٤
 (٦) نفسه : ٢٠٢
 (٧) نفسه : ٣٣٨
- * - الغراب الاحصم : ما في قرادعه بيان ، وسائر أسود
 - السدفة : ظلمة يداها ضوء بدون من أول الليل
 ومن آخره ، يذهب إلى بقايا الشفق

وقد يتصور الصبح دوماً ، والليل جليها يزر عليه ، حتى اذا أراد الظهور ، مزق عنه
الجباب ، وهذا بنوره ونمائه الذي يختلط به دمة الليل ، فيحولها الى بهاغ يشبه الدافور :

والصبح قد مزق عن نفسه
فانجابت الدمة عن شهبته
جيب ظلام كان مستوراً
والتاشكة كافتوراً (١)

وقد ينذر الى الظاهرة نفسها ، وظاهرة بزوغ الصبح ، واختلاط الظلام بالنمائه من خلال
واتمه الحربي الدامي فيشبه ضوء الصباح برابة ظافر مخرجة بالدم :

وكان ضوء الصبح رابة ضافر
وقد يقرب الظاهرة منه اكثر ، فيتصور الليل شعراً أسود ، والصبح كفا تمسح كحلته
وتصيره اشيب :

وقد سح الصبح كحل الظلام
وألح قوت الد من أشيبا (٢)

وذا نت ترم بالشاعر سالات من النلى والهم ، والغم أحبانا ، ونتيجة لد واقع ذاتية أو خارجية
كان يسله خبر موت أحد أصحابه ، فتأثر نفسه الرقيقة لذلك ، وحشد حزنه ، وتظلم الدنيا
في عنده ، فلا يعود يميز بين الصباح العشرى والليل الظلم ، فكلاهما سواً في نظره
من حبش وحشتهما وسوادهما :

وألقى بهاثر الصبح بسود وحشة
بأحسني أسي طس حين أصبح (٣)

وقد تتكرر معه نفس الأزمة ، فينظر الى نفس الظاهرة الطليعية نفس النظرة القاتمة
فيرى الليل في كل شي ما طر أمامه :

أقبل طرفي لا أرى غير ليل
كأنني وقد لار الصباح حمامة
واعتاش مدكج وأعتيم سلك
وقد حاك عن وجه الصباح نقاب
بند جناحيه علي غراب (٤)

والتأت ملقمة وضائي سبيل (٥)

- * - الفرد : معظم شعر الرأس ما يلي الأذن .
- | | |
|---------------|-----|
| (١) الدبوان : | ٢٤٧ |
| (٢) نفسه : | ٢٤٥ |
| (٣) نفسه : | ٢٦٣ |
| (٤) نفسه : | ٢٦٧ |
| (٥) نفسه : | ٢١٨ |
| (٦) نفسه : | ٢٦٤ |

ولكن الشاعر ، وإن تألم هذه الذارة السوداء إلى الصباح ، وإن ذمه لأنه فرق بينه وبينه كما في قوله :
فيا صخرة البأساء تهجد تهجداً
ويا ليلة النصارى صل لمن رزى (١)

إلا أنه يفضل على الليل ، ويحل إليه ، ويجد في ضيائه راحة لحينه ولنفسه :
والسبحن أبهى في الميرون من الدجى وأعمُ اشراقاً وأبهى من أنوار (٢)
فاللّيل في ذكره غريان بين تنفس بالفراغ ، فهو لذات يلوح منها بصدور حسنة :
ووثقت فيك من اللّيل إنهم غريان بين التفريق تنقسي (٣)

ولعله ، ما يدل على هذا الميل نوعية علاقته بكل منهما ، فإذ أراد وصف الصبح
استخدم كلمات وموراتوصي باللطافة ، والاشراق والندوة ، فهو يذكره بالابتسامة واللمعة ،
بالجبه الناحك ، بالشعر الشنوب ، بهوبه البشير ، بصفحة الماء الأزرى السلسال ، ولحن موثقه
من الليل ، إذ يتجلى موثقه من الصبح تباط ، فالليل عنده يرتد بالحنف والقسوة ، والشركوة ،
والبداء ، والابتسامة الآيلة إلى تذليل ، والضحك المتبول إلى أشجان وامزان ، وهو لا يصبر
على البقاء في السهبة المدلّمة ، فيحرق ظلامه ، ويهدمه ويهدمه ، ويحل بجمعه إلى الصباح
بترقبه ، ويستعجل قدومه ، حتى إذا لامعت بواذره في الأفق صورته تصورا يرضى بالثقة ،
والسراع الذي ينتد به للظهور على الظلام ، ولعل في هذا علما غريبا لما يحتل في أعماقه
من صراع بين الموت والبقاء ، فقد كان يهوى الحياة ، ويفر من الموت ، والصباح بأشراقه
وابتسامته ، وأنعمت الحياة والبرقة في عناصر الطبيعة في أجوائه ، يعني تمدد الحياة
واستمرارها ، على حين لا يذكره الليل ، بظلامه المأبى ووحشته وسحرته ، في مقابل ذلك
وفي محالام السمات ، بخير مومه وأمزائه ، وقد يذكره وإن لم يكن بذلك ، بظلمة القبر ووحشته

(١) الديوان : ٣٤٩

(٢) نفسه : ٣٧٩

(٣) نفسه : ٢١٢

وفي نهاية نهايتها نفسها السجدة للعبادة ، ولذلك جاء به تلك السجادة المنيفة ، فمزمعه
وسمعه بسوء السجادة ، وكأنه بذلك ينصر حبه للعبادة على فرقه من الموب .

الذراكب والنجوم :

لم يكن علم التنجيم إلى جانب الفلسفة من العلوم المرغوب فيها في الأندلس ، ففقد
ذات الفلسفة ، كما يقول ابن سينا ، علما مشقوتا بالأندلس لا يستلحق صاحبه التماز ، كما
أن الاهتمام بعلم النجوم والذراكب ، والمكوث على دراسته كثيرا ما يؤدى إلى تهمته
الزندقة (١) . وهي تهمة نابتها الموت في أغلب الحالات ولعله لهذا السبب ندر
المشتغلون بهذا العلم ، وتلك الصفات السقيمة به ، في تاريخ الأندلس عموما ، فكانوا
استثنى فترة خلافة الحكم المستنصر الذي اهتمت هذه العلوم وشجع على دراستها
وفترة طوائف اللواتي ، حيث وجدت هذه العلوم متفصلا ، ووجد المشتغلون بها تشجيعا
وتقديرا ، لم تكن نادرة الا على بعض النشألات في هذا الشأن ، وهي نشاطات كانت تمارس
على ثلثها ، في المرلا في العلم مخافة التنازل والتكبد (٢) . وهو أمر يلحق المستشرق
الاسباني (ريبيرا) الدائم فيه بقوله : لقد عبرت بهذا العلم في الأندلس فترات لم يكن
يسمى للناس ، فإلها بان حذر فرائضه الا ما لا بد منه لتعديده اتجاه قبلة الساجدة
وتصغير مراقب الليل والنهار على مدار الساعات لترات الملوك ، والاستيطان من
مواهب الأهلة ، فإذ تجاوز الانسان هذه الداء من هذا العلم فقد غرر بنفسه (٣) . ولعل
هذا الترخيس في معرفة السجادة الضرورية من هذا العلم هو الذي سمح لبعض كتب الأنواع
بالرواج ، فقد ذكر ابن خير الاشبيلي في فهرسته ضمن الكتب التي يروى بها عن شيوخه

(١) فرائد الأندلس وأهلها : ٢٧ - لطائف الامم : ١٠٣

- نفسه : ١٠٢ .

(٢) نفسه : ٢٧

كتاب الأنواء لابن دريد (١) ، وكتاب الأنواء لابي حنيفة (٢) ، والأنواء لابن قتيبة (٣) ،
كتاب يعلنان علي أنه كانت هنالك نظرتان ، لا نظرة واحدة الى هذه القضية ، والنظرة الاولى
هي نظرة العامة من الناس وفي الثقافة المحدودة ، وهي نظرة حاسمة ، لا تميز بين ما هو
ضروري من هذا العلم ، وما هو غير ضروري منه ، وتعتمد الاشتغال بهذا العلم زندقية ياسب عليها
ما فيها مساها عسيرا ، ولكن نظرة الثانية وهي النظرة الثانية ، تختلف عن تلك النظرة
السلطانية المطلقة ، فهم يخرون على المشتغلين بهذا العلم مقالاتهم ، واستسلامهم لادعائهم
وأوهامهم في اعتقادهم بأن الكواكب والنجوم قدرة على النفع والضر من دون الله ، ولا ينكرون
عليهم اشتغالهم بما هو ضروري ونافع منه ، ولا أنكر ، هنا ، أن تهمة الزندقية لم تكن دائمة
وفي عصر لثير القلائد والفتن كعصر الشاعر ، وتعدر عن توافق متجردة من الأنواء ، بل كانت
امانة ، وسيلة ناجحة للتدريس المصنوع أو المضافين بعض أو بغيره من . ولكن
عرفنا ابن سينا ، بهذا كله ، أعني ، بل دور العلم الفلكي ، بل ما درس من العلوم ؟
لبرنجامين أدينا من معلومات يسيرة عن حياة الشاعر وثقافته ما عمننا الى الجزم بذلك
ولفنا ذلك ، وانما من بعض المعلومات من شعره وعلاقاته ، أنه ألم العامة ، ولو سألنا ،
بعض العلماء الفلكية ، فم يذكر كثيرا من أسماء الكواكب والنجوم ، كما يذكر بعض
مناشها التي يمكن أن نجد في كتب الأنواء ، وهو درس العلوم الرياضية (٤) وعلوم الفلك
كان مرتبها في المالب بها ، ولكنه اعرض عن هذا العلم ورغبته ، وكان على صلة به
بابي بكر بن الضائع (ابن باجه) وزير مدوحه ابي بكر بن تفلوت امير مرقسية
لما كانت له علاقة وثيقة بابي محمد بن السيد البلبوسي ، وكل من الرجلين له قدم راسخة

(١) الشهيرست : ٣٦٦

(٢) نفسه : ٣٧٦

(٣) نفسه : ٣٧٧

(٤) نفسه : انظر هذا البيت : ٤١

في علوم الأرائل ، نعلم أن تدون تلك العلوم الفلكية قد وصلت عن طريق هذين ، كما
 يمكن أن يكون حصل عليهما من قبل ما العادة العامة المتوقعة ، ويستوفينا في شمسهما
 بيتان يذكر فيهما الشاعر كلمة منبهم : ففي الأول يوضح الشاعر موقفه من النجوم ، وثانها
 أن يشي عنه أنه منبهم ، فيسوق أنه لم يسهر في الليل ، ولم يتأمل في النجوم ، ولم يراعها
 بدافع التعجيب ، وإنما بدافع الدب لبدر الليل :

أراهم نديم الليل حبا لبدره ولست كما ظنّ الغليّ منبها (١)
 وهو في البيت الثاني يحذر الأمر ، ولكن ، وبدلا من أن يشبه نفسه بالنجم ، يشبهه
 نفسه به ، ففرسه هو الذي يتقلب المارق في الدواكب ليلا لأنه منبهم :

يتقلب مرقا في الدواكب سامها لأن به تحت الأنهم منبها (٢)
 وفي البيتين إشارة إلى نوعيّة النازرة التي كان يدارها عصره لحلم النجوم ، والمشتغلين
 به ، فقد أصبحت كلها منبهم من أشتات التهم التي يمكن أن توجّه إلى انبهم ، فلهذا أريدنا
 عن نفسه ، وألصقنا بفرسه سخافة الرثاق في منبها ، والشاعر ، وثمره لسهره ، وتأملاتسه
 في الليل والنجوم ، والشعر ونحوها ، أكثر من ذكر أسماء النجوم والدواكب في شمسهما
 كما أكثر من الاعتداد عليهما في مجال الاستمارة والتشبيه ، وهو قد يفسد الذاتها ، ولكن وصفه
 لهما ، ونحو مقتضيه ، سري ، ويخفى بالأمير المخاور دون الدخول معه في حوار إنساني مهم
 النورس في أمثاله ، واستلهاها الدماغي والأسرار ، وهو تميم تستثنى منه حال واحدة وهي

(١) الديوان : ٢٣٧

(٢) نفسه : ١٧٣

وصفه للقمر ، ومناجاته له على نسى رائحته في الجبل . ولعل الامر يتضح اكثر في التصرُّح
لا ومناجاته في هذا الباب ، بشي* من التفصيل .

* القمر :

لقد كان ابن نفاية ، وهو السليم المتفقه يمتد أن التشكر في خلق السموات
والأرض واخترت الليل والنهار ، والاعتبار بما في ظواهر الكون من تغير وتبدل ، وحركة
وانسجام ، مهادة من أعظم العبادات المثيرة الى الله تعالى ، ولعل وقفته ، وثقة المتأمل
المستمر من القمر ، كانت شرة لهذا التسورا لاسلامى الصحيح للكون ، ونسبة من نتائج
المناجات الزاخرة في احضان الطبيعة ، في الليل والنهار ، فهو يجرنا في مقدمته لقصة
القمر ، ان القمر طلع عليه في احد اسفاره ، فبطل يلف في معنى كسوفه واقطاره ، وعلى
إحلاله تارة وسراره ، ولزومه لمرثته من انتقاله في مداره ، محتمرا فيه بحسب قوة فهمه واستداعته
ومستقدا أن ذلك محدود في مهادة الله وطاقته ، لقوله تعالى : " إن في خلق السموات
والارض ، واختلاف الليل والنهار ، لايات لاولى الالباب " (١) ؛ وأنه بهذا يؤسس
موقفه ويبين أنه لا يفعل ذلك على سبيل التنجيم ، وإنما طلبا للمبرة ، وتنفرا في النفس
والآفاق ، وشيلا فان الشاعر ، قد تتبج القمر في تعولاته وتغيرات ، فوصفه هلالا ، كما وصفه
بدرا ، ووقف أمامه يتأمله ويستقرئه الخبرة ، فأصاح الى نجواه ، ولم أعينيه من حسنه
وجماله ، ولكن القمر يبقى سامتا ، لا يحدث الشاعر كما يحدث الجبل من قبل ، فيتأثر
الشاعر لذلك ، ثم يثنى منه بحمته ، فهو له أكبر موعظة ، كما أن له في مسيرته الشهيرة ، إيمالا
واكتالا ، وفي مرثته ، وداء وديونا ، وظهورا واختفاء أسنا تنطق بأبلغ المعبر ، وتوسعي
بأعنى الدروس ، ثم يبيت الشاعر جان النام تجاه هذه الظاهرة ، فهم أصناف ، منهم الواقعي

(١) القرآن الكريم (٣ : ١٩١) - ودبوانه : ١٣٠ .

المتبسط المذكور ، ومنهم اللاهوي ، الخافل ، السادر في غفلته ونسيانه ، لا يحرك ساكناً لهذه الظاهرة الكونية الصائغة الدلالة ، ولا يفقد من معانيها وعبئاتها . إن وصف القمر يرتبط عند الشاعر ارتباطاً وثيقاً بالأساس بالزمن ، ومن ثم بالموت والفناء (١) . فثأته رأى في دورة التمر دورة حياته ، وفي صيرورته صيرورته ، فرأى في إعلاله صباه وشبابه ، وفي اتساعه قوة رجولته ، ثم في مسيره القهقري نحو الدال ، شبه وعقته ، وانعداده إلى مصيره الذي تفسر منه نفسه ، إلى الموت ، حيث يلفه ظلام الربوب كما يلب الغمر ظل الكون ، وهي نهاية يسير الشاعر نحوها بالذات عن شجوة يفجرها في العجز ، والشاعر بعد هذا ، وإن لم يبالفسه الترويض في أنسنة القمر على نحو ما فعل في وصف الجبل ، ففي يتحدث وعده ، دون أن يشاربه الضم حديثه ، إلا أنه وفي في تجسيد فكرة الزمن والاساس بالفناء من نزل ظاهرة الضم في تغييره وصيرورته :

وَبِثْ أَذْلَجُ بَيْنَ الرُّمَى وَالنَّازِلِ
هَدَلًا مِنَ الدُّكِيِّ بَيْنَ السَّيْمِ وَالْبَسِيرِ
فَقَرَدِ السَّحْقِ قَرَدِ الْأَنْزِلِ مِنَ السَّيْرِ
نُزِرَتِ الْجَمَالِينَ مِنْ نَجْرِ وَمِنْ خَسِيرِ
قَدْ أَفْصَحْتُ لِي عَنْهَا أَلْسُنُ الدَّيْرِ

لَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى نَجْوَاتٍ مِنْ قَمِيرِ
لَا أَجْتَلِي لَدُنَّ . هَتَّى أُمِّي مَدَامَا
وَقَدْ مَلَأَتْ سَرَاحَ الدِّمِينِ مِنْ وَصَحِ
فَلَوْ جَعَلَتْ إِلَى . سَتِي مَعَاوِرَ
وَإِنْ سَمَّيْتَنِي مَرَاةً لِي هَالِكَةً

(١) تاريخ الادب العربي : عمر الابرار والمراييلين : ٢١٠

تَمْرٌ مِنْ نَاتِقٍ حَمْرًا وَمَكْمُول
وَالنَّاسُ مِنْ مَمْرٍ يَلْهَى وَطَفِيفٍ
تَلْهَوْسًا حَاتِ أَتْوَامٍ تَحْدُ ثَمًا
فَإِنْ بَذَيْتُ وَقَدْ يَهْدِي الْجَلِيدُ فَمَنْ
كَوْرًا وَمِنْ مَرْتَنٍ دَامُورًا وَمَنْعَكِرٍ
يَهْرِي وَمِنْ ذَا رَيْلٍ يَنْسَى وَمَدَّ كَسِرٍ
وَقَدْ مَضَوْا فَتَقَضُّوا أَنْعَالِي الْأَثَرِ
شَجْوٍ يَفْجِرُ عَيْنَ الْمَاءِ فِي الْعَجَبِ (١)

ولما وثق الشاعر من التمر هذه الوفرة المعتبرة ، وثق منه وفنات آخر ، ولكنها قصيرة
انقضى فيها بتسوير التمر تسويراً شبه ما يكون بملقحات إجمالية ، سريعة ، لمشااهدة فسي
حالاته المختلفة ، يورد ما أكثر ما يورد ما في سياق التشبيه والاستعارة في أغراضه الشعرية
المتنوعة ، مدحاً ، رثاءً ، وغزلاً . . . وأما في الوصف العام ، فإن التمر يمثلي بصورتين ، صرت
أحداهما معنا في وصف الجبل ، قابل فيها الشاعر بين أوراق الجبل وتعليقه من جهة
وبين أذنة البدر ونسائه ونسكه من جهة أخرى :

تَمَّهْدُ مِنْ كُلِّ رَأْيٍ رَدَانَةً
فَقَلَّبَ إِطْرَاقًا وَقَدْ هَجَاكَ الْبَدْرُ (٢)

وبسورة في الثانية ، وقد انجابه عنه الخيم ، فبدأنا من البياض ، ضئيلاً في عرض الليل
مشبهها بالياء بالفترة البيضاء في ببهة الفرس الأدم فقال :

وَأَنْجَابَ نَجَى الْخَيْمِ مِنْ تَمْرِ الدُّجَى
عَنْ غَرَّةٍ وَتَحْتِ بِجَبْهَةِ أَدَمٍ * (٣)

* الهلال :

يرسم ابن خلفاجة للهلال صورتين ، مستوحي في أهداهما واقعته العربي ، ونقش
ذكره الهلال ، وقد بدأ عشبة في تنويعه ولمحانه ، بصورة السنان المصوغ الصانين الدرع
الناظر الشجاع :

(١) الدجوان : ١٣٠ - ١٣١ * - الأدم : الفرس الأسود

(٢) نفسه : ١٥٠

(٣) نفسه : ٢٤٢

- سَقَانَا وَتَد لَاحَ الْهَلَالُ عَشِيَّةً كَمَا اَعُوَّ فِي دُرِّ الْكَمِيِّ سِتَانُ (١)
 ومثله في الأخرى ، وقد أطل عليه في مجلس أنسه ، ثمرا باسم في وجه الخروب :
 واهتز علف الفصم من طرب بنا واغتر من ثغر الهلال الخسرب (٢)

* الثريا :

يعنى الشاعر بالثريا عنابة تنوء عنابته بمقبة النجوم ، ولعله كان يسهر ليلة حتى يصبح
 فيلعلها أكثر من غيرها لتأخرها في المغيب ، وهو في تصويره لها يقرنها إلى أكثر ، فيشبهها
 تارتالذف وتارة بالقدم ، وأخرى باللواء ، وهي تشبيهات قديمة ، ولكنها لا تخلو عنه ، من
 عناية أو ترديد .

فهو إذا أراد تصوير طول الليل ، وصفه بالعبرة والتروى ، وجعل منه أعى لا يهتدي في
 لحيته بغير قدمه التي هي الثريا :

- وتد وثف الليل لا يهتدي وتخطوبه للثريا قدم (٣)
 والثرى قدم ، تتعثر وقت السحر في برد الليل المزكش بنجوم المجرة :
 وتعثرت قدم الثريا سحرة في بُرْدِ لَيْلٍ بِالْمَجْرَةِ مَقْلَمِ (٤)

وهو إذا رأى في السحر ، وقد اخطأت ظلمة الليل بضوء الصباح ، استدعت مخلصه
 صورة الفرس الأشهب ، والذئب البيضاء التي تسع على معالقه ، فشبهها بها :

- وكأنما نجم الثريا سحرة كَفَّ تُسَيِّعُ عَنْ مَعَالِقِ أَشْهَبِ (٥)
 وقد يشبهها وهي تنفذ المباح بطلحة جيش أو بلواء أمر ، وهو تشبيه استمد منه
 بيئته العربية :

- وقد منه نجم الثريا كأنه بطلحة جيش أو لواء أمير (٦)

- | | |
|-------------------|---|
| (١) الديوان : ٢٣٥ | * - الثريا : هي ستة أنجم ظاهرة في خالها |
| (٢) نفسه : ٢٤٠ | نجوم كثيرة خفية ، وتسمى النجوم |
| (٣) نفسه : ٤٧ | أيضا (الانواء . ابن قتيبة : ٢٣) . |
| (٤) نفسه : ٢٩٢ | |
| (٥) نفسه : ٧٤ | |
| (٦) نفسه : ١٨١ | |

وبرى فيها ، وهي تغرب ، لولا يطويه الدجى ، اذا استل الصباح حمام ضائسه :
والدجى قد لوت لواء الثرى
وانتفت راحة الصباح حساسة (١)
وتد يقرب صورتها اليه اكثر ، عندما يشبهها وقد غشاها غمام رقيق بجمر يشك عنه رماه :
صدت ودون النجم ستر غمامة
يشك كما شفا الرماد عن الجمر (٢)

* الشعر :

يذكر الشاعر الشعر مرتين ، احدهما في : سيات المدح ، حيث يجعلها ، رغم علوها ، دون همة مدوحه وعززه وانها تغار منه لما ناله من رفعة ومجد :
فقد اغضت الشمرن المهور لهمة
تتلب دون المجد لحظ غسور (٣)
وبذكرها ثانية في وصفه للمقازة ، قال المقازة وتد غمرها الليل بنظلمته الحالكة ، ولم تهد في سائها غير الشعرن الذي احمر لونها ، واتقدت كأنها جمره ملتهبة ، تحكي صورة زنجري قد وضع في قفه دينار :

ومقازة لا نجم في عالمها
يمري ولا قلت بها دوار
تلقب الشعرن بها وكأنها
في كئ زنجري الذين دينار (٤)

* النسر :

والشاعر اذا اراد وصف جبله بشدة الملو ، تصوران به زاعم نجوم السماء بمنزله ، وأنه موئل لنسر السماء ، ومأوى له :
ولا ذ به نسر السماء كأنما
تجئ الى وثر به ذل النسر (٥)

* الحية :

ويذكر الحية في سجال وصف الليل بالطول ، فليله يطول ، حتى لأن حيته لا تصرف الموت ، وان السباح في بطنه ظهوره ميت لا يعود الى الحياة :
سربت به أظبه لا ميتة الشرن
توت ولا ميت السباي حمان (٦)

- | | |
|-------------------|--|
| (١) الديوان : ٢٣١ | * الشعرى : هناك شعريان : المبرور والقصير ، وهما |
| (٢) نفسه : ٢٥ | نجمان كبيران متقابلان تتوسطهما المجبرة |
| (٣) نفسه : ١٨٢ | وهو وان في أول الليل حمارين ، فاذا انتصت |
| (٤) نفسه : ٨٥ | ابيضتا . |
| (٥) نفسه : ١٥٠ | * النسر : نمران : احدهما يسمي الطائر ، والآخر : الواقع |
| (٦) نفسه : ١٢٢ | * الحية : مجموعة كواكب تتوسط الفرقد بين وبنات نعر . |

✽ المجرة :

لقد مر معنا في سائر الشرائع تشبيه الشاعر الليل بهند مزركش بالمجرة ، وهو هنا يطالعنا بتشبيه حسبي آخر لها ، مستوحى من بهيته الاجتماعية ، فالليل العالمة وقد هدت المجرة في سمائه بنجومها المتتارية المتعددة ، يهبط في نظر الشاعر راها قد لهر السواد ، وشهد خصره بزئار :

لهبر المجر على السواير فخلتسه مترهبا قد شد من زئار (١)

وقد يذتر الشاعر غير هذه الكواكب والنجوم بأسمائها ، ولكن في أغراض أخرى ، شبهها أو ستميرا ، فنجده يذكر الفرقدين ، والسها ، وعطارد ، والشترى ، وزحل ، والبسوزا ، والشهب ، كما يذكر ظاهرة الكسوف ، وغير ذلك ؛ ولكن نود هنا أن نقف مع الشاعر عند بعض صورته العامة لنجوم السماء ، وكواكبها ؛ فالشاعر يحب أن يخلق ديار حبيته ليل ، في وثت يكون الضلام قد غشي المعمورة

وترسفت السماء بالأنجم الزهر ، كأنها الثوب المنعم :

وجئت ديار الحى والليل مطرئ منم ثوب الأفق بالأنجم الزهر (٢)

وهو يصور الليل سترًا ملزًا بالنجوم بحجبه والصبغ عن الرقيب :

والليل ستر دوننا مرسل قد طررت أنجم زهر (٣)

والشاعر في تشبيه الليل بنجمه بالثوب المنعم ، والستار المطرز ، يندرج من بهيته التي اشتهرت بصناعاتها النسجية المتنوعة ، كما يندرج من واقعته عندما ينظر إلى السماء من خلال موقد النار ، فهتصور النجوم جمرًا والخمام الابيض ، اوضو الفجر رما داهلوا :

وفي مطلق النظم جمر كواكب علاها من الفجر المائل رسا (٤)

(١) الديوان : ٢٢

(٢) نفسه : ٢٢ ✽ - المنعم : المزجرف المزركش

(٣) نفسه : ١٥٦

(٤) نفسه : ١٢٢

✽ المجرة : سميت مجرة على التشبيه ، كأنها مجر وسحب ، وهي تسن أم النجوم أيضا لاجتماع النجوم فيها .

لشمس :

وكما فتن الليل الشاعر بنجومه وكواكبه ، فتنه النهار بضوء صباحه ، وشمس ضحاها
وشبهها تارة ، وبكشف عنها أخرى ، فختلط ضياؤها الاصفر بنيل الغمام ، برؤيته ، وبعبث
نفسه الاحساس بالفرحة والبساة :

ورداء شمس قد تعزى أصفرا (١)

ورفلت بين تمحين غيم الليل

وهو مشهد علق بذاكرة الشاعر ، وانطلمت صورته في مغبلته ، فهو اذا اشتاق الى وطنه
ولبحة بلده ، كانت غزالتها ، وقد حثك عنها النسيم من الغيم برقما من جلة ما يعين
اليه :

أغازل منها للخرال * ستنة
وتأزحى والوليس ، وتأز القمام في الجو ، فخفف من أشعة الشمس ، وكسر سناها

فكان صدأ على ديتار (٣)

بدت في بين الشاعر كأنها ديتار عليه صدأ :
والنقح * كسر من سنا شمس الضحى

وتد يربد الشاعر بين الشمس وعناصر الداهية الأخرى بعلائق ودية عاطفية ، فهي
تضاهت الشجرة ، وتغازل الأعشوانة :

ولحظها آتف من الداء أفرى (٤)

بما حكها نثر من الشمس واضع

قد غارتها الشمس غيب سكار (٥)

تندب بفسه أقعوانة اجبر

والشمس اذا غشاها الغمام ، والتصفرتها الفاتمة الى شعوب ، تذكر الشاعر بالمرس
وأثارة ، وبصورها مربضة شاحبة البهين :

* - الغزاة : الشمس .

* - النقح : الغبار .

* هاء (فيه) تعود على الصباح .

(١) الديوان : ١٣٩

(٢) نفسه : ١٢٨

(٣) نفسه : ٣٧

(٤) نفسه : ٧٠

(٥) نفسه : ١٥٤

- فالشَّمْسُ شاحبةُ البَيِّنِ مريضَةٌ
والرَّيحُ خافِقةُ الجَنائِ بَلِيلُ (١)
- وهي تذكره أُنْبا في سال غروبها ، وضمتها لها ، وأسفرار لونها بالعريض فيخلع عليها
من صفاته :
- والشَّمْسُ تَجَنُّ لِلشُّرُوبِ مريضَةٌ
وَالرَّعْدُ يَزِيحُ وَالْغَمَامَةُ تَنْفُكُ (٢)
- والشمس إذا كانت تفتنه في مشاهداتها المتنوعة فإنها في غروبها له أشد فتنة ، فهي
تروقه بأشعتها الصفراء الدافئة ، وقبيل النظر إليها ، وتتبعها وهي تتوارى شيئاً فشيئاً
تلتفح في ثوب الليل الأخضر :
- وصفرةُ سواي العَرِيشِ تَرَوُّتُنِي
على لَحْصٍ من مسقطِ الشَّمْسِ أُسْقِرُ
إلى أن توارتْ بِالْجَبَابِ مريضَةٌ
تَلْقَحُ في ثوبٍ من الليلِ أَخْضَرِ (٣)
- وهي تروته ، فذلك ، نبي سلبها إلى الشُّرُوبِ ، وقد صبغت بأشعتها وجه النهر ، فبدأ
كأنه سبغ صبغاً عليه بقية من دم :
- وَقَدْ وَلَّتِ الشَّمْسُ مَحْتَشَةً
إِلَى الرَّبِّ تَرَوُّوْكَ كَرِيحُ
كَأَنَّ سَنَاها على نَهْـمِـرِهِ
بَقايا تَجِيحٍ بِسُوفِ عَقِيحُ (٤)
- وقد وصف الشاعر الشمس في مشاهد غير هذه المشاهد ، ضمنها أغراضه الشعرية الأخرى
تلك الأغراض التي اصطلحت في كثير من معانيها وموجعها بمشاهد الطبيعة ، والرائية
ما يدل على أن مكانة الطبيعة عند الشاعر ، كبيرة ، وإن إحساسه بها كان قويا عارفاً .

(١) الديوان : ٢٥٤

(٢) نفسه : ٢٨٥

(٣) نفسه : ٣٧٧

(٤) نفسه : ٣٧٨

الفصل السابع

في

الطبيعة الحبيسة

لم يقتصر ابن خفاجة في وصفه على الطبيعة الصامتة ، ورسد مشاهد ها ، وصور مناظرها ،
 بل هي في الواقع ، أو مسترجعة بشاعره وإحساسه فحسب ، بل امتد بصره ، كذلك ، إلى
 ما في بيئته من كائنات حية ، فوصفها ووصفاني فيه بالصورة الحسية العامة ، وفي عنده
 ما هي في الطبيعة ، مرتبطة بالطبيعة ، ملتصقة بها ، ولهذا هذا الارتباط هو الذي جعل
 شاعر يستعد ، في تصوير عناصر الطبيعة الصامتة وحيواناتها ، وابن خفاجة لا يستغنى في
 وصفه بل ما عرفته بيئته من ، مبررات أليفة ووحشية ، فهو لا يذكر من حيواناتها الأليف سـ
 لفرس والذئب ، والنسب والكثير والناقة ، ولا يذكر من حيواناتها الوحشي غير الذئب والأرنب
 الأسد ذكرها ، كما أنه لا يذكر من طيورها سوى السمك والمكا ، والمصفر والقذالة
 البازي ، ولم يصف من الزواحف والدمرات غير العبة والنحلة وذكر السمكة عرنا وهي موصوفات
 تفاوت ، على قلتها ، من حيث عنابة الشاعر بها ، تناوتا وانما ، ففي الوقت الذي يعظم
 فيه الفرس ، والحمام والطيور عامة ، بهناية الشاعر واهتمامه ، فيكثر من وصفها ، لا تغفل غيرهما من
 عناصر الطبيعة الدبة إلا بصور قليلة ، ولعل لعل الشاعر بفرسه ، وسيلة السمك والسمك
 لفردية الطبيعة التي أحبها الشاعر ، وهما بهما أثرا في اتفاقه بها ووصفه لها أكثر
 من غيرها .

الخيال

ان أرضا واسعة كأرض الأندلس ، وهيئة جوية تهيئتها لا بد إلا أن تعتمد على الخيال
 عتادا كبيرا ، فهي وسيلة السفر السريعة ، ووسيلة الحرب السهلة ، كما أنها تشكل بمنظرها
 وهي تسر وسد من الطبيعة الغامضة مشهدا من أجمل المشاهد التي تجد العين فسي
 تحليلها ومشاهدتها متعة كبيرة ، وابن خفاجة ، وهو ابن الجزيرة الفناء ، أحسن هذه المتعة

وشعر يدهر الفرس في حياته اليومية ، فأحبه وارتبط به ، وصوّره في شعره تصويراً جليلاً
محاسنه ، وأبرز صفاته ، وأمنّى عليه جملاً ورعة .

والأدهر أن الشاعر كان مولعاً بامتداد الأفراس ، وتدل أوصافه فيها على أنه كان يملك
بعضة منها لا فرساً واحداً ، فقد وصف القرن الأشهب ، والاشقر ، والأدهم ، والبـورد
والابلق ، وأعدى إلى أحد اصحابه مهراً بهيماً . وقد يحرس الشاعر على أن تكون
أتراسه كلها كريمة الأصل ، ونجبة ومروضة تلين راحتها وتسلس له القباد ، وتفهم إشارته
وتشاركه احساسه ومشاعره ، وقد أجمل في أوصافه الصفات التي كان يحرس على
توفرها في فرسه ، فهو فرس مشرق المنق ، أسيل الخلد ، ضافي الذيل والعرف :

ومشرق الهادي * ملول الشّوى * عافي سبيب الذّيل والمُرنّ (١)

.....

وأعلق الدّليّ ملول الشّوى * مستشرق الهادي على العامِل (٢)

وترسه بالاضافة إلى ذلك قصير سبيب الذيل ، قصير الظهر ، قصير الأذن :

ملول سبيب الحرف والمُنق والشّوى * قصير عسب الذّيل والأذن والظهر (٣)

-
- (١) الديران : ٢٨٠ * الهادي : المنق . الشّوى : جمع شواة ، وهي القوائم
(٢) نفسه : ٢٦٤ : العامل : عامل الرمح ، وهو ما يلي السنان .
(٣) نفسه : ٢٦ : المسبيب : عظمة الذيل أو منبت الشعر منه .

وفرسه طويل الشاوي ، عال ملواع :
وأبلى * شوار العناني سلكهم

طويل الشوى والشاوي ألقا (١)

وهو قصير الشعر أجود :

ومش بتيه أتيلاً أجود

في شقرة لو سأل سأل نكساراً (٢)

وعني نفس الصفات المادية التي تحتجبها العرب في أفراسها (٣) ، ولكن الشاعر
خالصهم في واحدة ، هي تصرف أذن في فرسه ، وطولها عندهم .

وكما عني الشاعر بصفات أفراسه الجسمية ، عني بالوانها أيها ، فصور منها الأشهب
والأشقر ، والأسود ، والورد ، والأبلى ، واحتمان بها في بيئته الذهبية من معانيها
وعناصره والوان في رسمها وإبرازها وتجميلها ، مع العريس الدائم على تنوع المشاهد ، وتفجير
الأمير التي تحتضن أفراسه ، فقد يصفها في الليل ، حيث الظلمة ، والنجوم اللامعة
أو في الصباح ، حيث امتزاج الظلمة بالنهار ، وقد يصفها في جو المعركة ، حيث السيوف
والرماع ، والتقى ، مشبها إياها ، في حركتها وألوانها بما يحيط به من عناصر وظواهر
البيئة المختلفة ، فالفرس الأشهب يروقه بلونه الأبيض ، ويوحى إليه ، وهو يصوره ، بهيمتي
النور التي يستوعبها من طمحيته ، في ظلام ليلها ، وحرها وموجها ، وكواكبها ونجومها
كما قد توحى إليه سموره ببعض التشبيهات يستلها من بيئته العنصرية ، ويوظفها في تصويره .
فهو يلاطم بحر الظلام ، ويناطح لبيكه بموجة هي فرسه الأشهب ، الذي بدا بلونه

(١) الديوان : ٥٧ * - الألبق : فيه بافروسوا .

(٢) نفسه : ١٤٣

(٣) كتاب الخيل لأبي عبيد : ٤٧ - ٤٨

الأيمن في الليل المثلّم لأنه غرة في جبهة دهائه أو نجما لامعا من نجومه :

لا طمت لبعته بموجة أشهب
قد سال في وجه الدجاجة غيرة
مربي بها بحر اللام فيرتبي
فالليل في شبة الأعرالهم
ومهند عذب ثلاثة أنسيم (١)

وإذا تصور نفسه في معركة ، لم يصور نفسه إلا على فرس أشهب سريع ، مقدام ، يبدو في مثل المجاج كأنه سباع سفر ، أو كوكب متدن ، ولا يخادر المعركة إلا ظافرا ، مضطجعا بالدم لما أصابه من جراح :

ورميت هبته بلبّة أشهب
يجرب فتفسه انبلافا كوكبا
فسمرت ليلان سباع شفير
ينقرا في غبر المجاج الأكر
وزلت منه ظافرا عن أشعر (٢)

وقد يندار الشاعر إلى فرسه الأشهب من خذل وسائله الكتابية ، فيتمطه في سبته وبهائه بالرقعة السنّة ، ولكن الذي يغفل سألورها وينقط مروفها بالبر القلم ، وإنما نعال السبوت وأسنة الرماح ، كما يصور حال الفرير في المعركة اتحالا وادبارا ، بحال الصحيفة طيها ونشرا :

وأشبه ونحلي تامل رقصة
تعد سطور القرب يوما بها الطبا
من العشي لم تعثر بها العي في بشر
وبمجمها وغز الصفة الشمر
وتدّج منه السليم ما ينشرو الرغس
فلورا إلى لي وطورا إلى نشير (٣)

وقد يجعل أوصاف فرسه الأشهب في حالاته المغلطة في موت واحد ، فهو أرف ، سريع لحدو ، يميل إلى مدفه كلع البصر ، حتى أن لميك الدباب في سراه لا يجاريه في عدوه فهو إذا سرن ليل فلوب ثابت مني * ، وإذا خان الغلاة فاشبه ما يكون بالسعلاة في صبرها وقوتها ، وهو في : ربه ينساب في طواعية وسر ، حتى لمصر رايه كأن ربح الجنوب قد انقادت

(١) الديوان : ٢٤٤

(٢) نفسه : ٥٠ * - اللبة : المنعر

(٣) نفسه : ٢٦ * - الظلي جمع ظليّة : حد السيف أو السنان

له ، أو كأنه است بعنان ريح الشمال ، ولكن الفرس وهو محلى غيره وهو عاقل ، فصورته هنا غير صورته هناك ، فهي هنا أكثر غيا وبرقا ، فهو يبدو ، وقد جال في حلبة البراعة ، كأنه الصبح علقه الانجم ، أو كأنه صبح ملجم بالشرا ، وهو اذا جرت بدا كالهرق ، المسح بالهلال :

رَبِّ لِرَيْحٍ لِّلْأَرْفِ سَرْعَةً عَسْدُو	ليس بعري سراء عريف الخيال
إِنْ سَرَّ فِي الدِّينِ فَبِمَنْى الدَّرَارِي*	أوسق في القلا فإحدى السقالي*
لَسْتُ أَدْرِى إِنْ قَدِ لِمَا أُسْرِي	أو تطيته غداة قتال
أَجْنُوبٌ تُتَّقَا لِي مِنْ بَجْنِيَسٍ*	أم شال عنانها بشمال السبي
جَالٌ فِي أَنْجَمٍ مِنَ الْعَلَى بِمَنْى	وقمى من الصّباح هـ ذال
أَشْهَبُ اللَّوْنِ أَثْقَلَتْهُ خَلِيَسٌ*	حبّ فيهن وهو ملقّ اليبال
فَبَدَا الصَّبْحُ مَلْجَمًا بِالشَّرِيَسَا	وجرت البرق منرجا بالهلال (١)

وصوره في حال عدوه ، ولا حقه بهصره ، ثم يرسم له صورا متتابعة ، يعتمد فيها على الطبيعة من حوله ، اعتمادا واضحا ، فهو اذا اراد تصوير شعبة فرسه ، تصور الصباح شعبة لفرسه بعتلها اذا مش ، واذا اراد تصوير شدة سرعته تبادرت الى ذهنه ظاهرة الرياح في هبوبها وسرعتها ، فتختل أن فرسه ينتعلها في عدوه ، هذا عن العدو ، واما ما يخلفها من الفرس وراءه من غبار متعاقد في السماء ، فانه يوصي الى الشاعر بظاهرة كونية اخرى ، هي ظاهرة الغمامة المبرقة ليلا ، كما يوصي اليه بقوة بدقائه ، وشدة وقع هوافره على الأرض ، وركن الذهب المنهار من عل .

وَأَقْبَابُ يَحْتَمِلُ الصَّبَاحَ إِذَا شَى	شعبة تحتل الرياح اذا جـ
قَدْ بَاتَ يَحْمِلُ لَبْدَهُ ظَهِي النَّدَا	ركضا يحمل لبده ليك الشورى

(١) الديوان : ٣٦٠ ، ١٤٠ * - الطرف : الفرس الطويل القوائم ، الطويل العنق الطرف الاذنين . الدراري : جمع دري : وهو الكوكب الثاقب المنى * ، نسب الى الدر لبياضه السعالي : جمع سعلاة ، وهي اغيث الخيلان . الجنيب : الغرب . مذل : اي له ذيل . . . الجلال : جلال الثوب أو الكساء . الأطراف : حب : اسرع .

أزجى * هنا أنظمة برق
فكان ركن آخر فيها من حيسرا * (١)

وحط التراب على الصبا فأنما
واسترجعت الارض الفضاة هوشية

وفرس الشاعر فرس شجاع ، كبرليم ، يقدم على العدو وغيرهما يولا وجل ، يلف العدو وكأنه
مع الهوجاء تمثت بالهشوم ، صمد وبلونه الأشهب من وراء النقي كأنه البرق الثالث
صناد ياررد بشهته الصافية الليل الهيم ، صخر الظلمة المدلحة :

وقتها أكرهه كرهها
فست أرت ، الا كليها
على ضرب تلق به هشيمها
تألق شهنة وحفا أدبها
طردت من الظلام به غلهمها * (٢)

وملورا أجزده صقيها
إذا أتبلته سحر السوالي
وقد لفت العدو كأن رجها
يشيم به وراء النقي برقها
إذا أولأتها عتاب ليلها

وقد يضاره سباق الحديث عن الصحراء الى استخدام معانياتها ، فهتعت فرسها
بما تنعت به الابل ، فهو يذوب الدجى ، وصمد ظلته بفرس أعين ضامر ، يحمر بها حوله
ويتأمل نجوم السماء ، حتى لذاته منجم ، ويتألق في الصحراء مسرعا كأنه سهم رمت به يمد
البدا ، والشاعر في هذا يشخص الشخصية ، ويبحث فيها المرونة والحياة :

رمت به ركن الدجى فتهدأ
كأن به تحت الألام منقوصا
به في يد البدا والشهيم مرتقى (٣)

فدبت الدجى منه بأعين ضامر
تليق لمرقا في الكواكب ساميا
ومن عجب أتى أرى القوس منحنى

وأما الفرس الأشقر ، فيذكر الشاعر بكل ما في الحب من حوله ، من عناصر ومعطيات
تشترك وفرسه في هذا اللون ، فهو اذا وصفه تذكر الجلنار ، والنضار ، والشهاب ، والجمر
والشمس ، والنجم ، والبرق الملتهم ، والاعصار ، وهي ظواهر يستفد منها الشاعر فسي

* - الاقب : الضامر . أزجى : ساق ودفع . حرا : جبل بمكة
- المصوب : الجدول الشديد الجري ، يشبه به الفرس
لذلك . الظليم : ذكر النعام
- الاعين : من الابل : الابيض الذي يخالده بها ضمه
شي من الشقرة .

(١) الديوان : ٢٥٢
(٢) نفسه : ١١٥
(٣) نفسه : ١٧٣

بناءً صورة عصانه في حالاته المختلفة ، فهو يفتأ ففرسه الأشقر الأجرد مجبها ، وهو يستر
لنظرة الجميل ومحوته الرائعة ، وهو يختال في شقوته التي لو سالت لسالت نضارا ، وهو يرقص
أعلا فاه لها في شبة تحلو في الذلركا نهما كاس عتار تدار ، وهو خاللق بسرعة فأنه الاعصار
ان محوته لجميلة ، ونظرة لهدى ، وصوت من الاسماع كل الطرا ، ومن الأبرار كل تأمل
وامان :

وشى ربيته اغتيا لا أجبر * في شقرة لو سأل سأل فمضارا *
تسترقق الاعا قمن طرب به * شبة تدور على العيون عتبارا *
لو كنت شاهده وقد ملا التلا * ركنيا وشدة على الخني حضارا *
لرأيت فيما قد رأيت وقد بسدا * نارا تكون اذا جرت إعصارا *
استمالت الاسماع المرأة ليه * في صورة تستمالت الأمتصارا (١) :

وانا خا ن ففرسه الأشقر الحما الليل ، وأراد وبفانك الحال ، تذكر كوكب الدجى
الناقب ، والفحم والجمرا الملتهب ففرسه كوكب مقصوب ، وشعلة نار ملتهبة في فحة الليل :

ألا زاحم الليل في أشق * تصوب تحت البجى كوكبها *
نناد وقد نار به شعله * على فحة الليل أن يلهبها *
ومات بطارده به سارق * أحال غراب الدجى أشهبها (٢) :

وتشبهه الليل بالفحم ، والفرس الاشقر في ظلمته بالشعلة ، تشبه بذرره الشاعر لما فيه
من مفارقات لونية :

وليل قرئت به عزمه * قد حثت الألام بها فاضطرهم *
وأولمات أعشاه أشقرا * كأنني نقت به في ضميرهم *
كان وقد غاب الليل بي * قد حثت به شعله في فحهم (٣) :

* - فرس أجرد : قصير الشفر ومبتهس
* - النصار : الذهب
* - الحنار : القوة ونبوة السير .

(١) الدهوان : ١٤٣
(٢) نفسه : ٢٤٤
(٣) نفسه : ٤٦ - ٤٧

ومحبب الشاعر بلون فرسه ، وفقتن بشقرته ، فبرت فيه شعلة نار تنرم في العرب
دره لونه بالظلمة من سوله فلجأ اليها ، يستعين بالوانها ومصلحاتها في رسم صورتها
بها عرسه ، فلون فرسه من جلتار ناضر ، وأذنه المولدة من ورق الأكس ، وخرته في شقرته تدعي
نغمرب بلونها ، مهاب :

وأشقر تنرم منه الرقاسي
من جلتار ناضر لونك
بالمخ للشرقة في شقرك
بشعلة من شعل الأكاس
وأذنه من ورق الأكاس
حياة تنمحت في ككاس (١)

وإذا وسف فرسه الأشقر وساد الممركة ، شبهه بما يناسب السقام من ألوان وظلوا
هو ملهم ، شرق الأديم ، كأنه مخضب بالدم ، وكأنه وهو يغور الممركة ، وصغرت عجايبها
ببنة رذها ما بارك بسوق سحاب القتام ، أو كأنه شهاب يروح شياطين الحدا في ليل النصار
هو إذا تلالأت على شقرته الدلى ولمعت أشبه كأس غمر. علام حباب :

وكلهم شرق الأديم لأكس
الرب اذا غنى العسام مسرى
قد بحث يد التنبه منه بارقنا
ورس الدخانك به شياطين الصبا
بسام شقر الئلي تحسب أنس
ألفتماعطفه النبيع خضابنا
نوب المجاجة جبهة وذهابنا
متلها برجن القتام سخابنا
فانقش في ليل الفبا رشنا بنا
كأثر آثارها المزاج حبابنا (٢)

وأما الفرس ذو اللون الاسود ، فلا يستوقف الشاعر طويلا ، وكأنه به لم يكن يستريح
لهذا اللون ، ولا يارب له نفسه المر بها المقدار الفرس الأشهب ، والاشقر ، فهو يركب يومنا
فرسا أسود يرمي به الصبا ، فيقلب ضياءه وبهاضه الى سواد ، وهو لشبهه بالليل ، فليكن
الشاعر يرفع به ثوبه اذا رث :

وأقبلت وجه الردى أدغمنا
كأنني وقد رث ثوب الدجس
رمت الصبا به فاذلهم
رثت به خرقة فالتسام (٣)

* - الجلتار : زهر رمان البر .

- الأكاس : الشدة .

(١) الديوان : ١٢٣

(٢) نفسه : ٢١١

(٣) نفسه : ٤٦

صركب يوما آخر فرسا يفوق الليل سوادا ؟

وأدهم من ليل السرار ركشيبه
فأبدعت أسرار الشون صدر كاتيم (١)

وصفه في موضع آخر مشهاها ، ودعته ، بليلة الهجر ، إلا أنه يتميز عنها بحسنه وجماله
لا نلاحظ استلاعت المدين التميز بينهما ، ثم ينتقل من اللون إلى الصفات الجسمية لفرسه
فسمي ب عرقه ، وعنفه وشواه بالليل ، سمي عسب الذيل والأذن والظهر بالقصر ، استدلا
لعل على جودة عرق فرسه ، ويتفاهل بفرته خيرا ، ففرق أن البصر معقود بها ، ثم عسود
الدمية العامة لفرسه الأسود وهو يخون نقي المعركة فينظر إليه من خلال وسائله الكثيفة
بصعفة وحر ، فيتصور النقي صعيقة والفرس حبرا أسود مسلها على صفعتها ؛

وأدهم لولا أن رأى صورة
طهل سبب الخوف والعنف والشون
له غرة تستصيب القدر الملقية
أما وانتشار النقي عنه صعيقة

لما عرفته العين من ليل الهجير
تصير عسب الذيل والأذن والظهر
كثات بها في شورة الشون من عشر
لقد راع في ثلث الصعيفة من جيتير (٢)

ويتقنع المهر الادهم البهيم ، الذي تقدمه هدية إلى أحد اصحابه ، وثقة المول ، وصفه
فيها وعفا زينه وجهه وثره إلى نفس المهدى إليه ، فهو مهر جميل الصورة ، حسن المنظر
بدعته التي لو ابلغ بها الليل لراى عين المحب ، ولاب له فيه السهر ؛ سريح ، تشييط
كريم الفحال ، يحسن إلى ندر صاحبه الجديد ، ويصو إلى كرمه ، وهو يهداه له انما يرسكل
الريح إلى المار ، ويهد به جلاء ونحوها لانه قمر ، والقمر لا يهدو على أتمه ووضوهم
... .. إلا في دهمه الليل ؛

من
الشون : الفرس أو توائمه

(١) الديوان : ٢٥٩ ؛

(٢) نفسه : ٢٦ ؛

تَقْبَلُ الْمَهْرَ مِنْ أَخِي تَقْبَلُ
مُشْتَمِلًا بِالْذَلَامِ مِنْ شَيْءٍ
مَنْسَبًا لَوْنُهُ وَغَرَضُ
تَحْسَبُهُ مِنْ عِلَالٍ مُسْتَرْقِيًا
حَنَّ إِلَى رَاعِيَةٍ تَفِيئُ نَبِيذِي
تَرَى بِهِ وَالنَّشَاءَ لِيَهْلِيهِ
لَوْ حَتَلَ اللَّيْلُ حَسَنَ دَهْمَتِيهِ
أُحْسِنِي مِنَ النِّجَمِ بِرَمْعِ كَرَمِي
أَسْوَدَ وَأَبْيَضَ فَعَلَهُ كَرَمِي
كَأَنَّهُ وَالنُّفُوسُ تَعَشِقُنِي
فَارْتَدُّ سَنًا بِهَجَةٍ بِدَهْمَتِيهِ
وَمِثْلُ شُكْرِي عَلَى تَقْبَلِيهِ

أَرْسَلَ رِيحًا بِهِ إِلَى حَلِيمِي
لَهْمَتِي لِيَهْلِيَهَا عَلَى سَحَابِي
إِلَى سَوَادِ الْفَوَاحِ وَالْبَهْمِي
بِهَجَةٍ مَرَأَى وَحَسَنَ مَخْتَلِمِي
فَقَالَ ظِلُّهُ بِهِ عَلَى نَهْمِي
مَا شِئْتَ مِنْ فَعْمَةٍ وَمِنْ شَبَابِي
أَتَعَ طَرَفَ النُّجُومِ بِالسَّهْمِي
ظَهَرًا وَأَجْرَى بِهِ مِنَ الْقَبْدَرِ
فَالْتَقَتِ الْمَشْرِقُ مِنْهُ عَنْ حَبَابِي
مَرْكَبُ مَنْ مَحَابِيِنِ الصُّبْحِ
فَاللَّيْلُ أَدْنَى لِفَسْرَةِ الْقَبْرِ
يَجْتَمِعُ بَيْنَ النَّسَمِ وَالزَّهْرِ (١)

وأنحاء الشاعر في هذا الوزن ، استمارة وتشبيها ولها قاء ، على اللبيمة للصامطة ، وأقاداته
من معانيها الكثيرة واضع جلي .
وتد يثقف الشاعر يرقب الممرقة من كتب ، فتمجبه الغيل في عركتها وألوانها الزاهية
في اتبالها وأدبارها فيصورها تسميرا حيا ، طيفا بالالوان ، يستلهم فيه اللبيمة من عولته
فيقول :

وَالْخَيْلُ تَفْرِى بِبُيُوتِ النَّفْعِ مِنْ حَرْبٍ
مِنْ أَشْهَبِ شَيْءٍ عَنْهُ الرُّكْنُ مَهْوَتِي
وَأَدْهَمِ فَضْلِ التَّحْجِيلِ أَكْرَمِي
وَأَشْفَقَ سَائِلِي فِي وَجْهِهِ وَمَسْجِدِي
وَهَذَا الْفَرَسُ الزُّرْدُ وَهَذَا الْفَرَسُ الْأَشْفَرُ لَا أَنَّهُ يَزِيدُ عَلَيْهِ سَمَوْتُهُ وَهَمُو
مَحَلِّي ، حَيْثُ يَشْبَهُهُ بِلَوْنِ الزُّرْدِ ، وَحَلِيهِ الْبَلَّالَةُ النَّاصِعَةُ ، الْأَخَانَةُ ، بِهَلْفَارَةٍ نَثَرَتْ عَلَيْهِمَا
الدَّسَمَا زَعَمَ الْأَتَاهِي :
فَوْقَ وَرْدٍ مَتَّعِلٍ مَنَ الْحَسْبِ مَنَ بَمَرَاهِ مَاهٍ وَعَقْدَارُهُ (٢)

(١) الديوان : ١٩١ - ١٩٢

(٢) نفسه : ٢٥٣

خَلَّسَتْ نَارَ اللَّيْهَةِ سَبْكَهَا وَأَمَلَتْ لُجْبَتَهُ وَنُضَارَهُ
تَدَحُّ الرُّكُوزُ زَنْدَهُ فَاسْتَلَّارَتْ فِي دَخَانِ الْمَجَاجِ مِنْهُ شَرَارَهُ
بَهَضَ الْحَلِيِّ فَوْقَهُ عَنْ أَقْلَاجِ نَثَرَتْهَا الصَّبَا عَلَى تَجَلَّنَارَهُ (١)

وهو أمر ناسط فيه اعتماد الشاعر الواضح على اللمعة تشبيها واستعارة ، مما يبرهن ما ذهبنا إليه قبل من أن اللمعة المأخوذة كانت مهيئة على مغيلة الشاعر ، تفكر في ... حاسوبها عليه ، وتتقمع عالم صورها ومعانيها على اختلافها .
وانا نظر الى الفرس الأملح ، وأراد وصفه ، تداعت الصور المشابهة في مخيلته ، فمن صورة السحاب الأسود المبرق ، الى صورة الغراب الابقع ، الى صورة الظلام المرقع بالصباح ، وهي صور اللمعة يتكسّر عليها الشاعر في إبراز لون فرسه ، ثم يترك اللون الى ما سواه من صفات ، ففرسه سريع الجري ، لا يكاد البرق يجاريه في سرعته ، حساس بمسمع الاصوات ، وطيرب للغماء ، ومن كما حبه الى المدح فيمرب من حبه بصهيله ؟

وَأَهْلَقَ خَوَارِجَ الْيَتَانِ مَدْلَهْمِمْ الْمُهْلِكِ الشَّوْبَ وَالشَّأْوَ أَقْوَدَ أَتْلَمَا
جَرْنَ وَجَرَ الْبَرْقِ الْيَمَانِي عَشِيمَةً فَاهْطَأَعَنَ الْبَرْقُ عَجْزًا وَأَسْرَمَمَا
كَأَنَّ سَنَابِلَهَا اسْتَقَامَتْ حَتَّى لَيْسَ لَهُ تَضَاعَتْ عَنْ بَرْقٍ مَرْدٍ فَتَصَدَّعَمَا
وَحَسِبْتُ الْأَعَادِي مِنْهُ أَنْ يَزْجُرُوا بِهِ مَخِيرًا غَرَابًا صَبَّحَ الْحَيَّ أَهْقَمَمَا
كَأَنَّ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ خَلَجِ الشُّرَى قَمِيصَ ظَلَامٍ بِالصَّبَاحِ مَرْقَمَمَا
رَكُضَتْ بِهِ بِمَرَاتِدٍ فَقَّ مَا يُجْجَا وَأَتَمَّلْتُ أَمَّ الرُّأُلِ نَكْبَاءَ زَغَرَقَمَا
يَوْئِلُ مِنْ أُنْذُنٍ فَأُنْذُنٍ تَشْوَفَمَا إِلَى صَرْخَةٍ مِنْ هَاتِفٍ وَتَلْمَعَا (٢)

(١) الديوان : ٥٧ - ٥٨

(٢) نفسه : ١١٢

فالوصف كما نلاحظ ، ومشتق ، لا يشذ فيه الشاعر عما هو مألوف في وصف الفرس منذ
الجاهلية وصدق عصره ، إلا أن ابتكاه على الطبيعة ، واستفاد منه لغتنا صرخا ومعانيها فسي
بناء صوره يبدو واضحا جليا . والشاعر لا ينسى أن يخلج ما بينه من عصب لا يراهيم حسن
يوسس وتأييد لدعوته التي يدعها بإخلاص ، ودافع عنها في شعره بصدق وصرارة .

وبدو أن الشاعر كان ينتقي أفراسه ، وفرسه كرم الوالدين ، نجيب ، غفيل ، مرساة
شديد السرعة لا يعشق إلى أن يرمي بسوطه ، يحسن إلى شتره ، ويخطف على السرور ليل من يتلصق
الأرضي الأبياء الدريزة عليه وعلى صاحبه :

تَخَيَّرْتُ مِنْ رَهْدِكَ أَقْوَى سَابِعَةً	أَغْرَزْتُمُ الْوَالِدَيْنِ تَجَرِبَةً
غَفِيلاً وَلَمْ يَحْلَمْ بِسَوْطٍ تَأْتِسُ	بِفَوْثٍ عَدَوٍّ أَوْ يَهْزُمُ حَبِيبَةً
وَحَنَّنَ إِلَى شَتْرِ فُصِّتٍ عَلَى الشَّرَى	بِمَوْشٍ خَلَبَتْهُ أَوْ بِجُوبٍ كَثِيبَةً
يَوْزُمُ بِهَا أَرْضاً عَلَيَّ كَرِيمَةً	وَمَرَّتُهُمَا فَيَبِأُ إِلَيَّ حَبِيبَةً (١)

وفرسه مودب ، لو أن الله دلفه بالعبادة ، لدان من الستين :

مَوْدَّبًا لَوْ دَانَ مَسْتَمْتَبَةً	لَمْ يَمْنَحِ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ (٢)
--------------------------------------	--

(١) الديوان : ١١٢ * - الاعوج : اسم فرس نسب إليه * الاعوجيات .

(٢) نفسه : ٢٨٠

وموحياس ، ذكي ، يراجع صاحبه رجح الحنين ، وشاركه شعوره بالغربة ، وفيهم
عليه ، وتعلم منه معاني الشوق الى الامل والاويلان :

هَجَانِي رَجَحَ الْحَنِينَ عَلَى الشَّرَى	كَأَنَّ لَهُ عَلَيَّ هَنَاتًا مُتَمِّمًا
وَدَلَّيْهِ سَهْجَ الدَّاعَةِ بِالضُّحَى	فَلْيُوبِ إِلَيْهَا حُلُقَهُ مُتَقَيِّمًا
وَمَا كَانَ يَدْرِي مَا الْقَيْنُ عَلَى النَّوَى	وَلَكِنِّي طَارَتْهُ فَتَمَلَّسًا
فَاعَانَ بِي وَجَدْتُ عَلَى رُشْمٍ مَنْسُوزٍ	فَاعُولْتُ إِلَّا حَنًّا شَوْقًا فَأَرْزَمًا * (١)

واين مفاجأة في وصفه للفرس لا يخرج في كثير من معانيه وصوره ، عما هو معروف ومألوف
في أوصاف الخيل في ديوان الشاعر المصري ، وان عرضها بأسلوبه الغامض ، مما يغلطنا
نظن أن له ، اطلعا جيدا في هذا المجال ، حصل عليه عن طريق مطالعته في ديوان
الشاعر المصري القديم ، أو عن طريق الكتب المقتضية بهذا الشأن . ككتاب الخيل لأبي عبيدة
مثلا ، وهو كتاب كان معروفا في الأندلس منذ أبي علي القالي ، وكان أبو محمد بن السيد
صديق الشاعر ، وربما استأذنه أحد رواة (٢) ، ولملحه يكون قد اطلع عليه من خلال
ولكن الظاهرة التي يمكن أن تلحظ في أوصافه للخيل ، هي استطاعه لالوان الطبيعة
ومدلياتها المختلفة ، واتكاؤه عليها في تشبيهاته واستعاراته ، ما يدل على تمكن الابهيمية
من نفسه واستيلائها على احساسه وشعوره .

* الأمل :

أغلب الذين أن شبه جزيرة الأندلس ، قد عرفت هذا النوع من الأنعام ، فقد ذكر ابن الخطيب
في اعطال الاعلام أن المنصور بن أبي عامر كان له من الجمال المتصرف في حمل الاثقال

* أرزما : صهل .

(١) الديوان : ١٧٣

(٢) فهرسة ابن خبير : ٣٨٢

بمئة آلاف الا مئة بمسار كورة تدوير * (١) وهذا يعني أن الجمال كانت شاهية
لوفة لدى الاندلسيين ، ولهمت كائنا غلبتهم الممكة ، وعودن مصرى ، ولو وقف عليه
لستشرق الاسباني غارثية غوث لما نفى وجود الجمال في الاندلس قبل معركة الزلاقة
ذلك في قوله : أقبل يوسف بن تاشفين المراكبي الى الاندلس بجماله معه ، فرعب منها
الاندلسيون ، ان لم يكونوا قد رأوها قبل ذلك ، جمال في اسبانيا ؛ لقد تافروا الاندلس
واصبى ولاية تامة للمغرب (٢) . فهو يون لوجودها في الاندلس بدخول المراكبيين
ولا ندري من أين استقى هذا الخبر ، فالصادر التي أرخت للوقعة ، وتحدثت عنها بالتفصيل
لم تشر لا تصريحها ولا تلصحا الى وجود جمال في المعركة ، ولكننا ، مع ذلك ، لا ننفي
أن يكون المراكبيون قد استخدموها في نقل مؤنهم ومعداتهم ، كما لا ننفي في الوقت
نفسه عن الاندلسيين رؤيتهم للجمال قبل دخول المراكبيين ، على أرض الاندلس ، أو في
المغرب ، عن طريق الاتصال الذي لم يتقطع بين المدينتين منذ الفتح ، هذا اذا كان
غارثية غوث يعني بالاندلسيين سكان شبه الجزيرة عامة ، وأما اذا كان يعني بهم الجيش
النصراني الزاحف من شمال شبه الجزيرة ، فحق هو لا يشك في عدم رؤيتهم للجمال
قبل معركة الزلاقة ، فقد كان المنصور وهو الذي أدخل الى الاندلس ذات المدد اليهم
من الجمال ، لا حاجته اليها في حروبه ، دائم الفارة على السالك النصرانية في الشمال
كما نشاهد في بداية القرن الخامس الهجري ، في توحيد صفوفهم ، وإنه
خلافاتهم ، وشرعوا في شن غاراتهم المتوالية على المسلمين في وسط وجنوب شبه الجزيرة
مفترسين نحفهم وإنسياهم ، ومراعاتهم الداخلية ، فمن المحتمل أن يكونوا قد رأوها
في داخل ذلك ، ولا يستبعد أن نوافذ غارثية غوث في رأيه الجازم هذا ، ألا اذا تأكد
لدينا أن ذلك العدد الكثير من الجمال لم يتكاثر على مر الأعوام ، وانها انقرضت

(١) اعمال الاعلام : ١٠٠

(٢) الشعر الاندلسي : ٥٥

قبل عبور السرايلين الى الاندلس ومهمهم جمالهم التي رعب منها الاندلسيون على حشد
قوله . ونرى أن هذا اللزوم لا يمد وأن يكون زعماءهم دليلاً يستند ، ولعل السبب
في الادلاء به ليكن يهدف لتبرير حقيقة تاريخية ، وانما يهدف تأكيد بداوة المراتب
وخشونتهم وعدم تعرضهم . وقد أشرنا ، سلفاً ، الى أن ابن خفاجة قد سافر الى الممدن
الاندلسية ، والى المغرب غير مرة ، ولعله في خلال أسفاره هذه يكون قد رأى الاصل
ولكن اوسانه فيها لا تتجاوز الاشارة الى أسمائها وبعض صفاتها ، فهو يذكر المصير
والوجناء ، واخفاف الدلي ، والمنسم ، في مقدماته الفزلية ، وفي موضوع الدين والعدبث
عز الهمد ، ذكر اسريها ، فان اتفضل على طريقة الشريف الرضي ومبارك الديلمي وغيرهم
ولهن هذا اسما الا ما كن التبعية والمجازاة على سبيل الرمز ، رأى أنه من الأغرب
أن يركب المصير لا المبول :

رَعَيْتُ الْمَآثِيَّاتِ عَيْنَ الْهَوَى	فَحَيَّتْ مَا بَيْنَ الْكَيْثِ إِلَى الْحَيَى
وَكَلَّتْ رَسْمَ الدَّارِ حَيًّا لِأَهْلِهَا	وَمِنْ لَهَيْدِ الْإَصْفَادِ تَتَمَيَّنَا
وَحَقَّتْ رَايِي وَالْهَوَى يَهْمُ الْهَوَى	فَلْأُدْرِ فِي تَتَمَّا الْآتِمِيْنَا
فَمَا أَنَا وَالظُّلُمُ وَالْمَيِّتُ صَحْبَتُهُ	تَرَانِي بِمَا أَهْدَى النَّوَى كُلَّ مَرْتَمَى (١)

وانا اشتاق الى المصوب ، حمل أنفاس الرياح تبعته اليه ، وترجها أن تلامس دياره
وأن تلتصق مواليه اغناؤه ، ميسر التي تروع وتغدو بين روعها :

أَلَا لَيْتَ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ النَّوَاسِيمِ	يَمَيِّنَ عَنِّي الْوَاضِعَاتِ السَّاسِيمِ
وَتَرْمِينِ أَكْنَافَ الْمُتَمَيِّنِ بِالسَّيْرِ	تَرَدُّدُ فِي تَلَمُّلِهَا وَالْمَعَالِيمِ

(١) الديوان : ٢٣٧ .
* العتيق : اسم موضع .

ولئن ما بين النشيب إلى اليسى موالي أخفاف الصلي التراسيم (١)

وإذا تذر البداة ، وغومته وسعبه في بيناتها ليلا ، تخيل الليل بحرا متلاصقا
فيه غرقى وكواكب السما* لمافية على سطحه :

فبتنا وبئر الليل ملتيل* بنسا
نرى الميمر غرقى والذواكب عومنا (٢)

ولكن السعوب ، يتدلفها الموت ، واحدا بعد واحد ، والأيام تسرع بالشا عر السبي
لشيخوخة ، وعينها الحجز ، والأيام ، والاستقام ، وسعت بجنب بنوع الشباب ، وتهدب أرض

لصبرات ، فلا يتبقى غير الصعل ، يلاقه أنى توجه بناقته الشديدة :
فسرت* وقد أبعدت أرتاد مرتما فلم تطأ الوجنا* في غير ما حيل (٣)

كما يذكر الوجنا* ويخدها في سياق الذكر ، والشرق إلى لقاء السدوح فيقول :
وهل تخذ الوجنا* دون ليلة فتفضي بآمالى إليها سبيل (٤)

وهذه الأشارات ، كما نلاحظ ، لا تدل على علاقة قوية بالاهل ، وارتباط وثيق بهما
بقدر ما تدل على أنها ليست إلا رجعا لثقافة الشاعر وقراءاته في ديوان الشعر العربي ، أو
أنها لا تمد وأن تكون مجرد استجابة ، لمقتضيات السياق العام للحديث ، فذكر الأماكن
النجدية والسجانية ، والبعد والصعاب ، يقتضي ذكر الأهل لارتباطها بها ، وملازمتها لها .

(١) الديوان : ٢٥٨

(٢) نفسه : ١٧٣

(٣) نفسه : ٢٦٢

(٤) نفسه : ٢٩٣

* - الوجنا* : الناقة القوية

* الكلاب :

عني الشاعر في وصفه الكلاب بـ **الكلاب الصيد** ، وخاصة ، ووصفه السقيف لها ، المستفترق صفاتها الجسمية ، وطبيعتها العسية ، وحركتها الشديدة والمطردة ، وهي بأن الشاعر قد خبر عملية الصيد ، ومارسها مرات عدة ، وهذه أروع الأصحاب من أمراء ووزراء وغيرهم . فلابه منتقاة مدربة ، تمتاز بصفات حسنة ، توفيقها للقيام بدورها فهي عملية المرد بنجاح ، كالسرعة ، وقوة الشم ، وحدة النظر ، واللبول في القوائم والظهور والضمور في البدن ، والقدرة على الاستدراك إلى مكن الطريدة ، والشاعر في وصفه للكلاب يهتم بكل تلك الصفات ، ويضيف إليها صفة اللون التي تذكره بالطبيعة من حوله ، ومنها عمرها المتنوع ، فيستعين بها في تصوير كلابه .

فهو يصف لنا مجموعة الكلاب التي أصبحها مدوحه في عملية الطرد ، فيرسم لنا صفاتها الطدية ، وألوانها وسرعتها ، وحركتها ، فهي كلاب سريعة ، ذات أشداق قوية وأهليسة حادة الناز ، وشامة البياض ، مثلثة الأعناق ، تكسر عن أنياب كأنها النصال ، وتقف على أرجل قوية كأنها قنوات الرماح :

ويكَلِ نَاقِي الشَّوْءِ أَشَدَّيْ أَخْزَرِي
طَائِرِي الْقَشَا عَالِي الْمَقْلَدِ ضَارِي
يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ الْيَدِّ سَالِ كَأَمْسَا
يَحْيِي عَلَى مِثْلِ الْقَنَّا الْخَطَّارِ* (١)

وهي كلاب ذات ألوان مختلفة ، فمنها الاسود ، ذو الطرف الأحمر الملتهب كأنه الدمرة المستتدة وسد القدم ، ومنها الحمر الضامر ، الذي ينتقن على اللريدة كأنه الشهاب ، ويبدو من وراء النقي ، وقد تقوس ظهره لضمور في بطنه كهبائل اليتار :

مَنْ كَلَّ مَسَوْنِي تَلَهَّبَ لِرُقُوسِهِ
تَرِيْمَتَ فُحْمَتِهِ بِشُعْلَةٍ نَارِ
وَمَوْسِ الْيَتْرَبَالِ يَخْلَعُ قَدَهُ
مِنْ نَجْمِ رَجْمٍ فِي سَمَاءٍ غَبَسَارِ

(١) الديوان : ٣٥ * ومع خلتار : ذوا هتزاز

والتفت بعجبه هلال سِرَارِ (١)

على السور سرائه فذائمه

وهي كارب مدرية ، تبعت عن القنبي ، وتستدل على وجوده بآثاره ، وإن في الدارقات
أوبين المصور ، ولا يحول ظلام الليل دون قرائتها لأحرف آثار القنبي والاهتداء إليه :

والليل شتيل بشطة قسار
قد ما فقرأ أحرف الآثـار (٢)

مستترياً أثر القنبي على الصفا*
يستقن في سائر الكرين وقد عفا

وقد بكر الشاعر هذه الصفات في المتن في المرمز والتشيل ، متكتاً على معانيها تالليها
ونظراً ، نكبه هذه المرة ، خفيف ، شديد السرعة ، حتى لذاته يهدير بجناحين ، لو سابقه
البرق لما سبق به ، يقوي حاسة الشم ، يشم التراب ، فتغيره الرياح عن بني الأرض ، وتهديه
إلى مكعبها ، ضامر ، موفى في صميمه ، لا تقلت منه الطريدة لسرعته وبراعته ، ثم يسر
إلى اللون ، لون الذهب الأسود ، ذي المنق الحاد ، بالبيان ، وفوق في رسم هذه الصورة
الاهمية السمية ، صورة الليل الذي يهمر رأس الدلاب بظلامه الدامس ، والصباح السني
يأخذ بخنائه :

لدار من النجاش به جناح
فتغير أنفه عنها الرياح
تنكب قوسه لأجل النجاش
فشد على مخنقه سمها (٣)

وأخا* لو تما أن سبق بترني
بشوب الأرض بسأل عن شيتها
أقرب إذا لمرت به قنبيها
أضل براسه ليل بهيم*

ويكاد يصيد ذكر نعر المعاني والمصور في المقابلة التالية ، غير أنه يحل للسرعة
مننا بالسيلان ، كما يضيف إلى الصورة السائقة ، صورة القرائم المحجلة ، والتي يستمر

-
- | | |
|--|------------------|
| * - السراة : أعلى الظاهر ووسيله | (١) الديوان : ٣٥ |
| - القنبي : الطريدة . الصفات : المصفر الطساء | (٢) نفسه : ٣٥ |
| - الاخذال : الدخيل السريع . صاف : من السوفي وهو الشم | (٣) نفسه : ٥٤ |
| - الاقب : الزمار البدين . أضل : يدفن وغيره | |
| - الليل البهيم : الظلم . | |

لها ظاهرة طبيعية ، هي البرق ، فالطلب مغفل ومضطرب يومض البرق ، وذلك بنور الصباح :

بُجُولٌ يَهْتِفُ بِشَرِّهِ عَنِ نَيْمٍ سَالٍ	مَوْلَانِ وَتَعْلِيهِ رِمَ سَالٍ
فَلَوْ رَأَيْتَنِي مُعَذِّبَ الرَّايِ سَالٍ	هَؤُلَاءِ تَسِيلُ بِهِ الْيَلَّ سَالٍ
يَهْتَفُ بِشَرِّهِ وَتَعْلِيهِ التَّسَالِ	يَهْتَفُ بِشَرِّهِ وَتَعْلِيهِ التَّسَالِ
فَخَلَعَهُ وَسُورَهُ وَصِيَّ سَالٍ	جَرَى مَعَهُ وَطَرَقَهُ التَّسَالِ (١)

✽ الانعام :

لقد مرّ وصف ذرة بلنسية بأنها كثيرة الزرع والضرع ، وهذا يعني أنها عذراء أعنداد كثيرة من الابقار والافنام ، ولكن منظرها البعيد ، وهي تسرع في البذلح والهبول والسهبول الصغرة لا يثير في الشاعر أي احساس بالبعاد ، فهو لهيف سوت البشر والجمجمة ، وحسب هذين لهما كرمها الشاعر الا في يوم عيد الأضحي المبارك ، حيث يكثر وجودها في الاسواق ويقتل الناس لشرائها ، ونحوها في ذلك اليوم ، فقد وصف نعمة سودا* ، وكشاً أطلعت وصفاً عنى فيه بالاهرام الموصوفة ، وان كان يتكلم على الجمجمة من حيث استماراته وتشبهاته ،

✽ النسيب :

يصف الشاعر كشاً أطلعت ، حسن الصورة في بيتين من مقطوعة ، سورته فيها وسط نماجه ، يلامه في نماره ، ومن يتهاون ويتشون ، وكأنه أحسن بالدار ، وعرف الحال التي سيؤول ونماجه إليها :

وَأَمْرٌ فِي شَرِّهِ الطَّيْحُ أَطْلَعُ *	يَلْعَبُ رِيَاءُ الْحَبَابِ رَيْبُ
تَبَادُلَتْ تَتْنَى وَمَوْيِدُهُ قَالَتُوى	تَحْسِبُ تَبَادُلَتْ مِنْهُ كَيْسُ (٢)

(١) الديوان : ١٤٧

(٢) نفسه : ١٥٢

* الكش الأطلع : شوالا يلقى بسواد وبهاش

النخبة :

وأما النخبة السوداء فقد حلت من الشاعر بعناية كبر ، فقد وصفها في مشهد يسكن قبل النهر ، وهي تسكن بذاتها الرائق على الضفة الوادي الخصبة ، وبين ظلالها الزارفة ، يبرعها صا ، معها ، وسرقتها من مكان لاخر ، ويرتاد بها المراعي ، ويرد لها المصا ، السب ، منتظرا بفارغ الدجر حلول اليوم الذي يدعها فيه ، ونال من لاسها ، كأنه نكسب في لبوس إنسان ، مشى إليها وهي لا تدري :

وسوداء أمانينة فهي نجبة	تروى وأمانينة فنجبة
أقام بهما بين ظل وتور	مرات يهطن الزاد بين حصب
اتشأ وإياها الشبايتلها	وهل زار إلا في الظلام حبيب
فلقت بها مشي البويى وإنما	تمشي إليها وهي تجهل ذيب (١)

وأما حال النخبة السوداء وقد خضبها الدم بعد النهر ، فتوعى الى الشاعر بصورة الليل الذي يمتد من بذلحه سمرة الشفق ، كما يوحى اليه مشهد سلخها ، بانسلاخ النهار من الليل ، كما أن منظرها ، وقد كسفت السلخ من حمرة لحمها ، وبياض شحمها ، يروق الشاعر ويعسن في نأله ، ويثير في نفسه شهوة لأذل :

فهم منظر جاذب ، موثر ، يستهوي التلويح ، وأسر الأهمار :

وسوداء تدنى به منسرا	كما اعتدى الليل تحت الشفق
وأقسم لو ملئت ليلسة	لمفت الكرى واستطبت الأرقى
ستفلىح من قروها ضحوة	سواد الدوى عن بياض الفلق
فيا حسن منصر لها اختصير	ومنزير شحم عليه بهق *
وطارفلت في تمر الدجس	ولا اشتعل شهره لفسق
ولكن تيسل عليها التلويح	هو وتذوب عليها الفسق (٢)

(١) الديوان : ١٥٢ - ١٥٣ * شحم يرق : شديد البياض ناصعه ، الفسق : الدلام .

(٢) نفسه : ١٥٢

* الا رنبر :

يعد الشاهر من الارانب ، الارنب الأبد ، فهم يروى في شطه العام ، وسرعته ، وعالسه
أثناء المصارعة ، فهو إلى الأطمار ، أبيض البطن ، عاد السمع ، يراوغ الغلاب التي تطارد ،
ولا يهتنيها من نفسه ، يجرى عذرة خائفا ، يتفزع القفزات البعيدة ، وهو يثرأ منم لفا كانه
السوار ، ويتلقى مسرعا ، متى ليده لأنه كرة تهاداها أختفار :

فَلَرَبِّ رَوَّاحٍ مِّنَالَيْ أَنْتَ ط
يَهْرِي عَلَى حَذَرٍ فَيَجْمَعُ مَسَافَهُ
مَقْتَدَ حَبْلِ الشَّأْوِ يَحْسِلُ وَائْتِنَا
مُتَرَدِّدًا يَرْمِي بِهِ خَوْفُ السَّرْدَى

ذَلِكِ السَّابِغِ الْمَلَسِ الْأَمَّارِ
يَهْوِي فَيَنْعَلِقُ انْدِمَاقًا مِّنْوَارٍ
فِيكَازٍ يَهْلِكُ أَيْدِي الْأَقْسَادِ
كَرَّةَ تَهَادَاهَا أَكْ تَقْسِرِ (١)

كما يسمونه مرة أخرى غاففاً وهلماً ، فإرا من الكلب ، ينجري بسرعة مذهلة تخاله فيها
 كأنه يائير في الهواء :

وَأَلَسَ لَهُ^٢ بَنَاتٌ نَحْتَهُ خُوفٌ
لَا شَرَّ لَهُ^{*} مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ سَيِّدٌ
لَهُ وَكَفَى بِفَتًى بِهِ السَّبْرُ^{*} (٢)

❖ الذئب :

من دون شئ أن جهنم شرق الأندلس كانت مأوى للكثير من الحيوانات المفترسة
وعلى رأسها الذئب التي كانت كثيرا ما يرغمها الجوع على النزول إلى البساتين ، والاعتراب
من الديار ، وربما الاغارة على الاناسي والانعام ، ووصف ابن خلدون الرائي لها يوضح
هذه ، فذكره زوار ، مشاور ، ختار ، فدار ، لا يطرق ساعات الديار الا ليلا ، ويخبرنا
أنه لقيه في عرعر السقاية التي بها وحيدا في ليل شديد الظلمة وأنه لما فيه وعاول المكربه

(١) الديوان : ٣٥ - ٣٦ * - رواغ : من راغ يروغ ، وهو الذي يذهب ههنا وههنا

(٢) نفسه : ١٤٧ - الأنيك : الذي في بطنه مياح وأولاب من الباطن

- الألبس : في لونه غبرة الى السواد ، ذلق الحسامع

• **معارف**

الشوش : التثنية "خبر العين تكبرا وتثنية" -

• الجراح : المتخصص من الارش .

ولكن الشاعر لا يستمر في عرض المشهد ، ولا يتابعه إلى نهايته ، فينسى الذئب ، وينصرف
بجمعه إلى اللمحة من حوله ، يصفها بصورة في فتنة واضحة :

ومفازة لا نجتم في ظلماتها
قد لقي فيها الظلام وطاف بي
لبرأت ساحات الديار مفازة*
يسري وقد نضج الندى وجه الصبا
فمشوت في الظلماء لم تفتح بها
ورفقت في رجلي علي من الدجى
والليل يتدر خطوه ولربما
قد شاب من شرن الحجرة مفرق

يسري ولا قلت بهاد وأر
نعب لم مع الدجى غدار
ختان أبناء الدجى غدار
في فزوة قد مشها أغش غدار
الآ لثته وأبني نكار
عقدت لها من أنجم أزار
طالت ليالي الركب وهي تقار
فيها ومن غل الهلال عذار (١)

هلتيه مرة أخرى في جنح الليل ، فيسره لذاتي مشهد مربع ، فهو مغير الشعر أغشيه
يتطاب من شدة البؤس ، ويحوي شتكا ، تغربه نفسه بالشاعر ، فيندفع نحوه مكشرا ، ولكن
سرعان ما يتراجم ، وقام من سلوته وأسه ، وشرارة لهذه الذي يحكي في وصفه يريق منهيه
ويترن ذئبه في حركة مستمرة ، ما بين اقدام واحجام ، وطمع وخوف ، تاركاً بذلك مجالا واسما
أما غبار القارب أو السامع لاتمام الصورة :

والن زوار من الليل أغبش*
تتأب من سائر الكوى فهو شتكي
وذن أمانه شرارة لهذم
فين جومة تغربه بي فهو بدني

سرى خلف أستار الدجى يتدكر
فيحوي وقد لفته نكباء صرصر
يتقلب منها مثلها حين يتألر
ومن روعة تشبه عني فيثيصر (٢)

فأين غفاجة كما هو واضح ، لم يتجاوز في وصف الذئب الواقع المشاهد ، ولما يتفصل
منه على نحو انساني لما هو الحال عند كل من الشنفرى والمهترى ، ولكن ما يمكن ملاحظته

(١) الديوان : ٨٥ - ٨٦
(٢) نفسه : ١٨٠

* - المخاور : كثير الغارة
- الاطلس : الذي في لونه غبرة الى السواد . أو هو

الذي تساقط شجره ، وهو أغبش ما يكون

من الذئاب .

- الأغبش : الابل : هو الذي يخالف بياضه سواد .

هذا الوصف ، هو صفة الطبيعة المباشرة بطواعرها المختلفة على ما فيها من تشبيهات
استعارية ، فهي الالار ، وهي مادة التلويح ، وهذا اذا لم تستول على احساس الشاعر
متصرفه إليها عما سواها كما في المعلقة الاولى .

الحيمة :

هذه هي الحيمة من الشاعر بوقفة اطول ، فقد صورها في شكلها ولونها ، وحالاتها
المختلفة ، مستعينا في ذلك بكل ما وقعت عليه عينه من الظواهر التي تحيط به ، قال الحبيب
وقد بدا أمامه في مخني النهر يذكره بالفرس ، فبتغيل النهر فرسا له ذواته هي الحبيب
واقبال هي الرها ، كما يذكره الحبيب في انسابه وتشبه بالثل السكران المتمايل فسي
سيره ، وبالح شديدة لينة متأخرة تصطفها الريح هنا وهنا ، كما يذكره في سرعته بالنسب
وفي تهاديه بالهلال ، ويذكره جلده في قوته وملاسته بالدرع ، فكانه - في تلك الحال
دع القى بهاني أو ثوب موش نزعته عنه انسان فختال . ثم يستمرغ الشاعر حال الحبيب
عرا وترا ، فهو اذا اشتد عليه الحر امتد ، وتثنى في سهولة ويسر كأنه السوط النافق
واما اذا احس برسمة البرد ، فانه يستدير حتى يصير كالخلخال ، وقد وفق الشاعر في تشخيص
صورته ، وتحريك اجزائها ، عند ما تصور أن للهجرة بدا تلوح بسوط هو الحبيب ، وان
ليلة القربى انما هي الحبيب ، ولكن الشاعر لا يتوقف عند هذا الحد ، وانما
يتابع الحيمة في حالاتها المختلفة ، وفي نظرها اليه بحينين تقدمان شررا ، ثم في اندفاعها
نحوه فانها السيل الحيد ، وبمناشئ ، ملفت للنظر في هذا الوصف ، وهو ذلك الاطلس
الذي يطي بالسرعة والسماء ، وفيه النهر تجري ، ومركبة السبي ، ومحدثه أصواتها
فانما قايينها جدال . والدموع تتحورت بفعل ربح الشمال فيلأمر بعضها بعضها ، ويشتبك
بعضها ببعض كأنها أكراف متنازعة ، وهو بهذين التشبيهين اللذين أوجت اليه
بهما بيته الملية والابتماعية ، يخلق على الطبيعة ما في اعماقه من احساس بالسماع
فالدموع تتنازع ، والصيا تتجادل ، ولأني به في هذا ، بهي الجو النفسي الملازم
السوي بالحمة ، والحد بمانني القوة والفلية ، التي تفيد في موقفه ، في ملاقاته الدمة

منه معها ، وكافحة ، يسير فملا لا يغمر ، الذي يحكمها شكل ورشمة :

وراء ، نفاذ النجا ، ضبارم*
 ألقى الدما في حيث يمشى بالعصى
 فكانما بين الضمير تنساز*
 وأرب يزد من شاة منسرع*
 ما بين خدكي جد ولكن كأنما
 مثل الدباب بمنحناه ذواصة
 وانساب ثاني مصليفه لأنسه
 أو ثلث أسمر باللون متأسر
 فلم أدر هل يرمى فيه غير نخوة*
 فإذا استلار به الذبا فتبترت
 زدت عليه هجرة مؤشيتة
 مرقا كما ينقد في يرم الوفا
 فكانما ألقى دمالك برعبه
 يمد الهجيرة منه سواد شافق

يسري به خلف الظلام خميال
 نهز وتمبشبا الفصون شميال
 وكأنا بين الجاه جسدال
 خصر يسع وتلقه مخفصال
 بسكت يحون منها وشيمال
 نفاذ حيث الرها أفضال
 هيمان نشوان هناك مفضل
 علفت بجنوب متنه وشممال
 أم لا عبت أعلقه الجرمال*
 وإذا تهادن فالهلال هيلال
 يحال له أخت لها أسمال
 عن لبي مستلثم سمرمال
 بالل وجرد وشبه مختمال
 ويسان ليلة فرة خلغمال (١)

ثم يستمر في الريف ، فيصور الصورة التي غاضها من الدمية بسيفه الذي يحكمها رقشة
 فالبرا ، وبسليم له لفته ، فتقدا هي الصور أمانه ، وتكثر وتتنوع ، وهو تصوير يستغفر
 به الشاعر صفات الدمية من حيث شكلها وأحوالاتها ، مستمينا على ذلك بما يجهل به من
 أصور الطبيعة المتنوعة ، وابن خفاجة ، وإن اتكا في وصفه هذا على الموروث ما قبل في الدمية
 ن شعر ، إلا أنه أجاد في العرض ، وأحسن التوليد في الممانى والصور ، وتوفل في ذلك
 من درجة النصوص .

الضبارم : الأسد ، والرجل البرد* على الأعداء* . المكرع
 الخصر : الماء البارد ، أرب : اقام ومكت ، الدباب : الدمية
 الدربال : العمر . النجا : الهرب والغلاص ، النسيز :
 الرمح القصير ، وأحد أقسام الشهب المتساقطة ،
 الهجيرة : البرد ، المستلثم : لابس اللأمة ، وهي الصدر

(١) الديوان : ١١٩

✧ الحمام :

لهيورد الشاعر الحمام ، بكل أنواعه وأشكاله ، بالوصف الا في مقلوبة واحدة ، ولكنه أكثر من ذكره في درج الانراض الآخر من رط ، وحنين ، وغزل ومدح ، ومجلس أنس ، وهو في ذكره له ، ولا يعني بصفاته العادية المنظورة الا في النادر ، وانما وجه أكبر عنايته الى صوته ، وغناؤه وشده ، والذب يؤوله تبعا للحال الشعورية التي يكون عليها ، فهو اذا شعر بنشوة الحياة ، وأحس بالفرحة تلاء كيانته ، وخلق ما يحسه في أعماقه على الحمام فصوره شاديا ، مننيا ، مترنما ، ساجعا ، تطرب الشجرة لتفريده ، فتتهترله وتنشيني وربما نشر عليه نوره مصرية بذلت عن تأثرها ونشوتها (١) .

ولكنه اذا أحمر بقل الحياة ومتاعبها وأحزانتها ، وشعر بالآلام الغيرة زمانا ومكانا نظر الى الحمام من واقع هذا الاحساس ، وفيما ت صورته مناقضة للاولى ، فهو يئن بحد غنا ، صيكي بحد فرح ، وهذا لواعج الهوى ، صهيح الإحساس بالآلام والأحزان ، بعد أن كان يوصي بانثائه وهديله بمحاني الفرع والانتشراح للحياة ، فالحمام تؤثر في نفسه الرقبة بهائها ، فبالرب لها ، ويستعيد لساع اصواتها الشجية ذكرياته بها فيها من أفرار وأترار :

ألا أناسي في والنريم طـرُوب	حمايم تبكي والبهائم صُرُوب
لم اخلف أستار اللآلئ ما تـيـم	تُعزق فيها للقلوب بـيـسـوب
سجّحتن وعهدت بالهوى متساريم	فما ودت شجوي واليه طوب تنوب (١)

وتد يشوقه الحمام بسجعه ، وذكره بماضيه السعيد مع الأحبة ، فيشتد به السنين اليهم ، وفيه كما يبكي الحمام ، وميشانها لحظات تفرحها فيها احساسات وجدانية واحدة

(١) الديوان : ٨٢ ، ٢٥٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠١ ، ٣٣٦

(٢) نفسه : ٢٩٨ - ٢٩٩

ويشعر ان في ظلها سر من الدار والوحدة ، حتى إنه ليمعب التميز فيها بينهما :

وما شاقني إلا عفت أراكـ
وحسبت من سبي بكى وعما مـ
وسجّع عمام بالغميم ترثـ
فلم تدري حقاً أنما الصب منهنـ (١)

ويذكر الشاعر في السطام ، وقد تدفع الشاعر الى الاحساس به على نحو أعنى ، فيستديره
بعض صفاته ، يفضي بها عما تناوب عليه جوانحه من شدة الشوق وحرارة العنين الى صديقه
اليسيد عنه ، فالحمام يشوقه في صديقه ، وفيه تر لذكره ، وتغنى أضلحه لذلت في فنان السطام
الأورن بجناحه :

ويهيئني نقر النسيم اذا سكر
غفقت لذلة أهلي فنان لي
ويشوقني فمت الحمام الأورن
في نل جانحة جناحاً بهفق (٢)

والشاعر اذا اشتد به العزن ، وأزنته الذنن ، فاشد الحمام أن يلارحه شجوه وأهزانه
لعله يجد في ذلك بمرى التخفيف لما يحسه به من آلام وأشجان :

ألا ساجل دموعي يا غمام
ولما رحتي بشجوت يا حمام (٣)

ولكن هذا الإحساس بالحمام يتزوج بمدق ، فتارة يذار اليه على أنه مثل أعلى في رتبة
الإحساس ، وسدى العالفة ، وحرارة الشوق ، فيتمس عليه نفسه ، فيبدأ بأنه لا يقل عنه إحساساً
وشجوراً :

فما بذت أرب بالمرء مرتبة
وتندب عهداً قد تنقضى برامة *
تناوبى دديلاً قد أثلته زائبة
وأعز أنفاساً واندى طمته (٤)

(١) الديوان : ٢٣٦

(٢) نفسه : ٢١٢

(٣) نفسه : ٦٤

(٤) نفسه : ١٩٩ - ٢٠٠ * - رامة : اسم موضع ، والمشقر مثله .

هناك اليها طورا آخر ، من مثل النفس التي استبدت بها الهوم ، وتناوشتها الالام
والاحزان ، فيصوره دونه في الاعساس ، فهو يندب صاحبه الذين قضوا نحبهم ، ويكلمهم في
شجولهم بمرفه العظام :

وَأَنْدُبُ أَشْجَى رَنَّةً مِنْ حَمَامَةٍ * وَأَبْهَى فَأَغْنِي مِنْ زِمَامٍ رِمَامٍ * (١)

واذا تغنى الشاعر بالآله واشواته ، ولوعته وحرقة ، وتغنى الحمام منه موقفا للتلميذ من
معلمه ، يتعلم منه ويغيد :

وَسَمِعْتُ أَنْدُبَ لِرَعَى وَلَنْ مَسَا * صَدَّحَ الْحَمَامُ بِبَهْنِي فَتَمَلَّمَا (٢)

ولكن هذا الاعساس الوجداني بالحمامة يذتر عندهما ينظر اليها الشاعر بعقله لا بقلبه
فبتأثر فيما بين مظهرها ومغبرها ، متبها اياها بالتناقض والندب فيما تدعيه من شكوى
الفران ، والحنين الى الإلف والمحبوب ، ان لو كانت صادقة في ذلك لما جأهم من كل
ناحية إلف ، ولما خالف مظهرها الحزين المومي بالفرحة رنة صوتها الشجي الحزين :

وَمَا تَغِي فِي الْهَانِ تَغِي غَرَامَهَا * عَلَيْنَا وَتَلُو مِنْ صَبَابَتِهَا ضَرْفَا
عَجِبْتُ لَهَا تَشْكُو الْفَرَانَ بِهَا لَكَّة * وَقَدْ جَاءَتْ مِنْ كُلِّ نَاعَةِ الْفَا
وَشَجِي تَلُوَبَ الْمَاشِيقِينَ أَنْعَمَهَا * وَمَافَهُمْ مَا تَفَنَّتْ بِهِ حَرْفَا
وَلَوْ صَدَقَتْ فِيهَا تَتُولُ مِنَ الْأَسَى * لَمَا لَيْسَتْ لِمَوْقَا وَلَا تَخَنَّبَتْ نَقَا (٣)

وهو وصف يستمد الشاعر في رسم بعض صوره على معانيات بيته الملحة والاجتماعية
فيذكر تلاوة الدراف ، وفهم الدراف ، كما يذكر الدوق ، وخضب الكف ، وهما ما تتزين
به المرأة في أيام الافراح .

-
- (١) الديوان : ٥٣ . * النعام : الحق والحرمة . الرمام : جمع رمة : المظلم البالي
(٢) نفسه : ٢٨٣
(٣) نفسه : ٣٧٠

نوعاً منها بدعي القاء الذرية (Gangas catas) (١) . وأمن حفاضة في ريفه
لها بدري بس هذه الصفات ، فهي خفيفة ، شديدة السرعة ، وقاسرة الدلاء ، تشتال في
شبهها ، وأنما افتاة تجر خلفها فقل إزارها ، وهي صغرية المنقار ، كمنها كرمته في كائن
من الحمر ، ثم يجهل بغير السدح ، فهو يرميها في حال من الرعب والهلل شديدة ، فهي في
سرة مستمرة ، وحذر دائم ، لا تأمن في ليل ولا نهار ، ولو أنها استبارت بمقدوره مما تخاف
لا بارها ، ولو وجدت في نمل طائر آمن واستقرار :

ولرب ليبار في نمل	فشل ببار فلقه آبار
من كل قاسرة الدلاء	مشي الفتاة تجر فقل إزار
مضمومة المنقار	كرمت على طليها ببار
لا تستقر بها الأدي	من ليل ولي أو نهار ببار
ولو استبارت منها	يحتل لا منها أعز ببار
سرم إذا اشتغل الأبد	له حمر من ببار

✳ الأمير الناصرة :

وأما الأمير الناصرة فلم يكن الشاعر يوصفها إلا قليلاً فقد ذكر البازي منها بتلحمة
نثرية (٣) ، وأرجل فيها صفاته وخصائصه ، كما وصفه بثلاثة أبيات من تميدة مدح ، لخمس
فيها ما ذكره في القاموس النثرية من صفات وميزات ، وذكر السحاب (٤) ، والنسر (٥)
ذكر سربها ليعقل بصفات البزئية .

(١) نهاية الارب : ١٠ : ٢١١ - ٢٦٢) الموسوعة في علوم الطبيعة : ٣٠٤ :
Le grand Larousse t . 5 . P : 359.

(٢) الديوان : ٣٦

(٣) نفسه : ٥٤ - ٥٥

(٤) نفسه : ٢٥

(٥) نفسه : ١٣٦

* البازي :

نفهد من ورسث الشاعر للبازي أن هذا اللائح دان ، الى جانب الطلاب ، من الزمائم كل
المهجة المستعمدة في عملية الدرد ، التي كان يقوم بها الاتدلسي من بين لآئير ، ومن هنا
كانت العناية به كبيرة ، فلان بروفر ويدرب على السبد تدريجا يوما له لأداء عمله بسلام .
والشاعر في وصفه له يحنى بطلائعه ، كما يحنى بصفاته الاثيرة ، فهو سرير الدبران ، لا تقلت
منه الداربد لشدة سرته ، قوي البناحين ، مورد الاثفار ، موشى الوجع ، أحمرا لا يفسان
كأنما لى على اعرافه عبيرة ، واواشعل بنشار ، موفد غي سعيه ، فلو رمى به الأمل النفسي
لرجح نائرا ، منسوب: المختار والاثفار :

لوق القنير، بند قيد طريرة	زجل البناح : مورد الأثفار
ملتفة أعرافه بعقيرة	مذهولة أبعافه بئثفار
يرقى به الأمل التميمي فيثميني	مدهشوت راء الأثفر والسثفار (١)

هذا عن الابهجة الدمية في شعرا من شفاجة ، وهو كما رأينا ، لم يحن به انما يتسبه
بالابهجة الدماطة تلحنها وتنوحها ، ولم يغل منها الا بطل له علاقة به ، أو بالابهجة الدماطة
التي ألهبها من كل قلبه ، والفوسر ، والدليور ، فوسفها وسفاشل صفاتها الدابة ، من لكون
وسوت وسحركة ، مستعمدا في ذلك بما يحيل به في الابهجة من البراز ، ونسبا .

ولم يثقف الشاعر في وصفه هذا الدمد ، بل تجاوزه الى ما دنته يد الانسان من
سلاح ، وبناء ، وسائل حصارية متقدمة ، فومض الذئير منها في عناية واعدا ب .

(١) الديوان : ٣٥ * - زجل البناح : أي فر وسوت ودابة . الأعراف :
الدوائر . العبيرة ، من الجرود : العرش ، السثفار :
الذئار : الذئب النال .

الفصل الثامن

في

اللباقة المصنوعة

لقد سلف القول ان الاندلس قد بلغت في القرنين الرابع والخامس ، وما بعدهما ، مستوى
 ربا رائعا ، تعددت فيه صنوف النشاط الفكري والاقتصادي وتنوعت ، فنهت المساهمة
 في سر رشيدت البصر والذوق ، السعة تلتها البرقة فنية وعلمية متقنة ، ولورت صناعة الزجاج
 في راس والعديد ، ومواد البناء ، والنسيج بأنواعه ، ومواد الكتابة وغيرها ، وأخرجت
 سائر جملة تشهد لصانيتها بالبراعة وحسن الذوق (١) . وابن تقيّة ، وهو ابن
 ندلس القرنين التاسع والسادس ، لا أن يعلد بشعره بعلمه عالم ، فنارتها ووسائل
 دنما ، فوضعت الدار والقصر ، والسطح والسفينة ، والقرآن والمداد والقلم ، والزجاج
 لئاس ، والبنات المأثورة والموتد ، والشمعة والصراج ، كما وصف من وسائل العرب : السيف
 والرج ، والتوس والسهم والدع ، ونذر البهجة واللوا عرنا ، وهي عوشرات ، كما سلف
 متفاوتة من حيث صناعة الشاعر بهاء ووقوفه عند ما .

وهذا السطوح :

لا شك في أن تشييع النوف بسببه كثرة الفتن والمروء بسرا فيها بين دول الأعراس
 أم فيها يميز بين دمارا شحال شبه الجزيرة قد يجعل الاندلسي يفكر تفكيرا بيديافي الوسائل
 التي يدف بها من نعمة الاموال والخدمة في الليل والنهار ، فأخذ يهتم بها ، وهو
 ملهمها مرمية على من شيء عز لذبته ، وبما بناء الحصون والقلاع ، وتسيير المدد بها لا سوار الخليفة
 الا سعيه منه راء الا من رالا استقرار اللذين تاحتوفر في ذلك الحين . كما أن : وأقلنا كذا
 البر ، لا بد من أن يكون سوطا رائجة لأنواع الاسلحة المتدارك من سيرة زرع ودون وغيرها

(١) انظر هذا البحث : ١٥ - ١٦

بل رنجد من أوساخ ابن غفابة فيها أن السيف كان يرقى الى مرتبة السحاب لغير رتبته
 منه ، وهي علاقة تد تشغل السيف من جوار الحرب ، الى جوار المتعة الجمالية ، فحلم
 بين ، وبنقش وزركش ، استجابة لذوق الحضارة ومستوى التمدن .

السيف :

يرد وصف السيف في شعر ابن غفابة في مخرج الفجر والدماسة ، وخرش المدح ومبا
 زمة من ريشة الشجاع المدح وبأسه ، وعززه ونجدته ونصرته ، فيشبهه به في بياضه
 نالته وشدته ومماثله ، ولأن هذا لم يمنع الشاعر من انفراد السيف بالسيف في بعض
 المقامات ، فسيفه سيف منقوش ، مزركش ، وصافي الفصل ، يتألق ضياء ، لأنما يمدح بقتله
 دبر ما ، أو لأنه أشبه ما يكون بالشجاع عند ملاقاته به ضارعا اياه :

فدراأت بايذة الشجاع بأخترير
 بقتله الندير بقتله ولربما
 وبمصرته بين التشرقي وبقتله
 في ريشة هو للشجاع مثال
 أعشاش إفرند له سبب
 فتلاقت الأشباه والأشكال (١)

ومما إذا سافر كان السيف أنيسه وأخا غريته ، يماونه في تحديق مطلبه ويدراؤه الاضمار
 فهو لذلك يتفأل به فيرى في يريش إفرنده سنى يرق اليمن المؤذن بالخير والغضب :

ووظاقرني بقتلتي مستام *
 أنست به ونتم أخوال الغريب
 أشير به سنى برى يتمان
 يخفون الى الحرم القريب (١)

وقد تقوى علاقة الشاعر بسيفه الى درجة يرى فيه صورة محبوبه ، فبيت ليله مضاجعا
 له ومماثلا بجاعلا من نجاده ذراعين يذوق بهما عنته :

- (١) الديوان : ١٢١ * - الشجاع : نوع من العبات ، إفرند السيف : وشبه وأثره
 - المشرفي : منسوب الى المشارف ، وهي قرى من أرض العرب
 - العسام : السيف القالنج . (٢) الديوان : ٩٢

فَبَيْتٌ وَلَا غَيْرَ السَّامِ مَا جَعَلَ
وَلَا غَيْرَ لُغْنِ الْأَعْوَجِيِّ * مَهَانُ
مَا كَانَ ذَرَاغُهُ عَلَيَّ نَبَّحَانُ * (١)

ويغارك لأنه رأيت فيه وقد لونه الدم بدمرته لحي شفة محبوبه :

وَلَدْتُ عَلَى عَهْدِ السَّلْوِيَّ شَوْشِي
حَسَامٌ تَفْتِي الْأَوْحَامَ تَرْتَمِي
أُغَازِلُ مِنْ عَضْبٍ أَرِيحُ مَهَبَّ لَا
وَمِنْ عَلَنَ عَيْلٍ بِضَرْبِهِ لَمَسِي * (٢)

والسبب لبهائه وتألقه يذكره بنجد الليل فيشبهه به ؛ فهو كالنجم فوسه الأشم
وسنان رومعه ، ونسل مهنده ثلاثة أنجم ، تنور له الدرب ، وتعميه من كل جانب :

وَاللَّامُ لَيْلٍ لَا شَمَّابَ بِأَفْقِيهِ
الْأَلَمُ مَهْرَمٍ سِنَانٍ أَرْزِي
أَلَا لَنَحْلٍ مَهْنَدٍ أَوْ لَهْلَهْلَمِ *
وَمَهْنَدٍ عَضْبٍ ثَلَاثَةُ أَنْجُومِ
أَوْ بَدْرَتْنِي شَيْلَانُ رَبِّمِ تَرْجُمِ (٣)

وقد شبهه لذلك بالبدل ، فيمثل الفارس السجندل على أرض المعركة ، وقد توسد
نسل سيفه حرج مخمرة ، مستلقيا على شاداي * بعدد الجار :

بَرَسْدًا فَوْقَ نَدَى السِّيفِ تَسْبِيهِ
مُسْتَلْقِيًا فَوْقَ شَادَاي * بِدَرِّ شَيْلَا * (٤)

وقد يتصور النقي فرسا أدهم أغر محبلا ، ولكن يورث أسنة الرماح ونشان السيوف :

-
- | | |
|-------------------|---|
| (١) الديوان : ١٢٣ | * - الاعوجي : نرب من بيهاد الدليل تشذب إلى أعس . |
| (٢) نفسه : ١٧٢ | حيسان لبني هلال ، نجاد السيف : مماثلته |
| (٣) نفسه : ٢٤٤ | - عَضْب : قاذف . المبرير : معدد ، المحبب : والديك : |
| (٤) نفسه : ٢٠٤ | الدهل : الطريق . |
| | - المهند : الملقب من حديد الهند . |
| | المهندم : سنان الرمح |
| | - الثل : السكران |

والنَّخْ أَوْ هُمْ لِلرَّحْمَةِ بِرَحْمَةٍ هـ غَرَّرَ تَلَوْنُ وَالسَّيْفُ حُجُولٌ (١)

كما يذره بريقه وترويعه بالنار المضلحة ، واللهيب المشتعل فيستعير من ذلك :

وَسَامَ بِكَ أَشْرَسَ أَجْسَدُونَ فِي الدَّلَى مَاءً وَأَعْرَأَ نَكَارَةً (٢)

ويشبه جمع المداد ، وقد استأصلت بيد السيف شأفتهم ، بهضم قد أضرمت فيه النار فهي تلتهمه التهاما :

وَقَدْ غَنَى الدِّمَاءُ بِحِلِّ قَرَمَاسَا وَأَقْنَسَ بِالْعَدْوَالِي التَّيْبِيبِ وَنَمَلُ جَمْعِ الْمَدَا إِلَّا هَشِيمِمْ وَنَمَلُ بَيْتِ السَّيْفِ سَوَا كَهَيْبِمْ (٣)

وقد يستجد شفافته الشبهية في تسهر بها من دمل سيفه وسفائه ، فيستعير له صريرا الدماء في حاله محزنا وفجلا فيقول :

تَرَى الْإِكْرَاسَةَ كُلَّمَا تَرَى هَيْبَتَهُ مَعْلَاً ، وَتَلَقَّى الدَّمَارَ الْعَامَّ مَقْرِطَا (٤)

ويرى بلدته - (بلنسية) - قبل استرجاعها من أيدي النصارى بأنها كانت جنتها ، وأنه لم يكن يجرعها في إمارتها ، ولم يكن ليس غسلها ما دمي عليه لو لم تستعد م ماء السيف منقلا لها :

فَلَمْ تَهْرِ السَّيْفُ مِنْهَا بِلْدَةٌ بَنِيْنَا لَمْ يُجْزِئَا غَيْرَ مَاءِ السَّيْفِ مُنْقَسِلَا (٥)

وسيفه سيف قاتل ، مرفق الفصل ، لا يخيب حاطه ، ينادى لغفته وعدته ، يحض فيفتت

-
- | | |
|-------------------|----------------------|
| (١) الديوان : ٢٥٥ | * - النخ : الغبار |
| (٢) نفسه : ٢١١ | الأشوس : الكبي القوي |
| (٣) نفسه : ٩٣ | |
| (٤) نفسه : ١٢٤ | - الدار : الفرور |
| (٥) نفسها : ٢٠٩ | |

لعدا وشول لهنزل ببد في غمده ، شريز يد الويت . مجرة عند ما يشخص السيف ، ويجعل له
بما رر حاطه فيبشرد بالنسر ، وكأنه أبقت بشهاية السرقة لمالحه ، فهو لذله يهتر في نفسه
يبتعد :

وأبتر عنيب مالذا لنصر صاحبها
فناد ولم يستل يمني ففتيت
فيهتر في كف الديي ففتيت (١)

وسوي برقة ، رماه ، وسرعة فتله بالعدا واسا لباغه بد ما فهم يمني بجلان تد تناثرت
د سوعه من شدا الش وكثرة النعد :

ومرقق الإبرني يمني في العدا
فداته والنار ففتيت فوقه
أبدا فيفتيت ما أراد رنشت
بجلان يمني للسرور ففتيت (٢)

كما أنه في ساروعه كالشهاب ، وقد غضب دله بالدم يمني عند الشاعر فغرا طالعها
بمجرة السوا :

لله أوشهاب بأمر سا إني
فداته والنسر يمني دله
أني دله أي يوم عيزا
شعر عليه بمجرة المسكوك (٣)

ويجعل الشاعر معظما ما لقت به السيف من صفات في مقارعة شمرية فرد دله ، يشبهه
فيها في رمافته وانسارته ، بلسان النار ، وفي برقة من الصباغ بشملة البرق ، وفي تلبيه
وسرعة لوراء الشق بالكوكب الذهبي ، كما يشبهه في فتله بالاعداء واهلاكهم بالنار الموتى
ولكن بما ز دله ، وتلاوه شباهه بجمدنه بيد ولسان ودأما غرض غدر في متنه أو كأنه الشبح
بيانا وتألقا ، وهو أمر يجعل الشاعر يتصور أن معجزة غارفة قد تمتعت فيه ، فتد اجتمع فيه
التيهات :

(١) الديوان : ٢٧٠

(٢) نفسه : ٢٧٠

(٣) نفسه : ٢٦٩

الذئب والنار ، وامتزجا وتألفا بكيفية تشير المجهول الدجشة في أن :

ومرعب لسان النار مذليست
تدال شملة برق منه طائفة
يمضي شعوب وراء النتح ملتبهيا
ينشئ قد نرق نار فيه موقدة
فما تألن إلا ثلثين موقدة
يشفي من النار أو يفتي من الحمار
في عارضين عجاج الخيل سوار
هاتسوب يجرى كوكب سوار
تحق ريق في فوقه جوار
سيمان جامع بين التلي والنار (١)

وهي صورة - ذئب - أشر ما مصروف فانوف ، ولكن نلموه إلى السيف من خلال الدجشة
بمعداتها النشرة باد وراض ، كما أن تشيله للسيف في بهانه وتألفه بكتلة شملة به - نرق
في غمرتها الداء الباري تشيل فيه لرافة وتوليد .

✧ الرمح :

يقتنن ومنه الرمح - غالبا - في شعرا من خفاجة يوسف السيف ، وخاصة عند ما يمسف
المسرفة ، أو يندبر بمعاسته وشبهه ، وقد مرت معنا صورة منها ، وهو في ذكره لها ينسبها
إلى أسيرها المسرفة ، وفي رماح رديقية ، وسومية ، وخداية ، ريفها بما توفى به في
الدابة ، وفي صور ريزل وقتا ، والرمح حامل ريشات وخدايا ، فلما قاله فيها ، وهو تبول
نلسا فيه استيلاء الدجشة الدجشة على معن الشاعر ، فهو يندل إلى الرمح الطلق على
الدرع ، وفي الدرع نمر ، والرمح غسان ، إلخ عليه ، قوله :

ثم ألن إلى سعدة فرق لأمسية * فقلته فنيمة قد أطل على نهر (٢)

لما غدر الرمح بمذاق من أرمدة أهبات وشبهه فيها في سمرة ، وسنانه الأزق اللامع
بالنماب السرتد ، واستعار لتصوير قوة تأثير وسومة نفاذه فعل النوى في السبون ، والحنن
في التنب ، ثم برسه لطراج - بعد ذلك - سرقة وسط المسركة ، حيث يصور الوفي بصمرا

(١) اندلس : ٢٧١ * - السعدة : القنطرة المستترية تنمت كذلك ، اللامة : الدرع .
(٢) نفسه : ٢٤

ون السهول أرواحه والعرالي زنده فقال :
 وأسمر يلعد عــــن أنف
 يستمد المين اعتاد الكبري
 سيث الرغى بهر رهن الأسي

لأنه فوج رجم وقعد
 منتحن القلب انتحاء الكعد
 مؤر وغرمان الموالى فعد (١)

ولكن الشاعر قد يتجاوز هذه الظنرة الدسية ، الى الأساس بالموسوف والتفاعل مع نفسه
 عند ما يمزج رصحه مشاردا له في أ. مزانه وآماله وأشواقه ، يشفق لا شتياقه ، صهتر لا هـتزاز
 صتاثر كذا يثاثر ، حق اى ، وقد اشتبهها شمسها ونحوها ، به سبب التميز بينهما :

ومثني لدن الصهر يشروثه
 وقد اشتبهت ناسرا ونها قبه

ما شاتني فاذ الامتزجت تألورا
 فلو التفت لما عرفت الأسمرا (٢)

* القوس :

يعتد الشاعر القور في متلوعة من بيتين ومقاسما يستعين فيه بما حوله من عناصر الطبيعة
 الدسية والسامة ، فهو يشبه القور في انحدافها وتلوينها ، وسهولة انحنائها حال الرمي بها
 بالصبة المناسبة ، كما يشبهها في تقوسها وانحنائها السهم منها بهدل تمد انحن منه شهاب :

عوساء قد أف ثم ترسل تبارة
 وان انتجحت والشهم منها عبار

فدأنا في حية تنسباب
 فهي الهذل انتجته شهاب (٣)

* البدن :

وأما وصفه للبدن فليس أيضا ، يتكفي فيه على الطبيعة من حوله ، فهو يشبهها في سقايتها
 وبريقها بالخدير البامد :

(١) الديوان : ١٣٤

(٢) نفسه : ٢٠٦

(٣) نفسه : ٣٦١

يَهْدِيهِمْ عَنْ بَغْيِهِمْ رَهْمًا فَخُفِّفْ لِّلْمُتَلَمِّذِينَ فَيُحْمَلُوا بِهَا فِي يَوْمٍ ذُو نَقَرٍ (١)

وسبيل عرب جرفيه لأمة*
 قد قام منها في غدير جافين* (٢)

وهو سور لنا حال مد وسعه في القتال ، وقد استقصى بدر حذيفة ، وثقني بالحد يد فيقول :

ووجه وقاع بالحدید مقلع (۳)

كما يشمها في لونها الاضر وقد ليمسها الفارس الكس وكثر بها ببحر ملاحم يعدم السبل
بأواجه التربة : لا طم من أغلافه حبالاً (٤)

تَدَكَّرْ فِي لَأَمَةِ خَشِيرَةٍ تَعَسَّبُهَا
مَحْرًا يَلِيطُ مِنْ أَعْلَانِهِ جَهْلًا (٤)

ثم ينتقل به من الأرض إلى الفضاء ، ومن الطبيعة السماوية إلى الطبيعة الأرضية .
وراء الشهباء ، فيرى في النخامة وفي بولد السية ، شيئا يسمونه الفارس الذي شى عجاج
المعترك ، وقد نسا به اسمه بسر بال من عديد :

وَقَدْ كَسَا بَعْضُهُمْ أَسْتُرًا مِنْ أَثَرِهِ
 زُرْنَا فِي غَيْبِ الْمَجَانِ الْأَثَمِ
 بِرِ الْكَرِيمِ قَوْنِ عِلْفِي خَفِيمِ (٥)

فَدَانْ بِبَلَدَةِ حَتْمَةٍ يُجْلِسَتْ بِمَعَهُ
بِرِ الْكَرِيمِ تَقَوَّى عِزِّي تَهْنِئَةً (٥)

* 31 بنیة :

لم يمدن ابن زرقاجة في وصفه . بالهناء عناية كبيرة ، فطابا في ديوانه في هذا المجال
لا يحد وأن يكون اشارات لا توجب معرفة عصره من تقدم وتفنن في بناء المسابد والتصوير
والابنية والسمائر المختلفة ، فهو يد شاعن دار جديدة ملكها ونسبها بأنها كانت فسحة الاربعة
ثيرة الضياء ، لا يفدليها الليل بالامه لحسنها وبهاضها ، ثم يخبرنا أن هذه الدار كانت
مصرنا لنثير من خيرات ومماراته الحافية معين بديهيون :

- ١٣٤ : (١) الديوان : ١٣٤
٢٣٠ : (٢) نفسه : ٢٣٠
٨٦ : (٣) نفسه : ٨٦
٢٠٩ : (٤) نفسه : ٢٠٩
١٣١ : (٥) نفسه : ١٣١

وغيراً* بيناً* الدماسن، للقسمة
بمنزلة عليها الليل، بهيب، تميمير
عمزوت لأغمار، القدر، ودر، مصالفاً

ووصف النعام، مستلهاً ثقافته الفقهية، شيداً بطاعته به في داخله من متعة وراحة

يقوله :

أهلاً ببيت النار من منبر
نقيد ملتمس لـ
شيد لأبرار وفجار
فقد نحل البتة في النار (٢)

بحر برمات، حسن الدوح، جميل المنظر، تد تكلف صاحبه الكثير من أجل تشييده
شتركة التي غير ربحية، فأتفر بعد ما كان أهلاً، وعنه صحت رهب لا تسمح فيه غير بكاء الخديبر
ونيل الدائر، حزناً على سلالته وملكه :

ومرتب، حال التلزل من
تدبر، عمن مدله مليك
فجربة ما بعد وليه بكاء
بمخيل التل والما القراع*
تخرم على القدر المتكاع
عليه رشد ودايره نيكاع (٣)

وتعد هذه الوثقة والوثقة التي وقفها الشاعر أمام ولنه بلنسية . بعد عودته اليها
وقد غير الدمار ما سنها ، مددا وتعريقا قبل خروجهم منها برعين في سنة (٤٩٥ هـ)
لبنة مهيقة في بناء فن رلاء المدن الذي جوده من بعد أبو البقاء الرندي وابن الأبرار
وأبو الدارف بن عميرة المشزوي وغيرهم .

(١) الديوان : ٢٢٣ * - قمر : واسعة

(٢) نفسه : ٣٧٣

(٣) نفسه : ١٣٧

(٤) انظر هذا البيت : ١١ - وديوانه : ٢٥٤

- الما القراع : الصافي . تخرم : اتلح واستأصل

* المراتب الطائفة :

لقد أشرنا من قبل (١) الى أن الأندلسي قد أهتم بما في بلاد من أنهار ، وما يحيط به من بعار ، وأن غايته بذلك كانت كبيرة ، فقد استغل هذه الثروة الطائفة في تنشيط الحركة الاقتصادية ، وتوسيع آفاقها ، كما استغلها في امور الحرية فأنشأ السفن الدورية والبراقب التجارية والزوارق على ان تلافها وهو أمر مكنه من هذه الغلابة الذهبية بمصر التمكن ، فأقام منها في بناء مزارقه على الرغم مما كان يشعر به ازاءها من خدوش وحذر ، وأمن بمقاومة ما من رنوب السفن في سفره الى المغرب ، كما عاين حركة البراقب في نهر بنزيرة وهي تنقل الناس أو الأشياء من نيفة الى أخرى ، ولكنه لم يصفها الا في مواضع معدودة ، عني فيها بالشدائم والوانها ، فهو يشبهها لسراها بالظلام والفرس الأدهم والغراب ، كما يشبه شراعها بالسيال في البياض ، أو بالبنان في الاخضر لراب والفقان ، وقد مررنا هذه الصور في فصل الطائفات .

فهو قد يردب للنزلة زرقا ينساب به فون سطح نهر بنزيرة في مظهر جميل من ، ولكنه في وصفه للمشهد لا يسور ما تشعر به نفسه من معاني الروعة والجمال ، وإنما يصر في صغيلته من ذلك الى تلك مشاهير شكلية حتى وإن كانت مناقضة من حيث أبعادها المكانية للجوال العام للوصف ، فلا تثير في صغيلته صورة الزورن الذي استقله وتهاوى به فون النهر المنساب ، غير صورة العترب والدية فيشبه الزورن بالعترب والنهر بالخياب في انسيابه وتثنيه :

فَتَحَلَّتْ عَتْرَبٌ وَخَيَابٌ (٢)

وَانْسَابٌ بِهِ نَهْرٌ بِهَيْبٍ وَزَوْرٌ

(١) انظر هذا البحث : ١٨٥ - ١٨٦

(٢) (١٨٥)

(٣) الديوان : ٢٦٥

ربعيد التشبيهات نفسها عند ما يصف بـسراما على زوارق مصالفة للعبور عليها ، فهو يشبهها في تناسفها بمواكب الأعياب ، كما يشبهها في لونها الأسود بالأفراس السوداء — وبالغريبان ، ولعل العمير في اللون السحيط قد عني هذا اللون من الجسور عند ما قال : إن جزيرة شقر كان " يغزل البها في الشتاء على السرايب ، وفي الصيف على مضاضة " (١) يقول ابن خفاجة :

حيث استقل الجسر فرق زوارق
لم تشتق ولأنها سافرة
من كل غريب الأديم لو أنسه
نسيقت كات وكتب الأقباب
دعهم تنازع البهاق عراب
قيل النيب لحيث منه غراب (٢)

ولعله قد اتسعت الآن صفات السرب الاندلسي في عصر الشاعر ، فهو مرئوب كان يطل على القار ، أو الزفت ، للدهلولة دون تسرب الماء إلى داخله ، وهو ما يفسد اللون الاسود ، وهو مرئوب يعتمد أولا وأخيرا في مصره الماء على الجدران وعلى الشرائع الذي يندسب في وجهه الريح ليند في السرب إلى الامام .

أدوات التناجاة :

لقد عني ابن خفاجة — بمكن كونه أدبيا — بذكر ما عرفه مصره من وسائل التناجاة فذكر القلم والسر والقرآن ووصفها وصفاً أبرز من خلاله قيمتها ومكانتها وعلاقتها ، قال القلم في زلله لا يفتن عابدا وتأشراقه تفتن الأعداء من السيف القاطع في كل الكرم الشجاع :

نشوئهم* ذعنا الموت شديداً
كأنه لهن في كتب عسال* (٣)

(١) الرول السحيط : ٣٤٤

(٢) الديوان : ٢٦٦

(٣) نفسه : ٢٥٦

* دعهم : جمع أدبهم : وهو البواد الاسود .

— عراب : عشيقا صالحة ، غريب الأدب : حاله كسبه

— النضو : القدم الرقيق ، والسهم بلا زمل ولا ريش

والهزل : الذئاف : السهم .

عسال : شديد الشرب سريعه .

والملك في زلله يكون أعز وأرفع وأحسن عند ما يحسد اللهزم القلم ، وتناغم صلما
للسبب أ. ب. ر. المروم :

فيا شمس مرأت الملك بين مهتد
وقد سارح السيف الجراح فأطرت
خنسب ورتد للديار نصير
يرتجح تحليل رائع وسير

رسمو بصف مدونه بما يخلد عليه من الصفات والميزات ؛ فسد وجهه وزير كاتبة ، ومن ثم
فان مائة القلم لديه أعظم من مائة الرمح ، بل ان الرمح ليحسد القلم على طول الحال :

استدبر يد الاشرار من شره
فلرب سمره الأديم دلها
فشي الجراح بكفه متبختر
حسدت براحتة التصير الأصفر

كما ينوه بفن القلم ، وتبعته عنده ، وكيف أن قد بعث به ما لا تعتقه الرماح من الأمل ؛
فالقلم على قدره يفتو صدر الرمح على طولته ؛
ولدم قديم من يراكم شاحيب
قد قات عذر الرمح وهو طويل

ولذا قدم مكانتها ، ودورها في بناء الدولة وحمايتها اذا ما هدتها النواصب ، وقوضت أركانها
صرون الدمر :

وان مدت الأيام اركان دولة
فثم من الأقدم أقوف دعائم

ولعل هذه العلاقة بالقلم هي التي هدت الى انشاء هضمة أبيات في الاشار فيه ، أبطل
فيها ما نعمته به من قبل ، وزاد عليها صفات وميزات جديدة ، أبرزها تلك الصورة التي عكس
فيها حقيقة ظاهرة كونية هي البرق ، فط هو مسروران البرق اذا واصل ملاً الدنيا إشباعاً

* الرد : الدون والدعم . الجراح : القلم .

- (١) الديوان : ١٨٣
- (٢) نفسه : ٢٥٧
- (٤) نفسه : ٢١٤
- (٥) نفسه : ٢١١

سياه ، ولئن الشاعر يذكر الامر فيجعل البرق يسود وجه الصباغ ، ولعل بياضه بالاسلام
 لانسيم ؛ ولئن لا نحبب ان اعلما ان الشاعر قد عني بربيع الصباغ الصحيفة البيضاء
 يعني بالبرق ما يحبه القلم من بصر اسود وان الامر الذي ألباه الى استخدام هذه الاستمارة
 وادارته تصهر فعل القلم في الصحيفة ، فوجد في ظاهرة البرق ، من حيث وميضه وانتشار
 ضيائه وغلبته على ما عداه ، وشبهها بما هو معد من تصهر لفعل وأثر القلم في الصحيفة ، من
 حيث تسوده بياضها بما يسيله من حجر في أثناء الكتابة ، يقول :

ما سافح الدَّهْرَات لـ
 يَفْرِجُ ولا يدري ريمًا
 تلقى سنان ريمًا
 إن المار بارقه ديمًا

يَحْزَنُ وَيُضْوِلُ يَتَمَمُّ
 بالأمر وليس يَحْمِلُ
 من صدره ولسانًا تَتَمُّ
 وجه الصباغ به وَغَمَمُ (١)

ولما ذكر الشاعر القلم ذكر ما يتصل به من صحيفة ، وحرر أسود ، وفي سياق تقريبه قصائده
 أو قصائد غيره من كتابه اسلمه من ايماءه وخلافه ؛ فصار منها به شعرا ورد قوله :

يَشْتَبُ سَوَادُ الْيَقْفِ عَنْهُ كَمَا سَرَى
 وراء الدبين برن تاللي لا مِغ (٢)

ونوله من قصيدة خاطب بها القاضي ابا امية بن عسالم :

تَالِقُ لَفْطًا فَمِنْهُ أَمِينُ أَسْوَدُ (٣)
 نلله ملرر نلله اسود اسرا
 وقد يصف القلم أثناء عطية الكتابة وسفا أترج الى الخزل منه الى وصف القلب
 فيصور الرقاع وجوهها بيضا ، والسيلور مرأشف لهما ، والقلم عاشق يلثم أوبهاج تلك الرقاع ومرأشف

(١) الديوان : ٣٤٣ - يفرج : يشق ويقلع . ربيعة : هو ربيعة بن مكرم : أحد
 فرسان مصر الممدودين في الجبال الملية
 أكنم : هو أكنم بن صيفي : حكيم العرب في الجبال الملية وأحد
 المعمرين .

(٢) نفسه : ٧٩ - اليقفس : ما يكتب به .
 (٣) نفسه : ١٩٦ - الأرس : الصحيفة

سأورد هنا ، ثم يتساءل عما اذا كان القلم قد استمد حبره من سواد اللحن أو من ميمها
الشعور وهو وصفتك في الشاعرية مستقلة مشاعره وأحاسيسه المادية الدينية برغوى :

إذا ما جرت فرفق ترقاً سيه	يراع جري حبره بالقبور
فيلثم أوضاع تلك الرقاع	ولحن راشد تلك السأور
فهو نفسه من سواد اللحن	ومنه من بهاس الثغور (١)

✽ أنية الشرب :

يرتبط ذكر أنية الشرب في شعر ابن جفاجة يومئذ النمر ، فقد وصف الناس والزجاجنة
والزق والدن في وهو مبدل الانر ، حيث أوعت اليه ، وقد استرجعت الوانها بين الخمير
به سور كثيرة مشابهة ، ولم يصف الشاعر هذه الأنية بمبدأ من الدهر الا مرة واحدة وصف فيها
دسا مرتبة أوديت اليه ، وهي بعد جميلة ، فمن لها الشاعر وسر بها ، فمذلل الكوب لا زق
الحزين برشات صفراء مذلل يمين بروقه بأسر بصره ، ويذكره بالأميرة التي أحبها من القلب
فهو في زرقته ومفرته بذره بالبحر ويذكره بموضحة اللحن السحر ، كما يذكر بالبحر ان اللحن
تسلل بها حتى شهرها يقول :

ومثل مد يمين الندي	يميل يديك عنان الخليل
بأزق سالت به صفرة	كما طرز البرق ثوب السحر
أنتني به النار في صورة	أرب للجنان عليها صرور
ليأرق ما رأى من نسج	عليه وللشعر نور القمور (٢)

(١) الديوان : ٦٠

(٢) نفسه : ٢٧٢

بواديات الانارة :

وصف الشاعر من ادوات الانارة السراج في مقطوعتين احدهما من اربعة أبيات
والثاني من بيتين ، والشمعة في مقطوعة من بيتين . فهو اذا اوقد مصباحه في ظلمة الليل ،
تسمره درهما مضيئا ، قد تعلت به لبة الدجى ، وسنانا ازرى بنحور دونه جنى الدجى ويسرى
جيب الغلام ، كما يرى فيه مؤنسا سامرا ، يشافيه ويوع اليه بالاسرار ، ويغف عنه وطأة
الليل ، ويصرع به ارفه الابلق في السير نحو المصباح :

تعلت به من كركب لمة الدجى	فاوجت في ليل من الليل اهلتي *
ويث وعندى للثياب ملاءة	تروى وجيب الغلام يمتد
يشافيني منه لسان اهن رملية	يهوى بسر الليل والليل ملهى
ينحور دونه جنى قد دبت	سنان صقيل للذبال ازرى (١)

وقد يوازن الشاعر بين نور المصباح ونور جبين صاحبه ، فغلامه منير ، متألج ، وللمن
نور ذناب العجايب هو الأتى والادوم ، والاكثر اشعا ، ومن ثم فهو الصدر الذى يستمد
منه السراج مادة نوره ، وقوة اشعاعه ، اذا ما غبا أو ضعف دوره :

وأغر ضاحكت وجهه مصباحه	فانارذا تمرا وذاك فرقىدا *
ما إن غبا تلقا نور يمينيه	عق ذكاذك فثوتفدا (٢)

وأما الشمعة فيخلد الشاعر في تسمرها بين جموع : جو العجب ، حيث الهوى والاشجان
وحركة الهوى ، وسكب الدموع ، وجو الحرب ، حيث الدخان والشر وسيلان الدماء ، فالشمعة
المشتعلة ، وقد ذاباعلاها بتأثير الحرارة فسال من على جوانبها تذكر الشاعر بعالم محسب
يهي من شدة الوجد ، كما تذره في استوائها ، ودقة وتلا لوه شعلتها بسور الرمح ، فهي

(١) الدهران : ٣٠٥ - اللبة : المنحر . لرف اهلتي : فرس فيه بيان وسواد .

الذبال : الفئله .

(٢) نفسه : ١٨٣ - الفرقد : نجم يهتدى به . ذكا : اشتمل .

تلمس صدر الليل ، ولا تزال تلج في طعنه بلهذه مها سقى تسيل د شفته ، و تصهر
 واران مسبقا اليه ، وقد وفق في عرضه وتقديمه في أسلوب مشاعري ملهي بالحركة والسباق :

وَصَدَقَ لَيْسَتْ سِرِّيَّالَ مُشْتَهَرٍ
 مَا زَالَ يَلْعَنُ صَدْرَ اللَّيْلِ لِهَذَا مُهَا
 بِالْعَيْبِ مَنْعِي فِي الذَّمِّ وَالْعُرْقِ
 حَقٌّ بِذَا سَاعَازٍ مِنْهُ دُ الشَّقِ (١)

* النار :

وأما النار فقد شمسها الشاعر بمناسبة لجر ، فقد وعفها في غصنة مروان من ديرانه ، سبيل
 فيها ما رآته عينه ، وطأ أوسى به اليه منظرها في المزارع وعناديره من صور أغلبها مستعمر
 من ألبسة الجميلة ، وفيه بنت الزناد ، وهي في حمرة وترانق ليهيبها في وجه الريح مبرة
 شتراء ، قد نعت من ربي الشمال القوية ، أو مزهوة نشوب ترقن في قصصها الأسماء
 كما أنها في ذكائها وشوهدتها تعني حد قد من مدومه ، فلتأنها إياه من عنبر وأمد :

وَلَقَدْ عَجِلْتُ الْتَابَ أَشْأَلُ لَيْلَهُ
 وَمَا أَتَى عَنْ بَنَاتِ الزَّانِدِ تَنَاعُهَا
 وَمَسَّحَتْ مِنْهَا مِنْ مَحَا لَيْلَتِي قَرَّةً
 وَبَرَّ الْعَيْدِ بِبَعْضِ ذِكْرِ طَاهِرٍ
 وَابْتَدَأْتُ أَنْ دِيهَا وَأَنْ كَرْدَ هَنَهِ
 وَنَأْتِيهَا وَالرَّيْحُ طَائِفَةٌ بِهَا
 عَنْ ضَبْعٍ سَرَّ فِي حَشَاءِ مَضْمَرٍ
 لَيْلًا لَسَارِ تَعْتَهُ مَقْنَنَةً
 شَقَرَاءُ تَذْخُرُ مِنْ شَطَالِ تَمْرُصَرٍ
 فَجَعَلْتُ جَزَلَ وَتَوَدَّعًا مِنْ عَشِيرٍ
 فَأَيْقَالَ ذَاكَ وَهَذِهِ مِنْ عَشِيرٍ
 تَرْهَى فَتَرْهَى عَيْنِي أَحْمَر (٢)

ثم يفتتحها بوسفه في المزارع المختلفة ، منذ أن تكون سمراء تلرب شعلتها أما الريح

(١) الديوان : ٣٧٦ * - الصدقة : القنطرة المستوية . اللهمذم : السنان
 (٢) نسبه : م

بأنها تنازع دار الدنيا ، وقد ارتفع لحيها ، وشمالى دخانها ، وتطير شررها كأنه كراكيب
 من سماء دمانها إلى أن يستكن اشتعالها ، ويصفو لمبيها ويخبو ، فلا يبقى غير الرصاص
 والبخار الذي تبدد من خلال وقد انتدت أنهما مهرة شقراء تخرج في العجاج الأكمب :

سواء نازعت الرياح رداً	وهنا زاحمت السناء بدكيب
سريت سماء من دخان فوتم	لم تدري خيها اشتعلت من كوكيب
وتفسدت من كل نفحة جفيرة	باتت لما ربح الشبان برتقيب
قد ألبست فتاة هبت فتأذنت	لسكون شر شرارها ليلتميب
تذكر وراء رمانها فأتت	شتراف تخرج في عجاج أكميب (١)

والله لم يفي اشتعاله واضطرابه ، في وجه الريح يريق الشاعر رجذبه ، فيميل إليه مساهرا
 نظائره أنه طرب منتقي ، واللهيب لصنا لونه يظن الناقد ذهبا ، وهو خد محمر خجلا
 تلبث الريح غير صالحة باعين الشرار التي ترقبها ، ثم ينظر الشاعر إلى الموقد من خلال
 الطبيعة في ظواهرها الكونية فيخال المرتد وقد رتقى ضوء الصبح لعن رمانه وجهه ماء حبابه
 دبراً . وإذا نظر إلى الموقد في رمانه الأزرق ، وجره المتند بادرت إلى ذهنه
 سريرة كونية عبقها تصدع السموات وانكدار الشهب ليل ، فيشبه موقد النار بذلك ، فهو
 في زرقة رمانه ، راتقان جهر يبدو كأنها وقعت السناء نوقه ، تانبثرت شهبها ، ليلاً ، على
 يارن :

لا حب لقلب الريح ذاك الذهب	نما آه عين الجذر ذاك اللعيب
ربات في مسرى الضبا تصفحه	فهل لها اضطراب مضطرب
سامرته أنسبه منتقبي	يهز عطفه غناك انطرب
لم جاءه منتقد لـ	الهمم متند أم ذهـ
تلبث من الريح خد اخجلا	حيث الشرار أعين ترتقب

(١) الديوان : ٧٤ - الزهراء والأمهين : نحو من نصف الليل أوحدين إن ساره
 أكمب : أغبر مشرب بالسواد .

لهيبه وجمره بالشفق ، فيشبهه بد* النار في - حياتته يشفق لروحه بذيل ظلام ، وموتته يسه
أشنى على السرور ، لا ، ويضاف إلى ذلك قوله :

وأشتم مسترق الأديم بأنمسا
زاد لي لسان النار تمسب أنمسه
ولأن بدء النار في أراقبه
غلقته على علفه جلد خمار
برن تمزق عنه جنب عممار
شفق لروحه بذيل السلام (١)

* أدوات الزينة :

وأما الذي فقد وسائله اعرضها للناس في متطهرتين ، واليا مودة في مقارعة من بيتين :
وفي وصفها بعض بيتا ، وهذا البيت ، فيسر شكلها وألوانها وربتها مستحباتنا سر الدابسة
والوانها ونسائها ، فالباقة الحمراء ، وقد وسدت في رها* من الدرابيس مشرقا ، تشرفني
صنيلته سرا لبيبة مشابهة فهي تود وفي وعاءها انشعبت في نورة أو برنق في سزنا أو -
في ماء :

تدست من باقوة خمرا
كشيفة في نورة أو ورقية
في نمة من درة بيضاء
في مزنة أو جفوة في ماء (٢)

وأما الخاتمان فلهذا ما يميل ، متدلى* متألن ، يرس في الدلام ويرون النالر ، وقد عد
ت حل لك مدم ما نسا زاده بسلا وسلا ، فهذا الأول بنفسه إلا سر كانه جف وامتد على
ما* سائل ، أو لأنه نجم اتقن بهرس في سماء الدرب والبيود :

متحمل فتما يرون وحلقته
في راحة نيلت سماء سماحة
من برنق وقندت رملا سالا
فتقارنا نجسها وهلا (٣)

- | | |
|------------------|---|
| (١) الدهران : ٨٤ | * الأحم : الاسود من كل شيء |
| (١) نسبه : ٣٧٣ | - الحق : الرعا . - المزنة : السداة البيضاء المملوءة |
| (٣) نفسه : ١٤٨ | - السماحة : القرم والبيود . |

وبدا الطاق بنصفه الازرق في منار جميل بهيج ، تكاد الشمس تلمسه به لـ
فتتن به الدمين لجماله ويدبح منه ، فكان البدر القربة وقد تنحلت به اغتمت بنسامة
ترت أمامها بنفسه الفنى ، حتى ترى لها ، وتطر عليهم امن مائها ، وغوة وير ونش الشاعر
بفرقه وتلونه بنساعر الطبيعة ، فجاء بهجاء راعيا :

وذا فاطم بالآلام ضياء	ومرتقى الإفرند أبرق بهجاء
تستوقف الرائي لها حيرة	نمشت به للشعر في العنق ابنة
لأن تدون على السحاب سما	وتدثمت من فتره بهجاء
نفس المليم رها جع الدك راء	قد صبي صبا وفتنة أصبى لها
حتى ترى لها فتجرتي ملاء (١)	ما إن تروا لها بنفسه فبهاء

ورنا عن الطبيعة المناحية في شعراين ، فاجدة ، وهوفيهما - لها رأينا - يعني بها
عومسي ظاهري ، يتفنن في عرضه وتصويره ، معتمدا على ما في الطبيعة ، عيها رها مسملا
من عناصر والوان شابهة ، تلك المناحية التي ملكت عليه سمه ومشاعره ، وشيئت بدلها
رسمها بها المتنوعة لا على باب الوصف عند ، وانما على الكثير من مبادئه ومجده في أغراضه
الشعرية المده تلمعة .

(١) الدبران : ١٤٤ * - الإفرند : الوشي ، أصبى : شان وفتن ،
العرباء : دوية نحو المظاية تستقبل الشمس برأسها .

الفصل التاسع

في

الطبيعة والانراغ الشعرية

ان أهم أمر يلحظه دارس شعر ابن خفاجة هو تلك الصلة القوية التي كانت تشد الشاعر
إلى الطبيعة ، حبها ومساكنها ، من حيث توافقه لمعطياتها في علمه الفني ، واستنساده
لها في تشبيهاته واستعاراته لا في موضوع الوصف فحسب ، بل في موضوعاته الشعرية على
رأسها من مدح ورتاء ، وفزل وعنون ، وخمرة وصعارت حربية ، ووصف قوائده أو قوائده
من اصحابه وخلافه ، وما ذلك إلا لان الطبيعة قد تكونت منه تمكنا ، حتى صار
ربما يميل إليها بما يتصل به ، ويصور خلجات نفسه ، وهو أجسه من خلالها ، وبالا اعتماد
على ما في استغرائه بقوله : أن تجد مثله عند غيره من الشعراء (١) ، هذا الاستغراق
في التمكن ، وإلى أي مدى تجلت الطبيعة في الموضوعات المتنوعة هو ما سنحاول انضائه
في هذا الفصل ، ولنبدأ بقصيدة المدح :

الطبيعة وقصيدة المدح :

ليس في قصيدة المدح الخفاجية ، من حيث مبادئها العامة ، ما يشذ عما هو مأثور
قصيدة المدح الحربية القديمة والمحدث منها خصوصا من ممان وأفكار ، وإن كانت
سروية بليريتها الخاصة ، فهو إذا مدح أميرا نوه بشجاعته وكرمه ، وعراقته نسبه ، وحرمه
بجدته وتقواه وعلاجه ، وإذا مدح وزيرا نعت به بما يناسب صفاته ومكانته الاجتماعية ، ومن
كافة وفهم ، واستقامة ومن تدبير ، كما يمدح الثاني بكل هذه الصفات ، ومنها اليه
الاعتماد لها علاقة بطبيعة علمه ، كالمدح والاعتماد بالحق ، والرأي السائب ، والفهم الدافق
والتنوع والورع (٢) ، وغيرها من الصفات والسمات التي تخص بها قصيدة المدح في تراثها

(١) ابن خفاجة : ٦٦

(٢) المعبر والمضيق : ٤١ - ٤٥

شعري القديم ، وليست هذه المحاني هي هدفنا من هذه الدراسة ، رثن هدفنا هو محاولة
 برتوب على الحكمة التي تتوأتها الطبيعة من هذا الفرع الشعري المهم في ديوانه ، والتعرف
 إلى الكيفية التي استخدم بها الشاعر معطياتها وعناصرها في بناء صورته وصياغة معانيه فليس
 هذا المجال . ربما تجدوا في شعرنا العربي ، قسطا لما شبه الممدون بالبحر في الكرم ، وبالأسد
 في الشجاعة ، وبالشمر في رفعتة وإشراقه وجهه وبالعربي الحسن وغير ذلك ، وأين خفاضة
 يرد هذه المحاني في مدحياته ، ولكنها تأتي مبروزة بطريقته الخاصة ، ومنسجمة مع
 ذوقه وحسنه المعروف ؛ فهو يجب بشجاعة مدوحه تميم بن يونس وكرمه ، وقوة مزمه وشكدة
 بأسه ، ورشاقة وإشراقه وجهه من وراء اللثام ، فيصور ذلك متكئا على ظواهر الطبيعة من حولها
 يستمد هاماني القوة والجمال ، ويستعين بها على إبراز تلك الصفات ، وبما أن تلك الصفات
 والميزات ، يقول :

يَفْتَبِهَا بَابَ الْبَرْقِ السَّيِّمِ وَالْوَقَى
 لَهُ فَتْكَةٌ لَوْ زَاحَمَ الدَّهْرَ تَعْتَمَهَا
 وَهَزَمَ بَرْدُ الدَّكُونِ هَذَا وَنَجْدُهُ
 وَوَجْهٌ وَضِيءٌ شَفَّ عَنْهُ لَثَامُهُ
 إِذَا لَشَّتْهُ بِالْمَقَاصَةِ رَوْعُهُ

يَبْدُلُ الْيَدِ الْفَرَّاءِ وَالْفَتَّةِ الْبَيْزِ
 لَقَدْ تَبَّهَ دَهْمُ اللَّبَالِي مِنَ الشَّقْرِ
 تَهَزُّ قَدْوَةُ الشَّرِيفِ الدَّلِيلِ الْخُمْرِ
 كَمَا شَقَّ رِقَاقُ الْخِطَامِ عَنِ الْبُسْطَرِ
 تَرَأَى هَذَا مِنْهُ يَطْلُعُ مِنْ بَعْثِهِ (١)

ولا يخفى ما في النص من ذكر لمناصر الطبيعة استخدمها الشاعر في سياق التشبيه
 والاستعارة ، كما أن جود مدوحه الفياض ، وهمة المليحة ، وحسن فعالة وآثاره تذكره
 بالداجية من حوله ، فيلجأ إليها ويقتل عليها مستمدا إياها تشبيهاته واستعاراته ، فجاءه
 من حول شمر ، ودمقه جهل وهر ، وحسن صنيعه ليل المصائب البهيم نهارا عمارا بالسيح
 والجهل :

(١) الديوان : ٢٥ * الطود : الجبل * المفاضة : الدرع الواصلة ،

بِقِسْمِهِ جُودٌ يَفِيضُ وَهَيْمَةً
لَهُ كُلُّ نَفْسٍ يَهْتَزُّ كُلُّ سَفْسَةٍ
فَلَوْ مَسَّتْ بِمَنَاهُ عَنْ وَجْهِهِ لَيْلَةً

فَمِنْ مَنَهْدٍ غَمْرٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَعُصْبٍ
يَكُنْ مَكَانٍ قَالَهُمْ مِنْ النَّفْسِ
لَحْنَتِ تَنَافُعِ اللَّيْلِ مِنْ تَمْرِ بَسْرِي (١)

ويجيد ذات المعاني تقريبا ، وهذا الطريقة في قوله :

إِذَا فِي الدَّوَاهِ مِنْ قُرْبٍ
تَشِيمُ بِسَفْحَتَيْهِ بَرَقَ بِشِيرٍ
تَحَجَّ الرِّيَّ أَنْفَاسُ الْمَجَانِسِي
وَيَحْمِلُ فِي مَجَاهِ لَوْدٍ عِلْمِي

وحسبُ المعجذ من عودِ كَلْبِيَّ
تَعْبِدُ بِشَاشَةِ الرُّوْنِي التَّيْدِيَّ
بِهِ وَمَخَارِصُ الْعُودِ السَّلْبِيَّ
تَمَدَّ خِلَالَهُ رَمَلُ الْكُثْمِيَّ (٢)

وهي أبيات يبدو فيها توثيق الطبيعة في هذا الغرض بوضوح ، فالجري والروني ، والعود
المنروس ، والطرد والكثيب ، عناصر طبيعة عرف الشاعر كيف يستعملها في شعره ، ويستعين
به على تصوير مزايا مدوحه ، وتمداد حسنه .

وكان أبو بكر بن ابراهيم بطلا مقداما ، وقائدا مثقفا ، حسن التدبير ، سفيا كاشفا
الدلاء ، وليس الشاعر في تصويره صفات مدوحه هذا ، مستعينا بسنن ابراهيمية ، كان
يسدر عن تلك مبادئ وسعة شالسة ، قد ربه فان مدحا وأمرا في آن ، وهو ما يجعله
يخرج من قدره الى درجة تفخيله على الطبيعة التي أحبها وهام بها ، فالرياح الذبلا لا تكان
تضاميه في سماحه وسنائه ولا تلتصق به في ذلك المنظر :

وَبَدَا الْأَمَارَةَ فِي رَفِيفِ نَهْطَارَةٍ
فِي عِبْثٍ وَشَى لَيْتَةٍ بِقِيَمَلَانَةٍ
بِذَلَانٍ بِطَارٍ نَحْنَةُ وَشَاشَةِ
مَتَسَمَّ طَبِينِ شَمْرِدٍ يُنْقَسِ

جَلَّتِ الدُّجَى فِي حَلَّةِ الْأَنْوَارِ
مِنْهَا وَحَلَى مَسْمَطُ بَسْمَارِ
أَيْدِي الْمُنَاقَةِ وَأَعْيَنَ الْكُرَّارِ
طَلَمَتْ وَبَيْنَ غَمَاقٍ مَسْدَارِ

(١) المصدر السابق : ص

(٢) نفسه : ٩٢

أَبَ النَّدَىٰ بِذِكْرِهِ فَكَأَنَّـهُ
مَتَّقِينَ عَنِ وَهْجَةِ مَطَارِ
بَارَ الرِّيحَ إِلَى السَّطْحِ فَمَا جَرَتْ
مَعَهُ الرِّيحُ النَّكْبُ فِي مَطَارِ (١)

وهو من يستعمل في تشبيهاته واستعاراته على ما في الطبيعة من عناصر ومطامير اعتمادا
جليا . كما يدعو إلى شد الرمال إلى المدى ، والتعرض لنفحات كرمه وعلائقه ، فديمته
هذله ، تنصب لها الزهرة ، وتمشي لها ساحة الدار ، وظل المرعى تحتها مربيها
خصيها :

دَع عَنْتَ تَيْبَ كُلِّ نَعْنَعٍ وَالتَّيْمِشِ
لِيَمِينِ يَمِينِ أَوْ يَسَارِ يَسَارِ
هَلَلَاةٌ تَنْحَسُّ كُلُّ زَهْرَةٍ مَفْقَعَةٍ
عَنْهَا وَتَمَشِي كُلُّ مَاقَعَةٍ دَارِ (٢)

وإذا أراد أن يبره بأصل مد رجه ويكافئه وقومه من السادة ، معلوم شمسوا ، وسدس
غيرهم أقطارا ، وجعل منهم يشار في الكرم والسقا ومن غيرهم أمانارا ، فهم الأصل وغيرهم الفرع
ومنهم يتعلم السراة كيف يسودون ، والآسغا كيف يجودون :

سَادَ السَّرَاةُ بِمَا اسْتَفَادَ مِنْهُمْ
إِنَّ الشَّمْسَ لَمِلَّةُ الْأَقْصَارِ
وَسَخَا الْكِرَامُ بِمَا اسْتَعَدَّ مِنْهُمْ
إِنَّ الْبِلَالَ لَنَشْأُ الْأَمْطَارِ (٣)

وأما الأمير الصلح إبراهيم بن يوسف فله من ماضي ، فهو في جوده بمرطام ، وهو أنشد
من المزن راحة ، وألمح بظلالا ، وأخصب تالعا ، وأمر مراعي ، وقد تأثر الغيث بجمود
ركمه فأنهله واكفا ، وتأس به البسما فعاود النزول بمد طول إقلاع ، إنه الظل السوارف
والمرعى النصب ، والمينى الشر ، إذا ما كف عارغى الندى ، وغيب الجرى ظن مرتقبه :

- (١) الديوان : ٣٦ - ٣٧
(٢) نفسه : ٣٨
(٣) نفسه : ٥٨
الديبة : السحابة الممطرة لا رعد ولا برق
هلال : شمس أو قمر
السراة : طلبة التورم وساداتهم

وَأَلْبَسَ أَفْنَاءَ وَأَمْرَ مَرْتَعَا
تَدْفُقُ فِي أَرْبَاعِهَا قَدَ قَمْعَا
وَحَسِبْتُ مِنْ سَقْمَا أَنْ أَسْجَمَا
وَتَفْتَحَ إِرْعَادًا يَنْجِدِي فَأَلْجَمَا
وَرَأَيْتُكَ بَرَقَ الْبَشَاشَةِ فَأَرْتَمَا
وَأَشْهَى نَدَى ظِلِّي وَأَعْدَبُ مَكْرَعَا
فَعَاوَدَ مِنْ رَشْمَاءَ مَا كَانَ أَلْتَمَسَا (١)

غَشِيَتْ بِهَا نَدَى مِنَ الْعَزِينِ رَاحَةً
لَمَسَ الْجُرُودَ فِي بَهَاءِ بَعْرٍ وَأَنْسَا
رَأَعَدَ نَدَاهُ الْغَيْثُ فَأَنْهَلَ وَكَيْفَا
فِي شَايِئِي بَرَقَ تَوَسُّعَ مَوْهِنِي
إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قُلُوبِكُمَا عَارِضُ النَّسَبِ
فَإِنْ أَمَا لَسْتُ مِنْ أَمْرٍ سَبَّ تَلَمَّسَا
وَحَسِبْتُكُمْ أَنْ تَأْتِي بِهِ الْعَيْتَا

وكيف يقصد غيره وبهاء للبحر منبح ، ومرعاه أخرب ، وهنبتة أحنى وأمن وأمنح ؛
وَمَعْنَى أَيْبٍ إِسْحَاقُ لِلْبَحْرِ مَنَبِحٌ
وَأَهْلُحَهُ أَنْدَى مَرَادَا وَأَمْرَغَ* (٢)

وَلَمْ أَرِبِ الْأَوْشَالَ أَنْتَحَ غُلَّسَا
وَهَنْبَتُهُ أَحْقَى جَنَابًا لَخَائِسِي

ويشترى أن يتعرب الامير ابو اسحق للجهاد في فصل الربيع ، فيصاد ذلك هوة في
نفس الشاعر ، فيفقد في وقت من تلك المظلمة الساحرة في جو الربيع البديع ، فالزهرة تضرة
والقنصيب لدن مكتس مزعر ، فيحير ريتني في وجه التسيم مصرها عن فرحته بقدر الامير الاجل
الذي حكي الربيع بحاسنه وبن فحاله ، فلم يدرك الشاعر أهوال الذي أطل ، فافتزت لسه
المظلمة فرحة مستبشرة ، فصل الربيع بطلمت الجميلة وجوه الفتان ؟ ، ونلاحظ هنك
توايف الشاعر للصالح الفلكي ، حلول الشمس برأس الحمل ، وهو يدل على حسن
فصل الربيع (٣) ، وقد عني الشاعر ذات الاسر ، ما يوكد ما ذهبنا اليه من قبل ،
أن الشاعر كان يصدر في أوصافه للظواهر الكونية ، والتشبيه بها عن ثقافة وإطلاع (٣) .

أَلَا يَلُ أَلُ الْإِمِيرَ الْأَجَلُ
فَمَا شِئْتَ مِنْ زَهْرَةٍ تَضْمُرُ
وَهَزَّ مَسَامِيْقَهُ وَالْقَسَمُ

أَلَا الشَّمْسُ حَلَّتْ بِرَأْسِ الْقَمَلِ*
تَرَقَّى الْقَنْصِيبُ بِهَا وَاشْتَمَلُ
يَشْتَرِي النَّسِيمَ الْتَوَّاءَ الْجَسَدُ*

(١) المصدر السابق : ٢٨

(٢) نفس : ٨٩

(٣) كتاب الانواء لابن قتيبة : ١٠١

* أَمْرَغَ : أَخْصَبَ : الْحَيَاةُ : الْمَطَرُ
الْحَمْلُ : مَرَادَا : الْجَدَلُ : الْمَسْبَلُ

سرورا به من فتي و لـــــــ
يشد اللام على صفحتــــة
تباهي بعلو خير السدول
تري البدر منها برق زحل (١)

ان قدوم الأثير المراتبي يوحى الى الشاعر بقدر الربيع ، فكلما ما يهني الحياة فيسي
نظره ، فالأول كان سببا في انقاذ الاندلس من فناء يهددها ، والاني يمثل بذلك الطليعة
من سياتها السمين وانيمات الحركة والحياة في ظواهرها ، وعناصرها المختلفة ، ومن هنا
فتحن لا ننكر على الشاعر هذا التشبيه ، كما أنكر الاسكندري ذلك (٢) ، فليس
في الامر ما يكر لان ذلك يتلاءم ونفسية الشاعر المحبة للحياة ، النافذة من الموت والفناء .
وأما القاضي أبو أمية بن عصام فكان مراعا للشاعر في شؤونه ، وبأبه ، مقبلا عليه
وقد عرف الشاعر له فضله ، فدعى في مدحه قصائد عدة ، عدد فيها محاسنه ، وخلد من خلالها
أفعاله وعبقاته ، فهو قاض عادل ، صديق الرأي ، عالي الهبة ، وفق الشان ، تقي ورع ، كريم
سخي ، وهي صفات ونموت يحتمد الشاعر في ابرازها على ما يحيط به في الطليعة من عناصر
ومصطلحات ، فيذكر القمر والذجوم ، والشرا وكواكب الجوزا ، والسما والظلمة والانوار ،
والابطح والهنبة ، والانوار والريحانة ، ويستمر لمدوحه من صفاتها وألوانها ما يجلسي
مناقبه ، يبرز غماضه وميزاته :

وسر فبلى ليل كل طــــة
من منزل قد شب من نار القيــــرى
لوشعت طلعت به الشرا قاعــــدا
ولشت ظهر بدت تدى حــــرة
وملاش بين جبهته ومــــة
شهادها ما بين أبطح شــــة
عيني الشاء ندى البنايب كائــــة
وكان من عزمة في رمتــــة
تمر العلاء وأنجم الآراء
ما شاب عنه فرق الظلماء
ونثرت عتد كواكب الجوزاء
فكانني قبلت وجة سما
جفتي بالأنوار والأنسواء
دمشت وهضمة عزة قمــــاء
ريحانة مطلولة الافــــاء
متركب من جذوة في سما (٣)

- (١) الديوان : ١٠٢
(٢) احمد الاسكندري . مجلة الجمع . مج ١٢ / ج ١ : ٣٥
(٣) الديوان : ٤٠ - ٤١
الدماثة : الكهولة . قمما : ثابتة ومرتفعة

فمن نور رأي لو تراهي لنا طـــــ
ومن حزن رأي قد أفاضته جمـــــ
للاع به تحت الأجنحة فرقـــــ*
فصاح به في سفن شهان* ورد (١)

ولا شك أن ربيع كمذا وفي مصر كمصر الشاعر ، قد يكون موزنة للكثير من الدساتيس
والموامرات التي يهوكها الحساد والمناغسون ، وقد أشار الشاعر الى ذلك في محـــــ
الموازنة بين مدونه ومناقبه ، وهي موازنة ينتهي منها الشاعر بتفاضيل مدونه على غيره ؛
فهو يطلب من الصفات والسيئات ما جعله يرتقي صهوة السجود ، ويتبوأ من السورود مكانة
لا يطاله فيها أحد ، ولا يلحقه فيها لاحق ، حتى أن الأتعار على رفعتها تغار منه ، ولحمده
على ما يرويه ، فهي لا تكسب إلا غيرته وحسداله على ما له ورفع شأنه ؛

ولا تكسب الأتعار إلا حسادة*
لضطليح بالسجد يسقى فيسقى (١)

ويكتب الى القاضي ابي عبد الله بن حمد بن ، متشفعا لمدق له من أهل بلدته
مادعا اليه بما يناسب من صفات الكرم والسخاء ، واللين من غير ضعف ، والشؤا والصراصة
محتدا على عناصر الطبيعة في التشهير والبهان ، يوجه صديقه قائلا ؛

فأنزع الى قاضي الجماعة رثـــــ
واستسقي منه إن ظلمت فمـــــ
وتنفع المينان بخير راحة ســـــ
يفنر عنها لعود ماـــــ
فحذار من الهوى ذات الهاجـــــ* (٢)

والشاعر في سياق المدح ، قد تجره المبالغة ، أحيانا ، الى مساواة المدح بالطبيعة
بل ، الى تفضيله عليها ، وقد مرت معنا بعض من هذه العجالات ؛ ومن حالات التفضيل
ما نعت به صاحبه الفقيه أبان بن مفلح من أنه أكرم آثارا من المزن ، وأشهر أوصافا من المد

(١) اديبان : ١٩٦ - ١٩٧ * حالفرد : نجم يهتد به ، شعلان : اسم جبل

(٢) نفسه : ٢٢٨ - الهاجس : الخاطر

الساري ، وأن الفضن الدلول المزهري ، وقد ماد بلاصر صفحة الماد * إلى الساري ليس ألبين منه أعطافا ، ولا أعسن عشقولا أعطافا أخلاقا ، يقول :

وقد نلتا مالي بأبلج واضح
وأكرم آثارا من المزن غادها
فما أفضن الدلول أشرفها
بألين أعطافا وأحسن عشقها

تجشها أفضن من اليف عارها
وأشهر أوضاحا من الهدر سارها
وماد أصلنا على الماد صافها
وأظهر أخلاقا وأندى حواسها (١)

وقد تذكره خلال مدروحه مجتمعة ، يشهد من مشاهد الطبيعة الجميلة في أيام الربيع الزاهية ، هو مشهد الغمام الذي تصاقط طله على الرياح المزهرة فزاد عاتعت أشمسة الشمس يريقا إلى برقتها ، ويجالا إلى جمالها :

غلال كما مر الغمام بثلثي
والتن السحابين الأباطي والثرها
وقلد نحر الروض وقد افسد

فطرز أثواب الربيع وسهمها *
قد نر أعطاف المجاني ودرعها
وطون جبد الفضن وشبا غنقها * (٢)

وهي أوصاف كمالها - عسية واتمية ، أظهر فيها الشاعر براعة فائقة في التمثيل والتدوير ، مستوحيا من طبيعته الإنسانية ، وسقطا صبر المرأة الحسنة على الدليل - فالغمام يثلث نحر الروض عتدا مفصلا ، ويطلق جبد الفضن وشبا مزركشا ، وهذه الظاهر أب النظر إلى الطبيعة من خلال أوصاف المرأة الحسنة ، ظاهرة تنطرد عنه ، وتلفح على شاره من حين لآخر ، ولذلك جعلته بطبيعة شخصيته ونفسية ، وهو إذا وصل في مدح حسنة للمرأة سري ، زين أبي الدلاء مقيم بن يوسف ، إلى صفة الكرم التي تحلت بها وقف عند

(١) الديوان : ١٢٢

(٢) نفسه : ١٢٥

* - الثوب المسهم : المضطرب ، الوفي المنعم : المزركش

يل ، واستأجرها في مغيلته من صور طمعية ذات علاقة بتلك الصفة من قريب أو بعيد
عينا منسجما الى غمام مرزم ، ومن ربح طمية الى هشم بندن نضارة الى غير ذلك
السرد التي يشهد بها الشاعر ليرمز من خلالها ما اتصفت به المدح وحق من كر وسفها :

من ذلك يرفق كما انسجم العسل
عقلت بها هرا الشاة عتيلا
يسر تنوء به الزايب على السرى
بندن به التثبت الهشيم نضارة
غيا. اليلان يتر غير مغليم

وافتر بارق مؤنة عن بهسيم
أندى يد بين من الغمام المرزم *
من منجد أوج الرياح وشهيم
وبين ذيل الريح طهيت تنسجم
في حاله وسوب غير مديسيم (١)

والتشبه لصفة الذم والمجد بمعنا عر اللمبة يلزم الشاعر أيضا في مدحه لآل رحيم
فهم ، سيما في الغر والسوء ، وسور في الذم ، وهم اذا ما سخوا أوجاد وأروا السنن
الشباب بساعتهم ، ويد وألمت في ظرفهم وشرفهم وساعتهم بدوا نيرة الملة فسي
بحر مترجمة ، يقول :

من آل رحيم حيث لا هنية الخلا
ترن الحزن ذباجا بهم شهللا
ترن بهم من أنسة في ساحة

لهد ولا بحر الندى لمهور
ساحة أيد وابتسام شفور
الوع بدور في ارتجاج بهور (٢)

وهو رحب افترى الشاعر فيه قدرته المعجزة على التسمير ، وزاده الضخم من الصور
والاشيلة فدرض تلك الصور وغيرها ما تتوفر عليه شخصية المدح مرغابته عليه اللمبة
بمعنا مرها ومعانيها المتنوعة ، وهو أمر إن دل على شي فانما يدل على تمكن اللطيف
من نفس الشاعر ، وسيطرته على احساسه وشعوره ، وهو ما ظهر - كما ظهر من قبله
في مدحه لأبي الحسين بن رحيم الوزير ، وذلك في قوله :

* - الغمام المرزم : المتعل القلندر

(١) الديوان : ٩٨

(٢) نفسه : ١٨٢

وأغراً زمرها تبهت نفساً
فكأن في برتجها أزهراً
لعلني المحتباً واليدنين كائنك
تمر تلألؤ في غمام أهدأ
لبس الرداء من الشنطة مطسراً
قوى النفس من العبار هتقراً (١)

فالزهر والنفس المحبقة ، والروني المزهري ، والقمر والغمام المطر ، وقاص الطهيمة والافها
شاعر في مدحه واستحسان بهاء على ابراز صفات مدوحه المعنوية والمادية . ويدوي فضله لكرمه
بما سانه الشيرة ، على الناهية ، فالروضة الفناء ، وقد تفتت زهرها ، وتضوع أرجبها
بست أجس منه مناراً ، ولا أعقب نشر من أخباره الطيبة وسيمته العسنة ، وقد ذاعت
بين الناس وانتشرت :

فما روي غناء في رأي ربي
تعلل بتهلل من المزن ساجم
بأحسن رأي من عاتك لناظير
وأعطر نشر من قدامك لناسم (٢)

وعمر ينجلي احساسه بالفرحة لتدوم مدوحه على الطهيمة ، فيصورها في نفس ، بالسه
الشعرية ، مهتزاً بلورها ، مقلقة بشرا وسريرا ، فالغليخ يصفى والحمام يفتي ، والغرس
بهمتز ويهجر ، والزهر يفتق ويشتت صفوح شذا وعبار ، احتفاء منهم ، واعتقلا بمدوحه
الذي راتت أمارقه ، وحسن خمرد وغيره :

لذكر ما عتب الغليخ يصفى
وما شئت ما غنى الحمام الصلوة
ومن أملت اهتز القصب على النقا
وأشرف نوار الربا يفتق
وما ذاب إلا أن الخلق رائق
بهمز كما عجز الرحيق المحشوق
سنت غناء واجتاد وخبرة
فكلك مؤمن الدلى متعشوق (٣)

كما أنه اذا أراد أن يهني مدوحه ، وجد في عناصر الطبيعة ما هو أهمل لتليخ
ذلك عنه ، فيناشد النسيم العليل ، والبرق المألئ ، أن يسوبا منه في تهئة كورة بلنسية

- (١) الديوان : ٢٥٧
(٢) نفسه : ٢٦١
(٣) نفسه : ١٨٤
* ساجم : من ساجم القلندر : ان قلندر وسال . النقا : ما
يخبر به عن الرمن حسن وسي .
- النقا : من الرمل : القاحلة تنقاد . مجد روي .
مومن : من ومن وقا : أحب . الرحيق : الغمر .

ولاية أبي عبد الله بن النخاس إياها فيقول :

مع الفقير أوهرن تال ، ينفق
لحرب شط أو لشرب مشرق
فها أنقل تاج يروق ، سرق (١)

فهذه من نسيم قد تنشق ينتحي
يهتي يعني ثورة الشرق إنهم
تلايقهم مران جملا ومنظرا

كما يحمل نسيم النسيمات وحسنه إلى صديقه أبي عبد الله بن أبي النخاس الأديب
النايب ، ولله بان ينزبه عنه في لشم يده ، وضعه وعناقه ، وأن يبلغ تحيته إليه ، يفتقها
بناديه زهرة عذرة ، كشعر الدجج في جمال منظرها ، وحسن اشراقها ، فيقول :

مشكرا وأعطته نيم عني
نفاة تغني عن امتنشا
ظلي وتحسن مجتلي إشترا (٢)

والشيد ابراهيم الزيات من السلا
وافتر بناديه الثحية زهرة
كالشمس يوم الدين تندب مجتني

وإذا سأل حاجته من مدد وجهه تلاف إلى ذلك مسطحا عناصر الطبيعة ، فقال :

لدي وأحلى موتما من جنى النحل
فلذلك معنى ليس للدار التوسل (٣)

ومن بها أنذر نسيم من النسيم
ولا تحتقرها من يدك لت يتر

والأمثلة في هذا الباب تكثر وتنوع ، ولئن تكفي بهذه النماذج ، وهي تدور لنا إلى
أب مدد استوفى الشاعر عناصر الطبيعة ومطياتها في صياغة معانيه ، وتلويح صوره ، وأظن
لا أحيد عن السواب إذا قلت - اعتمادا على هذه النماذج الواضحة ، وغيرها من الجزئيات -
الكثيرة البهتة في قسائده المدحية - : إن إحساسه بالبيعة كان قويا ، وإن حبه لها
كان عميقا ، ولئننا نلاحظ أن الرجل كان يتغلى - أحيانا - من إحساسه بالطبيعة ، وحبه
لها ، تحت ضغط البه والرسى ، أو خضوعا لأسلوب المغالاة في وصف المدد والمبالغة

(١) الديوان : ١٨٦

(٢) نفسه : ١٥٤

(٣) نفسه : ٢٠٧

* - الدجج : الفيم

- الظل : أضواء المار . الليل : المار الشدي

في نعته ، فينظر إليها بدمعة لا يثقله ، وفضل مدوحه عليها ، ولكن احالات نادرة ، لا تقف في عافية الشاعر نحو الطبيعة ، ولا في علاقته الوثيقة بها .

✧ الطبيعة ونسبة الرثاء :

تقل قصائد الرثاء من قصائد المدح من حيث الكم في ديوان ابن خفاجة ، فقد ضم الديوان بين رثائه ثمانين قصيدة ، أربع منها في رثاء الوزير أبي محمد بن ربيعة ، ورواحدة في رثاء محمد بن أمته ، وأخرى في رثاء والده القاضي أبي أمية بن عيسى ، وأما القصيدة تبيان البائيتان فقد تضمنت فيهما لربما مائة من أصغاره وخلائه ، وهي قصائد تتسم في مجملتها بحسرة الحافلة ، وسدى الشعور ، وتزخر بالمعاني الرقيقة المشجبة ، والسرور الحزين في الساقطة ، فقد كان لموسى الرثاء صلابا كان الشاعر يعبر به في أعماقه من الحزن بالزمن وفراق الموت ، ومن ثم جاءت قصائده في هذا الباب محملة بالخير من احساساته ، وفناناته للكون وتصوراته للحياة ، فالأحداث الدامية التي شهد بها عصره ، وفراق الصديق ، ومضي الشباب بطرائفه وسيراته ، وزحف الشيخوخة بشيخها وأسقارها ، وحب الشاعر للحياة وفراقه من الموت والبغناء . . . وعوامل أثرت كلها في نفسه الرقيقة ، وعمقت إحساسه بالألم وتلججت فناناته الى الحياة - أحيانا - بسحنة من القلق والتشاؤم ، أفصحها عنها القصيدة :
 وللمعاني التي اشتعلت عليها مراثيه ، قال الشاعر اذا أثلثته الهوم ، ودأبته الخطوب
 والشروب يلجأ الى الطبيعة ، لعله يجد في أجوائها ما ينسيه آلامه وأحزانه ، أو يخفف وقع مصابه للفناء ، ولأن شأبه بطل ، فلا عظيم ، لم تحتله نفسه الرقيقة ، وقد تدير كل شيء في نأيره ، فأصبحت الحلاوة مرارة ، واللذة أليما ، والأفراح أحزانا مؤرقا ، لا يذهبها برد لنداء ، ولا ينسيها ظل لمزنة :

فلن فجاجاً تحتها بأكسام
 أما فريت من طلي يهل أوامري ؟

وقل لفلان أليف الأرض ذليل
 أما لك من ظل يبرد مضجعي

✧ الأوامر : حر العيش .

رَأَيْتُ نَدَىً أَوْ يَرْدًا نَارًا لَمْ تَنْسِبْهُ
عَلَى عَقَبِ أَتْرَافٍ رُفَّتْ كَسْرَامُ (١)

وقد بدون للمساء عبرتها الشديدة على الرقيقة ، ومزاجه الحساس ، فهو يجد تولي
الشباب ، وجد الأصحاب له يجد يرى في السيلة كما كان يراه فيها من جلال ولذة ومتممة
فقد غيرت الامداد مزاجه ، فأصبح لا يستسيغ الماء على الظم ، ولا يستطيع برد الللال
ساعة السر ، ولم يجد يجد في أنفاس الرياح ما كان يجد ، فيها من طيب ونداوة :

فَمَا أُسْتَسِيغُ الْمَاءَ يَهْرُدُ ضَاعِيًا وَلَا أُسْتَطِيبُ الظَّلَّ يَهْرُدُ ضَاعِيًا (٢)

وَأَنْشَقُّ أَنْفَاسَ الرِّيحِ تَمَلُّلًا فَأَعْدَمُ فِيهَا طَيِّبَ ذَاتِ التَّنَشُّشِ (٣)

وقد يشتد عليه الدرب ، وتتراكم عليه الهموم ، فيثقل ويأس ، وتضيق به الأرض على
سعتها ، وتظلم الدنيا في منه ، فلا يعود يرى سوى الظلام بلف الكون ويغمره بالسواد :

فَهَا أَنَا بَكِي لَمْ مَهْدِ رَاحَةً تَضَاحَتِ أَحِبَابِي بِهِ وَهَبَتِ
أَعْلَيْتُ لِمَرْضَى لَا أَرَى غَيْرَ لِيَاءَةٍ وَقَدْ غَطَلَ عَنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ نِقَابُ
كَأَنِّي وَقَدْ لَمَّ بِالرَّاحِ حَاسَةً يَمُدُّ دَاخِلَهُ طَلْحٌ غَسْرَابُ

فَأَلْهِمُ تَرَفُّقَ الشَّمْسِ وَهِيَ مُنِيرَةٌ وَنَمَاتِ تَهْلَاكُ اللَّهِ وَهِيَ رَحَابُ (٤)

وَأَلْقَى بِمَا فِي السَّبْعِ يَسُودُ وَحُشَّةً فَأَسْبَغْنِي أَمْسِي عَلَى حِينِ أَمْسِي
وَأَسْتَقْبِلُ الدُّنْيَا بِذِكْرِ مَحْسَدٍ فَيُثْبِتُنِي فِي عَيْنٍ مَا كَانَ يَطْلُعُ (٥)

- الألفاظ -

(١) الديوان : ٥٣

(٢) نفسه : ٢٠٠

(٣) نفسه : ٢٢٦

(٤) نفسه : ٢١٨ - ٢٢٠

(٥) نفسه : ٢٦٢

وهي أهباء تنم عن عارفة بياضة ، واحساس صادق ، كما تنفخ عما في أعماق الشاعر
من قلق وردية من شبح الموت الذي تغلف أصعابه وأغلى ساحته من أتابه وخلائه ، وقد
يمرر حاله الشعورية مستوعبا لطبيعته العبة ، فيذكر الفرس الآنهم والفرس الأشهب
مستحيلا لونهما وعركتهما لتصير تظلمته السوداء ، ودعه التناثر حزنا ، فتده ابن أخته
بسطا :

ففي نازلي للبل من بلد أنيس وفي وجني للدمع أشهب بجم (١)

ولكن هذا الموقف المعتم من الطبيعة لم يصرف الشاعر عن الطبيعة بظواهرها
ومعانيها المتنوعة ، فقد اتكأ عليها في تصوير حاله النفسية ، فشبه بكا على اصحابه
وفلانه الذين تبعوا في الموت من موله ، بسع الغمام ، كما شبه لوعته وعرقته على
فرائسهم ، وقلقه وانحطابه بدمهم ، بشهاب تنصره ربح الشمال ، فتزده تودجا وعرقا :

ألا عرس الأعران في ساحة البلى وما زفوا غير التبور قبا (٢)
فدمع كما سح الغمام ولوعه كما ضربت ربح الشمال شبا (٣)

كما هفتت إحدى خمائده في رثا الوزير أبي محمد عبد الله بن ربيعة بذائع يستقي
تشبيهاته واستعاراته من طبيعته المحيطة به ، حية وماتة ، فيذكر الروضة ، وجدول الماء
والخضن الخدي ، والحناء ، والآواء والأنوار ، ستمينا بها على تصوير الجو المعزج من
الذي أعقب موت مديته الوزير فيقول :

في كل ناي من روث ثناء ويكلى حذر فيت جدول (٤)
وليل شدة عزمة الخدم الندي تحت المكاورة المكاء (٥)
يا مالح الأنوار إن بقلبي أسقاطيل لمالح الأنوار (٦)

* عرس : نزل وأقام .

(١) الديوان : ٢٦٧

(٢) نفسه : ١٧٧

(٣) نفسه : ١٧٨

رزع ، ثم يوفى في تصوير معاناته ، فيقال اللهم والدمع والدمع أبحرنا ملاطمة ، وخصال
نفسه شرابها ، مستسلما لفرقتها ، فغمره بأواجبها العاتية حيناً ، وتنفذ به بخان سره حيناً

ترنن بي إذا أعولت عزنا حمامة
غريباً بهجر الدمع والهم والدمع
أحسنا انظار الشمل حقيقتة
تربن ولجور أمة تترنن
ولو كان بحرنا واحداً كنت أسبع
تنوء بها من ما جفني فترنن (١)

ولذي يرمع علق حزنه ، وشدة فربه ، واضلح لوعته وأشواقه ، يلجأ إلى الطبيب
السبية ، إلى الحمامة النائحة الباكية طوى هديلها الغال ، فيوازن حاله بحالها ، ويأتمسه
بروائعها ، فحرب أنبالهست أعف منه حزننا ، ولا أشد لوعة وأحر اشراقاً فيقول :

فما بنت أيت بالأراسم ننة
وتغيب عهد اقد القش يرامنة
بأحفن أسساء وأنتي وحشيتة
تنادي كدييد قد أملت نائبا
ووكرا باكتاب المشتري خالبا
وأضرم أنفاساً وأندى ما غيبا (٢)

وتد يستلهم في ذلك تلامه رتي الخيام العمار ، والبرق الخافق ، فيبرز عن طريق
موازنة حاله الشهورية بها ، وشدة حزنه ، وعن أساء وألمه ، وقلقه ومخاوفه وشرابسه كما في
قوله :

فما ابن شلال بات يهفو نائبا
سرى بين دقاع من الودني منبدي
بأندى ذللاً من جفوني مؤهنتا
به خلف أستار الدمن من أولس
يسخ ولطاع من الهري خنبري
وأعفن جناحاً من خلوع وأخفني (٣)

وهو يد عولقير من يعجب بالحقيا ، كما يهدي اليه تحيته وسلامه ، وقالها ما يكتسب
رسوله في ذلك عار من الخط المبرق المتدفق (٤) ، الذي يروي القهر بقاءه ، ويكسوه عشه

- (١) الدنوان : ٢٦٨
(٢) لنفسه : ١٩٩ - ٢٠٠
(٣) نفسه : ٢٢٢
(٤) نفسه : ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٦٨ - ٢٦٩
- * - رامة : اسم موضع ، المشتري : اسم حصن أو جبل
- الاولق : الجنون . الودق : الملمر
- المؤهن : مختص الليل أو ما يمهده

أحمد القائد أبو محمد الله بن الحجاج في نواحي قرطبة ، والثانية في ملبسات وكيفية
تتربح بلنسية من أيديا لنصارى في سنة (٤٩٥ هـ) . وعوفي ذلكم يستلزم آثار
من سبقته من شعراء العربية ، وفقد من طرائقهم الفنية ، ولكن الذي يهم ملاحظته
في هذا المجال ، هو اصطلاح الشاعر لمصطلحات الطبيعة وعناصرها الحية والجمادات في وصفه
وتسويره ، فهو إذا وصف شجرة مدد وجهه إلى العرب بعيشه وسلاحه ، تداع صور العناصر
الطبيعية في مخيلته ، وأسهمت بأشكالها وألوانها في تلحين صورته وتجميلها إلى حد قد
تعتبر فيه أقرب إلى جوال الطبيعة منها إلى الجوال العربي وما يتطلبه من صلابة وعشونة ، وشدة
بأس ، يقول :

سرى بمن نوار ليزر أسنثـ
فهزّت إليه علفها نل رائـ

حداب وأوراق لراياته ،
تهزّ عنه الفضن في الورق النّـ

وإذا وصف السمكة يادرت إلى ذهنه صور طبيعية يستخد مها فيها دو بصدده من تصوير
الرياح فيتمسك به ، ويريق السيف والأسنة ما جازيا ، كما يوهي إليه منظر الجبل الزاحف
بسيوئه الشجرة وأسنته اللامعة بصورة العارن المظلم المهرى ، ولكنه لا يدار الماء وانسكا
السلوة والشد والباس ، وهي لما شرة كونية أفاد الشاعر منها في رسم صورته ، يقول :

قد ما تر في أريائه شجر القنـ
كل الأظـم منه عارض سطوة

وجرى به ماء الحديد فساعا
ورق الحديد ليجانبه فلا سكا

لما يفتتح وصفه لسال بلنسية بعد استرجاعها بقوله :

الآن سح غمام النسر فانهـ

وهنا صير الشاعر ، في صلتج عناصر الطبيعة ، ويتكى عليها في تشبيهاته الكثيرة فيقول :

والشهب شهب والصبابة سدفـ
والرب يرض فيه من خرصانـ

والشجر جتر والعناب نـ

زهر ومن سمر القنأ أغصانـ

فالشهب والسدف والروض والزهر ، والجمر والدخان ، والأغصان ، عناصر الطبيعة اعتمدا

(١) الدهوان : ٢٦

(٢) نفسه : ٢٥١

(٣) نفسه : ٢٠٨

(٤) نفسه : ٢٤٤

* - الصفو : المبل

الشاعر ، وأفاد منها في عرضه وتصويره مشهد المعركة بكيفية تغلب في الجوال المهيبة على
جبال العرب ، وهو بفعله هذا يرغمي عليه ، ويشجع نزعة الفنية في الاعتماد على الملمية
وتوابعها في بناء صوره وصياغة معانيه ، ويرحمي إليه مشهد جيش العدو لانهزم أمام قوة
الرايحين وسيفهم بصيرة البشير الذي تلقته النار القهاط ، فبشبهه جيش العدو والبشير
وسيف البشير الذي يدركه باللهيب الذي يلتهم ذات البشير وحرقته قافلا :

وَمِنْ بَشِيرِ الْعَدُوِّ إِلَّا بَشِيرٌ (١)

وهو مشهد يرسمي إليه بالثبوت من الصور الملمية ، المعية والصامة ، يحرف الشاعر
لنيسية منها في وصفه ، يستعير ما صفاتها ، ويشبه بها ، مؤنحا قوة مدوحه وسطوته
ونلة العدو وصفاره :

وَأَمَارَتُهُ غُبَّتْ مِنَ الْغَيْثِ وَالْغَيْثُ
يُظَاهِرُهُ مِثْلَ مِنَ الثَّلِثِ نَهْمَتْ

.....
وَمَا رَبَّ جَيْشٍ لِلْعَدُوِّ كَأَنَّهُ
عُرِشَتْ لَهُ وَالْغَيْثُ وَنَدَى جَرَاءُ
وَلَقَدْ رَمَى لِلْمَهَابَةِ بِسَانٍ
فَأَقْبَلَ إِتْلَاعَ الْغَمَامَةِ تَقَشَّعُ (٢)

نالغيث الواثق ، والوثن الهموع ، والبحر الطامي ، والليث الجري والغمامة الخائفة
والريح ، والغمامة ، عناصر الملمية ، اتكأ عليها الشاعر في تصويره ، واعتمد لها في وصفه
واستوحاها صفاتها ولا لاتها في التعبير عما هو يصدده من الموازنة بين شجاعة مدوحه
وقوة جيشه ، وكثرة العدو وسرعة تشتت شطه وانهمازه .

ثم يشيد بشجاعة مدوحه بإعدامه وسرعة تجذته ، مخوفا ابن رن مير عدوه ومنكرا
وناسما إياه بالفرار ، وبأنه يتحرفن لسقوط مدوحه وبأنه ناله منه كل مكروه ، والشاعر فسي

(١) الديوان : ٦٣

(٢) نفسه : ٨٨

إبرازة لهذه الحقائق ، وتجسيد لهذه الصفات والمواقف ، يلجأ إلى اللطيفة باستمرار
 صلتك عليها تلكا ، وانحما في استعاراته وتصويره ، يقول :

أَتَى الشَّرْقَ بِفَوْجِنَاغِ الشُّرَى	به وتهب رياح القَرْصَلِ
وَأَلَمَ فِي شَمِ دَائِدَةٍ تَسِي	وأعشاع عارِضٍ هَمِّهِ أَلَمِ
فَقَتْلَ لَاهِنِ رَذِيبٍ مَهْمَا تَشِيرُ	يقوم صفات الأمير الأَجَلِ
يَهْرُجُ مِنْهُ سَيِّئًا شَمَلِيَّةً	هذات وَفَرَّقَتْ طُورًا وَشَمَلًا
فَمِلَّ عَنْ طَرِيقِ شَهَابٍ سَرَى	فأهوى ووادي آتِيٍّ حَمَلًا
وَعَدَّ رَغْبَةً عَنْ عَهَابٍ طَمَسِي	ولنذ رَهْمَةً بِصَيَاصِيٍّ جَهَلِ (١)

والوصف ، كما هو ملاحظ ، يعتمد اللطيفة أساسا تستمد من الاستعارة ، وهو
 اعتماد أضنى على الوصف بها ، وقوة ، فجنان السرى ، ودخان العجل ، وهارص الهيم
 المنتشع ، وسنا الشملة ، ... ، وفراق الرشل ، والشهاب الساري ، والآتي
 السامل ، والشهاب الدامي ، استعارات توهي بالقوة ، استعدها الشاعر من اللطيفة
 وأبرز من خلالها توتر الجماعة ونبرة مدوحه إبراهيم بن يوسف . ومن أغراضه الشعرية التي أفاد
 فيها من عناصر اللطيفة باب المتاب ، فهو يخاطب صديقه الوزير أبا محمد بن عامر ، معاتباً
 إياه لتأخره عن زيارته ، في أسلوب لاهي يندى بثلث الغمامة ، وفيه براعة الـ
 قائل :

أُنْسَأْتُ مَا أُنْشَأَتْ مِنْ عَجَبَةٍ	فَأَتَامَ تَسْعَتِ غَمَامَةٍ لَمْ تَمَلِكْ
وَلَوْ التَّقْنُاعِيَّتُ بِصَفِي سَاعَةٍ	لَسَقَتْهُ بَيْنَ مَلَامَةٍ وَتَشْكُورٍ
تَهَيَّيْ بِمَاءِ الزُّوْرِ فِي أُرْدَانِيهِ	وَيَلَّا وَتَعَيَّبْ سَمْعَهُ بِالْبُؤْسِ
وَعَدَّ لَوْلَا هَرْتُ وَعَدَّ شَمَلِيَّةً	فِي عَارِضٍ مِنْ بَيْرِهِ مَسْتَنْطَلِيَّةً

* من ميسر : أصحاب . شُر ، شرازة : بهر ، يسا شديدا

(١) الديوان : ١٠٤

الصفاء : الممل والأهوجاج . الرشل : الماء الكثير

(من الاضداد) . الآتي : السيل . الصياصي :

الفسون . أنسأت : أغرت .

الأرداز ، جمع رذن : أصل الكثر

لنفسك أسرار الكتاب كتائباً مصافقةً ولطفته في عنكسر (١)

كما هيأت صديقه الفتح بن خاقان ولومه على ثبله منه في كتاب القائد ، وكشفه
لأمور لان به على سترها وموارثها لمناقاتها واتح حياته الجديد ، وتعارفها عن نهجيه
السلوك في ان اندرلة الجديدة ، فلم لم يكتف هذا الصديق بذكر معاصر صديقه وعبد
فضائله ، والشاء عليه دون التمرين به ، وهتك عرضه بكشف أسواره ٢ . ذلك ما يأخذ
الشاعر على صديقه في حياته عتاباً يفيض رقة وعذوبة قائله :

ما ذا ثبات عن الشاء ونشيره
هزداً على الرسم الجميل جميلاً
أريها كما عثر التسميم بروضه
لذا كما نضج الفخام قبيلاً (٢)

وبصور نفسية هذا الصديق الذي يهش عند اللقاء ، هفتاب في الخفا معتمد على
الابنية غائله :

لأن العير أنق العير في ود صاحب
منه من اللقب التي كأنطها
ومحطاً لأغامتلي سمارة
منير على عروني الصديق مقامير
أحل بريح للباشة عامر
وبجاءت بصور للباشة خمرها مير (٣)

وهذا الاتكاء على الابنية بمصطلحاتها الكثيرة ، والاعتداد طلبها في مجال التشبيه
والاستعارات يلزم الشاعر في فن آخر من فنون القول ، هو وصف القوائد الشعرية ، وهو
فن معروف لدرجة الشعراء من قبله وتفن شعراء الاندلس (٤) في القرنين الرابع والخامس
في نظم المقاروعات فيه ، مشبهين شعرهم أو شعر غيرهم بمنى ومعنى بوشى الرباض ونورده
والغمام والسيل والمسد والسطر ، وأنواع الاجار الخريفة ، وبالبرود الموشاة وغير ذلك
وهم في ذايسترون الشاعر في الكثير من المعاني والصور التي سيطرقتها أو بصورها ، ولكن

-
- (١) الديوان : ٥٠
(٢) نفسه : ٢٠٥
(٣) نفسه : ٢٠٦
(٤) التشبيهات لابن القاني : ١١١ - ١١٧

يقته العاصمة ، وذكروا النخاس ، فمن ذلك قوله في ختام قصيدة مدح :
فأنا لن لروايتيها صدى حانسياً

يستضئ الأتوار للناس حوار (١)

وفي قصيدة أخرى قوله :

لديك ما لا يحصى بها الهند مسكة
وخبرة شهباء تملأ نفسي

تعتكراً نقار الرواة فتفتقني
تنقش في صدر الندي فتفتقني (٢)

وقوله :

فيا دوحة الملياء حيث روشتة
لها من صهيل النور ثغر مفلج

عليها ردة للربيع منقش
يشق ومن سجن العمامة منقش (٣)

فقصيدته روضة عذبة ، مفتحة الزمير ، مخضرة الجنات ، عامرة بالنبيا ، وممدوحه
دوحة علياء وما قاله في وصفها مرغيبه :

فنبذا نأفة تنسأغ باردة
وزهرة غرة تفتع عطريرة
في طلق زينة للقبيل مشرقية

من منهل يافق الأذية تسال
من روضة لذنة الأنفاس منقش
ومنقش طرغ للخلج هائل (٤)

وقوله :

وصحيفة دمر الدين صفحمة
وردت تذكري العديتة نفحة
تفخر الدان بمميا فيها دهممة

منها وثقف بالسكور رما حكا
وتهزني هز القصب مراحكا
جرت الماسين فوقها أوعا حكا

(١) الديوان : ٢٩

(٢) نفسه : ١٨٧

(٣) نفسه : ٢٠٢

(٤) نفسه : ٢٥٦

فَلَا تَرَوْهَا بِاتِّفَاقٍ نَوْرَهُ فِيهَا وَظِلُّا وَوَسْأً تَدُجْنَهَا (١)

وعنده الآخر ما يغيرها ، وإن كانت تعتمد التشبيهات الحسية أساساً ، إلا أنها لا تدرك على أن أساس الشاعر بهيمة وإنه كان قرياً ، وأن همه لها كان ، وهذا هو ما جعلها تستولي على حسه وشعره وتبهيم من بطلها هرجاً ومعطياتها على فكره ومفاهيمه ، تتلجج سمانيه بالابحها ، وتلون صوره بأفيلته بالوانها الزاهية ، وأشدالها المتنوعة ، وتلفس على شعره بأقرانه المتعددة في يسر وعنفية ظاهرة .

بوم البهيمية والشعر :

لقد هتف ابن خفاجة بالدمر في مجالر أنسه التي كان يقيمها في أعضان البهيمية حيث الرون الفواح والخصن السواد ، وفي " الندي " ، والطير الساج ، والجدول الرقراق كما " هتف بها في " والنموش والغيم والطبخ والممر " (٢) ولئن قيمتها ، كما أشرنا من قبل - تكفل محودة إذا ما وزنت بميزة البهيمية عنده ، ومكانتها من نفسه ، فقد " كان صوت البهيمية مدنيا لا يقارن إلى صوت الدم ، لأن حب ابن خفاجة ^{البهيمية} لا يمد له حب ، ولربه بها لا يقارن إليه طرب " (٣) بل إن أوصافه في " الدم " كما سنرى بعد قليل تعتمد في تشبيهاتها واستعاراتها على ما في البهيمية من عناصر ألوان وأشكال ، وإن - عموماً - لا نجد فيها ما يستألف وزاد على ما أورد في شمسها وأهالها الصرزون في وصفها وعلى رأسهم أبو نواس ، الذي أختص بها ووجهها عيانه وفنه .

إن وصف ابن خفاجة لشعره وصف مادي ، لا يتجاوز المظاهر المادية للدم ، وفي شمله ولونه والسمانيه وأسراره إلا نادراً ، فالقاسم الزباجية ، وقد صبت فيها النقص السراة أو السراة ، فصار البهاج ، ترقى الشاعر بمنزلة ، فيندفع إلى تصويرها مستعملاً

(١) الديوان : ٢٨٨ ، أنظر أيضاً : ٧٩ ، ٩٩

(٢) شمس البهيمية في الأدب العربي : ٢٨١

(٣) نفسه : ٢٧٩

بما حمله في رحاب الدجعة القسيحة من عناصر الأمان ، فهو يشبه النائم بالنائم ، فليس
الزمن والدعاء ، والنائم باللمح في الأسماء ، وهما صفتان للنهر الذي جلس على
بنيته مستقما بالزهر ، رازقاه والكثير ، نيقول :

وجاء بها حمراء أتا زجاجها
فما وأما علوه فليهب
على لينة ترتج أمانها
فتور وأما موجهها فكثير (١)

وتد تدرب به النشوة بعيدا ، فلا يعود يفكر في غميتها بين سور الاشياء ، فهي
تتقارب في مشيخته ، وتتأمل السعد لا يرى فيه الشاعر حرجا في تحت بعضها بصفحات
بعضها الآخر ، والحكم ، فتضمي الدوحة النورة كاسا مزدة ، وتصير الناس المزودة
دوحة مزودة :

وعلى الأنداح والأنداح من
فكان الذوق كالأنداح
حبيب نثر وتور جوهري
وكان الكأس دوى زهري (٢)

والخبرة في حمرتها تذكره بالكوكب المضي ، فيشبهها به قائم :
وقامت بأجته من كاسها
تلهب في كاسها كوكبا (١)
لأوقى من ديتها أهدتها

وبه صور الخمر حسان امتزاجها بالما تصورها فيه وقد واثم ، وأشاع ونسب ، وفيه
لما في أعلاه من أمان سير مادية دغينة فيقول :

وتد تهب الماء كالأنداح
وشب المزاج بها بنمرة
فأثمت شفا لم الأنداح
تكان به الكأس أن ظمها

(١) الديوان : ٨٢

(٢) نفسه : ١٣٥

(٣) نفسه : ٢١٣ * - الأوقى و تصير الحق .

مرساة ترى خدّها أحمرًا
الحسني حمرة لها ورقها تحكي عنده النار ، نكاتها نار مستمرة بصطنعها إشارتها :

لله ندمان حديقها صطليها
نار من القدح الملائن ، تعبر (٢)
يا شاح لوني السراد والحرة في شخص المناخي يوحى إلى الشاعر ببعض الـ ...
بحرة متقدّاة يعلاني بها الأسود المجدود ، وشي شرارة ظلم بين ، فحمة أطرافه
مذموب في لباس حداد ، وكوكب ضفي في تطوع من الليل المظلم :

وأنقرة تفرم عن جنة
يعلاني بها أسود ... ذود

واعتقلت فحماً طرانيه
فما ناهيها من ...
دأته والذامر في كفيها
شراقة من تأنيبه فله ...
ثوب حداد كنه مذموب
يطلع من الليل به كوكب (١)

كما تذره الزور ناراً ومثلثة ، في ألوانها ورقها بأسمه الحية ، ها أنفاس الضفر
راس الشهب نهمتهيم بالوانها ووركتها كراوفا ، في رسم الشهد الحي لجانها
من الاحباب والخلان ، على نيفة نهر جزيرته الفاتنة ، فصف ذلك تأمل :

مازان بينه طغف الخليج مجرة
نكرك من ناس المدامة اشتكر
فيه يطلع للثلافة كوكب
هجرت يصدر للرجاء جفا شمس (٤)

والنار في رقة زينا جسمها وصفاته ، وعفوة لونها ترحي إلى الشاعر بشي جميل في حمرة
قده ، و زهرة النرجس فمدهمتها بها تأمل :

(١) الديوان : ٢٤٨

(٢) نفسه : ٣٧٤

(٣) نفسه : ٣٧٥

(٤) نفسه : ٢٨٤

لأن بها أسودٌ محدد وروب
فعلته من سجعٍ روعة
يأكلرب من لهو به من لسة
قد أنبتت من ندر سرجسة (١)

كما توهي إليه في ذلك ، وهذه الصورة الطبيعية المنتزعة من بيئة الماسة ، إنها
صورة " شمر الغروب " وقد انمكنت أشعتها الذهبية الهادئة على صفحة نماء السافينة
مرقطة :

شدت لها الدنيا إلهة سرارة
صفراء في بيضاء تعسب أنهبها
مفترة عن لؤلؤ الأنسنة
شمر المشية في ترار المسك (٢)

والشاعر ، في هذه الأوصاف السسية ، يلتقي ومن سبقه من شعراء العربية في كثير
من الصور ، وهو القائل يمكن أن يكون أثرا من آثار ملاحاته في ديوان الشمر العربي
كما يمكن أن يكون ، في بعض جوانبه ، نتاجا لظاهرة الحسية التي ظهرت شعرا العربي
بلا يصفها في عصوره المختلفة ، ولكن ما يمكن ملاحظته بهذا العدد ، هو أن الضمير
ليست إلا جزءا من كل ، ومعنى " من معاني الطرب المتعددة في الديباجة " (٣) ، وأنها
ليست سوى وسيلة من وسائل المتعة ، لا غاية تاللب لذاتها ، وتسرف الشاعر عن التفني
بالطبيعة التي أحبها ، وتعلق بها ، إلى التغنى بها على نحو ما نجد عند أبي نواس
مثلا ، فالديباجة عند ابن شفا جبة هي الغاية ، والمتعة بها في مفاتها ومجالها
الرائحة هي الهدف ، وما الغمر إلا خادم لها ، تسليخ في أوصافها بصفتها ، وتتلو
بالوان عناصرها المتنوعة :

-
- (١) الديوان : ٢١٠ * السجع : الديوان
(٢) نفسية : ٢٥٠
(٣) شمر الديباجة في الادب العربي : ٢٨٠

للحبيبة والغزل :

يأتي موضع الغزل في ديوان ابن خفاجة في مقطوعات وقصائد خاصة به فيها ، ومنها
 بركات أرب . كالأساسة والسديس ، والربا ، منها آخر ، وهو في هذه ، يسلك طرائق
 ن سبته ، فقد ماكن الشريف الرضي ومهيار الديلمي في الغزل الرقيق الدقيق ، والالتفاف
 لن نبيد والعباز ، واستيحاء نفحاتها والحنن إليها ، وسامر عبد المحسن الصوري
 في تسخير عشق المحبوب ، والتلف على لقاءه ، والاسراف في التودد إليه . . . وجرب في هذا
 غزله على الطريقة السني من لف الغزل بالأساسة (١) ، وهو في هذا لا يعد وأن يكون
 قلدا ، ولكنه عذر في كثير من شعره الغزلي عن نفسه ، وأعرب فيه بالبرقة وجدانية ، عن موقف
 انساني ذاتي ، كان وليد تجربة شعورية واضحة (١) . وغزله يتسم في مجمله ببعض الخصائص
 نوحا في ما يلي :

* انه غزل عالم لم تبرز فيه شخصية غزلية واضحة ، فقد عاش ابن خفاجة ضرورة ، لم يحس
 عنه أنه تزوج كقول عمره ، عالم يحزن عنه أنه كان مغرما بواحدة من بنات عصره ، ولم تتطابق
 امرأة من نساء بيته الجليلات ، على نحو ما تطلعت . ولادة ابن زيدون (٢) ونويرة
 ابن النداء (٣) ، يفسر غزله عليها فتفنن صفاتها ومحاسنها دون غيرها ، فقلد
 ن مولما بالجمال بلحمه ، بهتز الحسن صميم بهمشقه أنى كان :
 إني وإن كنت منجبة جليدا
 فإني والعائن من شيمتي
 لمودا مني وتارة غزل
 أهدى الدنا يا وأندبا لدمنا (٤)
 أهدى الدنا من لومة فؤادنا

(١) ابن خفاجة : ٧٥ - ٧٦

(١) نفسه : ٧٥

(٣) تاريخ الأرب الأندلسي . اللواتف والمراجلين : ١٦٠

(٤) الديوان : ١٢١ - ١٢٢

فهو يتميز بالسائق والسائبة ، والمرأة والفلام ، يخفل ذكر الاسم ، بينما ، هي من
 حينئذ آخر ، ولكن تحت اسم مستعار هو أقرب إلى الرمز الشعري منه إلى الحقيقة الدالة
 أسماء محبوبات مستعصيات ، لأن يذكر ليلى ، ودعد أوي ، ومية ، وسحن وسليسي
 ، والب ، طابند في الديوان قصيد موجهة إلى أمة صغيرة له تدعى "عقرا" وفيها
 بين الشاعر بالنثر من الحائلي الدسية الجنسية ، بحث أن بلغ من المراسلة

خمسين سنة .
 * انه غزل حسي في مجله ، يمتلئ بابراز محاسن المحبوب ، وتتميز صفاته المادية الخلقة
 قلما يلجأ فيه إلى اظهارها في النفس من شجبات ، وانعطاف مطبات ، وفيها المحبوب
 من حد المحبوب ، أرياني من بعد ، ومجرب ، أو يبالغ من أشواقه وعماه " (١) .
 * انه غزل وثيق الخبارة ، نقي الأسلوب ، " لم يخن فيه الشاعر - عموما - إلى التمهك
 أو السبون ، وله في الوصف على الصبوح المادي من الحديث " (١) ، إلا مرة واحدة
 في مذكرته واحدة وصف فيها سردها وصفا حسيا مكشوبا (٢) ، ولكنه ص بأن لها ليست من
 الدقة في شيء ، كما لم يفت أن يقو بين الحين والحين بصفته ، وكرم نفسه ، وفي مفة
 قصيد الشاعر التوس من الرنوع في الدسية ، أنها سردي ع ، مقارفة الزن لا كذا
 " نري بيريس " من أنه قد سما بها الوفاء لا مرة واحدة بعينها (٣) .

* انه يلتقي في معانيه الغزلية ، وسوره وتشبيهاته ، مع شعراء العربية من قبله ، كما
 أنه قد يتفق مع بعضهم في الاتقاء على التلميح في تصوير محاسن المحبوب ، ولكن أسلوبه
 في ذلك يبقى متعبا ، كثرة وتنوع ، فقد رأينا في الفصول السابقة من هذا الباب أن الشاعر
 كثيرا ما يذلل إلى الدلية من غزل المرأة ، وفيها بصفاتها ، وينتهي به رتبها ، ولكنه
 لا يحد الأمر ، فينظر إلى المرأة من غزل الدلية ، ويستمد لها ألوانها ، وعناصره
 المختلفة في تصوير صفاتها وإبراز محاسنها ، ولكنه يخلو بنا البحث لو تتبعنا هذه الـ

(١) ابن عفاية : ٧٥ - ٧٦

(٢) الديوان : ١٥٧

la poesie andalouse ; p.424.

(٣)

الممدودة في شعره ، يخل بمزجياتها وتفرعاتها ، فارتكاد تخلو متلوحة أو قصيدة في هذا
 بيان من سر ذات عذرة بالليمة ، بيد أننا نرى أنه لا يد من الوتوف . د أبرز تجليات
 في الأجرة للتعرف من غزلها إلى أي مدح استلح الشاعر أن يفيد من أ الليمة في بناء
 في الشعر الشعري المهم في ديوانه .

لقد غنت المرأة ابن شاذية بمسحتها ، وأسرت قلبه بجمالها وبها عها ، وهي فتنة تدفع
 ، وهو الشاعر الحر واليس ، الذواقة لمعاني الشعر والجمال ، في كل ما يحيط به من
 في شعر وأشياء إلى التصوير ، تصوير محاسن المرأة وإبراز صفاتها ، جاعداً من الطهيمة
 في الأجرها المتنوعة مادة لتصويره ، ومعينا ثرا يستمد الصور والألوان ، لتجسيد ، محال
 في الصورة البسيطة التي استرمت انتباهه ، ولطكت عليه مشاعره وأحاسيسه ، فالمرأة الشابة
 الرائعة الحسن ، تذكره في أحمرار وجنتيها بالورد ، وفي تشبهها وأعتزازها في مشيتها
 بفرد الأسلة الديك ، وفي بياض يدها بالسروانة ، وفي غضاب أرافها بالسنبلة
 وفي بياضها وحسنها بالياء ، وفي اشراقها وبهاها بالشعر ، كما تذكره في حسن صوتها وروعة
 ترتيبها ، وسبح العظام ولين الفراب وهي ، سر متراكمة يوثقها الشاعر كلها في تصوير محاسن
 المرأة ، وتبسط جمالها الذي يلفت نظره ، وهو قلبه ، وذلك في قوله :

فَتَنَ الشَّابَّ بِوَجْنَتَيْهَا وَرَدَّةً
 وَنَحَتْ سَوَالِبَ يَدَيْهَا سُرُتَانَةً
 بَيْنَا فَأَتَى الْحَسَنَ مَا فَوْتَهَا
 نَادَ مَثَالِهَا وَقَدْ طَلَعَتْ بِهِ
 وَتَرْتَمَتْ حَقَّ سَمْعَتْ حَمَامَةً
 بَيْنَ الثُّجُومِ تَلَادَةً تَسْتِ الثُّلَا

في فرع أشجلة تجد شبابها
 وتوردت أرافها عابها
 ولقا بها الدُر الثمين عباها
 شمساً وقد رَفَّ الشَّراب سرباها
 حتى إذا حَسَرَتْ زَجَرَ ثَمَرَاها
 غمامة خللت الضبا نياها (١)

فيها لب أمته الصغيرة ، عفا ، مسلط ، وراجيا أن يراها في حال تروني احساسات ال دية
 وتشبع رغباته الجنسية ، ويتوصل إلى ذلك بمناصير الطهيمة متاعلا :

وَأَقْرَبُ غَفِيرًا السَّلاهِوتِلَ لَهَا
وَهَلْ يَتَشَى ذَلِكِ النِّصْنِ تَنْسَرُ
وَمَنْ لِي بِذَاتِ الْغَيْشِ مِنْ مَتَشَسِ
أَلَا هَلْ أَرَى ذَاتَ الْهَلْ قَمَرَاتِمًا
بِحِزِّي وَهَلْ أَلْوِي مَعَا فَهْ ضَمًّا
فَاكَلَهُ عَضًا وَأَشْرَبَهُ لَشَمًا (١)

فهو ينعمت أخته بالسها لصفرها ، وبتننى لوتصير قمرًا مكملًا ، وغصنا نثيا ، وشرة
انثية ، فيلوي عافها ، ويشبع منها لثما وعضا ، وهي رغبات ذات صلة قوية بشخصيته وحياته
ذاتية .

ويتذكر ليل الوصال ، وصف حاله في غله مستمعينا بما يتراءى له في ليله من نجوم
برق ولالام ، فيقول :

فَمَا أُنْسَهُ لَا أَنْزَلِيلًا عَلَى الْجَمَى
وَزَارَ بِهِ نَجْمَ السَّهَابِ قَمَرِ الدَّجَى
إِذَا مَا شَدَا فِي فِيهِ بَارِقٌ مَسْمُومٌ
وَقَدْ رَلَانِ أَوْعَا حَا وَرَنَ جَمَالًا
فَبَاتَا بِحَالِ الْفَرْقَدَيْنِ * وَصَالًا
أَجَنَّ دَجَنَ فَرْعٍ فَحَرَّتْ ضَلَالًا (٢)

كما يذكر وشخص المتغزل بها بالهانة في الاهتزاز والتثني ، والاروى في طيب رائحتها
بمسبها بذلك وينادي بها به ، وينشد على طريقة عبد المحسن السعوي في رقة ذلها هرة فيقا :

يَا بَانَةَ تَهْتَزُّ فِينَا نَسْجَةً
لِلَّهِ أَعْدَا فِتْ مِنْ خَوْلَانِي
وَرَوْضَةً تَنْفُجُ مِمَطَّارًا
وَحَبْدًا نَوَّرَتْ نُجُومًا (٣)

ومحبوبه أهيف غامر الغمر جديده ، مكتنز الردف خصيه ، يحكي الروضة في جمالها
واشراقة وجهه ، والقضيب في لينة وحسن قده :

وَأَغْبَدَ فِي صَدْرِ النَّدَى لُحْشِيهِ
مَنْ الْهَيْفِ أَمَارِدُهُ فَمَنْقُومٌ
تَرَفَّ بِرَوْنِ الْحَمْسِينَ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ
حَلِيٌّ وَفِي صَدْرِ الْقَصِيرِ نَسِيبٌ
غَضِيبٌ وَأَمَّا خَضْرُهُ فَبَجْدِي سَبِيبٌ
وَقَامَتُهُ نَوَّارَةٌ وَقَضِيبُهَا سَبِيبٌ (٤)

- صغير أقرن* محمود على البرقي . السهلي : كوكب صغير

(١) الديوان : ٨١

جدا . الغشيف : ولد الطبيب أول ما يولد

(٢) نفسه : ١٢٤

- الفرقدان : كوكبان نيران

(٣) نفسه : ١٢٥

- الاهيف : الضامر البطن والغاسرة

(٤) نفسه : ٨٣

ويتنزل في امرأة قد تناسب لون كسائها الاصفر مع لون بشرتها البياض ، فازدادت جمالا
جمالها ، وبذلك بينهما وبين عناصر الطبيعة لونا وتأثيرا فيقول :

وبعداء في امرأة تملئ نغمه
خلعت رداء الشجر فيها علاقة
ولا غرو أن تروى بها عين ناسر
وتنقر عنها الخندل إلى لب والجر
وحسن إلا في هو مثل الشجر
وبالطنها ما وظاهرها في سر (١)

وبعداء لب محبوبه بمثل قوله :

يا غصن عشن تلم ينشر فرعته
ما كان شرف لو هضرت ليلته
ورقا صفحت نوره نسورا
فنترت من قبل طلي شبرا (٢)

فمحبوبه ، في حسن قده ، وجماله وروعته
وأما ما بينه أو ما يأمل بينه من محبوبه من قبل ، فشاربانمة ، دانية تنتثر ، وهذه كلها
صور يبدو من خلالها اتكاسا على الطبيعة واعتمادها أساسا في التشبيه والتصوير .
وهو يعد لنا من إحدى منامراته ، ويصف لنا الجو الذي زار فيه حبيبته ، كما يصفها
هي نفسها ، مستعينا بنسورة كل من الهلال والقمر ، والروض ، والقصب المثمر ، فليس
تصوير محاسن هاته المعبوبة ، وتجسد نواحي الجمال والفتنة فيها فيقول :

لم أتد ليلة رقت سرك زائرا
فأتمت عافا أزورا وجلوت وجهها
ورقا ردا من شبايت أبيض
وبدا هلال في نيايك طالع
فجئت رونا في قناعت زاهرا
فكانا رقت فيها جودرا
أزهر وأدرت لرفا أخورا
ولربما اعترض الحياء فمضرا
ولربما . انعدرت النقاب فأقرا
وتنصب بان في وشاحك مشيرا (٣)

* - الخندل : من المطور

- الجودر : ولد البقرة الوحشية . السمور : شدة
بها العين في شدة سوادها

- عفا : أسبح .

(١) الديوان : ٢٢٣

(٢) نفسه : ٢٧٢

(٣) نفسه : ٣٠٠

وندى به من بهر من بهر فل في أثاره الدليلة ، و بهر رداه زهوا خيلا ، بهر تنز
فنى في مشيته ، فهم تنزله الشاعر ، و زداد به لوعة ، ولا يطلع التهور رسالة ، فيسور
سنه في إعجاب قائل :

مرينا رمو بد رتيم
قد سال في صفحتيه ماء
بغامة تنني تنييه
لأنه مودة تهدي
فهر سببا رقة وفصن

بشعب من ذيلها ،
بحر من خجلة شراب
و غرة تلتلي شهاب
تلي من وشيه حباب
لينا ونورة شهاب (١)

وهو نص يظهر صد استناد الشاعر من الطبيعة في مآثرها وعناصرها المتنوعة
بنا سور ، والإعراب عن معانيه بكيفية واعية ، و طبعته بالابح جميل ، زاد من رقتيه
بنا فيه من موسيقا عذبة . وسط وصفه لحظات اللقاء بمن يحب ، وما تالسه
بالادل الوصل من محبوبه ، متكئا على الطبيعة في مآثرها المتنوعة ، تشبها واستمارة
وله على طريقة أبي الالب التمني في غلط الغزل بالعماسة :

أرو اليه ثم أغدو وإنسا
الى حيث أجنى الأفعوانة من قم
مشي يتثنى غولة فسألتيه
وليل تما اين المدام ويننسا
ونقلي أعاج الثفر أو شومن التلى

أنكبحن مجدي إلى طس وجيد
شهي وأثنى الخيزرانة من قلد
قطائف تيار الوصل أو زهر الوعد
هديث كاهب النسيم على السور
ونرجسة الأجان أو وردة العست (٢)

وهو نص يحفل أيضا بعناصر الطبيعة ، على اختلافها ، فالأفعوانة ، والخيزرانة
والغولة ، والشعر والزهر ، والنسيم والورد ، والسوسن ، والفرجس ، عناصر الطبيعة ونظفها
الشاعر في بناء صورة محبوبه ، وتصوير لحظات الانس به بكل معانيها وظلالها .
لقد وجد الشاعر في الطبيعة من حوله مبعثا ثرا أسمفه بالكثير من الصور ،

(١) الديوان : ٣٣٨

(٢) نفسه : ٣٤٨

كيف يستخد مها في تصويره لسان محبوبه ، وبارزه لحفاته ؛ قال : هوية خيزرانة تميز
بها رب الشباب ، وهي تعكس في جمال عينها وعنفها عيني الغزال وعنف الرمح ، كما
أنها تعكس في رقها وسياح ثغرها العنبر والعناب ، وأنها في ثوبها المبرق اللامع
تشبه البدر المنير وقد حفت به النجوم الزهر :

ومررت ببيت الليل عنها وانما	رفعت جناح البدر بهمة الزور
وتبكت ما بين السما الى الدلى	وعانت ما بين الترائي الى القصور
والمرتب سبع الدلي من خيزرانة	تمل بها رب الشمية والسكور
غزالته الألاحظ ريمية الللى	تدأمة الألى عابية الشكور
ترت في موشية ذرهم	كما اشتكت زهر النجوم على البدر
وقد غلقت ليلنا يد الهوى	رداء عناي مرتته يد الفجر (١)

فهو يلجأ - دائما - الى الطهمة ، يستند لها أفاضلها وألوانها ، ونسائها ، ويستعين
بها على رسمه وتصوره صورة محبوبه الذي جنى منه ما جنى ، وسهر معه في غفلة سوادرة
لم يهتظها منها غير صورة صوت رداء الليل الاسود وهو يمتد بين يدي القصور الذي كشف
عنهما ، وأصبح عليهما من نوره ونسائه ، في مشهد جليل ، قوي ومشغول في أن .

كما أن وجهه من يهيب في مياضه وتورده فجلا ، وارتسام الخيلان بسوادها على صفحته
يرت الشامر واسمه بأبيات يصفه فيها قائلا :

غزلته من حبيب وجهه فلقى*	فما عدا أن بدا في وجهه شقى*
وارت يشر في أنيال خيلته	غمن بمطفيه من استحقى* وركى
تهال غبالته في نور صفحته	كواكب في شعاع الشفق تحترق
عبيد والصين ما والعشا لهب	كيف التقت بهما في سبه الطرقي (٢)

فهو يملك الفلق في زمامه بياض وجهه ، والشفق في احمرار وجهه خجل ، كما يحد
في تشبه النخس الاضمر الندي ؛ وجهه شمس ، وعملانه كواكب تحترق لوهبها وإشراقها .

(١) الديوان : ٢٤ - ٢٥

(٢) نفسه : ١١٥ * - الفلق : الصبح بعينه ، الشفق : حمرة العشي .

الاستحق : الديهاج الغليظ .

ويغزل :
ومن لي به أليف منك يلهو مضجعي
وإني لم أزل كرا له لوقتي
نعلت تهادني الرياح فليتها
تهب بنا لورا جئوها فلتقي
ومين الكرى والقيين قد عروبت
كما اهتر في سرى الله هم قضيت
شمال تهادى بيننا وهبوب
وتجري شمالا تارة فنكس هبوب (١)

وهي أبحاث رقيقة عذبة ، أفسحت عن عاطفة الشاعر ، وعبرت بالفاظها السلسة ،
وموسيقاها الشجية عن نفسية حزينة وقلب معذب ، ونظرة عذرية إلا أنها لا تطرد في شمره
الغزل ، فالرجل محب ولها ، يورقه الفراق ، وتهزه الذكرى ، ونعله الحب ، فيغلف
حق أن الرياح لتتهادى به كأنه الفصحى في مهب النسيم ، واليتها كانت ربح الشمال
والجنوب ، وعند ما يتلاقى السبيان ، فيهنأان صمدان .

ولكن هذه النعمة المايغية لا تكاد تظهر إلى جانب التفسير الحسي لنواحي الجمال
البدني في المرأة ، والذي استوحى فيه الشاعر عمليات الطبيعة بأنواعها ، واستلصاع
وحس انتقائي شاعري ، أن يصنع تمثلا جميلا للعبية مركبا من عناصر الطبيعة الدميعة
والصامقة . ونجد أنفسنا الآن ، وجها لوجه أمام سؤال يفرض وجوده في هذا المقام وهو :
ما السرفي هذا التداخل بين صورتين كل من المرأة والطبيعة في شعر ابن خفاجة ؟ . لقد
أجاب الدكتور صمد والسوان الدابة عن هذا السؤال بقوله " لقد وجد الشاعر في الطبيعة
مجالي كثيرة تذكره بالمرأة بصورة إجمالية ، كما ذكرته محال جميلة من الطبيعة بهذا سر
جمالية في المرأة ، ولد ذلك أساسه العام بالجمال ، وسميه وراء " الصورة الجميلة " أن
كان واستلصاع ابن خفاجة أن يبدد - وشكل مطرد تقريبا ، علاقة وثيقة بين المرأة والطبيعة
بل هي علاقة متبادلة ، فقد يتغزل ، وتحسروا كأنه يصف شيوة أو جزءا من هزتها الدليمة
وقد يكون في أثناء رسم لوحة أو تصوير مشهد ، أو تقرير انفعال ما في جو الطبيعة ، فدنا
هو يستخدم عمليات الغزل ، أو يربط بينهما وثيقا بين المرأة والطبيعة ، وحافزه إلى ذلك

بعد الجمال ، والتداعي بين الابداعات المتعاقبة للموصوفات المتعاقبة . (١) وهو تحليل
 جبهه ، يدل على دراسة عميقة لعياة الشاعر وأدبه ، غير أنني أرى ، مضافاً الى ~~هذه~~ سواب
 ستاذي ، ومؤكد ما سبق أن أشرت اليه بشأن هذا الامر في فصول هذا البحث ، من أن
 لسرفي هذه الماهرة ربما يمكن أيضاً في أن الطبيعة لم تعد شيئاً غريباً عن الشاعر ، منفصلاً
 عنه ، بل أصبحت جزءاً من كيانه ، وهدفاً لاهتماماته ، أضحت الوجه الآخر أن الشاعر
 يهيم به ، ويحن اليه في أعماقه : الحياة ، ومن هنا كان اتحادها مع صورة المرأة في
 عالمه الشعوري ، لأن هذه الأخيرة الى جانب الأهمية التي حظيت بها عنده من حيث كونه
 عاشراً محروماً منها في أول عمره ، تعني الحياة أيضاً ، تعني استمرارها ، فالرابط بينهما
 عنده هو الحياة ، بكل ممانيتها وأسرارها ، فكانت عنايته بها ، تزويجاً وتنسيقاً ، وأحبها
 وتغلبها ، أرغماً لطيفاً به من عبء الحياة ، وتموئناً لما يشعر به في قرارة نفسه من خوف
 وتلن من شبح الموت والفناء .

(١) ابن خفاجة : ٦١ - ٦٢

الفصل العاشر

في

الدراسة الفنية

القسم الأول في الشكل

(أ) - البناء الشعري :

ان كل من يتصفح ديوان ابن خفاجة ، يخلص الى أنه شاعر ملبوع (١) ، قسوي
الشاعرية ، قد انقاد له الشعر ، فأعرب بوساطته عن آلامه وآماله ، وصور من خلاله ميئوسه
وويله أجمع تدمير ، كما يفسر بتقافة الشاعر في مجال الادب شعره ونثره ونده ، وطرسه
على اختلافها ، ويده من مرة ثالثة بتنوع المراتق وتعدد المذاهب لدن الشاعر ، فهو لا يفسر
على سنن واحد ، يترسه ولا يحمده عنه ، وإنما يتنوع في مجاله الفني ، فينسج على منوال
طريقة السني في مزج الخزل بالحساسة تارة ، فينسج ج مهابر والشريف الرضي في
التلذذ والتلذذ تارة ثانية ، وينظم على طريقة عبد المحسن الصوري الفنية والفزلية
تارة ثالثة ، وقد لا يحتفي بأن يكون متبعهم ، بل يعارضهم في أشهر قصائدهم ، ولا
يتردد في ابداء رأيه في اشعارهم ، مما يدل على تمكنه وتقداره الفني ، وهذه أمور
أشرنا اليها قبل (٢) . ومع هذا كله ، فقد نلل الشاعر مدينا في عطفه الفني لاسلوب بنى
القصيد العربية القديمة والصحة منها خصوصا ، وعلى الأخص في مدولاته ، فقد كان
يحيل - أحيانا - وخاصة في قصيد المدح الى تنوع الاغراض فمن مقدمة في النسب أو في
وصف المدينة أو في الدفن الى الوطن والشوق الى الأصحاب والديار الى وصف عام تتعدد
سناحه وتشعب قشايه ، حيث يصف الليل وسراه فيه ، ويتحدث عن وحدته واغترابه
أو يصف فرسه أو غير ذلك ، ثم يظن الفرض الرئيس ، مدحا أو رثاء فيفتن ما شاء ، ويقتفي
نمطه بتدبير شواء ، أو يرضى إليه من دون إلحاح ، ثم يختم قصيدته بتحية المدح واثرائه
السلام أو الدعاء له ، وغالبا ما تكون تحيته ، ومدحته إليه هي قصيدته التي يطلب في
نقلها بما يزينها ويبرز صفاتها وخمائها الفنية الجمالية . وهو لدرته وتمكنه من فنّه
يحسن التخلع ويبرع في الانتقال من غرض الى غرض ومن موضوع لآخر .

(١) قلائد الحقبان : ٢٦٦ ، الذخيرة . ٣/٢ : ٥٤١ ، المطارب : ١١١

(٢) رابع الصفحة : ٤٣

وقد يجمع في قصيدة واحدة الفزل والرتاء والضحك ، سوفاً لذلك ، بوجود الوحدة
لنفسية ولا اشتراك الشعري بينه وبين من يتوجه اليه بالخطاب (١) . ومع ذلك فاننا
نلاحظ ، كما لم نلاحظ ذلك قارئ الديوان ، أن هنالك قصائد ومخلوعات كثيرة عرف الشاعر
فيها وحدة الموضوع ، فقد وجد الموضوع في الرثاء ، ووصف المعركة ، والفن والوصف ، ووصف
اللبية ، جميعها وصفتها منه خاصة ، والشكوى والعنين ، فهو صمد الوحدة أو المقطوعة
في الخرض المقصود وما يتعلق به لا يبعد عنه الى غيره ، ولعل هذه المرحلة المتأخرة في عمل
ابن خفاجة الشعر قد تحققت عن قصد ووعي منه ، وجاءت نتيجة لتطور نوعي في فن بنينا
القصيدة عنده ، فقد كان يبدل من المقدمة أحياناً ، ويختزل في مراحل بنينا قصيدة
المصروفة أحياناً أخرى ، وبدل ذلك سمة الخلاء وعق معرفته بفنّه وأساليبه المتنوعة
ومع ذلك فقد ظل شاعراً تقليدياً ، فظاً على نظم الشعر القديم ، ولم يحاول مرة فني
عبارة الفنية الشروع عليه ، فقد رأى من قبل يمد الشعر من خلال الجلة ، وحلية النبلاء
الملية (٢) . وهذا يعني أنه لا يبعد من الشعر ذلك الفن الذي اكتسبت أدواته
الفنية في عصره ، وضرب على أوتاره الكثير من عناصره من الشعراء ، أي الموشح والزجل ، فهما
من اعتمدتا الصرامة لا النفاضة ، وكلام السوق الذي يرتفع عنه الأشراف ، وهو بهكم كونه من
الجلة وطريقة النبلاء الملية ، فانه يأبى الوضوح تنزهاً أو تحفظاً ، فهما (أي الموشح
والزجل) محالا يرتقى الى رتبة الشعر ، ولا أن ينافساه فناً أو في تحقيق الأهداف وبلغ
المأرب ، ولم يله في ذلك حساب بمضيق ومؤرخي الأدب في عصره الذين لم يترفروا بهذا
اللون من فن القول ، على الرغم من اعجابهم به ، ولم يروا امتداداً في مؤلفاتهم وإدراكاً
مضمر من اعتباراتهم الشعرية . فابن خفاجة إذاً شاعر محافظ ، لم يتجاوز التقاليد الفنية
للقصيدة الشعر القديمة ، ولم يرض بسواها بدليل في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه .

وإذاً قد يدل ذلك من أجل النظم ، لا عن تجربة شعورية بعينها ، وما ذلك إلا لقدرة
الشاعرية ، وامتلاكه لذاتية فنّه ، وهي ظاهرة لها ما يحتملها من الحاجة البغائية في فنّه ، ففسده
في زمره الشعراء المتصفين بالقوة على التشبيه والمتميزين بالقدرة على نظم الشعر ، وتبرهنه
الى درجة لا يماز فيها الصلح من المتابع (٣) . ولكن ذلك قليل في شعره ، ففسده في

(١) الديوان : ٢٠٣

(٢) الديوان : ٦

(٣) منهاج البلاغ وسراج الادباء : ٣٤١ - ٣٤٣

ساره عن الشمس ، لأرخته كيف يحوك الدايح السهذب ، وللوشي الذهب ، وكيف يعبر الفلشر
ل وافر البكر ، ولألمعت منه في سماء معاليه نجومات تدر ورجوا تثير * (١) ، وتبعا لهذا
قد اجتمعت في شمسه ظاهرتان : ظاهرة الجزالة ، وظاهرة الرقة ، وعلان تجليا معا دقا
تليمة شخصيته التي تجتمع فيها الصفتان اللتان عبر عنهما في مرة في شعره . كقوله :

إني وإن كنت مضمخة جلاءاً
تسوت بأسا ولنت مكرمة
لست أحب الجمود في رجس
أهتز للعن لوعة غدا
لم أترم حالة ولا سنن
تحسبه من جموده وشنا (٢)

وتولاه :

وبأعجا لي كيف أجبني في الهوى
وإني لمقدام إذا الذي ترأحبط (٣)

وتولاه :

وألمني للأعداء من مبهتنتحسي
على أن لي قلباً تلمنه الهوى
الملوع جبين الشمس للأعين الرطوب
فللخيماء غفي وللشوي ما يدي (٤)

فلان يتفنى حيناً برقده شمسه ، وعند ويلفظه وسلاسته ، وبخاصة في سياق الفخر بهويته
الشمسية وأعماله الفنية فيقول :

وحسبني من شمري كاد لدوننة
يقول مزهوا :

فلما ربه ذكري ما شئت
تحمل ما شاء من رقة
وكاد بما فيه من بلاء
قله تولي ما أهد به
كلام إذا ما طرا أطرت
فعبا عن الشرقي المفري
هنوم الصحيفة أن تمسها
ولله لفظي ما عذب بها (٦)

(١) الديوان : ٣٣٠

(٢) نفسه : ١٢١

(٣) نفسه : ١٧٤

(٤) نفسه : ٣٤٧

(٥) نفسه : ١٨٨

(٦) نفسه : ١١٧ - ١١٨

ويقول في عنايته بزيادة اللفظ وجلالته في موقعه ، ورقة المعنى موجبة :
واركتبي اللفظ البليغ

وسرالى المعنى الدقيق (١)

فهو إذاً ، يترجح في سمته الفنية بين اللفظ الجزل ، واللفظ الرقيق تهماً للسماحي
لورقة ، دون أن يصره ذلك من العناية بالمعنى توليداً واعتراعاً ، ولفظه على الرغم
من زلته (٢) ، سهل غالباً ، لا يهوى القارئ الى توافيق اللفظ الا في النادر ،
ي أن منشأ الفموض الذي يكتنف شعره - احباً - ليس راجعاً الى اللفظ كمن أحسد
بالحسين حيث قال : " ولو ألقينا نكرة على هذه اللفاظ الشعرية لرأينا أن ابن شفاقة
من بهوى اللثام الغريب ، فجاء شعره صعباً ، وفي بعض الاحيان غامضاً (٣) " . . .
إنما يرد الى أسلوب الإيجاز والتكثيف في شعره ، وإلى ظاهرة الاستمارة التي حفل بها
شعر ابن شفاقة ، فقد كانوا ينكرون عليه " كثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد " (٤)
وهي ظاهرة لها سمتها بنفسية الشاعر القلقة المتوجسة ، وما كان يحصل في أعماقه من مضاعف
وأفكار ، فقد كان يندوي على طاقة شديدة زاهرة ، كانت تضغط عليه رقة ، فكان يلجأ
الى الإفصاح عنها ، ولفظها غامضاً ، عالمه الشعوري ، بغية التخلص منها واستراحة من
آلامها المؤرقة ، ولعل هذا هو الذي جعله يلجأ الى أسلوب التكثيف ، وسيم البحث
عن اللفظة الدالة ، الموحية ، المعبرة بدمعها يود قوله ، والاعراب عنه ، يتوهم
من ذلك الدقة في الاستعمال ، والانسياب الموسيقي والتصويري في شعره ، وهو أمر
أكده الدكتور محمد رضوان الداية بقوله : " نجده يحسن اختيار ألفاظه ، ويأتى
بها كما يقتضي المقام ، وكما تتلاءم مع الموضوع المطروح ، انب تحسن بآرائه ودقته ، وقدرته ،
على إبراز اللفظة الدقيقة المناسبة في الطار البجلة ، والمباراة ، وفي حيز الفكتنة
المناسبة " . . . (٥)

(١) الديوان : ٤٣

(٢) ابن شفاقة الاندلسي . احمد الاسكندري : ٢٦

(٣) حياة وأثر الشاعر الاندلسي ابن شفاقة : ٢٩٤

(٤) مقدمة ابن خلدون : ٤ : ١٢٩٨

(٥) ابن شفاقة : ٧١ ، ١٠٥

وإذا ألقينا نأثرة فاعسة في قاموس ابن خفاجة الشعري ، وجدنا زائرا بالالفـساطـظ
أفعالا واسما ، استمد هذا الشاعر من ثقافته الادبية واللغوية والدهنية ، ومن بيئة الدارجية
بكل ما فيها من عناصر ومضامين ، مع ميل واضح الى الاكثار من الافعال الحاف في الفعل من
دلالة على الحركة فان الشاعر يحرص عليها في عنصر التشخيص ، ويميل الى ناية بالمفـسـات
المتناهية على طائفة حركية وإيحائية ، كما في قوله على سبيل التمثيل :

ندمنا بما استنـهـمنا متفـيسـين تحت الدّيب من ما يتسـير (١)
وتوله :

تحفّت بها ربح ليل وروية بحرى غمام جاد هامتـيـمين (٢)
وتوله :

وإذا لمـيـت فمن تنهى قلـبـه وإذا اشريت فمن غمـهـر ارجـس (٣)

فلا يخفى ما في الصفات : متفـسـ ، متسمر ، متجسس ، راجس . . من حركة ضميمة
واشعارات إيحائية ، وقد يلجأ الشاعر ، الى استخدام الرمز ، فيجعل مادته أسما . الا ما كن
النددية والسبازية ، والشامية ، والصراتية ، فيذكر : منرج اللوى ، والوى ، وادي الفضا
والسمى ، واللعج ، وشهامة ، ودجلة والفراة ، وأم الرأل ، والخميم ، ورواة ، ودجـد
والخفيف ، وذا النقا ، والحقيق ، وجاسم وغيرهما ، مبيها بأنه لم يورد ما في شعره الا على
سبيل الابهام والاشارة (٤) . وهو ادراك منه لما للرمز من قيمة فنية في بناء العمل الادبي
وملى كل حال ، فاستعداده لتلك الاسماء اعطى شعره نفسا جديدا ، وأطـهـه بلـاقـة إيحائية
ونفحات من الدخـن محببة . وتبقى عنايته باللقـل من حيث دقته وجرسه ، وموقعه فـسـي
الـبـطـة ، ملائمة وانسجاما ، ظاهرة بارزة في صنمته الفنية ، أكسبت شعره جمالا وإيحائية
بموسيقىات لرب لها الاذان وتهتز لها القلوب ، وهو أمر تنبه له هو نفسه فنمته بمثل
ذكرناه (٥) ، كما تنبه له معاصره ابن خاقان فدل عليه بقوله : إنه " تصرف في فنـهـ
الابداع كـهـف شـاء ، وأبلغ دلـهـ من الاجادة الرشـاء ، فشـمـخ القول وروقه ، ومد في مـبـد ن
الإعجاز الملقه ، فـبـاء نـالـهـ أرق من النسيم الحليل ، وأنق من الروض البليل ، يكاد يـمـج
بالروح ، وترتاح له النفس كالنفس بالروح " (٦) .

(١) الديوان : ٤٨

(٢) نفسه : ١٥١

(٣) نفسه : ٢٢٨

(٤) نفسه : ٢٠٤ ، وهذا البحث : ٤٤

(٥) راجع هذا الفصل : ٣٢٣

(٦) القزعة : ٢٦٦

(ت) الموسيقى :

تمثل الموسيقى من حيث قدرتها التأثيرية ، وقوتها الاجتماعية عنصراً أساسياً في عطية الإنسان ، وهذا إذا لم نقل إنها صفة تغلب عليه ، وتلعبه بظواهرها المميز ، فليس الشعر إلا لغة الشعر الموقعة الموزونة كما يقول " جويو " انما هي " موسيقى " (٢) ، ولغة الشعر الموقعة الموزونة كما يقول " جويو " انما هي " موسيقى " (٢) ، فان " نيتشه " يحيل الى هذا العنصر الموسيقي في الشعر و " بقدر جانب الوزن الموسيقي به أكثر من سائر الجوانب ، فهو " يفضل الشاعر الرائع الرنن ، القاصي الايقاع ، المسيلر ليس مادة الا وزن ، وأعظم مناتب الشاعر ، في نظره ، أن يكون شعره وتماثله سلاسل من لا ناشيد السالمة للترقيص " (٣) . وهذا " كروشه " أهد من ذلك عندما يوحد بين الشعر والمغنى والقافية ، وهي مادة الموسيقى الرئيسية في الشعر ، وبين الفكرة الشعرية فيقول : انك لو وجدت الشاعر من أبحره وألفاظه وفواقيه ، لم يبق هنالك فكرة شعرية كما يهد الى بعضهم ، بل لم يبق شي " ألبته ، فانما نشأ الشعر مع هذه الالفاظ وهذه القوافي وهذه الأبحر " (٤) ، كما يهد " رتشارد ز " الايقاع ، وفي معظم الحالات ، المفتاح لتأثيرات الشعر " (٥) . ويرد " كولردج " دور الوزن والقافية الايقاعي في الشعر فيقول : " إن الوزن ، والشكل المميز للشعر ، وأن الشعر يصبح ناساً معيها بدور الوزن " (٦) .

ولقد أدرك نقادنا القدماء ما لهذا الجانب الموسيقي في الشعر من تأثير ، فغنوا به وأثروا به ، فاشتغلوا في الشعر أن يكون موزوناً متقياً ، كما أحسوا بدور الالفاظ في هذا الشأن ، فاشتغلوا فيها " أن تكون سهلة ، سهلة مخارج الحروف من مواضعها ، عليها رونق الفصاحة ، مع الخلو من البشاعة " (٧) . فللشعر مهمة جوهريية ، ودور أساس هو أن " يلرب ، ويهز النفوس ، ويحرك الجماع ، فهذا باب الذي ينبغي له ، وبني عليه لا ما سواه " (٨) .

- (١) موسيقى الشعر : ٢٢
- (٢) مسائل فلسفة الفن المعاصرة : ١٦٩
- (٣) في الشعر الأوروبي المعاصر : ١٣٢
- (٤) السجل في فلسفة الفن : ٧٠
- (٥) عن موسيقى الشعر العربي : ١٤٠
- (٦) كولردج : ١٧٨
- (٧) نقد الشعر : ٢٨
- (٨) السطحة ١ : ١٠٧ ، الصناعتين : ١٣٢

وقد كان ابن خفاجة ، لروافده ، وسعة ثقافته ، ويحس بهذا ، ، يدرس بما فسي
 من موسيقا فطرب السماعه أو تراوته ، وشعر بنشوق قماره ، يقول " إن شلايت الدريم
 في فانيه تحبة ، ومجرتني أريمية ، وهز المدامة تتشنى ، والسمامة تتفنى ، فلولاً أن يثقال
 ، لا لثزمت سداوره ولثمت سداوره ، وما أن لثقتني صبرة ، واستفرتني ، فد زتني ، ولكسن
 وور في كاس الشباب تناولته فكلما شربت ، لمريت ، فلولاً توثق تفامز الشيب ، يتدورت شقى
 حبيب ، ثم صحت ، والمرباه ، وناديت وأحرق قلباه " (١) . ولعل هذا السار ، هو
 سر في عنايته بدارمه ، وتربيتا وتنميكا ، وتهذيبها واتقاناً حتى أتى عذب اللفظ ، فليس
 سبارة ، " تشنى فيه رنة موسيقية قل أن تجد مثله عند شاعر آخر " (٢) . ولكن هذا
 لا عام ، فلفظ قليد ، أي لنلاحظ ، من كذب ، تجليات هذا المنظر الموسيقي في شعره
 لينبدأ بالوزن والقافية ، أو ما يسمى بالموسيقا الخارجية ؛
 نظم ابن خفاجة شعره على أوزان الشعر العربي التي استقرأها الخليل بن أحمد
 الفراهيدي في القرن الثاني للهجرة ، فهو يتحرك في أطارها ، ويغرب على أوتارها إلا أريمية
 منمات بينماتها ، في المضارع والمزج ، والقضب ، والقدرار أو المحدث وهو البحر
 الذي أضافه الأخفش ، وقد أحصى أحد الدارسين (٢) - وهو الأستاذ حمدان سباجي
 ما استعمله الشاعر منها ، وجمده في نسب مئوية يتضح منها ما يلي : إن البحرين اللذين
 والنامل ، بما أكثر البحور الشعرية استعمالا لديه ، يليهما في الدرجة بحر الشكاري ، ثم
 بحر البسيط ، ثم السري ، ثم الوافر ، ثم المديد ، فالغفيف ، والمجبت والمنسرح ، والرمل
 والرجز . وإذا استعرضنا البرصحات وما استخدم في التعبير عنها من أوزان ، وجدنا أن أكثر
 البحور استعمالا لديه في موضوع الرصف هي : النامل ، ثم الرمل ، ثم يليهما غيرهما :
 ونسب الغزل ، نجد بحر النامل أكثر استعمالا ثم تليه الأبحر الأخرى ، وفي الرثاء يستخدم
 الدواوين أكثر من غيره ، ثم تتوزن المونومات الماروقة الأبحر الشعرية على تفاوت فيما بينها في
 ذلك .
 ولعله كان ينمو هذا المنحى عن وي وادراك لمعاني البحور الشعرية ومواضع استعمالها

- (١) الديوان : ٢٤١ ، ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ٢٨٦
- (٢) تاريخ الادب العربي : د . عمر فروخ ، ٥ : ٢١٩
- (٣) حياة وأثر الشاعر الأندلسي : ٣٢٨ - ٣٢٩

"بالسرور والجليل - كما يقول حازم القرطاجي - تجد فيه بها وقوة ، وتجد للبهجة سبالة
والإلابة ، وتجد للكامل : لة وحسن الخلال ، وللخفيف جزالة ورشاقة ، وللمتقرب سبالة
وسهولة ، وللمديدة رقة ، وللرمل لينا وسهولة " (١)

والوزن مشتمل : القافية وبالب لها ضرورة كما يقول ابن رشيق (٢) ، فللقافية دورها
وفدائيتها في الإيقاع حقيق بقصيدة الشعر ، فهي "بالإضافة إلى أنها تنظم إيقاع الشعر
ناتجا تسهم في نقل رواسب الشعر ولذات المعنى ، وحيد التأمل معالم تفلح مفردات البيت
في أدائها " (٣) . مثلاً : من حيث دورها ، وأما من حيث تزيينها فللقدما في ذلك رأيان
مشهوران ، أحمد بن حنبل وهو من أصحاب النخبة من آخر حروف البيت إلى أول
سكن الذي تهتم به السالكين " أو هي " المقطع الشديد الملول
ساكن يليه من قبله ، مع " .
في آخر البيت ، أو الـ : ن السويلان في آخره مع ما قد يكون بينهما من متالح قصيرة بحسب
الاصطلاح الحديث .
البري (٤) وعلى كل حال ، فإن خفاضة كان مراعى للتمريض في قصائد ، ومقلوباته يقتني
قوافيه ، ويحرف ردها اقتناء ، وكما يقتضي المقام ، فهي تتلأ لموسيقا البيت ، وقوة أولها ،
وتوهي بمركبة أصوات حروفها وأمتداد تلك الأصوات في معظم الأحيان بكثر من المعاني والأصوات
ودون قد يدب مدح المصري في لزومياته ، فيلتزم حرفاً وأصواتاً ببعضها في جميع أبياته ، وقد
يؤمن أحياناً - في سعيه ، فيخرج قافيته بذلك طاقة موسيقية أكبر . وقد يتكلف ذلك - أحياناً أخرى -
الأنه لم يكثر منه (٥) .

وهو يحرص على التمرج في شعره ، يلتزمه في مطولاته - غالباً - ينقل منه في مقلوباته لما له
من بارس موسيقي ، تلرب له الأذن ، وتهتزله النفس ، وقد يصرع أبياتاً أخرى في القصيدة
كما فعل في قصيدته (٦) التي قالها في الشوق إلى الوطن ، والسنين إلى أيام

(١) منهاج البلاغة : ٢٦٩

(٢) القصيدة ١ : ١١٣ ، ١١٩

(٣) البرون وموسيقا الشعر المصري : ١٦

(٤) القصيدة ١ : ١٢٩ ، ١٣٠ ، وموسيقا الشعر المصري : ٨٩

(٥) الديوان : ١٠١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ٢٤٥ ، ٢٦٢

(٦) نفسه : ٣٦٤ - ٣٦٥

وصاحب الانحراف من الامتداد أيا ، الشباب ، وفيها بعد لصوت . حرف الهاء البوشي
 عند غير الناحية إلا أن من بالاً لتفكير أعزانه ، وإرسال آجانه وتأوهه ، فبسرع الابهات
 في الاولي ، واليهت السلام ي عشر ، والقصيد لا يتجاوز عدد أبياتها الثلاثة عشر .
 ثم ان أغلب توافيه مالمقة ، ومثلها تنتهي بمقطع لمول مفتي ، وأد المشهد منها
 على قلته بسبغه - اعيننا - مد ، أي أن القافية كانت تشتط على حركة تسمية ومد وسرف
 في سادن ، الأمر الذي يجعل القافية تمثل مقطعا شديد الدلول ، ولأن الشاعر كان
 يتبع لهذا الامتداد الموقوف في القافية ، ولعله كان يفعل ذلك لأنه كان يحب لا يفسسه
 في تستد ، ولشاعره أن تنال في عساه - بذلك - يخفف من ثقل همومه ، ووخز آلامه .
 رأيا . حرف الروي فقد كان منتقى أبنها ، لمسه ولتخرجه ، أولما يوحى به من مكنى
 بحركة موقية ، فهو جعل الى حرف الراء ، ثم حرف الميم ، ثم اللزم ، ثم الهاء ثم الدال ، ثم
 لثاف ، ثم المحزة ، فالنون فالسالم فالسين ، فالفاء ، فالسين والياء ، فالثاف والهاء ، قالتا
 والطاء والجيم ، ثم تأتي الزاي والشين والصاد والياء والواو في الرتبة الأخيرة ،
 وتلاحظ أن الشاعر قد استثنى من الحروف الأبعدية أربعة لم يستعملها هي : الزاء والنون
 والدال والهاء ولعله كان يدرك أسرار بصر الحروف وما تصلح له من مخرج يدل على
 ذلك ما جاء في مقدمة القصيدة التي بحث بها الى الفقه القاضي أبي أمية بن هشام اثر
 أصابته بألم في رجليه ، فقد قال عن نفسه : " والتمز الفتحة قبل الروي لم ياقض ذلك " ،
 وجاء في الهامش ، وثلا من نسختين أخريين : " ويقول هذه القصيدة في هذا الروي
 في هذا الموضع لحنى " (١) ، فحرف الروي هو الميم الساكنة ، والصروف بصر المتكسب
 وقد ونس الشاعر في اختياره لأن الموقوف موقوف مواساة وإحساس بالشاركة ، فهو يمس بها يحد
 به عديقه القاضي ويتألم لألمه ، ويسارع في الكتابة اليه ، مخففا ومعبرا ، فجاء الوزن بم
 لحنه من زجاف مناسب للموقف ، كما أتت القافية بمثلها الاخير (أي الفتحة المتبرعة
 بالميم الساكنة) موسمية بحركتها وجرسها بمعاني الأسى والآلم والمشاركة الوجدانية .
 وقد يمس الشاعر برتابا الموسيقا التي يحد بها الوزن المرشد ألسان ، فلهذا الى الثاني

(١) الديوان : ٤٤ - والقصيد مثلها : هذا يتلوه ذات الألم
 وفي الله ما ناب تلك التندم

يقطع ، وفي كل الأشكال أرحمنا (١) ، ويوزن الفاظ البيت في مقابل مع اربعة متفافة حينئذ آخر
مايسى بالترتيب أو التشرح أو التقسيم (٢) ، وهو مايسى بالترتيب الداخلي في
اللاح النقدي الحديث فهو يقول متفرلا :

- (١) لم أنزل ليلتي رمت سربك زائراً
(٢) فأنت ، ما أنا زيرا ، وبلوت وبها أزيرا ، وأدرت طرفاً أحـ حورا (٣)
يقول من وصف ليزم أنور في جوال الطيبة :
(٣) والروضة أزير ، والظلل
(٤) حيث التقي نذر الزمان والمنا

- ويقول في بقة باقوة دمرا :
(٥) قدسيت من باقوة دمرا
(٦) كشيقة في نورا وبرقة

فهذه المقاطع المتسارعة في كل من الابات (٦ ، ٣ ، ٢) ، ثم ذلك التكوين الذي
فتبني به القافية الداخلية ، سواء كانت مسجوعة كما في البيتين (٢ ، ٦) ، أو غير مسجوعة
كما في البيت الثاني ، والذي هو بالفالس شبه ، تعرف عند واحدة النظم ثم لا تلبث أن تستمر
في قوتها ، ثم تعرف ثم تعاود قوتها إلى أن تصل إلى قافية البيت ، فتعرف لتتد ، وتعرف
في اقبال البيت وموسيقا القسيدة ، بمر عن درجة إحساس الشاعر ، وقوة انفعاله ، وتغير
مستوى ذلك الإحساس وهذا الانفعال ، وهي خاصية تكسب شعره جمالا ، وتمده بالاقسمة

من العنصرية والتأثير ملحوظة (٦) .
ولا ينفذ ما ذكرنا من الأصوات والروف من أثر في موسيقا الشعر ، وقد تنبه ابن جني لنداء
تدرس عليه ، ورااه في شعره ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كان حساسا لثاني مرهف ، وذهي رفيع ،
وأنون موسيقاها را على التميز بين الأصوات وأنواعها ودرجاتها ، وما يارب منها وما لا يارب
ولعله لذلك يني بالبناء على له " من صفة وثيقة موسيقا الالفاظ " (٧) ، يرشي به شمس حره

- (١) الديوان : ٤٢ - ٤٣ ، ٨٠ - ٨١ ، ٢٢٩ ، ٢٤٢ - ٢٤٣ ، ٣٦٥ ،
(٢) نقد الشعر : ٤٠ ، الخطبة ٢ : ٢٦ ، موسيقا الشعر : ٥٦ ، الحروف وموسيقا الشعر
المرتب : ١٤

- (٣) الديوان : ٣٠٠
(٤) نفسه : ٢٨١
(٥) نفسه : ٣٧٣
(٦) نفسه : ٤١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٣٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠
(٧) موسيقا الشعر : ٥٣

بأشراقه المتعاقبة . وفي سائر قصائده أرفي أشواقها وتغريها ، مما يدل على أنه كان يتعمد
 في إظهار شعره بمرارة الإمتاع المناسبة ، والصيغة الموسيقية المطلوبة ألفت شعره لما بها
 من بديهة فكر تارة تارة . . .
 وتتألف الموسيقى الخارجية (الوزن ، القافية ، الإيقاع) والموسيقى الداخلية (التشبيه
 المجازي ، الرموز ، الإشاعة نوع من الموسيقى الخفية لها دورها الخليل في أشعاره
 من غير يدغمها - لا شعورياً - إلى الانفعال والتجاوب ، والمشاركة الوجدانية ، فلو قرأنا
 بيت الشاعر الذي يتصور فيه إلى وطنه شجرة ، وإلى معاصدها ومرايح صباه ، المرأى أنه
 يلهو بها :

بين شجرة ملتقى نهرين
 حيث ألتفتنا الأمانى عصاهما (١) .

لا يحسننا بمشاعر الأسى والألم تتألفنا ولشعرنا بنوع من التجارب مع الشاعر في مشاعره
 وإنه إلا أنه التي يرسلها آهات متوالية ، تنصح من صبح حزن ، وتضرب مدافى أعبائه من حرارة
 الشوق إلى وطنه ، وعظيم التعلق بالحياة ، وشدة الاحساس بالوحشة وسرعة الزمن ، وهي
 صمان تروحي بها الفصيدة ككل ، بما في ذلك الكل من وزن خفيف ، يدل على الرقة ، وما فيها
 من قافية منبهة ، وحرف روي مزج ، ثم بتلك الإلفاظ المنتقاة المتناسقة ، والمعروف المتجملة
 المتألفة ، والبدون الموزعة بذكاء في كل بيت ، ثم بتلك الآهات المتتالية ، والألفاظ المنهضة
 من رملها ، كمن هذه الحدا صرته ما بين وتناغم ، وتشبع تلك الموسيقى المشجية ، وتروحي بتلك
 الجمال الرقيقة المؤثرة .

شأنه الرقابة أوسعنا تطرعت التي نظمها في وصف متفرج رصدها بقرله :

وعقلية الأنوار تلوي علفها
 نوح تلف فروقها مخطار (٢)

لا يحسننا مع الشاعر جبال السكان الرسم ، ولنحسنا معه برؤية المشاهد المصورة ، بهركت
 وحيرتها ، ومناصرتها واللوانيا ، ولشعرنا معه بالفراحتنصر تلبرنا ، وبالحسرة بملأ جوان من
 ونحن نتلى جبال الحديثة ، ونتفياً ظلال أشجارها الندية ، ونستشوق شذا زهرها المتفاح

(١) هذا البحث : ١٤٢
 (٢) نفسه : ١٤٥

من الدار بمشهد ساهمها العناية الرقراقة ، ونستمتع بنشاط طيرها ال . اح ، إننا نحسن
 من نقرأ هذا الشعر ، وأننا نشعر في جوار الطهيعة سقا ، ولعل ذلك رجع إلى القدرة
 تشويرية التي تميز بها الشاعر ، والتوفيق اللطيف في انتقا "لوسيلة التعرية الملائمة
 من حيث الوزن والتافية والألفاظ ؛ فالنظن ، وهو بمر الكمال مناسب - لول مقاطعته
 بكثرة حركاته ، والسباق وصف وتطلي المكان ، والاستغراق في جو مشاهد ال بهمة الفاتنة
 والقافية بمقطعيها الطويلين ، وموت الروي (الراء) المضخم المركي المنة مناسب
 لل مقام ، فدأته ترجيع لأصوات عناصر اللمعة ، ثم تلك الألفاظ الرقيقة الموحية ، والمصبرة
 بمسانمها وأصوات مرزفها عن جمال المشاهد ، وروعها وهائها ، وعن فتنة الشاعر
 وأعجابه بها ، وقد زاد الويف لإيماء ، والتمويه تأثيرا ما اصطنعه الشاعر من جناس في
 البيت الثاني ثم ما استخدمه من التقسيم في البيت الثالث ، ثم ما أحدث في تنسيقات البيت
 من زحاف ، وأسهم في تنويع الابقاع الموسيقي للتلوية وزادها حيوية تناسب حيوية سياقمها
 العام ، وهذه الظاهرة ، أي عنابة الشاعر بفنه ، وعلاقة فنه بنفسية وعاطفته ، ثم علاقة
 ألسانه وروسيه بلسانها (١) ، ظاهرة بارزة في شعره ، وخاصة صفة في فنه ، ما يدل
 على قوة شاعريته وتمثله من صنعتته ، ومعرفته لعناصرها وأساليبها .

(ث) - الأسلوب :

لقد عني ابن خناجة بأسلوبه عنابة كبيرة ، فقد كان يعتقد أن الشعر صنعة ، تنصق
 وترن ، رأس مثل وتهذب ، لتكون أدن تسهرا وأوضح بهانا (٢) . وقد كان ولده يتصور
 اللمعة وانه ، وأنشأ به وصره على ذلك ، ثم ربطه ذلك كله بمشاعره وأحاسيسه الدفينة
 داعيا إياه إلى الإلتزام من التشبيهات والاستعارات في شعره ، وتوشيته بأنواع الجناس
 واللبان وغيرها من المقومات الأسلوبية المتنوعة ، وقد ساعدته معرفته العميقة لعلوم العرب
 على حسن استئدام هذه العناصر الأسلوبية في شعره ، كما أدته مهيته القوية
 بزيادة ضخام من الصور والسماني التي قد تزدهم لديه في القصيدة ، بل في البيت الواحد

(١) ابن خناجة الاندلسي . جبير : ٤٦ - ٥١

(٢) هذا البحث : ٤٤

الامر الذي يدين شعره - أحيانا - بسدة من الخوض ، وهو غموض ، ينبغي على الشاعر
 مراعاة السهولة في التعبير ، فإذله متممة غامرة ، إلا أن شيق ابن مالك أنكر ذلك
 عليه ، وعدوه عيبا في شعره (١) .

وسنشر الآن في دراسة هذه الغلوة من الفنية في شعره ونقدوها لتثبيته .

(١) التشبيه :

للتشبيه قيمة جبرى في تراثا النثدي القديم ، لما له من حضور في النتاج الأدبي على
 مر السنين ، فهو عند "م" بن أثير فخلا العرب وفيه تكون الفلانة والبراعة عند "م" ، ولما
 كان التشبيه منهم في تشبيهه أليف ، كان بالشعر أعرف ، ولما كان بالصنم أسبق ، كان
 بالحدائق أليق . (٢) والتشبيه أحد الأسرار التي تقوم عليها نظرية عمود الشعر في نقدنا
 القديم (٣) ، ولأنه والاستمارة : " بغير بيان الاغصص الى الأوضح ، بقرنان البعيد " (٤) .
 وابن ، فاجدة قد أدرك - بعدم ثقافته الأدبية والتقديرية لهذا الظاهر الفنية من دور في
 بناء السطر الأدبي ، فراح يخرق فيها القول ، وكأنه يعرف من بحر ، فقد يشبه الابهمة
 بالابهمة ، وقد يشبه الابهمة بالانسان في صفاته واحواله أو العكس ، ولكن ظاهره السلبية
 تنقلب على تشبيهاته ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كان معجبا بالطبيعة ، صبا لها ، ها
 بنواحي الجمال وافتحة فيها ، هو صا على تصويرها في شعره ، والافادة منها في الافساح
 عن شاعره والابانة عن معانيه ، وهو في تشبيهاته ، قد يأتي بالتشبيه التام ، والتشبيه
 السهل السهل ، والموكد المنسل ، والتشبيه المطلوب والبلغ ، وتشبيه التمثيل ، وهو
 لهذا الاثير أميل ، وعليه أحرص ، تشهد على ذلك كثرة ورود ، ونسب التشبيهات الستة
 قيلت فيه بالموازنة مع غيره . فمما قاله في التشبيه التام قوله في صفة النهر :

(١) هذا الفصل : ٢٤٣

(٢) نقد النثر : ٤٩

(٣) الرسالة : ٣٢ - ٣٣

(٤) الحمدة : ٢٨٦

أشبهن زوداً من لآ التستاء
والزهر بكثفه مجتر مسا
من قنمة في بودة خضراء
هذ تبتحت بمقلة زرقاء (١)

لله نهر سار في بلاد مسا
متملكت مثل الدوار كأنه
قد رقى صدق طوق نوساً مفرغاً
رندت تبتت به النمنون كأنها

حيث يشبهه في تعلقه بالستار ، وفي إحاطة الزهر به بالمجرة ، كما يشبه في رقيقته
نائه وبريقه ، وسيل البساتين الخضراء بقور قنمي وضع فوق بودة خضراء ، كما يشبهه وتلك
بث بفسون الشجر بمقلة زرقاء ، مفت بها أهدابها ، وفي تشبهات كماله ، وسبب
نقا را الشاعر من بيئته بدارها المتنوعة .

يسر ولا فلك بهما دوار
في كذ زنجي الدجى ديار (٢)

ومنه قوله في وصف الحفازة :
ومفاز لا نجا في ظلماتها
تتلهب الشورى بها وأنانها

نالشورى في تار لشماريقها في عرج الليل الدال تحكي دياراً قد وضعه زنجي في قسوه
وإرتشبيه له ، لمت ، بيئته أهدابها ، فقد عاشر في ظل الدولة المراكبية ، وتعامل في كنفها بالديار
الذنجي الداريلي ذي التيج الشهيرة .

وقوله في المتن والشورى إلى من يحب في كلام دقن جميل مع :
أبداً أحن الياء شوقاً
وأثقل للريح الهمس

فهو يشبه نفسه في لحيته وعينه بالخريب الذي تشتد به الآساسة ، وتورقه تلك المشا
أشد ما تكون مع الضرر حيث يخلو بنفسه ، وتعود إلى منيلته فكرياته مع أهله وخلافه في ربه
ولنه ، في تحرق قلبه شوقاً ، وتدفق جوانحه لوعة وميناً .
ومما تاله في التشبيه المرسل المجهل قوله :

- (١) هذا البيت : ١٩٢ ، أو ديوانه : ٢٥١
نفسه : ٢٢٥
نفسه : ٨٤
(٢) نفسه : ٢١٥
نفسه : ٢٥١

وهل مرقبة مناخ فما تـ
فذل لا دابة وألقى وجه الشبه ، بئر الطح والغام الجمل أو الثمرى زبد الذي يلفظه
سبه ، ورا الباسر .

وساقاله في التشبيه الموعود المفضل قول في صفة وزن مرعد مرق :
والسزن طرق جال يختم أشهب
فشبه السزن الدرع بالفرور ، ولهمهم ، كما شبه البرق في لونه ، وشدة برقه بهرد أصمر
مزن .

وتوله من ذلك في التشبيه المطلوب :
والفؤر بطر قد تنه داسج
فالفؤر وفد بله قطر الندى ينيكي الطرش الدامع ، والماء في صفائه وترقرقه يشبه البسم السقييل
ومن ذلك قوله في صفة سماحة :

رغما ما لم يستتر بها الشكرى
ففتت على الألماء مشي مقيتد (٤)
فهي تحكي في سيرها مرورها مشية المتيد من حيث البطة في الحرور والنتل .
ومنه قوله ، وهو من التشبيه المطلوب كذلك :

والرؤر وجه أرمز والثلل
فرع أسود والماء نغرا أسكب (٥)
وهو هنا يمسك الأمر ، فيشبه الطبيعة بصفات الانسان العادية ، من وجه وشعر وشدة حر
ورأ بر بدي لديه ، والاسنة وأنه قد أقام وحدته بين المرأة والطبيعة في شعره ، فالـ
بذنا يمشي وجه المرأة زهر ، والثلل شعرها الاسود ، والماء نغرها الشنيب .
ومن التشبيه المطلوب وهو تشبيه تشيل أيما قوله :

(١) هذا البحث :	١٩٨	، أوديواته :	٨٤
(٢) نفسه :	٩٠٩		
(٣) نفسه :	١٨٨	، الديوان :	٣٤
(٤) نفسه :	٩٠٧	، نفسه :	٢٤٣٠
(٥) نفسه :	٣٢٩	، نفسه :	٢٨٩

أَسْتَيْقَ مِنْ سَبَبٍ أَعْدَتْ مَسَارِجَ
وَمَرْتَعَاتٍ مِنْ مَرْكَبَاتٍ سَائِرِ
وَجَرَّتِي دُمُوعٍ وَأَضْطَرَّابٍ جَوَانِحِ (١)

نالماء في صنائه وشفافيته وانسيابه وخوابه واضطراب أواجه ، يحكي الشرح صفاء سريرة
و- ورجل دموع ، واضطراب جوانح .
رغمه في وصف الزند قوله :

بِالْبَرِّ بِنَا فِيهِ شَرَّاحٌ كَأَنَّه
إِذَا غَمَزَتْهُ الرِّيحُ أَحْشَاءُ عَائِلٍ (٢)

فالتزويق في تقلله على ظهرو الماء ، وقد أمالته الريح بمنزلة ، يحكي العوائف الهلج
في رعدته وعدم استقراره .
ومنه في عفة نهر ، وفيه يستعين الشاعر بصفات لسان المادية الجميلة في رسم
البرق ، وفاتحة العيشة المشروعة الدهرية قوله :

وَنَهْرَانَا أَبْهَضُ الْمَثَلُ بِسَلْسَلَا
وَجَزَعًا كَمَا أَخْضَرَ الْعِدَارُ شَهِيدَا (٣)

فالنهر في صفائه ورقته يسي الثمر ، كما أن الينع يحكي المذار في اختصاره .
ومن التشبيه البليغ قوله في عفة ليل :

وَاللَّيْلُ سَتَرٌ وَنَارٌ وَسَبَلٌ
قَدْ طَرَزَتْهُ أَنْجُمٌ زُرْ (٤)

فالليل في شدة ظلمته ، وحجبه الأشياء عن الانظار يحكي سترا مطرزا ، ولكن بنج
السماء الماسدة البياض ، وهو تشبيه مستوحى من بيئته التي اشتهرت بمناخه النسيم بأنواعه .
ومنه في عفة الليل والسبل :

- | | |
|---------------------|-------------------------------------|
| (١) هذا البحث : ١٩٠ | والديوان : ٢٤١ |
| (٢) نفسه : ١٨٩ | نفسه : ٢٢٠ |
| (٣) نفسه : ١٣٩ | نفسه : ١١٢ / * الينع : مختلف الوادي |
| (٤) نفسه : ٩٤٦ | نفسه : ١٥٦ |

ما إن يذو الشبه ، حتى تنفر إلى مغيلته صور موحية شتى ، وقد يراها مشهداً أو مشاهد

فيها الشاعر على بعضها في تسلسل فني بدني ، كقوله في سياق عذاب :

ماذا شاك عن الشتاء ونشيره
أرجاً كما عثر التميمي برؤيته
برد أعلى الرمش الجبار
لذا كان في الختام مقيم (١)

فهو جسم مثالي الأخلاق الحسنه ، والصفات الحميدة ، والسمة الالهية ، في صور
بجيلة تزيد أسرارها ، فليس صدقه على هتكه ستر أسرارها ، وثقله لسانه ، ونشرها
في النار ، وانعراجه عن نشر سماته التي تحللي البرد الجليل على الرسم الاله ، وتاريخ
فيها النسيم المتضمن بأريج زهر الورد وعطره ، وتندى في الذفر ، لأنها السيف الاله

وقوله في سياق المدح :

فطرز أثواب الربى وسيمها
فدثر أعراف المجاني ودنمها
والتقى السما بين الأبراج والربا
وقلده نرا البروج قد اضمش (٢)

فصمد ربه في عنايهم ، بلذله ، وكرهم آثاره ، وحسن فعاله في أمته ، وبكي فعل الختام في
الأرض ، وبعثه الحياة في أوسان عناير الطبيعة ، من نعيم عشب ، وتفتح زهر ، والتسليم
غرس ، وتفتح برعمين ، وتدفق مياه ، وقوله في موضع في نذر السيات :

فكان في برديته رونماً أو تبرا
تمرت التي في غمام أمة تبرا (٣)

وقوله في سنة مؤتد ناز :

ذاني لسان النار تسبب أنه
وأن بدء النار في أكرانيه

والدورتان ، سبيتان ، برتبان موحيتان ، وقد أسيخ الشاعر على النورة الثانية بطلا بما
اصابحه فيه من تشبه به ، فجميل للشفق به ، وجسم الغلام كما أسود تصب به يد الشفق ،
من أراجه ، ورواها من غير ، والأفان هذه الالهية ، والفة القديسة والتشكيل في

، هذا البيت : ٢٠٩

، نفسه : ٢٨٩

، نفسه : ٢٩١

، نفسه : ٢٧٩

(١) الديوان : ٢٠٥

(٢) نفسه : ١٧٥

(٣) نفسه : ٢٥٧

(٤) نفسه : ٨٤

صحة بخاتمة ، تلد في شعره ، ويكثر حضورها ، وعسبنا ، الامانة السابقة تشيلا لها ، لنفسج
لأما ، لاهرة فنية أخرى كان لهدورها في أسلوب الشاعر الغني تلك هي ظاهرة الاستعارة .
الاستعارة :

تعد الاستعارة الى «ائب التشبيه عنصرا مهما في بناء العمل الشعري عند ابن خناجة
في بهاء غنية ترين على عايتة بالتشبيه والعناصر الاسلوبية الاخرى ولعل كثرة ورودها في
رابع السى نزعته في «سيا» الالهية ، وتتأكد الوحدة بين ظواهره المختلفة ، ثم السى
السلالة الالهية التي أقامها بين الطهية والانسان ، والتي وصلت الى درجة امحت فيها الفوارق
شت فيها عدود التمايز ، فتبوتلت الصفات والخصائص بطريقة «قوية واضحة . وكأنه أدرك منذ
بمسيد ايمان هذه الظاهرة الاسلوبية ، ودورها الذي أبرز أحد مشاهير النقاد المصاحرين ،
وتشارلز في قوله : «ان الاستعارة هي الاداة الرئيسية التي ترتبط بها اشياء»
شافية وغير المرتبة (١) . وهو نفس ما ذهب اليه الدكتور مصطفى ناصف في رده ما قرره القدما
تلده الاستعارة من أنها تشبيه حدس لغوي ، وأن «الهدف من تشبيهها بين المستعارة
استعارته ، أرائاته (٢) وذلك في قوله : «إن المشابهة الموضوعية لا وجود لها في الاستعارة
فألا ومن الواضح أننا لسنا أمام أشياء تتداعى لاشتراكها في صفة أو صفات ، فالاستعارة بنت الحدس
لعدس تماثل يتجاوز المشابهة ولا يتقيد بها» (٣) . وهما أيضا نفس ما ذهب اليه «التنزي» عندما
أكد الفرق بين الاستعارة والتشبيه بقوله : «إن الاستعارة تدوقاب قوسيون من التشبيه ، ولكن
فرق بينهما في الحقيقة عميق ، وليست الاستعارة تشبيها ملخصا موجزا ، ولكنها صورة مستقلة ،
تأدر عن حركة فكرية مخالفة له كل الخلاف ، فعملية الفكر التي تتلها الاستعارة ، بل تشها
فرنا ، عملية تتسم بعزيم من الشدة والسرعة» (٤) .
ابن خناجة في توظيفه لهذه الاداة الاسلوبية يذهب في اتجاهين واضحين ، فهو تارة ينسج
الى عناصر الالهية خلال عناصر الطهية فينسب لهذه مآثاره تلك والمكس .

-
- (١) الشعر والتجربة : ٩٥
(٢) أسرار البلاغة : ٢٣٨ . الرسالة : ٤٠
(٣) السيرة الادبية : ٤٤٠
(٤) عن سياة وآثار الشاعر الاندلسي : ٢١٧

يبدل على عناصر الطبيعة الموصوفة صفات الانسان وأحواله ، فيكسبها بذلك حركة وحياة
 ما يستعير من الطبيعة صفاتها وأحوالها ، لإبراز محاسن الإنسان ، وتصوير آلامه .
 وضارفة ، أو مشاعره وأحاسيسه ، وقد أسعفته مغيلته في ذلك ، فجاء شعره عامساً
 بالاستدارة ، عاقل بالسرور المشغمة الدالة المعبرة ، فهو إذا أراد أن يصف حاله وصاحبه
 وهم يركبون الخيل ، ويفدون السير في الليل المدلهم الذي لم تبد فيه ركواكبه ، استعار
 صورة البسر ، بما فيه من ألحة وروح منظم ، وبما يتعلق به من غرق وعموم . ورسم هذه
 الصورة ثانياً :

فَيْتَنَّا وَتَنَرُّ اللَّيْلُ مَلْطِمٌ بَنَاصِلَا نَرَى الْيَمِينَ غَرَقَى وَالْكَوَاكِبَ عُومًا (١)
 وسورة البسر بملامحه وارتطام اجوابه ، وسورة يستعير منها الشاعر غير مرة في وصفه
 فهو يمسد غروفه من الليل المظلم ، وقلقه من جوه الموحش ، ورغبته في النور والنسيب
 في هذه الصورة التي تلخص فيها معنى الصراع والصدام ، ومحاولة التخلص :
 لَا أَمُتُ لِحَبَّتِهِ بَهْوِيَّةٍ أَشْهَبَ بِرَمِي بَهَا بِحَرَ الظَّلَامِ فَيَرْتَبِي (٢)
 فهو يمسد لجة بصر الظلام بموجبة فرسه الأشهب ، فيشقها ويغمرها .
 وفي سورة يستعيرها كذلك لتصوير ما يعانيه في أعماقه من آلام واحزان ، تفصح عنها
 وجهته التي تعذب عذاب البسر المائج الزاخر :

وَقَدْ جَاشَ بِسَرِّ بَيْنَ جَنَّتِي مَائِجٍ لَهُ زُخْرَةٌ فِي وَجْنَتِي وَعُصْبَابُ (٣)
 ويستعير منها في نفس السياك وسياك وصف الحال ، وتصوير ما ألم به من أحزان وما
 أشغله من هموم ، فهو غريق أبحر ثلاثة ، وقد أطبقت عليه مجتمعة ، وغمرته ، فمن بصر
 إلى بحر علم ، إلى بحر ظلام ، ولا يخفى ما يوهي به هذا التركيب في الصورة من تعب
 دقيق عما يحس به الشاعر من أسى ووحشة ، وعما يبرهته من هموم وآلام :

تَرَى بِي إِذَا أَمَرْتُ سِرْنَا حَمَاسَةً تَرَى دَلِيراً أَيْكَةً تَتَرْتَجِجُ
 غريقاً بهيئ الدمع والدمع والدَّيْسُ وَلَوْ كَانَ بَحْرًا وَاحِدًا كُنْتُ أُسْتَبِ (٤)

-
- (١) الديوان : ١٧٣ ، هذا البيت : ٩١٢
 (٢) الديوان : ٢٤٤ ، هذا البيت : ٢٢٢
 (٣) نفسه : ٢١٨ ، نفسه : ٢٩٦
 (٤) نفسه : ٢١٨ ، نفسه : ٢٩٧

والشاعر قد يحسن بوحشته ، ويفر ساحتها من الضلال والأصعاب والأهل ، فقد تفاهلهم
 موت الواحد تلو الآخر ، وبقي هو نهبا للآلام والأسقام ، لا مؤثرا ، لا محين ، وبسوء
 له ، فلا يجد أدنى تصويرا ، ولا أقوى تعبيراً من هذه الصورة التي يستوحى عناصرها
 الصحراء ، والصحراء في وجهها العفرا لا جذب ، دون أن ينسى ما يذهب السياق ، فيذكر
 بوجعنا ، وهي الناقة القوية ، فهو يسير في صحراء ، لا نبت فيها ولا ماء ، فلا شيء غير
 سهل ، والرخصة الثالثة :

فسرت وقد أجدبت أوتان مرتما
 فلم تلبأ الوجعني غير ما حل (١)

ومثلاً من الحصب والجذب ، والربح الحسنه المنظر ، مظاهراً لطبيعة يستعيرها الشاعر
 في وصف ردف الصهوة الممتلئ ، وعصرها النحيف ، وحسنها وجمالها ، فيقول :

من الهيف أما ردفه فتعقم
 فحبيب وأما خصره فجديب
 ترف يروض الحسن من نور وشبه
 وقامت نؤارة وتزييب (٢)

هذا إلى غير ذلك من الصور التي يستوحىها الشاعر من الطبيعة ، ويستعيرها في سياق
 تصوير آلامه وأهزانه ، أو أنراحه ومسراته ، فهي كثيرة ، وكثيرة مثلها تلك الصور التي يستعيرها
 الشاعر من الإنسان وما يتعلق به ويتعلق به ، ويذهب إلى الطبيعة ، فيبحث في عناصرها
 المركبة ، وينفخ في أوصالها روح الحياة ، فتند وأترب إلى النفس وأدنى إلى القلب والشعور
 منها ، لو أنها بقيت جامدة ، أو وصفت وصفاً موضوعياً لا أثر فيه لماطفة الشاعر ومشاعره
 وتصوراته . ولعل في ذلك ، أب في نزعة إلى إحياء الطبيعة وأنسنتها ، كان يرضى ما
 رآه للحياة ، لا يحسسه بالموت والفساد على سبيل التوضيح . فالإنسان ينفثه الدابة
 والنفسية ينسج منها ثرا يستمد الشاعر الاستمارة تلو الاستمارة لا يمل ولا يكل ، فلا غش
 رند ، بل بالقدرة ، وتنتج زرعها ، وتنحدر عيونها ، فبدت تحت ضياء الشمس ، تلالاً
 زاهية تذكر الشاعر بالرجوه الجميلة ، التي تسفر عنها أنعمتها ، فيسقى بقوله :

(١) الديوان : ٢٦٢ ، نفسه : ٢٤٥

(٢) نفسه : ٨٣ ، نفسه : ٢١١

تَشْرُفُ تَدُمُ الشَّرِيفَ ... رَوْحَ
فِي بَرْدِ لَيْلٍ بِهَا بَقَرَةٌ مُقَلِّمٌ (١)
وَاللَّهِمَّةُ تَسْرُفُ وَفَتَحْنَ مَشَارِكَةَ الشَّاعِرِ مَعَايِهِ الْجِبَالُ ... وَالْبُحُورُ تَنْتَضِ

نَهَا :
وَسَرَى يَحْرُغُ خَدَهُ قَمَرُ الدَّجَاجِ
وَالْكَلْبُ فِي تَنْصِيهِ أَظَارِ الطَّرِيدَةِ ، يَسْأَلُ عَنْ بَنِي الْأَرْضِ ، فَتَجِبُهُ الرِّبَا ، وَتَهْدِيهِ :
يَسْرُفُ الْأَرْضُ يَسْأَلُ عَنْ بَنِيهَا
وَقَدْ يَتَلَجَّ الشَّاعِرُ فِي تَسْوِيرِهِ إِلَى التَّجْسِيمِ ، تَجْسِيمِ الْمَمْنُونِ وَابْرَازِهِ فِي صِدْرِ حَسْبَةِ ، فَهِيَ عَمَلٌ
يَدِي وَجْهًا يَسْتَمِدُّ فِيهِ بِفَرْسِهِ الْأَدَمِ :
وَأَقْبَلْتُ وَجْهَ الرَّدَى أَنْ تَمْسِكَ

رَبِّهِ الصَّبَاحَ بِهِ فَأَذَلَّتْهُمْ (٤)
وَيَجْعَلُ لِلْمَوْتِ فَمَا يَفْرَهُ ، وَلِلْقَدَرِ مَا يَدِيدُهُ :
وَقَدْ فَتَرَ الدِّحَامُ هُنَاكَ فَنَاءً
فَمَا أُدْرِى أَمْ قَلْبُ سَوْبٍ

وَيَجْعَلُ لِلْمَوْتِ مَا يَدِيدُهُ ، وَلِلْقَدَرِ مَا يَدِيدُهُ :
وَقَدْ فَتَرَ الدِّحَامُ هُنَاكَ فَنَاءً
فَمَا أُدْرِى أَمْ قَلْبُ سَوْبٍ
رَجْعًا لِلْمَوْتِ بِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ وَصْفِيهِ رَدَا الْوَدَّ وَالْأَنْسَ ، فِي سَمِ اللَّيْلِ ، وَلَكِنْ يَسُدُّ
الْجَوَّ بِتَرْقِيهِ فَتَنْسُدُ عَلَيْهِمُ اللَّقَاءُ ، وَتُكْشِفُهُمُ لِلصَّبَاحِ :
وَقَدْ تَلَدَّتْ لَيْلًا لِيَدَايُ الْهَيَوَى

رَبِّي لَا مَسْرُوعَ تَدْوِيهِ فِي دَمْفِهِ لَكُلِّ مِنَ الزُّرْدَةِ وَالشَّجَرَةِ الْمُنُورَةِ ، وَهَيْثُ يَخْلُقُ عَلَيْهِمُ
مِنْ مَسَاكِنِ السَّرَاةِ وَخَسَائِصِهَا ، مَا يَجْعَلُنَا نَحْسُ وَكَأَنَّ الشَّاعِرَ يَهْفُ امْرَأَةً لَا غَيْرَ طَبِيعِيًّا مَا شَاءَ
أَمَامَهُ ، وَجِئُوا مَرْتَدًا مَرَّسًا ، وَفَعَلْنَا فِيهِ الْقَوْلَ فِي مَوَاقِعِهِ مِنْ «هَذَا الْبَيْتِ» .

(٢) الجناس :

لَقَدْ أَحْزَانُ خَفَاجَةً بِطَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ تَنَازُلٍ وَتَأَلُّفٍ وَانْسِجَامٍ بَيْنَ أَصْوَاتِ الدُّمُوعِ فَصَالٍ
إِلَيْهِ ، وَوَشَّيَ بِهِ شَمْرَهُ ، نَلَا تَنَازُلَ تَعَلُّوقِ قَسْدَةٍ أَوْ مَقْطُوعَةٍ مِنْ بَيْتٍ أَوْ أَبْيَاتٍ فَبِهَانِئٍ أَوْ أَدَّ سَوَاعِ

(١) الديوان : ٢٤٢ ، وهذا البحث : ٢٢٤

(٢) نفسه : ٢٧٤

(٣) نفسه : ٥٤ ، نفسه : ٤٤٧

(٤) نفسه : ٤١ ، نفسه : ٤٣٧

(٥) نفسه : ١٣٨ ، نفسه : ١٩٥

(٦) نفسه : ٢٥ ، نفسه : ٢١٤

منه ، كما لا تغلو تراخيه منه في كثير من الأحيان ، وهو أمر أكسب شعره إيقاعاً موسيقياً عذبا ، وقد ألاحظنا هذا من قبل (١) . فهو مستغنى عن التجانس المائل ، أو المستوفي أو المسمى كما يسميه علماء البلاغة ، ولكنه لا يكثر منه كقول في سفة سجرة نارنج شجرة :
بِالْأَيْكَةِ الْهَضْرَاءِ مَعَ خَضِرَاءِ (٢) .

نَجَمَتْ تَرْفُ بِمِثْلِهِمْ حَسْبُهَا
فجاءت بين (نجمت ونجم) والضمير الأولى وهي سفة للأيكة ، فخرها الثانية وعنى بها السماء . ولما في قوله في سفة سدرتك :

وَالشَّهْبُ شَهْبٌ وَالْمَجْبَى مَجْدَفٌ
وَالشُّعْرُ جَمْرٌ وَالْقَتَامُ قَتَامٌ (٣)
فجاءت في سياق التشبيه البليغ بين الشهبوع والافراس الشهب ، وشهب : جمع شهاب ، وهو الشعلة الساطعة من النار .

ويستند التشبيه السابق ، وما اتفق حروفا لا وزنا ولا يكثر منه كذلك ، كقول
من شمر بصف فيه ناله وقد أدركه الحار :

لَقَدْ أَهَيْتُ بَيْنَ الرَّعْدِ وَالْخَابِرِ أَشْتَكِي
بسمي من وقر وظهري من وقر (٤)
فجاءت بين وقر الأولى ومعناها إذا دأب السمي بضمه أركله ، وقر الثانية وهي الحمنيل .

الثقل

وقوله في قصيدة غزل :

وَإِنْ سَتَمِي لِمَنْ طَرَفَ بِهِ سَتَمٌ
غلوي من الكحل ملوي من الزلي (٥)

فجاءت بين الكحل والكحل ، وبين ستم وستم .

ولكن النوع الذي مال إليه الشاعر والمأنت إليه نفسه ، فاكثر فيه القول ونوع ، إذ هو تجنب السنارعة (١) بمختلف ضروبه ، فقد يأتي بالتجنيس الذي تتساوى حروفه ولكنها تختلف من حيث الترتيب ، كما في قوله في سفة شمر :

(١) هذا البيت : ١٦٣ ، ٢٩٩/١٦٨ ، انظر إليها : ابن جني : ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) نفسه : ١٥٦ ، الديوان : ٧١ .

(٣) الديوان : ٣٤٤ ، هذا البيت : ٩٩٩ .

(٤) نفسه : ٢٠٧ ، نفسه : ١٩٤ .

(٥) نفسه : ١٤١ .

(٦) الحمدة : ٣٢٥ .

- وصحيفة هز الدين صفيحة
وردت تذكرني الحديقة نفحة
- منها وحف بالساحر رماحها
وتهزني هز القضيب رماحها (١)
- فجانس بين (الصفيحة) و (الصفحة) ، و (رماح) و (رماح) في قافيتي
بيتين ، كما جانس بين (تهزني هز) في البيت الثاني . وكقوله :
- لا أبتلي لسماء حتى أعي ملجأ
عدلاً من العكم بين سمي والبصر (٢)
- فجانس بين (لسماء) و (طحا) نجسهما اتسق وزناً واختلف ترتيب حروف ، وهو
بعض ما يلاحظه الجاهل الداني ، أي ذلك الذي تتفق فيه الكلمتان في بعض الحروف
- لا كلها ، فقله في صفة التمر :
- تمر من ناص حورا ومكمل كورا
ومن مرتي طورا ومنحدر (٣)
- فجانس بين الكلمات : (حورا ، كورا ، طورا) تجنيساً ، وكقوله في صفة
مدوحه :
- يكفي ويكفل في حاله
فما كان إلا أن طوتهم يد الردي
- وتوله :
- فجانس في البيت الأول بين (يكفي ويكفل) و (كفي ، كفل) ، كما جانس في
البيت الثاني بين (النوى والنوايب) .
- وقوله في سياق المدح أيضا :

-
- (١) الديوان : ٢٨٨
(٢) نفسه : ١٣٠ ، هذا البحث : ٢٢٢
(٣) نفسه : ١٣٠ ، نفسه : ٢٢٢
(٤) نفسه : ١٠٣
(٥) نفسه : ٢١٦ ، نفسه : ١٨٢

أضاف الى مجتلى مجتلى
وفات الرياح ، والال الرياح

فهرق يشام وروغ يشم
فطول عميم وخلق قمم (١)

فجانس بين (مجتلى ومجتلى) و (يشام ، وشم) و (الرياح ، الرماح) و (عميم
قمم) . وقد يعمد على أن تكون الحروف التي حدثت بسببها الاختلاف بين اللفظتين
المتجانستين ، من نفس المخرج الصوتي أو متقاربة في ذلك ، كما ينبغي على الكلمتين نوعا
من الانسجام الصوتي ، وتناغم يروض لاجلها من الاختلاف ، كأن يأتي بلفظتين
تتشارك في جميع الحروف ، ماعدا حرفين قد يكونان الراء واللام كما في قوله :
وتأذير قد كان لي عاذلا
وقوله من ذات القصيدة :

عاطر أنفاس الصبا عاذلا (٢)

ملقته أحوى اللى أحورا
وقد يكونان الراء والنون ، كما في قوله :

فتجمع أوماري علي وأوماني (٣)

فما ليت شمري هل لد هري عاذلة
وقد يكونان الباء والميم كما في قوله :

فهلها مضارب مشطرب (٤)

وات في سرى الصبا تصفحه
وقد يجانس في أحيان كثيرة بين ألفاظ

تجمعها وحدة الاشتقاق ، كقوله في الفزل :
فلم أرفي تيبا إلا متيبا

وحنت ركاكي والهوى يمت الهوى
فها أنا والظلم والميس محبة

ترام بنا أيدي النون كل مرتسى (٥)

فجانس بين (تيبا ، وتيبا) وبين (ترام ومرتسى)

وسياسة ووقيت عين النافيس (٦)

وقوله في سياق الدعاء للمدح :
وقويت تديب النفوس نفاسة

(١) المتدر السابق : ٤٥

(٢) نفسه : ٢٤٨

(٣) نفسه : ٣٤٥

(٤) نفسه : ٧٥

(٥) نفسه : ٢٣٧

(٦) نفسه : ٢٣١

وتقرئه في صفة خير :

(٩) عناراً نساء الكرم في كرمه —————
 ولم تنز ، من التذني فهي تـنـسـان (١)
 فـانـسـ في الاول بين (وتبت وتقيت) تـنـسـبـها ناعماً ، وجر (التفوس ونفاسة) و(النافس)
 وجانس في الثاني بين (الكرم وكريمة) ، تـنـسـبـها جامعة الأصل اشتقاق الموحدة في كل
 وكما جانس بين الفأله في درج الابهات ، جانس بينهما في القوافي كذلك ، وخاصة فـسـي
 مـلـولـاته (٢) . وقد ألجأه إلى ذلك حسه الانتقائي ، وعرضه على تلاوّم اللفظ —————
 والانسجام الصوتي في شعره ، ساهم له أقوى على التأثير ، وأبعد على الدرس ، والنضوة
 والاستمتاع .

(٤) الاجاق :

وهو ثاني ظاهرة بدعية استعملها الشاعر في تلحين فـنـه وتـنـسـيـنه ، ولأنه لا يكثر منها (٣)
 ولأنه لم يكن يصل إليها كما كان يربده بين موسوفاته من تعاضف ، وحسن به من وحسنه
 خفية تـجـمـعـها ، ووجوهها كما عرفها علماء البلاغة : أي يجمع بين الشيئ وعنده في الكلام
 سلباً أو إيجاباً ، ولا يخفى ما للـاجـاق من دور في إبراز المعنى وتوضيحه ، فما يقرئه فـسـي
 ذلك في سياق الانسجام بالزمن قوله :

فـسـقـى مـنـى أـبـنـى وـنـظـمـن صـاحـب
 وـنـسـقـى مـنـى أـرـمـى الكـواكـب سـاـهـراً

أودع منه راحلاً سيراً —————
 فمن دالي أخرى الليالي وفـسـقـى (٤)

فقد طاب بين (أبني ونظمن) وبين (راحلاً وأيب) في البيت الاول ، و —————
 في البيت الثاني بين (دالي ونارب) . ويقول في سفة أغمان تـسـلـمـها الريح فتتـسـار شـاهـب :
 أمـاقـم لـاعـل أم مـاقـم فـسـقـى
 فـالـقـنـبـ بين دسافح وعـسـقـى
 أنـسـيـنـي غـلـق الـوقـار وـنـسـقـى
 أنـكـرنـي بمواقف الشـسـقـى (٥)

(١) الديوان : ٢٣٥

(٢) نفسه : ٢٢٨ - ١٣٠ ، ١٤٧ ، ٢٩٣ - ٢٩٦ ، ٢٠٠

(٣) ابن فاجية : ١٠٨

(٤) الديوان : ٢١٧ ، هذا البحث : ١٨٩

(٥) نفسه : ١٥٨ ، نفسه : ١٥٣

فلا بين بين (وصل وراث) وبين (أنسني وأنكرني) .
وبالما بين بين (البياض والسواد) و (الليل والصبح) ، في ما يجوز فساده ، وتشد
اشتد به الوزن ، وآلمته الوحشة ، فيقول :

والذي بياض السبح يدور وحشاً
ويستعرض حال الضم في الحماره وعركته ، ويصور أثر ذلك في الانسان ، باطله بقوله :

تد من ناعني حورا ومكتنبل
كورا ومن مرتقي لمر ومنهدر
يرعى ومن ذاهل ينس ومدكر (٢)

والناس من مضرغ يلهمي ومكتنبل
فلا بين بين (ناعني ومكتنبل) بين (مرتقي ومنهدر) وبين (مضرغ ومكتنبل) وبين
(ذاهل ينس ومدكر) . وهو قد بين الجنس الى جانب اللهاق الذي يتلوي على معنى
الاستحارة لما في قوله من وصف الجبل :

تسجد من كل ركن وكانس
فقد آلب أطرافا وقد ضحك البدر (٣)

عبارة (ركن) (وكانس) ، والباء بين (تلبهونحك) ، وفي نسبة التلطيب ، الذي
يدور لالة على الوزن ، الى الجهل ، ونسبة الضحك الى البدر ، وهما من صفات الانسان
واسمائه استحارة جميلة مبررة . ثم يصف في شعره من خفاجة على اليب آخر ، كأسلوب
القاسر (٤) ، وصيغ التفضيل (٥) ، والتعجب (٦) ، ورد المعجز
المدح (٧) ، وصيغ المبالغة (٨) ، ومراعاة النظير (٩) ، وتجاهل المعارف (١٠) .
وغيرها من أساليب بناء العمل الفني ، وهو أمر يدل على تمكن الشاعر من أدواته الفنية
وسمته وعنى ثقافته اللغوية والأدبية ، كما يدل حسن استخدامه لها ، على سلامة فنه

-
- (١) الديوان : ٢٦٧ ، هذا البحث : ٩٩٤
 - (٢) نفسه : ١٣٠ - ١٣١ ، هذا البحث : ٩٩٣
 - (٣) نفسه : ١٥٠ ، نفسه : ١٧٩
 - (٤) نفسه : ١٣ ، ١٤٤ ، ٢١٥ - ٢١٦
 - (٥) نفسه : ١٧٧ ، ٢١١ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٢٨
 - (٦) نفسه : ١٣٩
 - (٧) نفسه : ٣٦ ، ٢٨٠
 - (٨) نفسه : ٢٨٣ ، ٢٤٤
 - (٩) نفسه : ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠
 - (١٠) نفسه : ١٣٨ ، ١٩٨

ورمافة حسه ، ورة شاعريته ، وهي براعة لا تهد وفي الاهرة الى اوب فحسب بهل في نزعتيه
التسويرية أيتها ، عند كان - ومعلم شعره الوعفي يشهد على - رساما بارعا ، يحسن
بالصورة وما يتعلق به من عناصر ومعالجات ، يختفي لها الاداة المعبرة ، والالوان المناسبة
ويختفي فيها الحركة والحياة ، مما جعل شعره يزخر بالصورة الجميلة الية الموحية .

(٥) الصورة الشعرية :

لقد عني ابن خفاجة في شعره بالصورة ، واتخذ منها وسيلة مهمة في عمله الفني ، كما
التسبه فيها من فعالية وقدرة على بعاء والتأثير ، فهي وسيلة في تصوير طبيعته السقي
بهم بها قلبه ، كما أنها وسيلة في الافصاح عن مشاعره ، والاعراب عن معانيه وتسوراتيه
ومن هنا كان تركيزه على الصورة ، .. هلالها تلك المكانة في شعره ، والصورة " الخفاجية "
قد تكون مركبة ، بمعنى أنها قد تدرن مشهدا يشتمل على عدة عناصر ، وقد تكون صورة
مفردة ، وبمعناها يدل على براعة الشاعر ، ودقته في التصوير ؛ إنك تحس ، وأنت تقرا
للشاعر ، كأن لهبهدة شقر بهما لم يصبحتها وأصواتها قد نقلت اليك ، فأنت تشاهد هذا
المشهد تلو المشهد ، والصورة تلو الصورة ، تسبح الاصوات ، وتشم الروائح المظفرة
وتحس باحساس الشاعر من خلال ذلك كله ، فتفعل له ، وتشاركه الاحساس والشعور
فرعاً أو حزناً ، وهو قد جرك إلى ذلك ببراعته في الوجد وقدرة على التسوير ، فلورجعت إلى
احدى روضياته ، ولتكن الروضة الاولى (١) ، مثلا لحشت مع الشاعر لحظات
في روضته الشعرية ، وأنت تنتقل معه من صورة إلى أخرى ، ومن مشهد لاخر ، ف
يستدعيها تنوع الخيال وجمل المرض ، فمن مشهد الصبح وهو يكشف بضيائه سر
فتتلا " قمرات الندى على زهر ما فتزداد جمالا ، إلى مشهد الغمامة التي ترويها ، بها
فتشرب الاقامة ، وتبتل الأشجار ، إلى مشهد الماء السائح المتفرق ، وهو يشق سراه
وسيل الروح الخضر ، إلى مشهد الاراقة ، والباثر الشادي على غصنها ، وهي مشاهد
متعددة ، ينسبها البار واحد هو الروض ، ولكنك تلحظ أن الشاعر لم يعرض عليك مشا ،

المدّة ، وإنما عرضها عليك في سرورية متلاحقة ، متلوقة بشاعريّة نسان وأحاسيسه
 لم يبح بعد رتق الزميرة ، وفتق كمامتها ، ويكشف عن جمالها ، وفتاحة ترضع أخلاف
 منسجمة الصلابة ، وبعد الصبر تنثرد ردتى ، والريح تنفث لعم الرب ، والدليل ينسج
 وبيته الاشجار ، ثم تلت الة الربلة : الدليل ، فتمتزله ، وتخلع عليه من نورها تمهيرا
 من سرحتها ونشوتها ، قال : في امر ابن خفاجة ، وان كانت مفردة ، احببنا ،
 عن الراى الموضوعي يبدى ، الا أنها لا تنقد ، عياتها ، وعركتها ، هل تزداد بجمالها
 بالمدّة طامع الشاعر من أحاسيس ومشار ، وما يوجد بين عناصرها من ارتباط وتماثل
 وهي : امثالى ترى ضرورة التمدد من جوها اختصار .

اللون :

لقد أحمر ابن خفاجة بتهمة الالوان . ودورها في التسيير والتزيين الى جانب فعاليتها
 في التأثير ، فسنرى به ، وزين بها ، بنقية تشهد له بسلامة اللون ، ورشافة اللون
 وحسن الانتقاء والاستخدام (١)

بلا ريد من مزنا	بجوى برقه أشق
ووجه السنا وقد ذى	ترى الأرض فيه وقد ف
سما ومن زمرة كوكبا	وقد ألقى الروى من أيا
ودنح تيجان هام الر	ولرز أثواب تلك الف
فأضحك شقرا لها أشنبا	وقد تبلى الكأس المدام
تكاثر بها الكأس أن تلهبا	وشدب المزاج بها بجمرة

وهو من تزداد مع فيه الالوان ، فمن البرق الاشر الى الزن الاشهب ، الى الارض
 المفضضة ، والسلا الذهبية ، والألحة المغنسة ، والزميرة الميناء ، واللون النسيم
 المشفوعا بداخله من عدام أعمر ، وهي ألوان كما نلاحظ ، صارخة ، تزيد الصورة ساطعة
 والمشهد نيا ، ووضوحا ، ويبدو مناسب لاقامة الافراح ، وعند مبالى الآنس والسب لرب
 من السبب ، في أحضان اللبيمة الفاتنة ، وقد يستخدم الشاعر اللون للتمهيد عن أحزانه

(١) ابن خفاجة : ١٠٤

(٢) هذا البحث : ١٢٦

واشجانه ، فيصور النهار والماقاتما بما في قوله :
 وألقى بها من الصبح يسود وحشة
 وهو يستمد ألوانه من الطبيعة ، وهذا ما تمارضها المتنوعة ، ولون بها صوره بالثندر
 الذي يزيد من جمالها ونهايتها .

✧ السمرة والحبابة :

الحيزة الثانية التي تتميز صور ابن خفاجة هي السمرة والحبابة ، فهي في غالبها
 صرر لميكتها بالمركة ، عامرة بالحبابة ، وقد شهد ذلك على نزوع ابن خفاجة إلى احياء الطبيعة
 وتحريك اجزائها ، وقد اتغذ من التشخيص وسيلة فعالة في ذلك ، فهو يهيك السمرة
 والحبابة في كل ما حوله من ظواهر الكون ، ولذلك علاقته بنفسيته المحبة للحياة ، والناصرة
 من الموت ، وكأن هذه الدائرة ، ثم مرة التشخيص ، استقطب لحيه وتعلقه بالحبابة ، فقد
 أنشأ على موصوفاته الدلبيعية حياة انسانية ، ولعل للعلاقة التي أوجدتها الشاعر بين
 الدلبيعية والبراة أثر في ذلك . فكذا يرمز إلى الحياة في نظره ، والحدث عنهم
 وتخليد سائنات الحياة ، منها ، ومن هنا جاء تشخيصه للبيعة تميرا أصيلا عن نفسه
 ذاتية قريبا بها ، إلى غير من الضمراء (٢) ، وقد لاحظ الدكتور سعد رضوان
 الداية هذه الظاهرة ، صرر ابن خفاجة ، فأشار إليها بقوله : " صرر عنبر " التشخيص
 بشكل صريح ، ان الـ ... يمثل منه أو يهمله في مظلون ... مقاديراته . فالبيعة تتحرك
 راجعا ... يتكلم ، والأشـ ... شأنه وترتفع كثيرا إلى مراتب الانسان (٣) ، كما أشار
 ... وهو ما ذكرناه غير مرقى ، هذا البحث ، وتمت قسيمة
 الجبل " أوضح مثال ... على ذلك (٥) .

✧ الانس :

وهي جماعة تتولد من الجماعة التي قبلها ، ان جماعة التشخيص ، فزجج نشعر في
 تسير ابن خفاجة بجموع الرد والتماثل ، يربط الانسان والبيعة ، كما يربط عناصر

(١) هذا البحث : ٩٤

(٢) الفن ومذايقه في الشعر العربي : ٤٤٥

(٣) ابن خفاجة : ١٠٧

(٤) الفن ومذايقه : ٤٤٥ ، ٤٤٧ . الطبيعة في الشعر الاندلسي : ٥٧

(٥) هذا البحث : ١٨١ - ١٨٤ .

الالهيمة بدسها ببعض ، ونادرا ما ننعس في صوره بمعنى الصراع والتنافر ، وما هو
وجود منه انما ندو تجل للصراع الناشب في أعماقه بين الحياة والموت .

والواقعة والخيال :

لقد رأينا من قبل ، أن الشاعر قد ذكر مصداق التخييل " ، ولكنه نيزه بفكرة الكذب
فأعا عن شخصيته وفنه في وجه الاتجاه النقدي الاخلاقي الذي كان بهامس شاعر على قوله
لمني " فحلت " راني " صنعت " (١) ، ولكننا لو أنعمنا النظر في شعره ، والوجه في منحه
خاصة ، لوجدناه يسر الواقع بمرارة ، ويستسلم لخياله يستمد عمال السيرة تلو الصورة حينما أشهر
فمن نحن نحرر بواقعيته في رسم المشهد في إطاره الكلي ، فجزئياته ، كما نحن يدور مع بلتية
في اثراء وصفه بالصورة المتتابعة ، والتي أثارها مشهد بعينه ، أو واقعة ، بعينها ،
فتناجحت وتلاحقت ، ولكننا نحن مع ذلك كله بتدرة الشاعر على التوحيد والصهر ، أي ضم
تلك السناعر أو الصور المتفرقة في وحدة ، وصهرها في بوتقة واحدة . ما يدور على
أنه كان يمتنع بخيال هي مقصد ، يشبه ما أسماه " كولريج " بالخيال الثاني ، أي ذلك الذي
يذيب ريلاشي ويحطم لكي يخلق من جديد ، وعينها لا تتأق له هذه العملية ، فانه طمس
الاعتداس الى ايها الوحدة ، الى توحيد الواقع الى المثالي . " أو " القسوة
التي بوساطتها تستأبح صور مهيأ أو أساس واحد أن يهيمن على عد نصر وأحاسيس ...
فيخلق الوحدة فيها بينها بالاشبه بالهر " (٢) ولعل قدرته على التوحيد بين
عناصر الالهيمة ، وبين الالهيمة والانسان ، بما استندمه من تشخيص واستمارة كانت مرة
لهذا الديمان الذي يشهد تسويبه ، بسيرته وأبداعه .

وعلى العموم ، تظل السيرة عند ابن خفاجة ، وسيلة مهمة ، عبر بوساطتها من إرثاته
ومشاعره صياح من خايلها بنزعاته وصورته وتصوراته ، فجاءت مخرقة عن نفسيته الرقيقة ، فقد
بما كان يهيم به في باطنه من صراع بين حياة يعيشها ، ويهيمن بها ، وموت يرميه ويكرهه
وسنحاون فيما يلي . إضافة هذا الجانب المهم في حياته ، ورصد تجلياته من
خلال فنه .

(١) بهذا البحث : ٤٣ ، ٤٤ - تاريخ النقد الادبي عند العرب : ٤٦٦

(٢) كولريج : ١٥٦ ، ١٥٨ .

القسم الثاني

في المعنى

لقد أسلفنا أن ابن خفاجة كان يحتفي بالمعاني الى جانب اعتقائه بالالفان
لا يتحانه بالدراسة البدلية بينهما ، وأنه كان يذلل في معانيه من أرمحية ثقافية واسمسية
ومتفرقة . . . فبدأ شعره زاعرا بالمعاني ، وما زاد بروز هذا الجانب في شعره
اعتناؤه بالدراسة ، وعرضه على تشبيه شعره بأكبر قدر منها ، وشحنها بأحاسيسه ومشاعره
التي مر الذي جعلها تزدحم الى درجة أضحت فيها شعره غامضا غمضا على الفهم أحيانا
وابرغم الحاجة كشاعر محبوب ، ذي شاعرية مبدعة ، يضرب بسهم في كل فن من فنون الشعر
الدرسية في عصره ، فقد مدح نوحى رأيا في ذلك ، ووصف الابهية وغيرها وتنزل ، وشعر
رأسها روى رزق ، ويرى الموضوع أو الخوض تارة ، ويخلط الموضع في القسمة الواحدة
تارة أخرى ، ولكن الدراسة التي تبد وبجلية واضحة في فنه ، هي غلبة موضوع الابهية
بمدالياتها المتنوعة على معاني الشاعر وصورة ، فهو يستمد منها استعاراته وتشبيهاته ، ويتكى
عليها في إبراز معانيه و . به بكيفية طفتة للنظر . وقد أشار الدكتور محمد ريسان الدايبة
الى «هيمنة الابهية على شعره ، وأثرها في معانيه ، فذكر : "الابهية تلعب دورا كبيرا
في حياة الشاعر ، وتعد له نفحة خاصة ، رقيقة جميلة " (١) وهو يعني في معانيه فني
اتجاهين : " محاولة الإبداع والتأليف في المعاني ، ومحاولة بعض المعاني التي سبق
الابهية جود بدعة ، أي هو كان بين الإبداع والتقليد " (٢) . وهو أمر تنبه له القديس
شاربا اليه في مؤلفاتهم استحسنوا وموازنة كما أشار اليه دار . وابن خفاجة من المعاصرين (٢)
يد تسمينا ، الى هذا في أثناء هذا البحث ، والذي يهنا هنا هو التركيز على معنيين
مهمين : معاني الحياة والموت أو البقاء والفناء في فن ابن خفاجة .

-
- (١) ابن خفاجة : ١٠٣ - ١٠٤ .
 (٢) الذخيرة ٢ / ٢ : ٥٧٢ - ٥٧٦ . بدائع البداة : ٢٥٣ . غرائب النظم : ١١٧
 ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٦٠ ، ١٦١ . الخيش المنسجم : ١٩٥ .
 ٢٤١ - ٢٤٧ ، ٢ : ٦١ ، ٢٦٠ . المطرب : ١١٥ - ١١٦ .
 تزيين الاسواق : ٢ : ٧٦ ، ٩٤ - ٩٥ . ديوان الصباينة :
 ٣٧ . معاهد التنصيص ٢ : ٢٣٠ ، ٣ : ١٥٢ . نفع الابهية :
 ١٠٦ . ابن خفاجة الاندلسي ، لأحمد الاسكندري : ٩٩ - ٩٥ .
 أحمد . . . ابن خفاجة الاندلسي : ١١٢ - ١٢٧ .
 ابن خفاجة : ١١٠ - ١١٢ .

إن الندى من الحياة والموت أو البقاء والفناء في ضمير من عفاة وندى يست
عن فلسفة الشاعر وتأثره وتصوره للذنن والنياق والانسان ، فقد عاش الشاعر في شبابه مقبلا
على الحياة ، منصرفا بجمعه الى كل ما فيها من متع وطلقات ، يفرح من معينها ومنه
عاشد ، ساد را في غفلته ، غير متنبه لطايد ور حوله من تقلبات وصعوبات أحداث ، فمقد مجالس
اللمح والارب مع الرب ، وبأرالمسيوب في ربوع الجمجمة ولنه الفناء ، كآن هدفه في أهبام
شبابه النفس ، وساعات سباه الهادئة الهنية ؛ لأن السهر في ناله مدا ما أسير به سابه فلام
أحور (١) ، وكانت محبة المحبوب دينا له ، ومثواه كميته ، ورويته حجه ، وذكره قرآنه (٢) .
وان اغتنم اللذات وعدم تفويت الفرص هو عين العقل وحسن التدبير (٣) وان ذلك العيش
لا يطيب في أهباء الجمجمة الفاتنة ، ولا يحلو بعيدا عن لالها الندية (٤) . ولكن ساعات
الانس وأيام الرصال - كما يقول - قصيرة (٥) . فلم يكن وهوذا النفس الرقيقة ، والعسس
المردف ، ليبتلى بضأى عن تأثر الزمن ، والا ساسر بالعباة في تغيرها وسيرورتها وتناقضاتها
والا ساسر بالموت ، ان اللذات ، والشعور بالفناء الذي يهدد الاحياء ، وما على الأخر من
موجودات . فأعرب عن احساسه بذلك ، وأبرز مخاوفه وفرقه من الموت ، وقد عكس هذا
الاحساس لديه دواع وأسباب أطقنا القول فيها قبل (٦) . وهو احساس ينمو لديه مع ان ينحني
بالمرغبة تراوده في سطر وتوهماله ، وليله ونهاره ولكن حبه للحياة يبال ينمو - في مقابل
ذلك - ويتساق ، فمكثر الشاعر من الدنين الى أيام الدليل ، وساعات الانس ويذوب شوقا
الى معاهدته وذكرياته التي قضاها في نال شبيبته وشرح عمره ، ويبكي لذها بها بكاء
ويتأوه لذلك الآهات تلو الآهات مما يدل على تعلقه بها وسبه الشديد لها :

-
- (١) الدبران : ١٢٥
(٢) نفسه : ٣٤٥
(٣) نفسه : ٢٤٩
(٤) نفسه : ٢١١
(٥) نفسه : ٢٨٥
(٦) هذا البيت : ٥٠

فأما أولاد شراة لكثرة
بكيت على فقد الشباب بهادما (١)

* * *

ألا بأن عبث كان يندما غصارة
فيا لمت ذاك المبتل لو كان منكس (٢)

* * *

فيا ليت شمري هل لدرى دلفة
فتبمع أولاري علي وأوطايبي
ميا دين أرطاري وميهند لذتبي
ومشأ تنهاي وملعب غزلآ نيسي (٣)

لقد أثرت ثقافة الشاعر الدينية ، وواقعه الاجتماعي والسياسي في شخصيته ، فحول مجرى حياته ، وعاش حياة إيمانية صادقة ، وتلورت نظراته إلى الحياة ، وأقبل على نفسه بهاسبها ولمسها ، وبالحيل التفكير في ما يضرها وينفعها :

غيري بهتد من أنسيه
وأن مثل أن يرى خاليها
مانال من ساني ومن كاسيه
بنقيبه بهتد عن نفسيه (٤)

وموت تحول نوعي ، جعله وجهه الوجه أمام شعب الموت الذي يفشل عنه مد من الزمان كما جعله يفكر مليا في مسيره الذي ينتلره ، ونهايته التي سيؤول إليها ، وهو أمر لا ترغبه نفسه المحبة للحياة ، المتعلقة بها تعلقا شديدا ، فازداد حبه للحياة ، بقدر ما ازداد فرقه من الموت والفناء ، وهو شعور طفا على شمسه ، وهرت عنه صورة الشخصية في عزيمة وروح ، وألجني لا أبالخ اذا قلت : إن فترتي الحياة والموت قد تجلتا بهيرة أو بأخرى في وسفه للطبيعة ، وانما تمثدن ظاهرة بارزة في نتاجه الأدبي عامة ، وشمسه في الدليمة على الربوبية الأبدية ، فلما أمدنا الدارف في شمسه ورملناه بحياته ونفسيته لالفناه :

يتفزل بداني الأساس بالمال ، والا نجداب الغلري الى الطرب الأبر الذي يشاركته تستمر الحياة ؛ ومدح الربابيين لانه رأى فيهم القوة المنقذ التي وثفت بهزم في وجه الفناء الذي كان يهدد الوجود الاسلامي في الاندلس ، ورش من تخافه الموت من الايمان بالانسان في نعمة حزينة مشجبة ، تتغللها أهات وأنات تصرب عن أساء وأسفه على ندهابهم وفيهمهم

(١) الديوان : ٢٢٧

(٢) نفسه : ٢٧٨

(٣) نفسه : ٢٤٥

(٤) نفسه : ٦٢

ثالث - بلل الحزن راسه وبين المدح والرتا* (٢)
 بهذا آخر ، وكأنه بذلك يتأبل بين الحياة والموت ، والبقاء والفناء .

و لو وجدناه يخل على مصروفاته من نفسه ، يتركها ، يتلقها ، يبحث فيها الا حساس والحياة
 ما جعل عند التشخيص يبرز بجلاء في شعره ، وكأنه بذلك يخل عليها ما يباله من عصب
 للحياة ، وتصب بالبقاء .

و هو يوحد بين المرأة والابمية ، وحرب من خلالهم عن عبه للحياة ، فالمرأة سبب في
 استمرار الحياة ، سره الشاعر ، فداش وهيدا ، كفنن وحيد في شجرة مهددة بالفناء ،

والابمية سرح يتجدد فيه معنى الحياة ، فصنى الحياة المشترك بين الابمية والمرأة
 هو هدف الشاعر الاول ، وثانيته القسوى ، وكأنه بتوسيد بين المرأة والابمية ، وتغلبه
 لهما في شعره ، كأنه بذلك ولد معنى الحياة ، الذي تتعلن به نفسه ، ونهواه قلبه
 على سبيل التصوير .

والاحساس بالحياة والتشبه بها ، والاحساس بالموت والتفوق منه يهدوا أيضا في
 تصويره الليل والنهار والبحر ، قالها يعني - عنده - الحياة ، والذلام يوسي بالوحشة
 والا نرا ، فكانه تبر يغمر الاشياء بأستاره الثقيلة ، ويحب عنهم الحياة ، فهو لذلك يمدده
 وحزته ، بشبهة فرسه ، أو بضيء الصباح أو بنور الصباح ، أو بومض البرق ، في صور عنيفة
 قسوة ، توهي بمعنى الصراع ، ومحاولة التخلص من أمر ترعبه نفسه ، وتتوجس منه خيفة
 بالليل يعني - في دارة - الموت ، فأن البحر يهنيه كذلك . فهو لذلك يوحد بين
 سرقيهما ، فهو نور الليل بحرا متدللا ، والبحر ليل قاتما ، فكلاهما يهتز ، ويوهي بالصوت
 والفناء .

والشجرة توهي بمعنى الحياة ، فهي - دائما - أما مورقة أو مزهرة ، تنتشي وتهتز ، وتلرب
 وتتأبل وكأنها رمز حياة الشاعر في عز عمره ، وريحان شبابه (٣) .
 والسيف يعني صاحب الشاعر وعله الوفي ، بل يأخذ مكان المحبوب ، أحيانا ، فيمانسق
 وينماجع ، وما ذلك إلا لأنه سلاح يساعد على استمرار الحياة ، ويدفع دونهما عوامل الموت
 والفناء* (٤) .

(١) الديوان : ٥٤

(٢) نفسه : ١ : ٨ ، ٢٧٥

(٣) هذا البحث : ١٦٧ - ١٦٨

(٤) نفسه : ٢٦٢ - ٢٦٣ وما بعدها .

والتمتع عند رمز للزمن، في منتهى وممروته (١). والتمتع رمز الثبات والرسوخ، ومثلان الدسمير والتعدي، فهو لذلك فيلجأ إليه ويستنطقه ويستنبطه، ويستمدد العبرة والسير على مراجعته صميره (٢). ولكن سرورة السراج بين الحياة والموت - مع ذلك كله - تلكت تدهقه وتؤثر فيه فهو وحيد يسير نحو الفناء تدريجاً، وواقعته الاجتماعية والسياسي لا يزعم، فمواضع الفناء فيداً ترون من مراحل البقاء، وتمام الحياة والموت في عناصر الطبيعة التي ركن إليها، وشبهها الآله وأفراده، طائفة أمامنا، ولا وسيلة تنجيه مابعد انقراض فرسه الذي يجري به سببه بسرعة مذلة، تسبب الربيع والبرق، بل ويكبر ويخلق به بعيداً، ودته تذبذبها بين التوسن وتبثت على عماني واقعته من دواعي ومراحل الموت والفناء.

لقد عاش ابن خلدون حياة الحياة، مرتبطاً بها برابط وثيق، ولهج بذكرها، فصرحاً بها وتلميحاً، ولكنه عاش، - في مقابل ذلك، وخاصة في سن الكهولة والشيوخوخة - جاثقاً من السود، وتلقاها كل شيء بيد برأيه أو يذكركه، ولكن، ويجب هذا كله، هل كان ابن خلدون أبيقوري المدحج في الحياة (٣)؟ لا جواباً عن هذا السؤال بقدر بنا أن نذكر أن ابن خلدون شاعر مسلم، وهذا يعني أن تسوره للحياة والدون، والإنسان، تسوره بسلامي بهترف بوجوده واحد مدبر لهذا الكون، هو مؤمن بأن الدنيا مهمات ستؤول إلى نهاية محتزنة وفناء محتقن، وأن هناك يوم هو يوم القيامة، يعرض الناس فيه على رحمتهم، فبها يهون علق أعمالهم، فإما إلى رحمة وإما إلى عذاب، ويتفرعان حياتهم في شبيته ما هي إلا رموزا نقر ولحش أبارم، وقد ألقا عنها، وبكى وقرعه فيها، وقد على ذلك ندماً شديداً (٥). وقد يهول أن يراه، ويستدرك ذنوبه إلى درجة يزيد فيها توتره، ويقوى فيها إحسانه بالموت الذي يشعري لديه لنزايود صرفة أسواره فينادي الصبب الذين تنفوا، ويسألهم عن سر الخردى ولكن لا يجيب (٦). وهو أمر قد يجعله يقتحموا تلك فيها نعمة من شك، إلا أنها طارئة لا تثدج في يمينه باليون الأبر، وطافيه من خلود وثواب ومثاب (٧).

-
- (١) هذا البحث : ٩٢١ - ٩٢٣
 - (٢) نفسه : ١٧٩ - ١٨٣
 - (٣) دراسات في تاريخ الأدب العربي : كراتشوفسكي : ١٢٦ ، حياة وأثار الشاعر الاندلسي : ٣٣١
 - (٤) الديوان : ١٠٥ ، ١٥٧ ، ٢١٣ - ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٠١
 - (٥) نفسه : ٢٥٨ ، ٣١٠
 - (٦) نفسه : ٢٣٤ ، ٢٠٢
 - (٧) نفسه : ٢٢٦ ، ٣٦٣ ، ٣١٥

وأما "أبيقوروس" ففيلسوف يوناني أخلاقي ، دأله ما يعاني الناس من شقاء واضطراب فبحث عن أسبابه ودواعيه ، فوجد أن ما يعانيه الناس من ذلك مترتب عن الخوف : الخوف من الآلهة ، والخوف من الموت ؛ وأن تعليم الناس هذا الشقاء الذي ينقص عليهم حياتهم يكمن في تغلبهم من مخاوف السببين ، فأعلن أن الآلهة موجودون ولكنهم " لا يمنعون بنا ولا يكذبون بشفوفنا ، ولا يملكون عن إرادتهم بالنذر كما تعتقد العامة . . . فعلينا أن نؤمن بأن من جهةتهم ، وأن نخفي عن نفوسنا الخوف منهم . " وأن النفس الانسانية جسم ، بل ذات لها نهاية تتألف من الجسم وتتحلل بانحلاله " (١) .

ومادام الآلهة يهابون بعيد مدبرتنا ، غير معنيين بشؤوننا ، ومادامت الروح تحيا متى مات الجسم ، ففلا خوف من الآلهة ، وما الداعي إلى الخوف إذا ؟ . وعلى هذا الأساس يقيم "أبيقوروس" مذهبه الأخلاقي ، فيرى : " أن النهاية من الحياة هي السمو على الشهادة ، وما الشهادة إلا في اللذة " ثم يقسم اللذة قسمين : لذة الجسم ، ولذة النفس من أمان والتمتع براحة البال ، وهي أفضل من الأولى ، وهذه تنقسم بدورها قسمين : لذات متبركة ومثاليها المتعة ، ولذات ساكنة ومثاليها عدم الألم شبتكلم من الرغبات الإنسانية فيرب أنها ثلاث ، أولاً بما لبيعية وضرورية للحياة كغلبة الأكل والشرب والثانية طبيعية غير ضرورية للحياة كذا الزواج ، والثالثة غير طبيعية ، ولا ضرورية كذا السبطرة ، والعكيم عند هـ هو الذي يشبه إلى الحق من اشباع الثانية ، ويحرض عن الثالثة . وهو يمسرف مفهومه للذة صرافة شهوة الشهيم والتأويل فيقول : " عند ما أقول أن اللذة هي غاية الشهادة لا أتمد بذلك لذات الذين لا يستلصقون كبح شهواتهم ، ولا اللذة الجسدية ، كما يدعي الذين لا يفهمون مذهبي أولاً بمرفونه ، وإنما أعني باللذة عدم الألم الجسدي والاضطراب النفسي " (٢) . دذا ما يتصاره مذهب "أبيقوروس" وتسميه للحياة ، وهو كما نلاحظ يناقض في أسسه ومثلقاته تصور ابن زلفجة الشاعر المسلم للحياة ، حين أن ابن زلفجة أحب الحياة ، وأقبل عليها بجمعه ، متمتعا طمدا ، وأن حالوتها للتراغقه طوال حياته ، مما جعله

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية : ٢٩١ - ٢٩٢

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية : ٩٦ - ٩٨ . تاريخ الفلسفة اليونانية : ٢٩٢

اليها ، ويتمنى عودتها ، وهي على ذهابها في حرارة شفق . وصريح أيما أنه عاش
 رذله يتزوج قط ، وأنه اندرف ، من سرح السياسة في عصره ، وأعرض عن التهافت على
 ١٥ ، وللب السراتب ، وفان بهاجد بوا (١) ، وهي صفات قد ذكرها " أبيقوروس " فهي
 ريفه لئلا نسان الحكيم (٢) ولكن هل يكفي أن يتوفر شرط أو شرطان لذهب معين فهي
 سار ، لأن نفس ذلك الانسان الى ذلك الحقيقة ، أو ما يترب منها ، وهو ما ينشده
 فسنا في أخطاء منهجية تفللنا عن الاعتدال الى الحقيقة ، أو ما يترب منها ، وهو ما ينشده
 بهجت السلي ، وهذا يعني أنني أرى أن نسبة ابن شفاقة الى " الأبيقورية " نسبة غير
 قبة ، أو أقل غير صحيحة منهجيا ، فالأبيقورية مذهب فلسفي أخلاقي له أسسه وفروعه
 الش يمت برشدية قوية إلى الأساس الذي يتكى عليه من الحق منه ، وابن شفاقة عاش حياته
 بساطة ، وفي غير تدقيق فلسفي ، بنفسية معينة ، في واقع اجتماعي معين ، غرتة النفس
 والشباب ، فنفل عن الحقيقة وجوده مدة ، ثم لم يلبث أن استيقظ من سباته ، وتنبه لنفسه
 وتاب إليه رشده ، فتغيرت بها لذلك مجرى حياته ، وإن ظل يهمن الى حياته في ظل شهابه
 يلهم بذكرها ، ويتمنى بحلاوتها ، وسفوة القول : إن تلوته الى الحياة نظرة نامية
 تأثرت بإغصه ، وأثرت في سلوكه وتصوره ، وقد وجد في طبيعة ولانه الجميل فسحة ، فركن
 اليها واستراح ، وأقبل عليها بيسر شاهدها ، ربيسد نواحي الجمال فيها ، وبشبه
 الآلام والاشجان ، ويدرب من خلالها عن مشاعره وانفعالاته ، وتصويراته ورواه بأسلوب مباشر
 مينا ، وبالرقة عذوبة تلقائية ، هذا شعر ، الأمر الذي أجمع شعره بلا مع خاص ، وصيغة بسيطة
 مميزة ، وهي صيغة نسبة ابن شفاقة بكل خصائصها وميزاتها .

(١) هذا البحث : ٤٧ - ٤٨

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية : ٢٩٦

القسم الثالث =====

مكانة ابن خفاجة بين وصافي الطبيعة
في الشرق والمغرب

هذا دواين خفاجة ، ذو الحس المرهف ، والنفس الرقيقة ، والذوق الانتقائي
لسليم ، وتلك هي طبيعته بأشكالها ومعطياتها ، جمال وتناسق ، ورقة وأبداع ،
تند التقي الأساس المرهف بالجمال ، والنفس الرقيقة بالتناسق والابداع ، فكانت
الهيئة ، وكان الميل والعب ، وكان - ثمره لذلك - أي ارتباط ابن خفاجة بالطبيعة ،
وتعلق بها تملن الصعب الولهان بمن يحس ويهوى ، فركن إليها ، يتغنى بجمالها ،
ويصور معالم الروعة والفتنة في عناصرها وظواهرها المختلفة ، ويبحثها من بين لآخر
آلامه وأحزانه ، ومشاعره وتصورات .

وهو نوي هذا كله قد يلتقي وشعرا الصربية من قبله ، في معانيه وصوره ، تبعا لما مل
الثقافة الواحدة ، والشترك الحضاري ، أو غرضها للفرقة الحسية ، وسار التسلسل
الذي طبع معظم شعرا الوصفي ، قديمه وحديثه ، بطابعه الخاص ثم ان الحديث
عن مكانة الشاعر بين شعرا الطبيعة ، سواء منهم من سبقه أو من عاصره ، أو من
جاء بعده ، هو حديث يدخل في باب الموازنات ، وهو باب خطير ، لا يقوم الا على
الدراسة الجزئية المفصلة والحقيقة المتجردة لحياة وأدب كل شاعر على حدة ،
وهذه الدراسة هي وحدها التي تخول لنا السكم الصحيح أو القريب من الصحة على
هذا الأريب أو ذلك بأنه أسبق من غيره ، أو أنه أخاف جديدا ، أو عاش حالة على
غيره ، يتأثر معانيهم وسورهم ولا يخرج عن إطارهم ، وهو أمر لا تخفى صعوبته
ورعورته ، ولكنني - مع ذلك - حاولت تحديد مكانة ابن خفاجة عن طريق موازنته بشعرا
الصربية من قبله ، وفي عصره وحده موازنة سريمة وعامة ، ممتدا على دواوين أولئك

الشعرا ، ومستمينا بالدراسات الأدبية المتوفرة عنهم .
فهو قد يلتقي وذا الرمة في ربط الطبيعة بالحب والفطر الى الحياة ، والتعلق بها من
خلال ذلك ، كما يلتقي وأياه في نزعتة الى إحياء الطبيعة وتشخيص عناصرها ، وهي
خاصة (أي التشخيص) تجميعه بأبي تمام والبهتري وابن الرومي أيضا ، مضافا اليهما
تأثره طريقة الأول في التصدي الى استعمال المحسنات اللفظية والمعنوية ، متجنبا
تشتيده الفلسفي ، مع الميل الى الطبيعة والاتكاء عليها في ذلك ، وتشبهها الثاني ، فضلا

عن باهرة التشخيص ، في المنايا بالاسلوب الشعري وموسمات المصنعة ، وشبه الثالث في صياغته المعنى الصبوح اليه صياغة جديدة ، ونزعه الى محاولة الاختراع المستمر للمعاني الجديدة .

وأما ابن المعتز ، فيمكن أن يكون الشاعر قد استوحى طريقته في التشبيه ، والاكتشاف منه ، واعتاده فيه على الطدي المحسوس ، وخاصة بريق الذهب والفضة ، وألوان الاحجار الكريمة ، ولكنه يفتقر وأياه في ولعه بالتشبيه التخيلي ، وتوجيهه فيه الى التاييمسة يمثل بها لا بأس به ، وشاعره ، ويتكى عليها اتقا عرف به واشتهر (١) .

ويتأثر طريقة أبي الطيب المتنبى في مزج الغزل بالحساسة ، وينهج نهج عبد المحسن الصوري في قوة أغزاله ، وولعه بالجناس الناقص ، كما يسير على ذات نهج عمر بن أبي ربيعة في أغزاله الحسية ، وعدم تقيد به واحدة تلك عليه احساسه وشاعره ، فسي تتبعه للجمال الحسي في المرأة ، ويسلك درب أبي نواس ومن تأثره ككشاجم والواو ، الدمشقي والصنوبري ، في جعل الطبيعة سرها لتماطي الراح ، وعقد مجالس الأتس ، ولكنه لا يرغل ابنا لهم في ذلك ، ولا تنسيه الخمر طبيعته الجميلة ، ولا تصرفه عن تصوير مشاهد الرائعة الفاتنة (٢) .

وهو يستلهم طريقة الشريف الرضي ، ومهيار الديلمي في اللحن بذكر الأماكن النجدية والسجارية والشاسية على سبيل الرمز (٣) . كما يلتقي وشمر الأندلس في الولع بالطبيعة ، والانكباب على تصويرها ورسم مشاهداتها في حب وهيام ، فنجد يلتقي مع ابن عبد ربه في الاحتفاء بالطبيعة ، والتغزل بمناصرها غزلا حسيا مكشوقا ، ومع ابن هانئ في مغلغ صفات المرأة الحسية على عناصرها الطبيعة ، وفي الاحتفاء بالسما ونسبورها ، في بناء صورة الشعرية ، يلتقي وابن دراج القسطل في وصفه الحسي لمناصير الطبيعة وجعله من الطبيعة مذكرا بالخمر وداعيا لها .

(١) - انظر هذا البحث : ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٢ .

(٢) - المصدر نفسه / ٤٢ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ .

(٣) - نفسه : ٩٣ .

كما يلتقي مع غير هؤلاء ، وهم شعراء البديع ^(١) ، في التصوير العسي لعناصر الطبيعة تارة ، وفي خالص صفات المحبين والعشاق على عناصرها الموصوفة تارة ثانية ، ولكنّه يتنّب نزعتهم في المفاضلة بين الأزهير ، وهي نزعة تأثروا فيها ابن الرومي ، وكأنّهم فإن لهمها وعدم جدواها ، ويلتقي وابن زيدون في مزج الطبيعة بمعاني الحب والفرام ، من جهة ، وفي عند ابن زيدون أصدق وأعق ، والحنين من جهة ثانية كما يلتقي وابن حمديس في ألأب الصورة ، وحرارة العنين أيضا ، والحنين إلى الوطن ، ومراحم الدنيا ، ومبالس الأئس ، خاصة يكاد يشترك فيها شعراء الأندلس في الترنيم الخامس والسادس ، وما تلاهما من قرون ، وكان لأطرافهم ، وأطوار حيواتهم أثرها العميق في ذلك . ولكنه يتميز عنهم جميعا في انصرافه إلى الطبيعة ، ولكنّه بها ، ولجوئه إليها ، يستمدّها معانيها وأسرارها ، ويستعين بمصردها على الانصاف من مشاعره وأحاسيسه وتصويراته وأفكاره ، وهي ميزة أكدناها غير مرة في هذا البحث . ولعل الشاعر الذي تمكن موازنته باهين خفاجة في هذا المضمار ، حتى أنه لقلب بلاتيه ، وهو شاعر الطبيعة في المشرق أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري ^(٢) ، فكلاهما أحب الطبيعة وأخلص لها الحب والتعلق ، وهما بها وركن إليها ، وكلاهما صور الطبيعة ومعني بذلك ، عناية فائقة .

ولعل ابن خفاجة قد ألتح على شعر الصنوبري ، وأخذ عنه طريقتة في تلوين الطبيعة وأسباغ النسيم على مشاهدة صورته فيها ، وخاصة في تلحياته ، ولكنه يختلف وإياه في طريقة التصوير ، ففي الوقت الذي يمرض فيه الصنوبري صورته في وضوح مساطة ومجمود في غالب الأحيان ، نجد ابن خفاجة يمرض صورته في دقة قد تصل إلى الغموض أحيانا ، دون أن يفقد ما خاصة الحركة والحياة التي تزيدها جمالا وروعة ، كما يختلف عنه ، ومن شعراء العربية جميعا في قدرته على غرق حاجز العس في التعامل مع الطبيعة ، والحنان إلى أوطانها ، والاحساس بها على نحو عميق ، وقصيدته في الجبل مثال رائع على هذا التجاوز والسبق في تصوير الطبيعة والتفاعل معها والانفعال لها على نسوايتها هي .

- ١- أي كتاب البديع في قصائد الربيع لاسماعيل العميري ومنهم : (أبو عمر يوسف بن دارون الرمادي ، والحاجب المصفي ، وأبو عمر أحمد بن عرج ، وأبو مروان عبد الملك بن جمهور ، وأبو جعفر بن الأبار ، وأبو بكر بن القواية ، . . . وغيرهم) .
- ٢- فنوا البعث / ٨٢ - ٨٩ /

لقد كان ابن خفاجة صادقا مع نفسه .. أولا - عندما أقبل على الطبيعة بصورها تصويرا ينم عن تعلق شديد وحب عميق ، واحساس قوي بالجمال والتناسق فيما يحيط به ففي تلك الطبيعة البهيمة والكون الفسيح من حوله من ظواهر وكائنات ، فقد كان يعتمد الصورة وسيلة للأعراب عن معانيه ، والافصاح عن مشاعره وأحاسيسه وتأثيراته ، فكانت الطبيعة ، لذلك بكل عناصرها ومكوناتها معينا ثرا استمد استعاراته وتشبيهاته - وسوره بكيفية مفضلة للنار .

كما كان صادقا معها ، ثانيا ، عندما أوجد في عالمه الشعوري ، تلك العلاقة السليمة والوحدة المتناسكة بين صورة كل من المرأة والطبيعة في وصفه ، فهو نثار الى المرأة من خلال الطبيعة ، ونثار الى الطبيعة من خلال المرأة ، وفي ذلك اعراب عن احساسه بالجمال ، وخلق لما في أعماقه من حب للحياة .

كما صدق ، مرة ثالثة ، عندما أعرب من خلال الطبيعة عن احساسه بالزمن ، ثم بالموت والفناء ، فقد كان مبالا للحياة ، مثبلا عليها ، لهجا بذكرها ، كادها للموت ، ناسرا منه ، ومن كل ما يدعوا اليه أو يذكر به ، لقد أحس بالزمن يسرع به نحو الفناء ، وهو الوحيد في أسرة تختلف الموت أفرادها ، كما أحس بالفناء يهدد الوجود الاسلامي في الاندلس ، فكان نزوعه الى تشخيص الطبيعة ، من تحريك ساكن وانطاق صامت ، وكان موقفه النافر من كل ما يذكره بالموت والفناء ، وتصويره القوي الحنيف لذلك تعبيرا حيا عما كان يمتلج بين جوانحه من حب للحياة والبقاء ، وكراهية للموت والفناء ،

ولعل هذه المعاني مجتمعة ، مضافا اليها ما تميز به أسلوبه من عذوبة لفظ ، ورقية موسيقتا ، وهي التي أكسبته الشهرة والذيع ، وجعلت القدام والمحدثين ، من المهتمين بالأدب وشوؤونه يندارون اليه على أنه صاحب مدرسة في شعر الطبيعة لها أتباعها وأنصارها المتأثرين ، أريثتها في عصره وحده (١) .

فقد عد محقق الديوان جملة ما ذكرته المصادر من أساط تلاميذ ابن خفاجة ورواة شعره ، كما ذكر صاحب المغرب ، نقلا عن المسهب للحجاري أن ابن الزقاق استمد من خاله أبي اسحق بن خفاجة ونزع منزعه (٢) . وذكر الدكتور إحسان عباس أن الرصافي البلمسي " والوريث الشرعي للمذهب الذي اختاره ابن الزقاق وبخاله ابن خفاجة "

- (١) - الديوان (مقدمة المحقق) ٨ - ٩ / انظر أيضا ، صلة الصلة : ١٨٥ - ١٨٦ ،
التكلمة ١ : ١٥١ - ١٥٢ . المغرب في حلى المغرب ٢ : ٣٨١ ، الاحاطة ١ :
٢٢٢ - ٢٢٣ .
(٢) - المغرب في حلى المغرب ٢ : ٣٢٣ .

في الشمر* . وانه تأثر طريقته في وصف الجبل في قصيدته التي مدح بها صيد
المؤمن بن علي (١) وقال المتري ، عند ذكره لأبي عبد الله بن زمرك ، إن شمره خفاجي
النزعة (٢) ، وعد الدكتور محمد رضوان الداية كلا من أبي البقاء الرندي ، وابن خاتمة
الانصاري ، من جملة من تأثر طريقة ابن خفاجة ونهج نهجه (٣) . ولعل غارثية غومت
قد اعتمد ما ذكرته المصادر السابقة في قوله : " إن الطريقة الخفاجية طالت
محتذاة معني أو آخر أيام مملكة غرناطة " (٤) .

وفحلا ، فإننا لو رجعنا الى ديوانين هولا* الشعراء وغيرهم ، لوجدنا أثر ابن خفاجة
فيها ، من حيث معانيه وطريقة تصويره وانحيا جليا ، فنجد عند ابن الزقاق
نزوعا الى تاليل الصورة ، وتشخيص عناصرها أحيانا ، ونجد لديه قدرة على صياغة المعاني
وتوايدها واغترافها ، كما نجده يمنج أوصاف الطبيعة بأوصاف المرأة ، والنار الى
الصعوب من خلالها ، كما يمنج معاني أغراض الشعيرة المختلفة بوصف الطبيعة ، ويلونها
بالوانها ، ويصفها بمبغيتها ، ويربط بين الطبيعة وموضوع الحنين برباط وثيق ، كما
يلهج في المجال ذاته بأسماء أماكن نجد والحجاز على طريقة خاله ابن خفاجة ،
وقد يعيد معانيه وصوره ، وخاتمة في وصفه للورد (٥) .

ويمكن أن نتلص أثره في شعراء بلنسية وغيرهم في العصر التالي ، عصر الموحديين
فقد تأثر الرصافي طريقته في تلميح الصورة ، وفي اللهج بذكر أسماء الأماكن الشرقية
وفي الركون الى الطبيعة والتعبير من خلالها عن معانيه في الأغراض الشعيرة المختلفة ،
ولعل أثر النزعة الخفاجية يبدو واضح ما يكون في وصفه لكل من الورد والجبل ،
نقد شعراء الجبل على طريقة ابن خفاجة ، فغمار البه على أن شيخ كبير ، قد جرب
الحيلة ، وسعير الأيام ، قد قدم سارقا ، يفكر في مصيره ، حتى ان لونه اكفر من شدة
خروقه ما سيؤول اليه في يوم القيامة من ذلك وتسير ، وهو تصوير لا يصل الى مستوى
الصورة الفنية الرائعة التي رسمها ابن خفاجة للجبل (٦) .

(١) - ديوان الرصافي البلنسي (مقدمة المحقق) : ١٦ - ١٨ - ١٩ .

(٢) - أزهار الرياض : ٢ : ٩ .

(٣) - أبو البقاء الرندي : ٥٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ديوان ابن خاتمة الانصاري (مقدمة
التحقيق) : ٢٤ .

(٤) - الشعراء الاندلسي : ٥٩ .

(٥) - انظر ديوانه : ٩٤ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٧٨ ، ٢١٦ ، ٢٧٦ - وهذا

البحث : ١١٤ - ١١٦ .

(٦) - ديوانه : ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٢ - ٨٣ ، ١١١ ، ١١٧ ، والشعر

الاندلسي عصر الموحدين : ١٤٩ - ٤٠٠ .

كما يبرز أبو بكر صفيان بن أبي ربيعة نزع ابن خناجة في تشخيص الداهية ووصف الجبل ،
ويذهب مذهبه في الحنين إلى الوان ، والله يذكّر مواطن اللهو ، ومجالس
الأئمة نون ربه ، وبين أحنان داهيته الفناء (١) .

ويولع ابن من الكحل ولح ابن خناجة بالداهية ، ويمنى عنايته بالتوليد والاختراع
ما يتأثر ، أريته في تصوير الداهية وتشخيص عناصرها (٢) ، كما يمكن أن نتلمس
آثار ابن خناجة في شعراء " زاد الصافر " (٣) من أمثال أبي جعفر بن عاصم الموصلي
وأبي عيسى بن عبد الودود ، وأبي عمرو بن بدل الشريف ، وأبي الحسن ابن الخبير
البلنسي ، وأبي القاسم بن البراق الوادي أشي ، في تصويرهم الداهية ، وتوظيفهم
لها في موضوعات الفزل والمدح والعتاب والله يذكّر الأماكن النجدية والحجازية
في سياق الحنين .

وينزع ابن سهل الاندلسي نزعته أيضا في تشخيص عناصر الداهية ، وخلع الاحساسات
والنزمات الخفسية على الداهية ، وتصور المعروب من خلالها ، وفي توظيف الداهية
في شتى الموضوعات كالمدح ، ووصف القنائد الشعرية ، والفزل والرتاء ، ووصف الحرب
وغيرها (٤) .

كما يمكن أن نجد مشابه لنزعته لدى شعراء التصوف ، كابن خميس التلصاني وأبي
مدين شبيب التلصاني والمصنف التلصاني (٥) وابن عربي وغيرهم ، وإن كانوا ذهبوا
بها إلى الرمز للمعاني الروحية والفيوضات الربانية ، التي كانوا يشمرون بها في
ساعات العبادة والمناجاة والتوجه إلى الله والتفكير في آلائه ونعمه ، ولعل الشاعر
الوحيد الذي ضرب على الوتر الحساس والمهم في وصف ابن خناجة للداهية ،
وترا الداهية الرمز ، والداهية العبارة ، هو ابن خاتمة الانصاري ، فقد وصف
الداهية على أنها في جمالها وتناسقها وروعها ، كتاب الله المنظور ، الناطق
بالعبارة ، والدال بوضوح على المانع الجدد ، والمشير إلى عظمته وديع صنعته .

(١) - زاد الصافر : ١٩ ، ١٣٠ - ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ - ١٣٧ .

(٢) - المصدر نفسه : ٢٨ والمغرب في حلل المغرب ٢ : ٣٧٣ .

(٣) - المصدر نفسه : ٤٧ ، ٥٦ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١٠٩ .

(٤) - ديوانه : ٦٨ - ٦٩ ، ١٢٥ ، ١٢٦ - ١٢٧ ، ١٦٣ - ١٦٦ ، ١٩٩ - ٢٠٠ .

٢٠٦ ، ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٥) - أزدहार الرياض ٢ : ٣٠٨ ، ٣١٥ ، والمصنف التلصاني شاعر الوحدة المتألفة ؛

١٥٢ - ١٧٤ .

كما يتأثر بأريقته في غلغ الاحساسات النفسية على الطبيعة ، وفي توظيف
 الطبيعة في شتى الموضوعات الشعرية وقد يقتبس بعض معانيه وسوره (١) . وهي
 أمور من السهل العثور على ما يماثلها من حيث العموم في ديوان حازم القرطاجني
 فهو أيضا نهج ممالك ابن خفاجة في تصوير المحبوب من خلال الطبيعة ، ووصف
 القوافد الشعرية من خلالها كذلك ، وتوظيف عناصرها ومعطياتها في بناء
 قصيدة المدح (٢) .

كما يمكن أن نجد أثر " المدرسة الخفاجية " واضحا في شعر ابن الخطيب
 وتلميذه ابن زمرك ، فقد نزع الأول منزع ابن خفاجة في تشخيص الطبيعة ، ومن
 أوصافها بمنزلة المحبوب ، وتوظيف الطبيعة بمعطياتها في سياق المدح ، والثناء
 ووصف القوافد الشعرية ، ويقتفي أثره أيضا في اللمح بأسماء الأماكن نجد
 والسيارات في سيات المدن والاحساس بالزمن ما يشبه الرمز (٣) ، وفي آثار
 تبدو واضحة أيضا في شعر ابن زمرك ، فاننا نحس ونحن نقرأ شعره بوجود
 خصائص المدرسة الخفاجية ، من تأليب الصورة ، وتشخيص الطبيعة ، وغلغ
 للاحاساس النفسية تباه المرأة على عناصر الطبيعة الموصوفة ، واستخدام لعناصر
 الطبيعة على اختلافها في بناء الموضوعات المختلفة ، كالمدح ، ووصف المعركة
 واللمح بذكر أسماء الأماكن النجدية والحجازية ، في سياق الحنين ، وتذكير
 مجالس الانس مع الصاحب في أحضان الطبيعة الغاتنة ، فقد نجد عنده وعند غيره
 صور ابن خفاجة ومعانيه مكررة دون كبير تحوير ، وهو أمر يدل على أن أثر ابن
 خفاجة كان قويا ، وأن اشباع شاعريته ظل قويا وهابا حتى بعد موته بزمان
 طويل . بل اننا يمكن أن نقلس آثاره في شاعري الطبيعة الدمشقيين ، ابن
 الساعاتي ، وابن النقيب ، في العصرين المملوكي والمملوحي ، فنجد عند الأول
 مدى لأريقة ابن خفاجة في تشخيص الطبيعة ، والنظر الى المرأة ، من خلالها
 والمكس ، واستخدام الطبيعة بعناصرها ومعطياتها في تلوين معاني المدح ، والمزج
 كما نلحظه يتأثره في تصوير النهر والسفينة ، ووصف المزار ، وقد تنبه الصفدي
 لهذا التأثير فأشار اليه . (٤)

- (١) - ديوانه : ١١ - ١٢ ، ١٢ - ٢٢ ، ٣٠ - ٤١ ، ٤٢ - ٤٣ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٧٦ ،
 ٧٨ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٥٠ .
- (٢) - ديوانه : ٢٨ - ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ .
- (٣) - ديوانه : ٣١٧ - ٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٥٤ ، ٣٦٥ ، ٤١٤ - ٤٢٢ ، ٤٢٣ - ٤٢٤ ،
 ٤٩٨ ، ٥٤١ ، ٥٥٠ - ٥٥١ ، ٥٥٤ - ٥٥٥ ، ٥٦٤ ، ٥٩٤ - ٥٩٥ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ - ٦٢٧ ، ٦٢٧ .
- (٤) - الخفيث المنجم ١ : ٢٩٦ - ٢٩٧ .

كما يلهم على طريقته التي نهج فيها نهج الشريف الرضي وسهيم الدماري ، بأسماء
الأمكنة النجدية والحجاوية ، في مجال الحنين الى الديار والتشوق الى الحبيب (١)
ونجد الثاني يلتقي وابن خفاجة في الاحساس القوي بالطبيعة والحب لها ، كما
يشتركان في تشخيصها ، وخلق الصفات الانسانية ، وخاصة ما تعلق منها بمناخ
الفضل ، على عناصرها الموصوفة ، وقد يشتركان في وصف الشجر والفصون ، ونمت الحمام
وفي بحث موضوع الطبيعة في الموضوعات الأخرى ، كما يلتقيان في الاستطراد في ذكر شاهد
الطبيعة بين (ما النافية) و (الها الزائدة) المتبوعة باسم تفضيل بهدف من
وراءه الى بيان صفات الممدوح أو الم محبوب وإبرازها أو الاعراب عما بالنفس من
سوى ولوعة وحرقة شوق (٢) .

بل اننا نجد في ركونه الى الطبيعة ، وتصويره لها تصويرا يوحي بالحب والاحساس
بالجمال ، وفي اندماجه فيها ، وشهها اياها الآلام والأحزان ، وفي الاحساس بهنما

على نوع عميق كما في قصيدة الجبل ، من حيث تشخيصه الطبيعة ، وخلق الشاعر
والاحساس الانسانية عليها ، نجد ، يلتقي في ذلك كله مع شعراء وأدباء ما قبل
الرومانسية من أمثال : تومسون ، هيرك ، وروسو ، رامون ، وشكسبير ، وفوته ، وشيلر
ومع شعراء الرومانسية من أمثال لامرتين ، وهو جو ، وكولريدج ووزد زوورت وشيلي وكيتس
ولمنج وغيرهم في القرنين الثامن والتاسع عشر ، فهم أيضا نزعا ذات النزعة في
الركون الى الطبيعة والاحساس بها ، ولكن مع فروقات اقتناها تقدم الفكر الانساني
وتنوع التجربة الشعرية واختلاف التصور ، فهو يلتقي معهم في " أنسنة الطبيعة "
وجعلها اطارا لشي الشعراء والتصورات ، والشكوى والحنين ، وهو يميل الى الطبيعة
الباسمة ، العامرة بالنبيا في مقام الحالات ، على حين يميل الرومانسيون الى الجانب
الكثير والحالم فيها ، ولذلك احتفوا بالطبيعة في جوال الغريف والشتاء ، واستسلموا
فيها لأحلامهم وأفكارهم ، ويطلق بذكر الموت والفناء كما يلهجون ، ولكنه يرهبه ،
ويشرك منه ، لأنه يعلم مصيره الذي سيمول اليه ، ونهايته التي سينتهي اليها ، على
حين يبالغ الرومانسيون الموت ، ويهرعون الى الأرض الخراب ، ويبدون في ذلك راحة

- (١) - ديوانه : ج : ٧١ - ٧٢ ، ٧٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٢٢ ، ١٥٥ ،
٢١٢ ، ج : ٢ : ٥ ، ١٥ ، ١٧ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ١٩١
١٩٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٨٨ ، ٤٠٠ .
(٢) - ديوانه : ٥٦ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٢ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ، ١٧٢ ،
١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٥١ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ،
٣٠٣ وابن النقيب شاعر الطبيعة : ٦٢ - ٦٣ ، ٩١ - ٩٢ .

وانه لاقا ، وجوا ساعدا على الاحساس بالحياة على نحو عميق ، وهم مهرعون السرى
القبور في جوال الليل ، ويجعلون منها سرحا للذكرى والتأمل ، والاحساس بالزمن ،
والاعتبار ، وهو يفعل ذلك الا أنه ينفر من الليل ، ولا يستريح اليه ، وكأنه كان يذكره
بالموت الذي ترد به نفسه وتفرق منه . وهو يسبقهم في وصف الجبل ، والاحساس
به على نحو عميق ، هذا اذا لم نقل : إن وصفه للطبيعة قد كان من جملة الموشرات
التي أثرت في الشعر الفنائي الأوربي عن طريق جماعة " الرومانس " وقد كانت
الصلة وثيقة بين الأندلس الاسلامية والدول الأوروبية المجاورة (١) .

واذا ، فقد استلهم ابن خفاجة ثقافته الشعرية والقرآنية ، كما استوحى بيئته الطبيعية
الفاخرة ، مستمينا على ذلك باستمدادات فطرية وشمورية ، غي ميله الى الطبيعة
والاحساس بها ، وتصورها تصويرا فيه جدة ، وأصالة ، جعلته قسينا بلقب شاعر الطبيعة
في أدبنا العربي القديم .

(١) - الرومانسية في الأدب الأوربي ١ : ٧٥ - ٩٦ ، ١٣٦ - ١٤٣ ، ١٩١ ، ٢٣٠ .

٢ : ١٩ - ٢٤ .

دول الطوائف : ٢٨٥ Histoire de l'Espagne : 16

خاتمة

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

ومعد ، فقد بدأنا هذا العمل ، مدخل أعاننا فيه جوانب عصر ابن خفاجة ، السياسية
الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، ورأينا أن الأندلس في القرنين الرابع والخامس تسد
سنت مستوى حضاريا راقيا ورائدا ، ولكن زوال الخلافة ، وانقسام الأندلس إلى
ولايات متنافسة ومتصارعة ، وظهور القوة النصرانية في الشمال ورفضها لولا الاستغلاب
سنتها الهجمات المتتالية على تلك الولايات الواهنة ، قد قلب حياة الاستقرار لدى
سلمي الأندلس إلى قلق واضطراب ، وكاد النصارى يستولون على الأندلس في القرن
الخامس لولا تدخل المرابطين ، وحملاتهم دون ذلك ، بعد أن استجابوا لصريح
الأندلسيين ونداءاتهم المتكررة ، قدخلوا الأندلس في بداية الأمر مساعدين ، ولكنهم
لم يلبثوا مدة حتى رجعوا إليها فاتحين ، بعد أن تبين لهم أن طوك الطوائف لضعفهم
وتنافسهم ، لا قبل لهم بالقوة النصرانية المتريصة بهم ، والتي فرغت عليهم هيمنتها وجبروتها
واضطرتهم إلى دفع جزى ثقيلة أرحقوا بها كاهل الأمة ، وانتزعوها من الرعية انتزاعا
مقابل الكداعن من الثارات ونسف النزوع أو الدخول في حاية مزينة من جشع هذا
الملك أو ذاك من طوك الواثف الكثيرين ، وقد وفر المرابطون الأمن والاستقرار في
الأندلس ، وظلوا يدافعون عنها حتى تفرقت قوتهم بين المدينتين ، بسبب ظهور المهدي
بن تومرت مؤسس دولة الموحديين ، كنافس ذي دعوة وقوة لها حسابها ، وهو أمر
أثر في الوجود المرابطي في الأندلس وأضعف من قوتهم أمام قوة النصارى المتزايدة ،
فمنوا بهزائم عدة ، مما جعل أهل الأندلس يثيرون بهم ، ويستبدلون بسلطانهم سلطان
الموحدين الذين ظهروا في المغرب على المرابطين واستولوا على ملكهم فيها .
ورأينا أيضا أن اليهود السياسي ، والقلق الذي أصاب الحياتين السياسية والاجتماعية لم
يؤثر في الحياة الفكرية بنوعها المختلفة ، فقد ظلت الحركة الفكرية نشطة مدة طوك
الواثف واستمر نشاطها بعد استقرار حكم المرابطين في الأندلس على تفاوت في
ذلك النشاط ، بين ملك وملك ، ومرحلة وأخرى .

ثم تناولنا في الباب الأول ، درسا وتحليلا ، حياة ابن خفاجة ، من حيث نشأته وتلمذه
وشخصيته ونفسيته وعلاقاته وأسفاره ، ورأينا أنه كان يتمتع بشخصية ذات ميزات واستعدادات
وخصائص ، أدلته لأن يلتجئ إلى الطبيعة ، ويرتبط بها برابط وثيق يجعلها تستولي
على حسه وشاعره ، وتستأثر بحبه وحياته ، وتحظى بعنايته وتصويره ، ثم خلصنا
بعد ذلك إلى باب الطبيعة في الشعر العربي ، فأضأنا في شمول وتركيز ، أسهام شعراء
العربية في مجال وصف الطبيعة قبل ابن خفاجة ، وحاولنا الوثوق على نواحي التأثر في
هذا الفن عبر المصور التاريخية للشعر العربي ، ورأينا أن ارتباط الشاعر العربي ببيئته

كان قويا ، وأن ارتباطه هذا ظل ينمو ويتمتع على مر الزمن ، ولكن الولع بالتشبيهات الحسية ، والتنافس في اظهارها ، توليدا واختراعا ، طبع شعرنا الويفي ، وشعر الطبيعة بالتالي ، بالمابع الحسية والتساح في معظام الأحيان ، فقلما نجد في هذا الشعر محاولة سبر واستكناه ، لمناصر الطبيعة الموصوفة ، والتفاعل معها ، والانفعال لها على نسوع عميق هي .

ثم انتقلنا الى الموسوع الرئيس في هذا البحث ، وهو الطبيعة في شعر ابن خفاجة ودأناه يوسف لبيئة الشاعر الطبيعية ، وساولنا الربط بين حياته ونفسيته وشاعريته وبين الطبيعة التي نشأ في أحضانها وترعرع بين ربوعها ، ورأينا أن احساس الشاعر بعيشته كان قويا ، ومادقا ، وهي صلة أثرت ذلك الديوان الشعري الغفيم بمشاهد الطبيعة بمناصرتها ومعالجاتها .

واتبعناه بدراسة المؤلف ذي الطابع الكلي للطبيعة ، ويمثل ذلك في رؤى شاعريته التي صورها في حب وإعجاب ، وإحساس قوي بجمال الطبيعة وروعة مشاهداتها . فرواياته مشاهد عامة ، مصورة تصويرا واقفيا ، غالبا ، ولكنه تصوير مليء بالحركة والحياة ومسير بثقة عن مشاعر الشاعر وإحساساته تجاه كل من المرأة والحياة .

ثم رأينا أن نفتت هذا المجموع الى أجزائه وعناصره ، وأن تنذر الى تصوير ابن خفاجة لأجزاء الطبيعة وتبين من كتب علاقته بها ، ونأثرته اليها ، فوجدناه يصورها في إعجاب ، ويمرر بها عرضا جذابا ، يدل على رفاة حس وقوي ذوق ، كما ينضج عن شعور ابن خفاجة أزاء المرأة التي حرمها في حياته كزق تشاؤمه حياته ، بأفراحها وأحزانها ، وأوصافه في الشجرة ، منيرة حيناً ، ومورقة ندية الظلال حيناً آخر ، لاعارية مجردة دليل على حبه الحياة ورغبته في البقاء .

ثم انتقلنا معه الى ما في طبيعته الفناء من ربا وسهول ، فتمتعا النظر بمنظارها البهيم ثم وقفنا وثقة مألوة ، نستمع الى حوار الانسان الخالد مع الجبل الذي نفخ عنه الفن غبار الخمول ، وألان جساوته ومث فيه الحركة والحياة ، نادا ، ينادي ينادي ، ويحدث ، ويطن الصبر والمخاضات ، في أسلوب مهيب مؤثر يدل على تجربة شعورية عميقة ، ومماناة نفسية مألوفة ، ثم سرنا معه في سهول مصاح أرضه النيعاء ، وتمتعا البصر بمنار نهريها الجميل ، وعشنا معه أطواره المختلفة في هدوئه وسنائه ، وخبره ، وفي ثمرته الى سواق وحداول تتخلل البساتين والمقول ، ثم فسي تحوله ، بعد نزول المطر الى سيل عات يجرف ما يحترق مجراه من مراكب وأشجار ومبان ، كما وقفنا معه نرقب البحر من كتب ، في إعجاب ممزوج بالخوف والرهبة

ثم شهدنا مع الشاعر ظاهرة الثلج ، وظاهرة البرد ، فأغذنا بما في تصويره من ألوان ونسج ، كما أودعنا تصويره البرد على أنه غضب إلهي منزل ، يرجم الأرض والناس عذابا لهم على سيئاتهم وجهودهم .

ثم حولنا البصر إلى الظواهر الكونية ، من ليل ونهار ، وشمس وقمر ونجوم ، وسحاب ورعد ورن ، فحسنا بأحاسيس الشاعر وشاعره مترجمة بوصفه هذه العناصر الكونية ؛ فهو لا يستأيب صوت الرعد ولا يستريح لظلمة الليل ، ولكنه يهفو إلى الضياء والنور فهم ينشر من الليل ، على الرغم من تفتنه في وصفه ، فيمزقه ويصدع ظلامه بشبهة فرسه أوبهضيا البرق ، أوللمان نصل سيفه أوبياض الصباح ، فكان ذلك كان انعكسا لما كان يكنه في أعماقه من احساس بالزمن ، وصراع بين الموت والحياة ، والفناء والبقاء .

ثم انتقلنا معه إلى طبيعته الحية ، فلاحظنا أنه لم يمن بكل ما عرفته طبيعته من حيوان ، ولكنه عني بعنصرين فيها هما الفرس والطير ، فأحسننا بالمتعة ونحسن نطل على المشاهد الطونة والحنونة التي رسمها لفرسه ، وهي شاهد تجسد إلى جانب الصفات الحسية المتناورة الصفات المصنوعة والنفسية ، كما تركز على إبراز قوة الفرس وسرعة عدوه وتجميعها ؛ فسرعته تشتد حتى تصل إلى درجة الطيران ، فنلاحظه يسبق البرق ويندفع كالعاصفة ، وهو تصوير له علاقته بنفسية الشاعر ، الرقيقة القلقة ، الخائفة المترقبة . كما شئنا الآن بترنيم طير طبيعته ، فدارنا لمكائه ، وأحسننا بالحزن لسجع حطامه الباكي ، ولكننا لم ننتع النثار بمنظارها الحسي إلا في النادر .

ثم تحولنا مع الشاعر في بيئته الحضارية ، فلفت انتباهنا تصويره المتمدد للسيف ، ثم للقلم والخطام ، من دون غيرها من الوسائل الحضارية التي تنوعت في عصره ، ولفت صناعتهما مستوى فننا راقيا ، ولعل قصده السيف بالوصف ، والفرس من قبله ، وعنايته بهما ، فضلا عن الجانب الجمالي ، رمز إلى ما كان ينهض التحلي به ، والمحافظة عليه واستمراره في وقت ، من أشد أوقات الاندلس الإسلامية قلقا واضطرابا ، فهما وسيلتا الجهاد الذي بواسطته يدفع الخطب ، ويثاد عن الوجود الإسلامي في الاندلس ، المهدد بالزوال من قبل حركة الاستفلاب النصرانية .

وقد لاحظنا أن ابن خفاجة قد اعتمد في تصويره للطبيعة الحية ، والمصنوعة ، الطبيعة الدائمة ، واتكأ عليها بما اشتملت عليه من عناصر ومعطيات في تلوين صورته ومشاهدته المرسومة ، وذهبوا ^{بدا} اتكأوا ونحنا في كل الأعراض الشعرية التي طرقها ، من مدح ورناء ، رثاب ، وروبنف المصركة ، والخمر والقوائد الشعرية ، ولعل الغرض الذي بدت هيمنة

الطبيعة عليه يوضح هو غرض الفزل ، ففيه انعكست الآتية ، فبعد أن كان ابن خفاجة يندار الى الطبيعة من خلال صفات المرأة الحسية ، أضفى بمنظر الى المرأة مسن خلال الطبيعة ، وهو تداخل وتمازج ، لعل السرف فيه يرجع ، زيادة على المشترك الجمالي الى احساس الشاعر بالحياة ، فكانه رأى فيهما رمزا للحياة التي كان يحبها ويتعلق بها ، فدنى بوصفهما ، والتوحيد بينهما ، وتخليدهما على سبيل التمجيد .
ثم قفينا ذلك كله بدراسة مكثفة للجوانب الفنية في شعر ابن خفاجة ، فأشرنا الى ما يلي :

١ - عناية الشاعر بأسلوبه الشعري ، من تخيير للألفاظ السهلة الموحية ، وانتقاء للأوزان حسبما يقتضيه المقام ، وعناية فائقة بالجانب الموسيقي في قصائده الشعرية ، وقد أسمفته ثقافته الأدبية وذوقه الحضاري ، وحسه الرفيع في ذلك ، فجاء شعره سهل المباشرة ، متقنها ، متناغم الأصوات ، تلرب له الأذن ، وتهتز لسه النفس .

٢ - اكثاره من التشبيهات ، والتشبيه التشليي منها خاصة ، والاستعارات ، وعشده لها في البيت الواحد - أحيانا - ما يطبع شعره بحسنة من الفموض ؛ وهي وسائل فنية اعتمد في استخدامها على الطبيعة من حوله ، يحب منها وينهل ، دون كلل أو طل .

٣ - امتداد السورة الشعرية وسيلة للتعبير عن شاعره وأحاسيسه ، وقد رأينا أن فكرة الصراع بين الحياة والموت ، وأحاساس ابن خفاجة النفسية ، قد لونت صوره ، واهتمتها بطابع خاص .

٤ - واقصيته التصويرية - غالبا - وأنها واقصية احتفظت الموصوفات في آثارها بحيويتها وركبتها .

٥ - مزجه بين الخيال والواقع في بناء الصورة وهو مزج يبدو في حرص الشاعر على أنسنة الطبيعة ، وتشخيص عناصرها الموصوفة بوضوح .

٦ - سميه الى ايجاد الوحدة فيما بين عناصر الطبيعة من جهة ، وبين الطبيعة والانسان من جهة أخرى ، وهي خاصة تجعلنا نحس في وصفه بالانس ، والحب والانجذاب ، وقلما نشعر بالصراع والنفور ؛ وط نشعر به منها هو تجل لما كان يصارع في أعماقه بين حياة يحبها وموت يرهبه ويفرق منه ، ولعله لهذا السبب لم يكثر في وصفه من التبايق لما يوحي به من معاني التضاد والتقابل والصراع .

ثم حاولنا أخيراً تحديد مكانة ابن خفاجة بين لذاته من شعراء الطهيمية في أدبياتنا
السريي القديم . وهي محاولة لا تخفى صعوبتها ووعورتها وخطورتها ، فأشرنا اشارات
عامة الى نواحي الالتقاء والاختلاف بينه وبين من سبقه ومن جاء بعده من شعراء
وصف الطهيمية ، وهي محاولة أبرزت مكانة ابن خفاجة ، من حيث كونه حلقة مهمة
في سلسلة وصف الطهيمية في شعرنا العربي القديم ، كما أشرنا الى أن ابن خفاجة
قد ضرب على أوتار حساسة في شعر الطهيمية ، سبق بها شعراء الرومانسية بما يزيد
عن ستة قرون .

وكل ما أرجوه هو أن أكون قد وفقت في تقديم صورة واضحة عن الطهيمية فسي
شعر ابن خفاجة الاندلسي . كما هي في الواقع او كما تمثلتها نفسه ومغيلته ممزوجة
بمراآفه وشاعره وتصوراتيه ..

وأخيراً دعوانسا أن الحمد لله رب العالمين

فهارس البحث

=====

- ١ - فهرس الاعلام والاسم والقائل والطوائف .
- ٢ - فهرس الأماكن والبلدان .
- ٣ - فهرس المصادر والمراجع .
- ٤ - فهرس الموضوعات .

١ - فهرس الاعلام والامم والقبائل والطوائف

(أ)

- ابن الأبار : ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٢٦٩
- ابن الأبار : (ابو جعفر) ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ٢٦١
- ابراهيم (انظر بن ميمون)
- ابراهيم بن يوسف (انظر ابن تاعيشة)
- ابراهيم بن عصام (أبو أمية) ٢٧٣ ، ٥٤
- ٢٨٠ ، ٢٩٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٣ ، ٢٨٧ ، ٢٦٧
- ابراهيم بن أبي الفتح (انظر ابن خفاجة)
- ابراهيم (بن مملو الطرسوني ٢٦
- ابن الأبرص (عبد) ٦١ ، ٦٥ ، ٦٧
- ابن الأبيثي (أبو بكر) ٣٧
- أبيقوروس ٣٥٧ ، ٣٥٨
- أحمد الاسكندري ٢٨٦
- أحمد بن جحاف ١٠
- أحمد بن رشيق (أبو المباس) ٣٠
- أحمد بن فرج (أبو عمر) ٣٦١
- أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدمري ٣٦
- أحمد بن محمود (انظر الصنوري)
- أحمد بن محمد (انظر ابن طباطبا)
- أحمد بن محمد (انظر النامي)
- أحمد بن هود (المستعين) ٨ ، ١٠
- الأخطل ٧١
- الأخفش ٣٢٦
- الأخفش القهذافي ٢٨
- الادرسي (الشريف) ٣٧ ، ١٠٠ ، ١٢٣
- ١٢٥
- ابن ادريس (انظر صفوان)
- ابن أرفع رأسه ٢٧٥
- ابواسحق (انظر ابن صواب)
- ابواسحق (انظر ابن ميمون)
- ابواسحق (انظر ابن تاعيشة)
- اسماعيل بن سيدة ٣١
- اسماعيل (انظر ابن النضر)
- اسماعيل بن ذي النون ١٧ ، ٢٦ ، ٢٧
- الأصمعي ١٦٠
- الأفارقة ٣٣
- ابن الأقطس (انظر المتوكل)
- بنو الأقطس ٣ ، ٦ ، ٣١
- الأفرنجة ١
- الأعشى (ميمون بن قيس) ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٧
- الأعشى القطيلي ٢٢ ، ٣٧ ، ١١٣ ، ١١٤
- بنو الأغلبي ٤٨ ، ٤٩
- أكثم بن صيفي ٢٧٣
- ألفونسو ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١١
- الأمويون ٣ ، ٩ ، ٢٦ ، ١٠٢
- الأندلسيون ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢١ ، ٣٣
- ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٥
- ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٦٠ ، ٣٦٩
- أنيس ابراهيم ٣٢٥
- ابن أمين (أبو عبد الله محمد) ٢٦

(ب)

- ابن باجة (ابو بكر بن الصائغ) ٣٥٠٢٨
 • ٢١٩٠٥٥٠٥٤٠ ٣٦
 الباجي (ابو الرليد) ٣١٠٣٠
 البهنا (ابو الفرج) ٨٦٠٨٤
 البحري ٢٥١٠٨٢٠٨١٠٨٠٠٧٦٠٤٢
 • ٣٥٩
 ابن بدل الشريف (ابو عمر) ٣٦٤
 ابن البادش الفرناطي ٣٦
 البربر ٤٣٠٣
 بنو برزال ٤
 ابن البراق (ابو القاسم) ٣٦٤
 بروك ٣٦٦
 ابن بسام (ابو الحسن الشتريني) ٢٥٠٢٤
 • ١٠١٠٥١٠٤٢٠٣٧٠٢٧
 بشار بن برد ٧٦
 ابن بشكوال ٤٩٠٤١
 ابن بصال (ابو عبد الله) ١٢
 ابن بطلال البكري ٣١
 ابن بطلال (انظر ابن النجاشي)
 البغدادي (ابو الفضل) ٢٧
 ابن باقي (محمد بن محمد الجذامي)
 ابن بتي ٣٧
 أبو بكر الطرطوشي ٢٨
 البكري (ابو عبيد) ٣٩٠٣٧٠٢٥
 البكري (ابو الحسن غلام) ٣٧
 ابن بلقين (انظر عبد الله)
 ابن بلقين (انظر تميم)
 بالنشيا ٣٢
 بريس هنري ٢٥٨٠١٨٤٠١٢٤٠٣٠٩
 ابن البين البطليوسي ٢٦

(ت)

- ابن تاشفين (انظر محمد بن تاشفين)
 ابن تاشفين (يوسف) ٣٣٠٣٢٠٢١٠١٠٠٧
 • ٢٤٣٠٥٣
 تاشفين بن علي ٢٣٠٨
 الترمادي ٣٦٦
 ابن تاعيش (ابو اسحق ابراهيم بن يوسف)
 • ٢٨٥٠٢٨٤٠٢٤١٠١٤٧٠٥٣
 • ٣٠١
 ابن التاكربي ٣٠
 ابن أبي تليد (ابو عمران) ٤٠٠٣٤
 ابن أبي تليد (ابو الطوف) ٣١
 أبو تمام ٩٧٠٩٠٠٨١٠٨٠٠٧٩٠٧٨٠٤٢
 • ٣٥٩٠١٠٤
 تمام بن غالب بن عمر (ابن التياي) ٣١
 تميم بن بلقين ٨
 تميم بن الحر بن باديس ٥٦٠٥٢
 تميم بن الممز ٩٨
 ابن تومرت (المهدي) ٣٦٩٠٢٣
 توسون ٣٦٦
 ابن التياي (انظر تمام بن غالب)
 ابن تيفلوت (ابو بكر بن ابراهيم) ٣٥٠١١
 • ٢٨٣٠٢١٩٠٥٥٠٥٤

(ث)

ثعلبة بن عمرو المدي ٦٥

(ج)

- جابر بن أفلح ٣٦
 جبير (عبد الرحمن) ١٨٤
 جبر ٧١
 ابن جعفر (ابو عاصم المرسى) ٣٦٤

الحدانين ٨٤

بنو حمود ٤٠٣

الحموي (ياقوت) ١٢٣

الحميري (ابو الوليد اسماعيل بن عامر ١٠٤/١٠١

الحميري (ابن عبد الغنم) ١٠٠/١٢٣/٢٧١

ابو حنيفة الدينوري ١٦٠، ٢١٩

حوا ٢٢

ابن حيان القرطبي (٢٠٠، ٢٧، ٢٨، ٢٩٠

(خ)

ابن خاتمة ٣٦٤

الخالديان ٩٣

ابن خاقان (ابو نصر الفتح) ٣٧، ٤٢، ٤٦

٤٨، ٥١، ٥٢، ١٠١، ١٤٩

٣٠٢، ٣٢٤

ابن أبي الخصال (ابو عبد الله) ٣٧، ٥٤، ٢٩٢

ابن أبي الخصال (أبو مروان) ٣٧

ابن الخطيب (لسان الدين) ٢٣، ٢٨، ٢٤٢

٣٦٥

ابن خفاجة (ابو اسحق ابراهيم) ٢١، ٢٢، ٢٣

٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٨، ٤٩

٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧

١٠٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٢٩

١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٩، ١٦٠

١٦٦، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٨٣

١٨٣، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٧

٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١١، ٢١٩، ٢٢١

٢٢٩، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣

٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٧٠

٢٧١، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٣

٢٩٨، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١٥، ٣١٦

٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٢

٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٨، ٣٤٩

٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٧

٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤

٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣

بن جعفر (قدامة) ٤٤

بن جعفر (ابو عاصم المرسى) ٣٦٤

جلالقة ١

مهور (ابو الحزم جهور بن محمد) ١٨، ٢

بن جهور (ابو مروان عبد الملك) ١٠٤

٣٦١

جوهرة (جارية الممتد) ٥٣

جويو ٣٢٥

(ح)

ابن الحاج (أبو بكر) ٥٤

ابن الحاج (ابو عبد الله محمد) ١١، ٢٩٢

٢٩٩

الحاجب الصحفي ١٠٤، ٣٦١

هازم القرطاجني ٣٢٧، ٣٦٥

حام بن نوح (عليه السلام) ٣٢٦

حبوس بن ماكسن ٥

حجاجي حمدان ٣٢٦

الحجاري (١٢٢، ١٢٣، ٣٦٢)

الحجام (غالب بن رباح) ١١٣

ابن الحداد (الفقيه القرطبي) ٢٧، ٢٨

٣٠، ٤٩

ابن حسداي (ابو الفضل) ٢٨

حسان بن ثابت ٦٩

الحسن بن عطية (انظر ابن الزقاق)

ابو الحسن (انظر ابن القبلرنة)

بنو الحصين بن الدجن بن عبد الله ٤٩

ابن سديد ٢٥، ١٠٨، ١٩٧، ٣٦١

ابن حمد بن (ابو عبد الله) ٢٥، ٣٤

٣٥، ٣٨، ٥٥، ٢٨٨

(ن)

الذبياني (انظر النافذة)

(ر)

الرازي ١٢٥

رامون ٣٦٦

روثة بن العجاج ٧٢٠ ٧١

ربيعة بن مكرم ٢٧٣

ابن الربيع (ابو الحسين) ١٧٦ ، ٥٢

ابن ربيعة (ابو محمد عبد الله) ٢٩٥ ، ٢٩٣ ، ٥٢

رتشاردز ٣٣٨ ، ٣٢٥

ابن رجم (ابو الحسين) ٢٨٠

ردريق (انظر السيد)

ابن رذمير ٣٠١ ، ٣٠٠

ابن رزين ٢٧٠ ١٨

بنورزين ٤٨ ، ٤

ابن رشد (الجد) ٣٤

ابن رشد (الحفيد) ٣٦

ابن رشيق (انظر أحمد بن رشيق)

ابن رشيق (ابو الحسن) ٣٢٧ ، ٣٢١

ابن رشيق (عبد الرحمن) ٥

الرصافي البلنسي ٣٦٣ ، ٣٦٢

الرضي (الشريف) ٣٠٨ ، ١٤١ ، ٩٣ ، ٤٦ ، ٤٢

٣٦٦ ، ٣٦٠ ، ٣١٩

الرفاء (السري) ٩٠٠ ٨٤

الركابي (جودت) ١٨٤

الرمادي (سهل بن هارون) ٣٦١ ، ١٠٤

ذوالرمة (غيلان) ٣٥٩ ، ٧٥٠ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧١

الرندي (ابو البقاء) ٢٦٩

ابن رواحة (عبد الله) ٦٩

ابن ريش (ابن عبد العزيز) ٣٠

ابن خلدون (عبد الرحمن) ٣٢٣

ابن خليفة المصري ٢٧

الخليل بن احمد ٣٢٦ ، ٣٢٧

ابن خميس ٣٦٤

خمينا ١١

الخنساء ١٢٤

بنو خويلد بن سمان بن خفاجة ٤٩

ابن خير الاشبيلي ٢١٨

ابن خير التاهلي ٢٩

ابن الخير (ابو الحسن) ٣٦٤

شيران

(د)

الداشل (عبد الرحمن) ١٠٢

الداني (ابو الصلت) ٣٧٠ ، ٣٦ ، ٣٥

داود بن هاشمة ١١٠ ، ١٠

الداية (د . محمد رضوان) ت ١٨٤

٣١٦ ، ٣٢٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٣

ابن الدباغ (ابو الطارف) ٢٨

ابن دحية ٢٢

ابن دراج القسطللي ١٠٦ ، ١٠٤ ، ١٠٣

٣٦٠

ابن دريد ٢١٩

دعد ٣٠٩

دوزي ٣٢ ، ٣٣

ابن أبي الدوس (محمد بن أغلب) ٣٦

الدبلي (مهيأر) ٤٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٤٢

٣٠٨ ، ٣١٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦

السلامي (أبو الحسن) ٩٥	روبو ٣٦٦
سلمي ٣٠٩	الرومانتيون ٣٦٦
سلمي ٣٠٩، ١٥٠	ابن الروصي ١٠٣، ٩٧، ٨٨، ٧٩، ٧٦، ٤٢
سليمان بن الحكم (أبو أيوب) ١	٣٦١، ٣٥٩
ابن سهل الأندلسي ٣٦٤	ريجيرا ٢١٨
السهيلي ٣٦	ريوند ٩
السيد (الكميطور) ٦، ١٠٠، ١١٠، ١٩٠، ٢٠٠، ٥٦	(ر)
ابن السيد (أبو محمد البطليوسي) ٣٦، ٣٥	الزاهي (علي بن اسحق) ٨٦، ٨٤
٢٤٢، ٢١٩، ١٤٧، ٤١	ابن الزير ٤٢
ابن سيدة (انظر اسماعيل بن سيدة)	الزنيان (أبو مقال) ٧٢
ابن سيدة (أبو الحسن) ٣١، ٢٩	ابن الزقاق (الحسن بن عطية) ٤٨، ٣٧
سير بن يوسف (أبو بكر) ٧	١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ٣٦٢
(ش)	٣٦٣
شأنجه ١	ابن زمك (أبو عبد الله) ٣٦٣، ٣٦٥
ابن شرف (أبو الفضل) ٢٥	ابن زهر (أبو العلا) ٥٤، ٣٦، ٣٥
ابن شرف (القيرواني) ٢٧	ابن زهر (أبو مروان عبد الطك) ٣٧، ٣٦
الشقندي ٣٣، ٣٢، ١٠٠، ١١٥، ١١٩، ١٢٠	زهير (الهامري) ٥
١٢٢، ١٢٥، ١٢٧	زهير ابن أبي سلمى ٦٢، ٦٥
الشريف (انظر الأبرسي) ٠	ابن زيدون (أبو الوليد) ١٠٧، ٢٨، ٢٥
شميب (أبو عبد بن التلساني) ٣٦٤	٣٦١، ٣٠٨
شكبير ٣٦٦	بنو زوي ٢٧، ٦، ٤
الشنفري ٢٥١، ٦٣	(س)
ابن شهيد (أبو حفص عمر) ١٠٦، ١٠٤، ٢٥	ابن الساعاتي ٣٦٥
شيلر ٣٦٦	ابن سراج (أبو الحسن) ٢٨
شيلي ٣٦٦	سيف الدولة الحمداني ٨٤
(ص)	ابن السقاط (أبو القاسم) ٣٧
ابن الصائغ (انظر ابن باجة)	سميد بن هشام (انظر الخالديان)
الصاهي (أبو اسحق) ٣٤، ٤٢، ٤١	ابن سميد المصربي ١٠٢، ٤١، ٢٥، ٢٠
ابن صارة الشنتري ١٨٩، ١١٠	٢١٨، ١١٧، ١١٩

- صفر ١٦٤
الصدفي (أبو علي) ٤٢٠٤١٠٣٤
• سردر ٩٣
السفدي (الخليل بن أبيك) ٣٦٥ ، ٤٢
صفوان بن ادريس (ابو بصر) ٣٦٤
ابن صادق (انظر المختصم)
• بنو صادق ٣١٠ ، ٢٥ ، ٥
المنوري احمد بن أحمد (أبو بكر) ٨٤٠٤٢
٣٦٥ ، ٩٧ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٧٨
• ٣٦١
ابن صواب (ابو اسحق) ٤١
الصورى (عبد المحسن) ٣٠٨٠١٤٧ ، ٤٢
• ٣٦٠ ، ٣١٩ ، ٣١١
ابن الصيرفي (ابو بكر يحيى) ٣٧
(ب)
النسي (ابن عميرة) ٥٠٠٤٩ ، ٤٨ ، ٤٦
• ضيف (د . شوقي) ١٨٣ ، ١٢٩
ابن الولت ٣ (ط)
الماهر ٢٧٦
ابن الماهر (عبد الرحمن) ٢٨
بنو الماهر ٥
ابن الماهيا ، احمد بن محمد (أبو القاسم) ١٧
ابن الطراوة ٣٦
ابن افيل ٣٦
الاشنري (ابو عبد الله محمد بن مالك) ١٢
ابن الملح (ابو يمتوب يوسف) ٤١
(ع)
ابن عائشة ابو عبد الله (القائد) ٥٤
ابن عائشة ابو عبد الله (الأديب) ٥١٠٣٦
• ١٢٣ ، ١١٤ ، ١١٣
- عاصي (د . ميشال) ١٢٩
ابن عامر (ابو محمد) ٣٠١
ابن أبي عامر (انظر المختصم)
• العامريون : ٩٠ ، ٥ ، ٣
ابن عباد ٢
ابن عباد (انظر المختصم)
ابن عباد (انظر المختصم)
• بنو عباد ١٠٧ ، ٣١٠٢٥ ، ٣
عبادة (القزاز)
• عبادة (انظر ابن طه السطام)
• ابن عبادة (انظر ابن القزاز)
• عباس (د . احسان) ٣٦٢ ، ١٨٣
• ابن عباس ٣٠
المباسمين ٧٦
ابن عبد البر يوسف (أبو عمر) ٣١٠٢٩
• عبد الجليل (انظر ابن وهبون)
• عبد الرحمن (انظر ابن طاهر)
• عبد المميز بن أبي عامر ٣٠٠١٩ ، ٩ ، ٥
• ابن عبد المميز عبد الملك (الظاهر) ١٩ ، ٩
• ابن عبد المميز (انظر ابن ريش)
• ابن عبد المميز (ابو بكر الهذليوسي) ٢٦
• عبد المميز بن سميد (ابو بكر) ٢٦
• ابن عبد المميز (ابو بكر) ٤٠٠٣٠ ، ١٩ ، ٩
• عبد الله (انظر ابن فاطمة)
• عبد الله بن بلقين ٨
• ابن عبد الله (محمد عليه الصلاة والسلام) ٦٩
• عبد المجيد بن عبدون ٣٧ ، ٣٦ ، ٢٦
• عبد المؤمن بن علي ٣٦٣
• عبد المحسن (انظر الصوري)
• عبد الملك (انظر ابن عبد المميز)

- عبد الملك بن أبي الملا* (انثار ابن زهر)
عبد الملك بن أحمد بن ٨
عبد الواحد المراكشي ٢٢ ، ٢٥
ابن عبد الودود (ابوعيسى) ٣٦٤
ابن عبد ووف ١٥ ، ٢٣
عبيد الله الشيعمي ٤٨
ابوعبيدة ٢٤٢
عبيد (انثار ابن الأبرص)
عتين بن أسد (أبو بكر) ٤١ ، ٤٢
عشان بن أبي بكر (ابوعمر) ٩
المجاذ ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥
المرب ٤٩
ابن عربي (صبي الدين) ٣٦٤
ابن العربي (أبو بكر) ٣٤
ابن عذاري المراكشي ٤٨
المذربي ٤٢
المسكري (أبو هلال) ٣٢١
عضد الدولة ٩٥
فرا* ٣٠٩ ، ٣١٠
الحفيف التلمساني ٣٦٤
عقبة بن روض ٧٦
المقيلي (علي بن محمد بن علي) ٤٩
المقيلي محمد بن عمر بن عبد الله بن محمد ٤٩
المقيلي (محمد بن مبارك) ٤٩
المقيليون ٤٩
علقمة (الفحل) ٦٠ ، ٦١
ابن علقمة (محمد بن خلف) ٣٧
علي بن الحسين ١٠١
علي بن علي بن خلف (انثار ابن النجام)
علي بن اسحق (انثار الزاهي)
- علي بن مجاهد (اقبال الدولة) ٣٠ ، ٥٥
علي بن يوسف ٨ ، ٢١ ، ٣٥ ، ٥٣ ، ٥٤
عمر بن أبي ربيعة ٣٦٠
عمرو بن عقيل ٤٩
ابن عمار (محمد) ٥٥ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ١٠٨ ، ١١١
ابن عميرة (أبو الحارث) ٢٦٩
بنو عميرة ٤٨
عترة ٦٢
ابن الموام ١٢
(غ)
ابن غالب (محمد بن أيوب) ٣٤
غرثية فوسث ٣٢ ، ٣٣ ، ١١٥ ، ٢٤٣ ، ٣٦٣
الغزالي (أبو حامد) ٣٥ ، ٣٨
الفساني (أبو علي) ٣٤
ابن فغن الحجاري (أبو مروان) ١١٣
فوته ٣٦٦
(ف)
ابن الفارس (أبو الحسين) ٤٢
ابن فاطمة (عبد الله) ١١
الفرا* (يحيى بن زيد) ٣٢٧
أبو فراس الحمداني ٨٤ ، ٨٥
الفرزدق ٧١
الفرس ٩٣
فرناندو ١٨
(ق)
القادر (انثار يحيى بن ذي النون)
بنو القاسم ٢٧ ، ٤٤
القاضي التتوخي ٩٥
القالي (أبو علي) ٢٤٢
ابن القلمنة (أبو محمد) ٢٦

مبارك ١٩٠٩٠٥

ميشر ١١٢

الستيني (أبو الطيب) ١٨٥٠٨٤٠٤٦٠٤٢٠٢٦

٠ ٣٦٠٠٣١٨٠٣٠٨٠١٦٥٠١٠٤

الدوكل بن الأقطس ٢٦

٠ مجاهد (أبو الجيش) ٢٦٠٩٠٥

٠ مجنون ليلي ١٨٣٠٧٢

محمد بن أحمد بن عثمان ٥٢

٠ محمد بن أيوب (أنار ابن غالب)

٠ محمد (ابن اخت ابن شفاجة) ٢٩٣٠١٧٠٢

٠ ٢٩٥٠٢٩٤

محمد بن تاشفين ١٠٠٧

محمد مزديلي ١١

٠ محمد بن سلمة (أبو عامر) ١٠١

٠ محمد بن مبارك (أنار الستيني)

٠ محمد بن دسام (أنار الخالديان)

الرابطون: ٢١٠٢٠٠١٦٠١٤٠١١٠١٠٠٧٠٥

٠ ٥٥٠٦٠٥٥٠٥٣٠٣٨٠٣٤٠٣٢٠٢٣٠٢٢

٠ ٣٠٠٠٢٩٨٠٢٤٤٠٢٢٣٠١١٣٠١١١

٠ ٣٦٩٠٣٥٤

٠ أمرو القيس ٦٨٠٦٦٠٦٥٠٦٤٠٦٠٠٥٩

المراكشي (أنار بن عذاري)

٠ المراكشي (أنظر عبد الواحد)

ابن مرج الكحل ٣٦٤

٠ مريم ٢٨٩٠٥٤٠٢٢

٠ المستنصر (الحكم) ٤٢٠٢٤٠٢٠١

ابن سمود ٣٦

٠ السلون ٣٤٠١٥٠٦

سوفة ٢٢

٠ مظفر ١٩٠٩٠٥

المظفر ٢٦

ابن المحتز ٩٧٠٩٠٠٨٩٠٨٥٠٨٣٠٨٢٠٧٦

٠ ٣٦٠٠١٧١

ابن القبطرنة (أبو الحسن) ٢٦

بنو القبطرنة ٢٦

ابن قتيبة ٢١٩

قريش ٢٨٣

القزاز (عبادة) ٢٥

ابن القزاز (ابن عبادة) ٢٥

ابن قزمان، أبو بكر (المم) ٢٦٠

ابن قزمان، أبو بكر (الزجال) ٣٨٠٢٦

٠ ابن القلاس (أبو عمرو) ٢٨

(ك)

ابن الكتاني (الخطيب) ١٠١٠١٨

كورتشه ٣٢٥

٠ كشاجم ٣٦٠٠٩٠٠٨٩٠٨٤

٠ كعب بن مالك ٦٩

٠ كولردج ٣٦٦٠٣٥١٠٣٢٥

كيتس ٣٦٦

(ل)

لامرتين ٣٦٦

ابن اللبانة ١١٢٠٢٥

٠ لبيب ٩٠٥

٠ لبيد ٦٥٠٦٢

٠ لسن ٣٦٦

لعتونة ٣٧٠٢٣٠٢٢٠٨

٠ ليلي ٣٠٩

(م)

ابن ماء السما (عبادة) ١٠٤

المأمون بن ذي النون ٢٧٠١٧٠٩٠٦٠٣

المؤمن بن هود ٢٨

٠ أم مالك ٣٠٩٠٢١٤

- المعتد بن صادق ٥٥٠٥٣٠٥٢٠٢٥
 المعتد بن عباد ٠ ٢٥٠١٧
 المعتد بن عباد ١١١٠٥٦٠٣٢٠٢٥٠٦٠٥
 ٠ ١١٢
 المصري (أبو الملا) ٠ ٨٥٠٨٤٠٤٢٠٢٦
 ٠ ٣٢٧
 الممز ١٠٥
 ابن ميمر اللخوي ٢٩
 ابن شوز (أبو بكر) ٢٨٨ ٠ ٥٥
 مقاتل ٥
 الحقتدر بن هود ٢٨٠٥
 الحقي* (أبو داود) ٣١
 الحقي* (أبو عمرو) ٢٩
 الحقي* (صاحب النفع) ٣٦٢٠١٢٧٠١٠٢
 طوك الطوائف ٠ ٢٤٠٢٣ ٠ ٢٠٠٨٠٧٠٣٠٢
 ٠ ٣٦٩ ٠ ١١٣ ٠ ٥٢٠٤٨ ٠ ٣٨
 المنصور بن أبي عامر ٠ ٢٤٣ ٠ ٢٤٢٠١
 ابن منظور ١٦٠
 مهلهل ٦٦
 المومنين ٣٦٩ ٠ ٣٦٣ ٠ ٢٣٠٨
 موسى باشبا (د. عمر) ت
 ابن ميمون (أبو اسحق إبراهيم) ٥٤
 من ٠ ٣٠٩
 ميسة ٠ ٠ ٠ ٠ ٣٠٩
 (ن)
 النابغة الذبياني ٦٦ ٠ ٦٢
 الناصر (عبد الرحمن) ١
 نازيف (د. مصطفى) ٠ ٣٣٨
- النامي أحمد بن محمد (أبو العباس) ٨٦ ٠ ٨٤
 تميم ٥
 ابن النجم (علي بن خلف بن بطال) ٣١
 النصاري : ٦٠٥ ٠ ٦٠٠ ٠ ١٠٠ ٠ ١٥٠ ٠ ١٧٠ ٠ ١٩٠ ٠ ٢٠٠
 ٠ ٢٦٤ ٠ ٢٤٣ ٠ ٨٤٠٥٦٠٥٣٠٤٠٠٢٣
 ٠ ٣٧١ ٠ ٣٦٩ ٠ ٢٩٩
 نصر بن عيسى ٢٩
 ابن النظام ١٠٣
 ابن النفرالة ٢٧
 ابن النفرالة (إسماعيل الأب) ٢٧
 ابن النقيب ٣٦٥
 أبو نواس ٠ ٨٢٠٨١٠٧٩٠٧٨ ٠ ٧٧٠٧٦٠٤٢
 ٠ ٦٠٠٣٠٧٠٣٠٤٠٩٧٠٩٠ ٠ ٨٨ ٠ ٨٦
 بنوذي النون ٤٨ ٠ ٣
 توبة ٣٠٨
 نيتشه ٣٢٥
 (ه)
 ابن هاني* الأندلسي ٣٠٦٠١٠٦٠١٠٤٠١٠٣
 هشام بن الحكم ٠ ٢٠١
 هشام بن محمد (المعتد بالله) ٢
 حوارة ٤٨
 بنو حوارة ٤٩
 الهواري ٤٨
 هوو ٣٦٦
 ابن هوو (انظر المقتدر) ٠
 ابن هوو ٠ ٩ ٠ ٦
 ابن هوو (انظر الموقمن)
 بنو هوو ٢٨٠ ٦ ٠ ٤

(٩)

والتز ٣٢٨

الوأواء الدمشقي ٨٤ ، ٨٥ ، ٣٦٠

رد زورث ٣٦٦

ابن وكيع التنيسي ٩٦ ، ٩٧ .

ولادة بنت المستكفي ٢٨ ، ١٠٨ ، ٣٠٨

ابن وهبون (عبد الجليل) ٢٥ ، ٥١ ، ٥٦

• ١١٣

ابن وهيب (طالك) ٣٥

(١٠)

اليحصي (القاضي عياشي) ٣٤

يحيى بن «مود» (المقلبي) ٣

• يحيى بن زيد (انظار الغراء)

يحيى (انظر ابن الصيرفي)

يحيى بن ذي النون (القادر) ٣ ، ٤ ، ٦

• ٩ ، ١٠ ، ١١

• يحيى بن هذيل (ابوبكر) ١٠٤

• أبو يحيى ٢٥٩

• ابن يثيق (أبو عامر) ٣٦ ، ٥٤

• يوسف (انظر ابن عبد البر)

• يوسف (انظر ابن الحبة)

٢- فهرس الأماكن والبلدان
=====

(أ)

أبذة ٢٠

أبرة (شهر) ١١٤

أريولة ١١٩٠٥ •

الاسكندرية ١٤

آسيا ٢٥٨

أشبهلية ٢٠٢ : ١٣٠ ١٥٠ ١٧٠ ٢٠٠ ٢٥٠ ٣١٠ ١٠٠٠ ١٠٧٠ ١١١٠ ١١٢٠ ١٧٤٠

• ١٧٩

أفريقية ١٥ ٤٨٠ ٥٢٠ ٢٤٣٠ ٢٥٨٠ •

الأقاليم الشرقية ٩٢ •

ألمونت ٢٧ •

إلبيرة ١٣ ١٠٠٠ ١٢٠٠ •

ألتي ١٢٤

إلهاسة ٤٨

الأندلس : ٢٠١ ٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠ ١٠٠ ١٢٠ ١٤٠ ١٥٠ ١٧٠ ٢٠٠ ٢١٠ ٢٢٠ ٢٣٠ ٢٤٠

٢٥ ٢٠ ٣٠ ٣١٠ ٣٢٠ ٣٤٠ ٣٥٠ ٣٨٠ ٤٠٠ ٤٨٠ ٤٩٠ ٥٦٠ ٧٩٠ ٨٤٠ ٩٩٩

١٠٠ ١٠١٠ ١٠٦٠ ١٠٨٠ ١١٣٠ ١١٤٠ ١١٨٠ ١٢٠٠ ١٢٢٠ ١٢٣٠

١٢٥ ١٢٧٠ ١٢٩٠ ١٣٩٠ ١٧٣٠ ١٧٧٠ ١٨٤٠ ١٨٦٠ ٢١٨٠ ٢٢٩٠ ٢٤٢٠

٢٤٣ ٢٤٤ ٢٥٨٠ ٢٦١٠ ٢٦٩٠ ٢٨٦٠ ٣٥٤٠ ٣٦٠٠ ٣٦١٠ ٣٦٧٠ ٣٦٩٠

• ٣٧١

أندة ١٢٢

الأندواز ١٠٠

أوروا ٩٩ ٣٦٧٠

إيطاليا ١٥

(ب)

باب السطارين ١٨٦

بجانة ١٤

البحر الأبيض المتوسط ٢٥٨ •

برشلونة ٩

بريانة ١١٩

بالميريس ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٨ ، ٢٦ ، ٣١ •

بغداد ٧٦

لبنانية ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤١ ،
٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٥٧ ، ١٧٠

• ١٧٤ ، ١٨٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٦٣ •

(ت)

تدمير ١١٩ ، ٢٤٣

تهامة ٣٢٤

التيهات (جبل) ١٨٣

تيهات ٢٤٤

(ت)

تبر ٦٦

تهلان ٢٨٨

(ج)

جاسم ٣٢٤

• جبل الثلج ١٠٠ ، ١٢٠ •

جبل الشرف ١٤

الجزائر الشرقية ٢٩

الجزيرة (انار شقر)

الجزيرة الخضراء ٤

الجزيرة المصرية ٥٩ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١

جيان ١٤ ، ١١٤ ، ١١٩

(ح)

الحجاز ٩٣ ، ١٤١ ، ٢٤٤ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦

حصن شاذلية ١٢٢

حلب ٨٤

(خ)

لخيف ٣٢٤

خيمر ٦٦

(د)

دانية : ٥ ، ١١ ، ١٤ ، ٢١ ، ١١٨ ، ١٢٢

دشق : ١٢٠

(ر)

أم الرأل ٢٤٠ ، ٣٢٤

رامة ٢٥٦ ، ٢٩٧ ، ٣٢٤

(ز)

الزلاقة ٧ ، ٢٤٣

الزراة ١٠٧

(س)

سجلحاسة ١٥

• سرقسطة ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٥٦ ، ١١٨ ، ١٧٤ ، ٢١٩

• السهلة ٤ ، ١٨ ، ٢٧ ، ٤٨

(ش)

شاذبة ٥ ، ١١ ، ١٤ ، ١٩ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٧٤ ، ١٨٦

• الشام ١٤ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ٢٠٠ ، ٣٢٤ ، ٣٦٠

• الشرق ١٥

• شرق الأندلس : ١٤ ، ٢٣ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٤٤

• ١٧ ، ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ٢٥٠ ، ٣٠١

• الشدل : ١٤٢

• شقر : ١٣ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٩

• ١٧ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٢٩ ، ٢٤١ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٣٠٦ ، ٣٤٨ ، ٣٣٠

• شقيرة : ١١ ، ١٢٠

• شلب : ٤

• سليم (انثار جبل التلج)

• شنيل (نهر) ١٢٠

(ص)

صقلية ٤٨ ، ١٠٨

الصين ١٠٠

(ط)

طبرية ٨٥

طرابلس الغرب ٤٨

طراوشة ٥ ، ٩ ، ١٤ ، ١١٨

طليحلة ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٤٨

(ع)

عدن ١٠٠

الحدوة ٧ ، ٢٣ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٢٦٩

المراق ٧٦ ، ٨١ ، ٩٢ ، ٢٠٠ ، ٢٢٤

المشيق ٢٤٤ ، ٢٢٤

(غ)

الغبياء ٦٦

الغرب ١٥

غرناطة ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ٢٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ٢٦٢

الضميم ٢١٤ ، ٢٥٦ ، ٢٢٤

(ف)

فام ١٥

الفرات ٢١٤ ، ٢٢٤

فرنسا ١٥ ، ٢٥٨

(ق)

قاعون ١٢٢

قراية ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٥٢ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٧٤

١٧٦ ، ٢٦٩

قرونة ٤

نستالة ٣ ، ٦

قويق (نهر) ٨٨ ، ٨٩

الثيروان ٤٨

(ك)

الكنيسة ١٤٢

(ل)

لبنان ١٥٩

لملح ٢٠٣ ، ٣٢٤

لقنت ١٤

• اللوى ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٩١ ، ٢٠٨ ، ٣٢٤

• لييل ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ٥٣

(م)

مالقة ٤ ، ٨ ، ١٥ ، ١٠٠

مدينة القراب (انظار بلنسية)

المنج ١٤٢

مرسية ٦٥٥ ، ١١٥ ، ٢٨ ، ٤٠٠ ، ٤١ ، ٥٥٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٧٤ ، ١٨٥

• مراکش : ٨ ، ١٥ ، ٢١

• المربة ٥٦ ، ١١٨ ، ٥٢ ، ٣١ ، ٢٥ ، ١٤ ، ٦٥

الحشرق ٣٢٣ ، ٣٦٣

المشقر ٢٥٦ ، ٢٩٧

• مصر ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٧

الصنرب ١٥٠٧ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ١٠٠ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ٢٤٣ ، ٤٤

• ٢٥٨ ، ٢٧٠ ، ٣٢٣ ، ٣٦٩

مفتشة ٤٩

منورقة ١٣٠٥

منية بن أبي عامر ١٢٢

الموسل ٩٠

ميورقة ٣٠٠٥ ، ١١٢

(ن)

مغار ٦

• ٣٦٦، ٣٦٥، ٣٦٣، ٣٦٠، ٣٦٠، ٣٢٤، ٣٠٨، ٢٨٥، ٢٤٤، ٢١٤، ١٤١، ١٢٠، ٩٣

والنقا ٣٢٤

النهر الأبيض ١١٩

(هـ)

لهند ١٠٠

(و)

إدي آش ٤٩

إدي اشبيلية (النهر الكبير) ٢٠

• ٣٢٤، ٢٠٨، ١٩١، ١٥١

مينة ٣

(ي)

مينة ١٢٢، ١٣، ٥

لمين ٩٩

٣ - فهرس المصادر والمراجع

- المهرية والمترجمة :

- الاحالة في أخبار فرناطة لابن الخطيب - لسان الدين (- ٧٧٦) تحقيق . محمد عبدالله

عنان . مكتبة الخانجي . القاهرة ١٩٧٣-١٩٧٧ .

- الأديب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة . د . أحمد هيكل . طه . دار المعارف

بمصر ١٩٧٠ .

- الأديب الاندلسي موضوعاته وفنونه . د مصطفى الشكعة . ط ٢ . دار العلم للملايين بيروت

١٩٧٤ .

- أربار الرباعي في أخبار عمري لشهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (- ١٠٤١ هـ)

تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الأبياري ومهد الحفيظ شلبي . مطبعة لجنة التأليف والترجمة .

والنشر . القاهرة . ١٩٣٩

- اسبانيا شعبها وأرضها . تأليف دورثي لودر ترجمة طارق فودة . الدار القومية . مصر ١٩٦٥

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . لأبي المصباح أحمد بن خالد الناصري . تحقيق

جمال الناصري ومحمد الناصري . دار الكتب . الدار البيضاء ١٩٥٥ .

- أسرار الهلافة . لمهد القاهرة أحمد بن محمد الجرجاني (- ٤٨٢ هـ) تصحيح وتعليق

السيد محمد رشيد رضا دار المصرفة بمسروت ١٩٧٨

- أعمال الأعلام لابن الخطيب - لسان الدين . تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال . دار المكشوف

بيروت ١٩٥٦ .

- = = = : القسم الثالث ، في تاريخ المغرب العربي . تحقيق وتعليق . د . أحمد

مختار المبادي ومحمد ابراهيم الكتاني دار الكتاب . الدار البيضاء . المغرب الأقصى ١٩٦٤ .

- أعجب العجيب في شرح لامية العرب للزمخشري (جلال الله أبي القاسم محمود بن عمر (- ٥٣٨ هـ)

دار البزاقة ١٣٤٢ هـ .

- كتاب الاثواء لابن قتيبة أبي عبدالله بن مسلم الدينوري (- ٢٧٦ هـ) ط ١ حيدرآباد

الهند ١٩٥٦ .

- الأندلس المظلمة ، من القرنين الثاني والثالث الهجريين (- ٥٧٥ هـ) دار المنصور الرباط . المغرب الأقصى ١٩٧٢ .

- بدائع البدائع لملي بن تاجر الأزدي (- ٦١٣ هـ) . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٧٠

- البديع في وصف الربيع . لأبي الوليد اسماعيل بن عامر العميري توفي قريباً من (٤٤٠ هـ)

تصحيح ونشر . هنري بريس . الرباط . المغرب الأقصى ١٩٤٠ .

- بغية الملتصق للفي أحمد بن مبرة (- ٥٦٦ هـ) دار الكتاب العربي . القاهرة ١٩٦٧ .

- ١٤ - بغيمة الوعاة . للسيوطي جلال الدين عبدالرحمن (- ٩١١ هـ) ط ١ . تحقيق . محمد
ابوالفضل ابراهيم . مطبعة عمسي باهي الحلبي . القاهرة ١٩٦٤ .
- ١٥ - ابراهيم الرندي شاعر الرثاء في الاندلس : د . محمدرضوان الداية ط ١ مؤسسة الرسالة
بيروت ١٩٧٦ .
- ١٦ - البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (ت نحو ٦١٥ هـ)
حقن الأجزاء (١ - ٣) ج . س . كولان وا . ليفي بروفنسال . وحقق الجزء الرابع د .
احسان عباس . ط ٢ . دار الثقافة . بيروت ١٩٨٠ .
- ١٧ - تاريخ الادب الاندلسي . عصر سيادة قرطبة . د . احسان عباس . دار الثقافة بيروت
١٩٧٥ .
- ١٨ - = = = . عصر اللوائف والمراييلين . د . احسان عباس ط ٤ . دار
الثقافة بيروت ١٩٧٤ .
- ١٩ - تاريخ الادب المصري . احمد ميسن الزيات ط ٢٥ الفجالة . القاهرة . السنة (٩)
- ٢٠ - تاريخ الادب المصري . العصر الاسلامي . د . شوقي ضيف ط ٣ دار المعارف بمصر ١٩٦٣
- ٢١ - = = = . العصر الجاهلي . د . شوقي ضيف ط ٤ دار المعارف بمصر ١٩٦٠
- ٢٢ - = = = . العصر المباسي الاول . د . شوقي ضيف . ط ٦ دار المعارف بمصر
١٩٦٦
- ٢٣ - = = = . العصر المباسي الثاني . د . شوقي ضيف ط ٢ دار المعارف ١٩٧٢
- ٢٤ - تاريخ الادب المصري في صقلية + أمريتوزيتانو منشورات الجامعة الاردنية . عمان ١٩٦٥
- ٢٥ - تاريخ الادب المصري ج ٥ . مصر المراسل للمسن والموحدين . د . هـ . فروع ط ١ دار العلم
بيروت ١٩٨٢ .
- ٢٦ - تاريخ الاندلس في عهد المرابطيين والموحدين . يوسف أشباح ترجمة . عبدالله عنان
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٤٠ .
- ٢٧ - تاريخ ابن خلدون او كتاب المبرور ديوان المبتدأ والخبر) . تأليف عبدالرحمن بن خلدون
(- ٨٠٨ هـ) . مطبعة بولاق القاهرة ١٢٨٤ هـ .
- ٢٨ - تاريخ علم الاندلس لابي الغرضي عبدالله بن محمد (- ٤٠٣ هـ) . الدار المصرية للتأليف
والترجمة القاهرة ١٩٦٦ .
- ٢٩ - تاريخ الفكر الاندلسي . لاثخل جنتالث بالنثيا . ترجمة . د . حسين مؤنس . ط ١
مطبعة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٥ .
- ٣٠ - تاريخ الفلسفة العربية تأليف عنا فاخوري وخليل الجر . دار المعارف بيروت ١٩٥٨
- ٣١ - تاريخ الفلسفة الهلنانية . تأليف : يوسف كرم . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
مصر ١٩٣٦ .

- | | |
|------|--|
| ٣٢ - | تاريخ النقد الادبي عند العرب د . احسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٧٨ |
| ٣٣ - | البهتان (او مذكرات الاثير) . عبدالله بن بلقن . دار المعارف . القاهرة ١٩٥٥ |
| ٣٤ - | تزيين الاسواق للافندي داود بن عمر (- ١٠٠٨ هـ) المطبعة البهية . القاهرة ١٣٠٢ هـ |
| ٣٥ - | التشبهات من أشعار أهل الاندلس لابن الكثاني أبي عبدالله المتطبب (- ٤٢٠ هـ) تحقيق د . احسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٦٦ . |
| ٣٦ - | التصوير الفني في القرآن . سيد قطب . دار الشروق . بيروت السنة ٩ |
| ٣٧ - | التلوين والتجديد في الشعر الاموي . د . شوقي ضيف . ط ٣ . دار المعارف مصر ١٩٦٥ |
| ٣٨ - | الكلمة لكتاب السلطة لابن الأثير أبي عبدالله محمد بن عبدالله أبي بكر القاضي (- ٦٥٨ هـ) نشر السيد عزت السطار المسيني . القاهرة ١٩٦٠ |
| ٣٩ - | ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحاسب . تحقيق إ . ليفي برونفيلد . القاهرة ١٩٥٥ |
| ٤٠ - | جذوة العتيق في ذكر ولاية الاندلس لابن عبدالله محمد الحميدي (- ٤٨٨) . القاهرة ١٩٦٠ . |
| ٤١ - | جغرافة الاندلس وأوروبا للبكري أبي عبيد عبدالله بن عبد العزيز (- ٤٨٢ هـ) تحقيق د . عبدالرحمن علي السدي . دار الارشاد بيروت ١٩٦٨ . |
| ٤٢ - | الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري . تأليف آدم متز . ترجمة محمد عبد الهادي أبو بريدة ط ٤ . مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٢ . |
| ٤٣ - | الحلة السيرة لابن الأثير أبي عبدالله القاضي . تحقيق د . حسين مؤنس . ط ١ . دار التراث بيروت ١٩٦٨ . |
| ٤٤ - | الشركة العربية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٣ . |
| ٤٥ - | السليل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية لمؤلف مجهول . سهيل زكار وعبد القادر زمانة ط ١ دار الرشاد الحديثة . الدار البيضاء ١٩٧٩ . |
| ٤٥ - | حياة وآثار الشاعر لاندلسي ابن خفاجة . مدان حجاجي ط ١ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والتوزيع الجزائر ١٩٧٤ . |
| ٤٦ - | ابن خفاجة . د . الداية محمد رضوان . ط ١ . المكتب الاسلامي دمشق ١٩٧٤ . |
| ٤٧ - | ابن خفاجة الاندلسي . عبدالرحمن جبير . دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٨٠ |
| ٤٨ - | غريدة القصر وجريدة المصور للحمام الاعفاني الكاتب (- ٥٩٧ هـ) . قسم شعراء العرب والاندلس . تحقيق . آثر تاش آثر نون . تحقيق . محمد المزوقي ومحمد البروسي الصلوي والجهلاني بن الحاج يحيى . دار التونسية للنشر ١٩٨٠ |
| ٤٩ - | كتاب الخيل لابن عبيدة مصر بن المثنى (- ٢٠٩ هـ) ط ١ . مطبعة دائرة المعارف العثمانية . حيدرآباد الهند ١٣٥٨ هـ . |

- ٥٠ - دائرة المعارف الاسلامية . الترجمة العربية .
- ٥١ - دراسات في تاريخ الادب العربي . أغناطيوس كاتشوفسكي . ترجمة . محمد المصري
علم . موسكو ١٩٦٥
- ٥٢ - دراسات في الشعر الاندلسي . د . سعد اسماعيل شلبي . دار نهضة مصر للطباعة
والنشر . القاهرة ١٩٧٣ .
- ٥٣ - دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المبرطي . محمد عبدالله عثمان ط ١ لجنة التأليف
والتربية والنشر . القاهرة ١٩٦٠
- ٥٤ - ديوان الأعشى . ميمون بن قيس . تحقيق محمد حسين . مكتبة الآداب القاهرة ١٩٥٠
- ٥٥ - ديوان الأعشى التليلي (- ٩٥ هـ) تحقيق د . احسان عباس . دار الثقافة بيروت ١٩٦٣
- ٥٦ - ديوان البحري . تحقيق . حسن كامل الصيرفي . دار المعارف . مصر ١٩٦٣ .
- ٥٧ - ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي . تحقيق محمد عبده عزام . دار المعارف
مصر ١٩٥١ .
- ٥٨ - ديوان هازم القرطاجني . تحقيق . عثمان الكمالك . دار الثقافة . بيروت ١٩٦٤
- ٥٩ - ديوان ابن حمد بنس (- ٥٢٧ هـ) نشر داحسان عباس دار صادر ١٩٦٠
- ٦٠ - ديوان ابن خاتمة أحمد بن علي الانصاري الاندلسي (- ٧٧٠ هـ) تحقيق د . محمد
زنوان الداية . منشورات دار الحكمة . ١٩٧٨ .
- ٦١ - ديوان ابن خفاجة . د . السيد مصطفى غازي . منشأ دار المعارف . مصر ١٩٦٠
- ٦٢ - ديوان ابن دراج القسطلبي (- ٤٢١ هـ) تحقيق د . محمود علي مكي . ط ٢ . المكتب
الاسلامي . بيروت ١٣٨٩ هـ
- ٦٣ - ديوان ذو الرمة (- ١١٢ هـ) تحقيق د . عبدالقدوس أبوصالح . مطبوعات مجمع اللغة
الاسلامية بدمشق ١٩٧٢ .
- ٦٤ - ديوان الرماضي أبي عبدالله بن غالب البلسني (- ٥٧٢ هـ) تحقيق د . احسان عباس
ط ١ . دار الثقافة . بيروت ١٩٦٠
- ٦٥ - ديوان ابن الرومي . تحقيق د . حسين نصار . مطبعة دار الكتب . مصر (١٩٧٣-١٩٧٧)
- ٦٦ - ديوان ابن الزغان الحسن بن عليّة تحقيق عفيفة ديرانبي . دار الثقافة . بيروت . السنة ؟
- ٦٧ - ديوان ابن زيدون (- ٤٦٣ هـ) تحقيق . طلي عبدالملكيم . مكتبة نهضة مصر بالقاهرة
١٩٥٧ .
- ٦٨ - ديوان ابن الساعاتي ابي الحسن علي بن محمد (- ٦٠٤ هـ) تد : أنيسل المقدسي
المطبعة الامركانية . بيروت ١٩٣٨ .

- ديوان السري الرفاء . نشر مكتبة القدسي . القاهرة ١٣٥٥ هـ
- ديوان ابن سهل الاندلسي . تقديم داحسان عباس . دار صادر . بيروت ١٩٦٧
- ديوان الشريف الرضي . دار صادر . بيروت ١٩٦١
- ديوان ابن شهيد . جمع . يعقوب زكي . قرطبة ١٩٧٥
- ديوان السهابة لابن ابي حجلة أحمد بن يحيى المغربي (٥٧٧٦ -) بهامش تزئين الاسواق للانطاكي المطبعة البهية . القاهرة ١٣٠٢ هـ .
- ديوان الصنوبري . تحقيق د . احسان عباس . دار الثقافة . بيروت ١٩٧٠
- ديوان الصبب واليهام والماضي والكهام للسان الدين بن الخطيب . تحقيق د . محمد الشريف قاهر ط ١ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر ١٩٧٣ .
- ديوان لحرفة بن المهد بشرح الاعلم الشنتري . تحقيق . د ربة الخطيب ولطفى الصقال مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٧٥ .
- ديوان بن عدي . تحقيق د . محمد رضوان الداية ط ١ . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٧١ .
- ديوان المحاج . تحقيق د . عبد الحفيظ السطلي . المطبعة التعاونية . دمشق ١٩٧١
- ديوان عبيد بن الابرص . نشر اكرم البستاني دار صادر . بيروت ١٩٦٤
- ديوان حلقة الفحل بشرح الاعلم الشنتري تح : لطفى الصقال ودرة الخطيب ط ١ دار الكاتب العربي . حلب ١٩٦٦
- ديوان عنتر بن شداد . تح : محمد سعيد مولوي . المكتب الاسلامي . القاهرة ١٩٧٠
- ديوان كشاجم . تحقيق خيرية محفوظ . مطبعة دار الجمهورية بغداد ١٩٧٠ .
- ديوان المتنبي ابي الذئب . تصحيح . عبد الوهاب عزام . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٤٤ .
- ديوان مجنون لملي . جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج دار مصر للطباعة . مصر ١٩٧٩
- ديوان امرئ القيس . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . دار المعارف . مصر ١٩٥٨ .
- ديوان ابن الممتر (٢٩٦ هـ) بشرح محي الدين الغياط . مطبعة الاقبال بيروت ١٣٣٢ هـ
- ديوان المستند بن مباد . جمع وتحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المهيدي . المطبعة الاميرية . القاهرة ١٩٥١
- ديوان مهيار الديلمي . ط ١ دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٢٥
- ديوان ابن النقيب (١٠٨١ هـ) تحقيق مد الله الجبوري . المجمع العلمي العربي دمشق ١٩٦٣ .

- ديوان أبي نواس . تحقيق . أحمد عبدالمجيد الفزالي . مصر . ١٩٥٣ . - ٦٠
- ديوان ابن هانئ الاندلسي (- ١٢١٣ هـ) شرح كرم البستاني . دار صادر . بيروت - ٦١
- السنة (٥)
- ديوان الواواء الدمشقي . تحقيق . د. سامي الدهان . المجمع العلمي العربي . دمشق . ١٩٥٠ - ٦٢
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام الشختريني (- ٥٤٢ هـ) تحقيق . د. احسان عباس . دار الثقافة . بيروت ١٩٧٩ . - ٦٣
- ذو الرية شاعر الحب والبصرا . د. يوسف . خليل . دار المعارف . القاهرة . ١٩٧٠ - ٦٤
- رايات المبرزين وفيات المبرزين . لأبي الحسن علي بن سعيد المصري (- ٦٨٥ هـ) تحقيق . د. النعمان عبدالجمال القاضي . مطابع الاهرام التجارية . القاهرة ١٩٧٣ . - ٦٥
- رسالة الشقندي (انظر فضائل الاندلس واهلها) - ٦٦
- رسالة ابن عدون (انظر ثلاث رسائل في آداب الحسبة) - ٦٧
- الرومي المصطفي في خبر الاقطار لمحمد بن عبد المنعم العمري تحقيق . د. احسان عباس - ٦٨
- دار القلم بيروت ١٩٧٥
- الرومانسية في الادب الاثري . تأليف بول فان تويغ ترجمة صباح الجهم . منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ١٩٨١ . - ٦٩
- ابن الرومي في الصورة والوجود . د. علي شلق ط ١ دار النشر للجامعيين - ١٩٦٠ - ١٠٠
- زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر لأبي بحر صفوان بن ادهم الرسي (- ٥٩٨ هـ) نشر وتعليق عبد القادر محداد . بيروت ١٩٣٦ . - ١٠١
- ابن زويدن عصره وحياته وأدبه . د. علي عبدالمعظم ط ١ مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٥٥ . - ١٠٢
- سرور النفس بدارك الحواس الخمس لأحمد بن يوسف التيفاشي (- ٦٥١ هـ) . تهذيب ابن منظور . تحقيق . د. احسان عباس . المؤسسة المصرية للدراسات والنشر . بيروت ١٩٨٠ - ١٠٣
- شرح ديوان لبيد . تحقيق . د. احسان عباس . مطبعة الحكومة . الكويت ١٩٦٢ . - ١٠٤
- شرح ديوان المتنبي . عبد الرحمن البرقوقي . المطبعة الرحمانية . القاهرة ١٩٣٠ - ١٠٥
- الشعر الاندلسي تأليف فارثية فوث ترجمة . د. حسين مؤنس ط ٢ . مكتبة النهضة العربية القاهرة ١٩٦٩ . - ١٠٦
- الشعر الاندلسي في عصر الموحدين لـ د. فوزي سعيد عيسى ط ١ . الاسكندرية ١٩٧٩ . - ١٠٧
- الشعر والبيئة في الاندلس . د. مهشال عاصي . ط ١ المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٥ . - ١٠٨
- الشعر والتجربة تأليف أرشيبالد مكليس . ترجمة سلس الخضراء الجبوسي . دار المقنطرة المصرية . بيروت ١٩٦٣ . - ١٠٩

- ١١٠ - شعر اللمعة في الادب العربي . د. سيد نوفل ط٢ . دار المعارف ، مصر ١٩٢٨ .
- ١١١ - شعر ابن اللبابة جمع وتحقيق د . محمد مجيد السعيد . منشورات جامعة البصرة ١٩٧٧
- ١١٢ - لغة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس . من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تأليف الشريف الادريسي عبدالله محمد بن محمد (- ٥٦٠ هـ) نشره ر. دوري . لندن بريل ١٨٦٦
- ١١٣ - السلطة لابن بشكوال خلف بن عبد الملك (- ٥٧٨ هـ) . الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦ .
- ١١٤ - صلة السلطة لابي جعفر بن أحمد الزهير (- ٨٠٧ هـ) نشره : ليفي بروفنسال . المطبعة الاقتصادية الرباط المغرب الاقصى ١٩٣٨ .
- ١١٥ - صناعة الحرب الاعشى الكبير . د . مصطفى الجوزو ط١ . دار اللمعة : بيروت ١٩٧٧ .
- ١١٦ - صناعة الكتابة . تأليف د . أسعد علي ود : فكتور الكوك ط٤ . دار السؤال . دمشق ١٩٨١
- ١١٧ - كتابة الصناعتين لابي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (- ٣٩٥ هـ) ط٢ نشر محمد علي صبح مصر السنة ٤
- ١١٨ - السيرة الادبية د . مصطفى ناصف ط٢ . دار الاندلس بيروت ١٩٨١
- ١١٩ - ليلقات الاثم لابي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي (- ٤٦٢ هـ) مطبعة السعادة مصر السنة ٤
- ١٢٠ - ابوالليب المتنبى تأليف د . ريتا شير ترجمة د . ابراهيم كيلاني وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٥ .
- ١٢١ - اللمعة في الشعر الاندلسي . د . جودت الركابي مكتبة اطللس . دمشق ١٩٧٠
- ١٢٢ - اللمعة في الشعر الجاهلي . د . نوري القيسي ط١ . د ار الارشاد للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٠ .
- ١٢٣ - العجاج حياته ورجزه . د . عبد الحفيظ السطلي . مكتبة اطللس دمشق ١٩٧١ .
- ١٢٤ - السروس وموسيقا الشعر العربي د . محمد علي سلطان . المطبعة الجديدة دمشق ١٩٨١
- ١٢٥ - الصمدية في صناعة الشعر ونقده لابي علي الحسن بن رشيق القيرواني (- ٤٦٣ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط١ مطبعة حجازي . مصر ١٩٣٤ .
- ١٢٦ - المحقق التلمساني شاعر الوحدة المطلقة . د . عمر موسى ياسا . دار الجليل للطباعة دمشق ١٩٨٢ .
- ١٢٧ - عيون الانباء في ليلقات الالباء لابن ابي اصيبعة أحمد بن القاسم (- ٦٦٨ هـ) تحقيق د . نزار رضا . مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦٥

- ١٢٨ - غرائب التجهيزات على عجائب التشبهات لعلي بن غافر الأزدي (٦١٣ هـ) تعقيب
د . محمد زغلول سبيلام . ومصطفى الصاوي الجوهني . دار المعارف القاهرة ١٩٧١ .
- ١٢٩ - الفهيت المنسجم في شرح لامية العجم لصالح الدين خليل بن أبيهك الدفدي (٧٦٤ هـ)
ط ١ . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥ .
- ١٣٠ - فرقة الانفس في تاريخ الاندلس . قطعة منه - لابن غالب محمد بن أيوب النرناطي
تحقيق د . لافي عبد الهديع . فصل من مجلة المخطوطات المجلد الاول . الجزء الثاني
ط ١ . ١٩٥٦ .
- ١٣١ - فضائل الاندلس وأهلها (لابن سعيد والشقدي) نشره د . صلاح الدين المنجد
ط ١ . دار الكتاب الجديد ١٩٦٨ .
- ١٣٢ - الفن ومذاقها في الشعر العربي د . شوقي ضيف ط ١ دار المعارف بمصر ١٩٦٥ .
- ١٣٣ - فهرسة مآراء عن شيوخه لابي بكر محمد خير الاشيلي (٥٧٥ هـ) . طبع وتحقيق
تأليف فرنسكة قداره وخلفاء رارة طرغوه ط ٢ دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٧٩ .
- ١٣٤ - قتي الشعر الاثري المعاصر . د . عبد الرحمن بدوي ط ٢ . المؤسسة العربية للطباعة
والنشر . بيروت ١٩٨٠ .
- ١٣٥ - القا موس الحيدل لجدالدين الفريز آزادي ط ٢ الملحة المصرية ١٩٣٣ .
- ١٣٦ - القرآن الكريم .
- ١٣٧ - قصة الادب في الاندلس . د . عبد المنعم خفاجي ط ١ المطبعة النهرية . مصر ١٩٦٢ .
- ١٣٨ - فلاقت الحقيان في محاسن الاغان لابي الفتح بن خاقان (٥٣٥ هـ - ٥٣٦ هـ) .
قدم له ووضع فهرسه محمد الفناي . دار الكتب الوطنية تونس ١٩٦٦ .
- ١٣٩ - قيام دولة المرابطين . د . حسن أحمد محمود . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة
١٩٥٧ .
- ١٤٠ - كولودج . د . محمد مصطفى بدوي . دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .
- ١٤١ - لسان العرب لابي الفضل جمال الدين بن مكرم المعروف بابن منظور (٧١١ هـ) ط ١
الملحة المصرية بولاق مصر ١٣٠٠ هـ .
- ١٤٢ - مجلة العربي الكويتية العدد ١٤٤ . السنة ١٩٧٠ - مقال : علماء الزراعة الاندلسيون
لسيد الله عنان .
- مجلة العربي الكويتية العدد ١٥١ / ١٩٧١ - مقال : محكمة المياه ببلنسية . لسيد الله
عنان .
- مجلة العربي الكويتية العدد ٢٧٦ / ١٩٨١ - مقال : النقود العربية فرت أوروبا القرون
الوسطى للدكتور أمين توفيق الدليمي .

- ١٤٣ - مجلة المجمع العربي بدمشق مجلد ١١ لسنة ١٩٣١ . مقال : ابن خفاجة لاندلسي لأحمد الاسكندري .
- مجلة المجمع العربي بدمشق مجلد ١٢ لسنة ١٩٣٢ تتمة مقال : ابن خفاجة لاندلسي لأحمد الاسكندري .
- ١٤٤ - المجلد في فلسفة الفن تأليف : كروتشه . ترجمة د . سامي الدروبي ط ٢ الأوايد دمشق ١٩٦٤ .
- ١٤٥ - مختار السماع للشبح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (- ٦٦٠ هـ) المكتبة الاموية بيروت . دمشق ١٩٧٨ .
- ١٤٦ - مسائل فلسفة الفن المصاير تأليف جان ماري جويو . ترجمة د . سامي الدروبي ط ٢ دار البقعة العربية بيروت ١٩٦٥ .
- ١٤٧ - السارب من أشعار أهل المغرب لأبي الخطاب عرب بن حسن بن دحية (- ٦٣٣ هـ) تحقيق د . ابراهيم الأبياري و د . حامد عبد المجيد و د . أحمد أحمد بدوي . دار العلم للمجمع القاهرة ١٩٥٤ .
- ١٤٨ - ملحق الأتقى ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس لأبي نصر الفتح بن خاقان . ملحمة السعادة . مصر ١٣٢٥ هـ .
- ١٤٩ - مع شعراء الاندلس والتمني تأليف : غرثة غوث . تمهيد د . الطاهر أحمد المكي ط ٢ دار المعارف . القاهرة ١٩٧٨ .
- ١٥٠ - مبادئ التنبؤ لمبد الرحمن بن أحمد المباسي (- ٩٦٣) تحقيق الشبح محمد محي عبد الحميد . دار السعادة . القاهرة ١٩٣٧ .
- ١٥١ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب لمبد الواحد بن علي المراكشي (- ٦٤٧ هـ) تحقيق محمد سعيد المريان ومحمد المربي العلمي ملحمة الاستقامة القاهرة ١٩٤٩ .
- ١٥٢ - المعجم في أسحاب القاضي لامام الصدي لاهن الابار محمد بن عبد الله القضاعي . دار الكاتب العربي . القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٥٣ - معجم البلدان لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت الرومي الحموي (- ٦٢٦ هـ) دار صادر بيروت ١٩٥٧ .
- ١٥٤ - المغرب في حلى المغرب لأبي الحسن علي بن موسى المعروف بابن سعيد المغربي (- ٦٨٥ هـ) تحقيق د . شوقي خليف دار المعارف مصر ج ١ - ١٩٥٣ ، ج ٢ ١٩٥٥ .
- ١٥٥ - مقالات في الشعر الجاهلي . يوسف اليوسفي ط ٢ دار الحقائق بيروت ١٩٨٠ .
- ١٥٦ - مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد . تحقيق : د . علي عبد الواحد وافي ط ١ لجنة البهان العربي القاهرة ١٩٦٢ .

- ١٥٧ - منهاج المصلح وسراج الأديب لابي الحسن حازم القرطاجيني (- ٦٨٤ هـ) تحقيق محمد الحبيب الخوجة تونس ١٩٦٦
- ١٥٨ - منهج الفن الاسلامي . محمد قطب دار الشروق بيروت السنة (٩)
- ١٥٩ - الموسوعة في علوم الطبعة . إدوار غالب . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٥
- ١٦٠ - موسيقا الشعر . د . ابراهيم انيس . ط ٤ دار القلم . بيروت ١٩٧٢ .
- ١٦١ - موسيقا الشعر العربي . د . شكري محمد عياد ط ١ دار المعرفة القاهرة ١٩٦٨ .
- ١٦٢ - كتاب النبات لابي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (- ٢٨٢ هـ) - نشره ب . لوين برنهارد .
- كتاب النبات - قطعة من الجزء الخامس . بريل . ليدن ١٩٥٣
- = = = الجزء الثالث . فرانز شتاينر . فساان ١٩٧٤ . ودار القلم بيروت ١٩٧٤
- ١٦٣ - كتاب النبات لابي سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي (- ٢١٦ هـ) تحقيق عبدالله يوسف
- الانميين مطبعة المدني . القاهرة ١٩٧٢ .
- ١٦٤ - نفخ الديب من فتن الاندلس الرطب تأليف الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني . تحقيق . د . احسان عباس . دار صادر بيروت : ١٩٦٨ -
- ١٦٥ - نقد الشعر لابي الفرج قدام بن جعفر . (- ٢٢٧ هـ) . تحقيق كمال مصطفى : مكتبة الخانجي . القاهرة ١٩٧٩
- ١٦٦ - نقد النثر لابي الفرج قدامة بن جعفر . تحقيق طه حسين وعبد الحميد المبادي مطبعة الكتب المصرية . القاهرة ١٩٣٣ .
- ١٦٧ - ابن النقيب شاعر الأبهة في العصر المملوكي . د . عمر موسى باشا . ط ١ المكتبة المباسية دمشق ١٩٧٠ .
- ١٦٨ - نهاية الأدب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (- ٧٣٣ هـ) المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر . القاهرة السنة (٩)
- ١٦٩ - الوافي بالوفيات لصالح الدين خليل بن ابيك الصفدي . نشر . س . ديدرنيغ . دار صادر بيروت ١٩٧٢ .
- ١٧٠ - الوسيلة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (- ٣٩٢ هـ) تحقيق محمد ابراهيم علي محمد الهجاوي . ط ١ . دار احياء الكتب العربية مصر ١٩٥٥
- ١٧١ - الوصف . تأليف لجنة من أدباء الاقطار العربية . دار المعارف بمصر . القاهرة . دون ذكر السنة .
- ١٧٢ - ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر جمع وتحقيق . د . حسين نمار . دار مصر للطباعة السنة (٩)
- ١٧٣ - بريمة الدمر في محاسن أهل مصر لابي منصور الثعالبي (- ٤٢٩ هـ) . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . دار البعثة ١٩٥٦ .

- 1- La civilisation arabe en Espagne . Vue générale, nouvelle édition. E. Levi Provençal. Paris - 1948
- 2- La description de l'Espagne Par AL-RAZI Ahmed. Traduction française par (E. Levi Provençal) . Al - Andalus , Vol. 18, fasc : 1/1953
- 3- Encyclopédie de l'Islam . t. 3 et 4 Leiden E. J. Brill Paris 1971 et 1978.
- 4- Le grand Larousse encyclopédique . Librairie Larousse Paris 1962.
- 5- Histoire de L'Espagne (Que sais-je ?) par Pierre Villar Presses universitaires de France . Paris 1947.
- 6- Histoire des Musulmans d'Espagne , t. 3 et 4 . (Dozy. R) edit. par E. Levi Provençal Loyde - E. J. Brill 1932
- 7- La poésie Andalousse en Arabe classique au 11e siècle, ses aspects généraux , ses principaux thèmes et sa nature documentaire. 2e édition. Par Henri Pérès , Maisonneuve Paris - 1953.

٢
ب - ت

الاهدا

المقدسة

- مدخل الى عسراين خفاجة ٣٨ - ١
- الحياة السياسية ١١ - ١
- الحياة الاقتصادية ١٦ - ١٢
- الحياة الاجتماعية ٢٣ - ١٧
- الحياة الفكرية ٣٨ - ٢٤

الباب الأول : حياة ابن خفاجة ٥٧ - ٣٨

- الفصل الأول : نشأته وثقافته ٤٤ - ٤٠

- الفصل الثاني : شخصيته وحياته الاجتماعية ٥٠ - ٤٥

- الفصل الثالث : علاقاته وأسفاره ٥٧ - ٥١

الباب الثاني : الأهمية في الشعر العربي ١١٦ - ٥٨

- الفصل الأول : الأهمية في الشعر الجاهلي ٦٨ - ٥١

- الفصل الثاني : الأهمية في الشعر الاسلامي والاموي ٧٥ - ٦١

- الفصل الثالث : الأهمية في الشعر المباسي ٧٦ - ٦٨

- الفصل الرابع : الأهمية في الشعر الاندلسي ١١٦ - ٩٩

الباب الثالث : الأهمية في شعر ابن خفاجة الاندلسي ٣١٧ - ١١٧

- الفصل الأول : بين الأهمية وابن خفاجة ١٣٠ - ١١٨

- الفصل الثاني : الروضيات ١٤٣ - ١٣١

- الفصل الثالث : الشجر والشعر والزهر ١٦٦ - ١٤٤

الشجرة ————— ١٥٤ - ١٤٤

الاراك ١٤٤ ، الهان ١٤٧ ، السرح ١٤٧ ، الابلق ١٤٩ ، البشام ١٥١ ، النارج ١٥١

الفصون ١٥٣ ، الريحان ١٥٤

الشعر ١٥٥ ١٥٥ - ١٥٩

الشعر ١٥٥ ، النارج ١٥٥ ، الثمن ١٥٦ ، المنب ١٥٧ ، الرمان ١٥٨ ، الشفاح

١٥٦

الزهر ١٦٠ ١٦٩

النارج ١٦١ ، الخيري ١٦١ ، الورد ١٦٢ ، النملوفر ١٦٤ ، الاقحوان ١٦٤ ، الشقيق

١٦٥ ، الريحان ١٦٥ ، الفرجس ١٦٦ ، زهر الشجر ١٦٨

- الفصل الرابع : الربا والبطلان والجهال (١٨٤ - ١٧)

الربا ١٧٠ المبطان ١٧٣ الخرق ١٧٤ الجبال ١٧٧

- الفصل الخامس : الطائعات (٢٠٠ - ١٨٥)

النهر ١٨٦ السيل ١٨٣ ، البحر ١٩٤ البرد ١٩٧ الثلج ١٩٨

- الفصل السادس : التلواهر الكونية ٢٢٨ - ٢٠١

الرياح ٢٠١ النعام والبرق والرعد ٢٠٥ الليل والنهار ٢١١

الكواكب والنجوم ٢١٨ القمر ٢٢٠ الهلال ٢٢٣ الثريا ٢٢٤ الشمري ٢٢٥ النسر ٢٢٥

السمية ٢٢٥ المجرة ٢٢٦ الشمس ٢٢٧

- الفصل السابع : الالهية الحية (٢٦٠ - ٢٢٦)

الدخيل ٢٢٦ الابل ٢٤٣ الكلاب ٢٤٦ الانعام ٢٤٨ الكشي ٢٤٨ النعجة ٢٤٦ الارنب

الارنب ٢٥٠ الذئب ٢٥٠ النعجة ٢٥٢ النعلة ٢٥٤ الثور ٢٥٤ الحمام ٢٥٥

الديور المفردة ٢٥٨ القطاة ٢٥٨ الديور الكاسرة ٢٥٦ البازي ٢٦٠

- الفصل الثامن : الالهية المصنوعة (٢٨٠ - ٢٦١)

وصف السلاح ٢٦١ السف ٢٦٢ الرمح ٢٦٦ القوس ٢٦٧ الدرع ٢٦٧ الابنية ٢٦٨

المراكب المائية ٢٧٠ أدوات الكتابة ٢٧١ آنية الشرب ٢٧٤

أدوات الانارة ٢٧٥ النار ٢٧٦ أدوات الزينة ٢٧٦

- الفصل التاسع : الالهية في الاقراخ الشعرية (٣١٧ - ٢٨١)

الالهية وقبيلة المدح ٢٨١ . الالهية والربا ٢٩٣ الالهية ووصف الهركة

الالهية والمتاب ٣٠١ الالهية ووصف القصائد الشعرية ٣٠٢ الالهية والخمر ٣٠٤

الالهية والفزل ٣٠٨

- الفصل العاشر : الدراسة الفنية (٣٦٧ - ٣١٨)

القسم الاول : ٣٥١ - ٣١٦

البناء الشعرية ٣١٦ الالفاظ ٣٢١ الموسيقى ٣٢٥

الاسلوب ٣٣١ التشبيه ٣٣٢ الاستمارة ٣٣٨ الجناس ٣٤٢ الطباق ٣٤٠

المصورة الشعرية ٣٤٨ اللون ٣٤٦ الحركة والحياة ٣٥٠ الاثس ٣٥٠

الواقعية والخيال ٣٥١

٣٥٨ - ٣٥٢

القسم الثاني : المعنى

٣٦٧ - ٣٥٦

القسم الثالث : مكانة ابن خلدون

٣٧٣ - ٣٦٨

خاتمة

فهارس البحث

(١) فهرس الاعلا والقبائل والدول ٣٧٥٠

(٢) فهرس الاماكن والبلدان ٣٨٥

(٣) فهرس المبادر والمراجع ٣٩١

(٤) فهرس الموضوعات ٤٠٢

ص	تصويبات	خطا	صواب (١)
٦	١٥	فكشوا بذلك على	بذلك على
٧	٢	ودافع	ودافع
٨	٢	حقيقة	حقيقة
١٤	١٠	والحرية	والحرية (٢)
١٥	١٨	الاسلام	الاسلام (٣)
١٦	١٥	أنه	قد
١٨	٢	الصانع	الصانع
١٩	٦	الموتة	لموتة
٢٠	٦	أنشأت	أنشئت
٢٥	٢	غمير	غمير
٢٦	٦	يتقدم	يتقدم
٥	١١	برقية	برقية
٦	٤	بلاطه	بلاط
٢٨	٨	من البصرة	من البصر به
٢٩	١	على مدحه	عن مدحه
٣١	١٠	أسباب	أصاب
٣٥	٧	أنفسهم	أنفسهم (٤)
٤٠	١٦	فبعدا	فبعذا
٤١	٥	أسمه لا تصرافه على	أسمه ... عن
٤٢	٥	للفرض	للفرض
٤٣	١٢	جوامعها	جوامعها
٤٤	١٢	وانتشاف	وانتشاف
٤٥	١٢	قوى	قوى
٤٦	١	صور	صدر
٤٧	١٨	قوى من فوره	قوى من
٤٨	١	أثر إلى أثر	أثر إلى أثر
٤٩	٢	الإنسان	الإنسان
٨٢	١٥	قدر طبع	قدر على طبع
٨٣	٧	البيضاء	البيضاء
٨٥	٥	ورر عها	ورر عها
٨٦	٢١	والمسود كالمزج	والمسود كالمزج
٨٧	٢١	كما ع في تجميل	كما ع في تجميل
٨٨	٩	وصف	وصفا
٩٠	٩	الشعرية	الشعرية
٩١	١٢	وتفتح	وتفتح
٩٢	١٠	الموصفات	الموصفات
٩٣	١	جائتها	جائتها
٩٤	٩	الأنسا	الأنسا
٩٥	٤	البرق	البرق

يحيى	١٠	٥
وفي سير	١١	٦
ثم يذكر	١	١٠٥
البرق الأول لحذف	١٤	١٠٩
ذات المسار	١٢	١١١
لم يدخل	١٧	١١٢
أكثر	١٤	١١٤
التلذذ والتلذذ	٧	٢١٩
العروب وسيتا الشعر	٢٤	٢٩٧
كألي عمر ليوست	٢	٢١
المسألة والاجوبة	١٥	٢٥
جسجيا	٤	٤٤
لما وفر	٢	٤٦
تحدثنا على	٤	٤٨
أو بالحرى	٥	٥٢
وانكاساتها	٩	٥٦
يفد	٨	٦٦
محرما	١٥	٨٥
فيها	٢	٨٦
أشرفا	٤	٨٧
وإعجاب	١٦	٨٨
فصورها	١٠	٩١
أفصح	٥	١١٦
تحت العنوان وفي وسط السلم		١١٨
عاش (٥)		٢١٩
فجعله	٢٢	٢٢٠
ابن زويد	١٩	٢٩٦
قدامل	١٥	٤٠
وهو يعرض على المصنف -	١٨	٢٢٧
يلتزمه ... منه ... له		١٩
وقد يصح كيباكا		٢٢٨
فيصير الآيات الملهمة والثقة	٢-٢	
البيت الثالث ولقي		
البينين الأول والثاني		
يحيى		
وفي سير		
ثم يذكر		
البرق الأول لحذف		
ذات المسار		
لم يدخل		
أكثر		
التلذذ والتلذذ		
العروب وسيتا الشعر		
كألي عمر ليوست		
المسألة والاجوبة		
جسجيا		
لما وفر		
تحدثنا على		
أو بالحرى		
وانكاساتها		
يفد		
محرما (٧)		
فيها		
أشرفا		
وإعجاب (٥)		
فصورها		
أفصح		
(٧)		
٤٤		
فجعله		
ابن زويد		
قدامة		
على التقفية والتقصير		
يلتزمهما - منها - لها -		
وقد يصح أو تصح		
فيصير البيت الثالث ولقي		
البينين الأول والثاني		

تصويبات (تابع)

ص	طر	خطا	مواهب
١١٨	٧	الأصلي	الأعلى
١٢٢	٨	يحد	يحت
١٢٧	٩	في بالاندلس	بالاندلس
١٣٥	١٠	وضعية	وضعية
"	١١	وثيقة	وثيقة
١٤٨	١٢	ما ظهر من معاني معادية	ما ظهر على - مادية
١٥٠	١٣	لا تعدوا أن تكون مادية	لا يعدوا أن يكون مادية
١٦٢	١٤	الصحاب	الصحاب - ب
١٧٠	١٥	المختصة	المختصة
١٧٤	١٦	يعدل عنه	يعدل عنه
١٨١	١٧	والشعر	والشاعر
"	١٨	المجمل الشد	التشديد
١٨٤	١٩	شبه الجزيرة الأندلس	شبه جزيرة الأندلس
١٨٦	٢٠	وقد ارتفع	قد ارتفع
٢٠٦	٢١	الرياح	الرياح
٢١١	٢٢	ما قاني	من قاني
٢١٤	٢٣	حسنا	حسنا
٢١٥	٢٤	يهدف	يريد حبيبه
٢١٧	٢٥	يهدف	يستهدف
٢٢٠	٢٦	والوطيس	الوطيس
٢٢٢	٢٧	فيتمتله	فيتمتله
٢٢٣	٢٨	من على	من على
٢٢٧	٢٩	رئيسه	رئيسه
"	٣٠	في أشعر	في أشعر
٢٢٩	٣١	١١٢	١١٢ - ١١١
"	٣٢	تلمسه	١١٢ - ١١١
٢٥٥	٣٣	البيضا	يحيى
٢٥٦	٣٤	وذكرت	اليه
٢٥٨	٣٥	غمر	وذكر
٢٦٣	٣٦	لعت	غمر
٢٦٤	٣٧	مقار	نفت
٢٦٥	٣٨	غصنا	مقار
"	٣٩	كما يذكر	غصنا
٢٧٣	٤٠	تصنع	كما يذكر
٢٧٦	٤١	مشرقنا	تصنع
٢٧٧	٤٢		الديوان : ١٢٢
٢٧٨	٤٣		مشرقنا

تقويات (تابع) (٤)

استعاراته	استعاراته	١٨	٢٨١
غرم	غرم	١١	٢٨٢
الله	هو	١١	٢٨٣
المتنوع	و المتنوع	١٨	٢٨٦
الليل	العليك	٢٠	٢٩
ذو لا	ذولا	١٦	٢٩٢
طبيعية	الطبيعة	٢٢	٢٩٨
العبث	العبث	١٠	٢٩٩
عنه	عنه	١٦	٣٠٠
وشية	وشية	٧	٣١٢
سومان	سومان	١٢	٣١٤
وهذا البث: ٤٣	علم الحركة كان	حاشد (٤)	٣٢٠
علم الحركة التي كاه -	ح	٤	٣٢٢
ونبتع	مسم يرق	١	٣٢٠
مبسم يروق	ونتكيد	٨	٣٢٢
ونتكيد	أبرز	٢	٣٢٧
أبرزه	وقد	٩	"
قد	يفقره	١٦	٢٤٠
يفقره	٢٤١	١٠	٢٤١
٢٤١	يتفق	حاشد (٦)	٢٤٤
يفتق	فني به	٢	٢٤٨
فني بـ	لا يطيب في	١١	"
لا يطيب إلا في	يعجب	٩	٣٥٢
يعجب	رزي حياة	١٤	٣٥٤
رزي حياة	في تبعه	٢١	"
وفي تبعه	الحسن بن الخير	١٠	٣٥٦
الحسن بن الخير	المصورة	١٢	٣٦٢
للمصورة	لنبح	١٦	٣٦٥
لنبح	أوهبنا	١	٣٦٦
أوهبنا			
المستعار له .	المستعار به	٥	
		١٢	٣٢٧

Université de Damas

Faculté des lettres

Institut des lettres et
de langue arabe .

LA NATURE DANS LA POESIE D'IBN KHAFADJA
AL ANDALOUSI

Thèse de Maîtrise

l'réparée par

Kerroum Boumediene

Dirigée par le Docteur

Omar Moussa Bacha

CONCLUSION

On a commencé cette thèse par une introduction de laquelle nous avons éclairé l'époque du poète IBN KHAFADJA, du point de vue politique, économique, sociale et intellectuelle; et on a vu l'Espagne Musulmane, durant les siècles 4 et 5 de l'hégire ~~xxx~~ ^{que} atteint un niveau de civilisation très élevé; mais la chute du "KHALIFA OMAYYADE" a comme conséquence sa division en petites royaumes vivaient en état de compétition et de lutte; et l'apparition de la force Chrétienne au nord de l'Andalousie (ex: la reconquête), qui assaillit ces royaumes faibles dans le but de récupérer toute la péninsule, a détourné la vie stable et tranquille de l'Andalousie en vie perturbée et instable, ils ont faillit récupérer l'Andalousie, mais l'intervention des ALMORAVIDES l'a empêché.

Les ALMORAVIDES ~~se~~ sont venus comme aidants, mais apercevant que les "Moulouk de TAIFAS" n'ont plus la force de se défendre, ils sont devenus des conquérants en forme de défenseurs de l'Andalousie; les ALMORAVIDES ont favorisé la paix durant leur existence en Espagne; mais l'apparition du "MAHDI" le chef des ALMOHADES au Maghreb, comme une nouvelle force compétente a bouleversé les forces des ALMORAVIDES qui selon le MAHDI ne sont plus sur le régime exacte de l'Islam.

Affaibli par les guerres successives des Chrétiens et force du MAHDI au Maghreb, a poussé les Musulmans d'Espagne ~~à~~ se mettre contre eux et les remplacer enfin par les ALMOHADES.

Et malgré la dépression politique et sociale qu'a connu l'Espagne à cette époque, on trouve que la vie intellectuelle en ses différents domaines n'a pas changé, mais au contraire elle a été prospérée durant la période des "Moulouk TAWAIF" ainsi que pendant la période des ALMORAVIDES.

Nous avons consacré le premier chapitre sur la vie d'IBN KHAFADJA, du point de vue, éducation et naissance, sa personnalité, ses relations et ses voyages, et on a vu qu'IBN KHAFADJA, avec sa personnalité et ses caractères propres a pu se tendre vers la description de la nature et ses beautés. Puis nous avons étudié d'une façon globale la nature dans la poésie arabe avant IBN KHAFADJA et nous avons essayé d'apparaître les étapes de développement dans cet art durant les

époques historiques de la poésie arabe, et nous avons saisi la corrélation profonde du poète arabe avec son environnement ; mais son préoccupation sur les ressemblances objectives a influencé profondément sur la poésie descriptive en générale, et la poésie de la nature particulièrement.

Puis nous avons abordé le chapitre principal dans cet mémoire c'est à dire, la nature dans la poésie d'IBN KHAFA-DJA , où nous avons décrit la nature de son pays natal, et nous avons essayé d'établir une relation entre sa vie , son humeur et sa poésie d'une part, et la nature où il viva d'autre part . Il avait un sentiment profond sur la nature de son pays, et cette relation lui a permis de faire son œuvre dont la description de la nature résume.

Puis nous avons étudié sa description générale de la nature , à travers la description des jardins qui exprime les sentiments du poète envers la vie et la femme d'une manière attentive. Et nous avons essayé d'analyser cette description globale des jardins et voire la signification de ces éléments descriptives avec lesquels il a réussi à exprimer sa vue envers la femme qu'il a vue sans elle comme épouse, ainsi que son sentiment envers la vie qu'il aime profondément a été exprimée surtout par sa description sur l'arbre.

Et en ce qui concerne la description des montagnes, on a vu qu'il a déroulé un dialogue humain en essayant d'exprimer sa sensation de la mort et de la vie. Alors que sa description prolongée sur l'eau courant en ses différentes périodes nous donne l'impression qu'il vivait dans une nature pleine d'eau. Il a exposé la mer en état d'agitation signifiant la peur du poète, ainsi , il a décrit la neige, alors que sa vue envers le phénomène du grêle était comme un châtement providenciel.

Pour sa description des phénomènes de l'univers, (la nuit, le jour, le soleil, la lune, les étoiles, le nuage, le tonnerre et l'éclair) nous avons conclu qu'il fuyait de la nuit, aimait le jour, et en ceci apparaît sa sensation sur la vie et la mort. Pour la nature vivante, IBN KHAFA-DJA a exposé par sa description, le cheval et les

oiseaux chantants bien plus qu'autres éléments vivants, il nous a donné plusieurs images qui caractérisent les qualités psychosomatiques de son cheval, et se borne sur la description des chants d'oiseaux.

Ainsi, il a décrit quelques objets de sa civilisation, surtout l'épée, la bague, et la plume; le poète n'est intéressé sur la description de l'épée et le cheval dont il s'aperçoit leur importance pour se défendre contre les agressions du mouvement chrétien (la reconquête).

IBN KHAFADJA a employé dans la description de la nature vivante et la nature artificielle la nature morte, et ceci apparaît clair dans toutes ses sens poétiques; louange, élégie, blâme, la description du combat, du vin, des poèmes et la galanterie dont la description de l'amant a été basé sur la nature avec une grande proportion; de ceci nous avons saisi qu'il examinait la nature à travers les caractères vues de la femme, cette examination devenu -ici- pour la femme à travers la nature, et cette interference indique l'attachement du poète à la vie, en plus de son attachement au qualité esthétique qui les unit, il les considérait comme des symboles de la vie qu'il aimait, et s'attachait profondément.

Et le dernier chapitre comprend une étude globale sur l'art poétique d'IBN KHAFADJA où nous avons indiqué les sens suivants :

- 1- Il n'est pris moins de son style poétique, en choisissant des mots faciles, clairs, inspirants; et la musique a été bien entretenu; et grâce aux éléments précédants, sa poésie a eu un aspect facile à lire et harmonieux, en ajoutant que sa civilisation, sa culture vaste et sa sensibilité sentimentale, l'ont aidé bien à accomplir sa tâche.

- 2- Il a trop employé les ressemblances et les métaphores jusqu'à les assembler dans un seul vers, et cette méthode rend ses sens poétiques un peu obscurs. Ainsi qu'il a inspiré ses ressemblances et ses métaphores à partir de la nature harmonieuse qui l'entour.
- 3- Ses images poétiques étaient un moyen d'exprimer ses sentiments et sa vue envers la vie, la mort et la femme.
- 4- Dans la plupart des cas, sa description sur la nature était objective.
- 5- Pour établir son image poétique, il entremêle la réalité et l'imagination, cet entremêlement apparaît de façon évidente en humanisant la nature.
- 6- Il a toujours essayé d'établir l'unité entre les différents éléments de la nature d'une part, et entre la nature et l'être humain d'autre part, et cette qualité nous donne la sensation d'admiration, et c'est rarement que le poète expose des images exprimant le sens de la lutte, et s'il arrive où on en trouve, c'est qu'il reflète le sentiment de lutte entre une vie qu'il l'aime et la mort qui l'effraye.

Enfin on a essayé de classer le poète IBN KHAFADJA entre ses confrères descripteurs de la nature dans notre poésie de l'antiquité; et c'est une tentative très difficile; où on a signalé de façon générale aux points de rencontre et de diversité avec ceux qui l'ont précédé et ceux qui l'ont suivi dans ce domaine; et nous avons conclu qu'IBN KHAFADJA constituait un anneau principal dans la description de la nature en poésie arabe antique, et on a constaté, aussi qu'il a devancé les poètes romantiques en utilisant des sens sur la description de la nature depuis six siècles.

Et j'espère que j'ai réussi à exposer en vue claire la nature dans la poésie d'IBN KHAFADJA comme il l'a sentie et l'a exprimée.